/ ٢أ

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن جعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ، وجعل الدولة العثمانية ، والمملكة الخاقانية ، بهجة الدين والدنيا ، وصلاة وسلامًا على من نُصِرَ بالرُّعْبِ والصبَّا ، وأشاد هذا الدين القويم بشبا السمهرية والظبَا ، وعلى آله وأصحابه الداحضين لشوكة كل قامع متمرِّد ، الفائزين لبذل نفيس نفوسهم بكل نصر بديع متجدد .

أما بعد فإن وقائع الأيام وَخُطُوبِهَا ، وحوادث الحادثات وَكُرُوبِهَا ، لَمْ تَزَلْ من حين خلق الله العالم متتالية ، وفى ضمن الليالى والأيام متوارية ، وهى بحسب اقتضاء التجليات ، ومظاهر الأسماء والصفات ، متنوعة إلى أنواع ، داخلة فى حيز الإبداع والاختراع ، بما أودعه الله من الخصائص فى الآثار العلوية / عند اقتران بعضها ببعض ، وارتباط المناسبات الخفية بينها وبين ما على وجه الأرض ، وذلك ، بحسب جرى العادة الإلهية ، له مسببات ، وحوادث يستدل عليها بتلك القرانات والمناظرات ، وقد أودع الله فى بعض خالصى النفوس البشرية ، والأرواح المجردة عن العلائق الجسمية ، والشهوات النفسية ، معرفة بعض تلك الحوادث إما بإلهام ، أو باكتساب ونظر فى علم الأحكام ؛ فَبِالنجم هم يهتدون ، وبالنظر فى ملكوت السموات والأرض يستدلون ، فيعرفون ، من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات ، وإنما هى أسباب عادية وعلامات .

/ ٢ب

وَإِنَّ من أعظم الدلائل على ما رُميت به مصر ، وحلّ به لأهلها تنوع البؤس والإصر ، بحلول كفرة الفرنسيس ؛ ووقوع هذا العذاب البئيس ؛ حصول الكسوف الكلىّ فى شهر ذى الحجة [1] بطالع مشرق الجوزاء [2] المنسوب إليه إقليم مصر ؛ وقد كان هؤلاء الأقوام وأمثالهم ممن لهم فى الخروج مُشَارِكٌ ، وَلِرَوْمِ الإفساد متربص متدارك ، كُلٌّ يريد الحلول بأرضها ، والتفيؤ بظلال خصبها وروضها ؛ فيرجع بخفى حنين[3] ، وتنقلب أمنيته منيةً وحينًا ؛ ولم تزل منذ وضع أساسها وأضاء فى ديجور الأقطار نَبْرَاسُهَا ، محمية عن تطرّق أيدى المفسدين ، مصانة عن أن يطرق حماها عصابة المعتدين ، لايطمع خارجىّ فى الحلول بساحتها ، ولا تحدثه نفسه بالتغلب على

(١) ذو الحجة ١٢١٢ هـ / ١٧ مايو - ١٤ يونيه ١٧٩٨ م .

(٢) الجوزاء : أحد أبراج السماء الإثنى عشر ، وهو ثالثها وهى : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت .

(٣) مثلٌ يضرب على فشل الشخص فى تحقيق ما يريد .

رياستها ؛ رهبة من سطو حُمَاتِهَا ، وأسود غيضاتها [١] ؛ الذين كانوا من قديم الزمان كالشجَا فـي حلقِ العـدو ، والحسام المجرّد فى وجوهـهم بحيث سلبـهم الراحة / والهدوء ؛ لايتوجهون لجيش إلاّ هزموه ، ولايحاربهم متغلب إلا غلبوه .

٣ أ/

هؤلاء التتار [٢] قد استـولوا على كل أرضٍ ، وأنْزَلُوا دولـة كل ملك مـن شامخ عال إلى خفض ؛ كثيرًا مـا قهرتهـم جنـد القاهرة ، وبَاءُوا عند توجههم إليها بصفة خاسرة ، بحيث لم تقـم لهم بعد تلك الهزيمة دولة ، ولاتحقق منهم بـعد تلك الغلبة صولـة ؛ وذلك وقت أنْ كـان الناس نـاسًا والزمان زمـانًا ، وجند أهـل هذا القـطر متيقظين لسداد الثغور [٣] بأبطال الرجالِ وعقبان الفرسانِ ؛ وأن الدولة العثمانية أبقاها الله وأشادها ، ووضع على أساسِ العظمة والعزّ عمادها ؛ كانت وَسَّدَت[٤] أمور مصر لمن بهـا مـن الحكام ، اعتـمادًا على شهرة شـجاعتهم وحمـايتهم السائـرة بين الخاص والعام ؛ وهؤلاء[٥] الحكام أيضًا اعتمدوا على سابـق الشهرة ، وركنوا إلى الدهر ولم يأمنوا غـدره ؛ فَخَرَّبُوا الثغور ، وأشادوا القصـور ، واستبدلوا أبطال الـرجال بربات الخدور والحجال وشجعان الـفرسان ، بحِسَانِ الغلمان ، وتسابقوا فى حـلبة الكميت مـع الخيـلاء والزهـو؛ إلـى ميـدان كـلِ خلاعـة ولهـو ؛ لايَرِدُون إلاّ مَوْرِدَ مَسَرَّة ، ولايبالون بما أغفلـوه من أسباب المضرّة ، غَفُلَ الدهر عنهم فناموا ، وظـفروا بأمانيهم فَتَرَدُّوا فى جـهالتهـم وهاموا ، حتـى قلقـت مصر منـهم واستقـالت [٦] ، وللـدولة العثمانية أبقاها الله شكت وقالت :

فَلَيْتَ لِى بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا — شَنُّوا الإغَارَةَ فرسانًا وركبانًا

وما دروا أن العدوّ لـهم بمرصاد ، وأنه لابدّ للدهـر من يقظة يسترد بـها ما وهب ويزداد ؛ وما هكذا / تحفظ البلاد ، وتُساسُ الـرعايا والأجناد ؛ قال صاحِبنا الآتى[٧] ذكره من قصيدة :

٣ ب/

---

(١) غيضات : جمع غيضة ، وتعنى الشجر الملتف .

(٢) التتار : قبائل بدوية ظهرت فى أواسط آسيا ، جاءت مـن حدود الصين ، وانتشروا فى أقطار أسـيا الوسطى ، ودخلوا بجموعهم فى جـيوش جنكيز خان ، ولذا فإنَّ العرب سَمُّوا خلفاء جنكـيز خان ، كهولاكو ومن بعده بإسم التتر . الجبرتى ، عبد الـرحمـن بن حسـن ، مظهر الـتقديس بزوال دولة الفرنسيـس ، تحقيق : أحمد زكى عطية وأخران ، طبعة وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٢٢ .

(٣) أى متيقظين لحمايـة حدود البلاد ، والثغور ، هى : الحصون ، والقلاع ، والربط التى تـقام على الحدود لتكون بمثابة مناطق دفاع لحماية حدود الدولة .

(٤) وسَّدَ : أى أسند الأمر إليه .

(٥) بالأصل « وتلك » ، صوبت من طبعة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

(٦) أى تخلت عنهم .

(٧) المقصود بصاحبنا هو : الشيخ حسن العطار ، حيث ضَمَّنَ النَّصَ كثيرا من أشعاره ، ورسائله .

إِنَّمَا هَذِه الـــــــبِلادُ لأَقْوَا	مِ حَمُوهَا بِـالـصَّارِمِ المَسْلُولِ
وأَرَى دَوْلَةَ المَمَالِيـــك مَالَتْ	لِضُرُوبِ اللَّـذَاتِ بِـالـتَّهْبِيـلِ
وَاغْتَنُوا عَنِ تَجْرِيدِ سَيْفٍ وَرُمْحٍ	بِقَـــوامٍ لَدْنٍ وَطَرَف كَحِيـــلِ

وَلَمَّا لم يقتفـوا آثار مَنْ مَضَى مِنَ الدول ، وأضاعوا ما تعب فى تـأسيس قواعده الأول ؛ تطرّق الخلل لهذا الـقطر العظيم من كل جهة ، وأضحـت وجوه محاسنه بما ابتدعـوه مشوّهة ؛ فأصبـح الغنىّ بالمصـادرات فقير ، وَعَزَّ بالتـقرب إليهم من سـفلة السعاة كل حقير ؛ ورغبوا عن الفـضائل فَدَرَسَت ، ومالوا إلى سفاسف الأمور فراج سوقهَا وربـحت ؛ فَقَلَّت الفضلاء وكـثرت الجهال ، وارتفـع مقدار كل غبـىّ فى كل حال .

ولقد كانت مصر مجمع الفضلاء ، ومركز النبلاء ، وقطب دائرة الفصحاء ومنشأ لبلغاء الكتـاب والشعراء ؛ جَمَعَت ما تفرق فى غيرها من المحـاسن ، وورد أهلها من موارد اللذات شرابًا غير آسـن ، بها تخترع الصنائع البديعـة ، وَيُسْتَنْبطُ فيها كل نادرة رفيعة ؛ فلمـا دهمت الفرنسيس ثغرهـا الخالى ، ووقفت منه على طلـل بالى ؛ سهل عليـهم الحال فاقـتحموه ، ودخـلوا من باب الإقـليم بدون أن يـفتحوه ، وتـقاعدت العساكر المصرية عن التسارع لاستنقاذ الـثغر ، فعظم البلاء ، وأخذ العدوُّ يطوى بساط الأرض حتى إذا التقى الجمعان ، لَمْ يَسْعَ القوم إلّا الـفرار فى الفلا ؛ فكم تركوا من جنات وعيـون وزروع ، وأصبحـوا مُشَتَّتِينَ فـــى أقطار الأرض لا يقـرُّ لهم لب ولا روع ، وأناخت / دولة الـكفار [1] بكلكلهـا على هذا القطر العظيـم ، وانتشروا فى أرجائه انتشار السمّ فى جسد السليم ، فَيَالَهُ من خطب فظيع ، وحادث جلل شنيع ؛ انمحقت بـه محاسن مصر الـفريدة ، وتخلخلـت قواعد مملكتـها العتيدة ؛ فـأصبحت مقهورة ، بعد أن كانـت هى القاهرة ، ومطموسة المحاسن ، بعد أن كـانت محاسنها لكل قطر باهرة ، شعر : / ٤ أ

بَلْدَةٌ أَوْقَاتُهَـــــــــا سَحَرٌ	وَصَبًا فـــــــــى ذَيْله بَلَلٌ
وَنَسِيـــــــــــمٌ عَرْفُهُ أَرِجُ	وَرِيَـــــــاضُ غُصنُهَا ثَمِلٌ
وَوجُــــــــــوهٌ كُلُّهَا غُرَرٌ	وَكَلَامٌ كُلُّهُ مُثُـــــــــــلٌ

وماذا يبلغ إطـرائى ، أو يستوعب عقد ثـنائى ؛ بعد ذكر الله لها فـى آيات عديدة من كتابه ، وتوصية النبىّ على أهـلها لمعظم أصحابه ؛ ولم تزل أحاديثُ فَضَائِلُهَا عَلَى

(١) دولة الكفار : يقصد دخول الفرنسيين أرض مصر .

ألسنة المتقدمين والمتأخرين تتلى ، وغرر محاسنها تتجدد فى كل وقت فلا تبيد ولا تبلى ، قد ملأت تلك الأحاديث أسفارًا ، وعمرت تلك المحاسن بلادًا وأقطارًا ؛ سحبت تلك المحاسن ذيل النسيان ، على غوطة دمشق [1] ، وسفد سمرقند [2] ، وشعب بوّان [3] ؛ وجرى حديث نيلها المكرّر على كل لسان ، حتى كأن لم يكن ثمّ ذكر لسيحان وجيحان [4] ، هذا وكم للناس فى وصف متنزهاتها ، وَسَاحَاتِ مسراتها ما يجرى فى النفوس مجرى السلاف ، ويكون لرياض الأدب أبهى قطاف ؛ كقول موسى بن عيسى الهاشمى أمير مصر [5] يصف جزيرة الحبش [6] ، وقد خرج إلى الميدان الذى بطرف المقابر ، فقال لمن معه : « أتتأملون لون ما أرى ؟ » فقالوا : « وما الذى يرى الأمير ؟ » ، فقال : « أرى ميدان / رهان ، وجنات نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، وذروة جبل ، وجبانة أموات ، ونهرًا عجاجًا ، وأرض زرع ، ومراعى ماشية ، ومرتع خيل ، وساحل بحر ، وصائد نهر ، وقابض وحش ، وملاح سفينة ، وحادى إبل ، ومفازة رمل ؛ وسهلاً وجبلاً ؛ فهذه ثمانية عشر متنزهًا فى أقل من ميل ، وأنَّى هذه الأوصاف من وصف بعضهم قصر أنس بالبصرة فى قوله :

٤ب/

زُرْ وَادِى القَصْرِ نِعْمَ القصرُ وَالوَادِى ... لابُدَّ مِنْ زَوْرَةٍ فِى غَيْرِ مِيعَادِ
زُرْهُ فَلَيْسَ لَهَ شَىءٌ يُشَاكِلَهُ ... مِنْ مَنْزِلٍ حَاضِرٍ إنْ شِئْتَ أَوْ بَادِى
تَلْقَى بِهِ السُّفُنَ والأَفْرَاحَ حَاضِرَةً ... وَالنُّونَ وَالضَّبَّ وَالمَلاَّحَ وَالحَادِى

ولقد كادت تعمّ الرَّزِيَّةُ ، وتصير القضية أندلسية [7] ؛ لولا عناية مَنْ أَيَّدَهُ الله بالنصر والتمكين ، ويلى عسكره المنصور مهما توجه لمعقل آية الفتح المبين ؛ وهو الملك الأعظم ، والسلطان الأفخم ؛ غياث المسلمين ، ملاذ المؤمنين ؛ مَالِكُ رقاب

---

(١) غوطة دمشق : بساتين كانت تحيط بدمشق حاضرة الشام ، وكانت هذه البساتين تروى من نهر بردى .

(٢) سفد سمرقند : السفد هى المنطقة الواقعة بين نهرى سيحون وجيحون ، وسمرقند إحدى مدن هذه المنطقة ، وهى إحدى مدن جمهورية أزبكستان .

(٣) شعب بوّان : موضع كثير الشجر والمياه بالقرب من شيراز بإيران .

(٤) سيحون وجيحون : نهران عظيمان فى أواسط أسيا ، ويصبان فى نهر أرَال بأسيا الروسية ، ويعرفان كذلك بنهرى : سرداريا وأموداريا .

(٥) موسى بن عيسى الهاشمى : هو والى مصر من قبل هارون الرشيد سنة ١٧١ هـ / ٨٧ - ٧٨٨ م ، تولى ولاية مصر ثلاثة مرات . انظر بخصوص هذه التعريفات : الجبرتى ، عبد الرحمن بن حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٦) جزيرة الحبش : هى المنطقة التى عرفت ببركة الحبش بالقرب من دير الطين .

(٧) المعنى المقصود هنا أن تصبح مصر مثل الأندلس، التى قضى الأسبان على الدولة الإسلامية فيها سنة ١٤٩٢ م.

الأمم ، ملجأ العرب والعجم ، حافظ ناموس الشريعة الغرّاء بقوة سطوته ، باسط بساط العدل والإحسان على كامل رعيته ؛ قامع الطغاة المعتدين ، مبيد الفجرة المتمردين ؛ سيف الله المسلول على كل طاغٍ[1] ، قاطع أصل شجرة كل مفسد وباغٍ ؛ غيث الندى ، مجيب النِّدَا ، قمر الهدى ، ليث العدَا ؛ المحتف بعناية الرب الكريم ، مولانا السلطان المغازى سليم [2] ، اللهم أدم مُلكه ، واجعل الدنيا بأسرها ملكه ؛ ولاتدع له عدوًا إلاّ قصمته ، ولا مخالفًا إلا أهلكته ؛ واجعل اللهم رؤوس الكفار حصيدًا لسيوف عساكره ، وبلادهم داخلة تحت نواهيه وأوامره ، مخدومة عساكره بالعز والنصر أينما توجهت ، مقترنة بالظفر / والفور أَيْنَمَا سلكت ؛ فتوجهت انتصارًا للإسلام عزيمته ، وتَسَامَت لاستنقاذ مصر من أيدى أولئك الأشرار همته ، فوجه إليها بوجوه دولته ، وعساكر حمايته ؛ من كل رئيس بصير بأمور العواقب ، مدبر الأمور على أوفق رأى صائب ، فطن بقوانين السياسة ، خبير بمراسم الرياسة ، حائز لكل فضيلة تُعَدُّ ، غرة فى جبهة الدهر ؛ وأضاء مصباح أذهانهم فى إيراد القضايا وإصدارها إذا أشكل الأمر : ‏/ ٥أ

هُمُ القَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وإِنْ دُعُوا ... أَجَابُوا وإِنْ أَعْطُوا أَصَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَلا يَسْتَطِيعُ الفَاعِلُونَ فِعَالَهُم ... وإِنْ أَحْسَنُوا فِيمَا أَتُوهُ وَأَجْمَلُوا

عصابة بذلوا نفوسهم فى تشييد الدين وتأييده ، واقتناء الذكر الحسن وتخليده ؛ وتشددوا فى إجراء الشريعة وإنفاذها ، وبددوا أرواح من خالفها لاستنقاذها :

قُوْمٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلُ الحَقُّ مِنْهُم ... وَيَمْضُوهُ ؟ عاذوا بالسُّيُوفِ القَوَاضِبِ

أولئك النجوم الطوالعُ ، والغيوث الهوامع ؛ تزينت بهم سماء الممالك ، وأنارت بهم للرشاد مسالك ، ومولانا الوزير أيده الله شمس تلك السماء ، وأساس افتخار أولئك الرؤساء ؛ صاحب السيف والقلم ، معدن العلم والحكم ؛ رافع علم الإسلام ، مُشَيِّدُ الشريعة والأحكام ؛ حائز أشتات الفضائل ، تاج الرؤساء والأماثل ؛ بهى الدين والدنيا ، مرتقى ذروة الشرف العليا ، سيف السلطنة المجرد لقمع الأعداء ، نبراسها المضىء فى سائر الأقطار والأرجاء ، مدبر بصائب رأيه قوانين

---

(١) بالأصل « طاغى » ، صوبت .

(٢) السلطان سليم : هو السلطان سليم الثالث إبن السلطان مصطفى الثالث ، تولى السلطنة ١٧٨٩ م ، واستمر سلطانا حتى عزل فى ٢٨ يونيه ١٨٠٧ م . فريد ، محمد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقى ، دار النفائس ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٣٦٣ - ٣٩٣ .

٥ب/ المملكة ، منقذ الأمة المحمدية من التردى فى كل مهلكة : شعرٌ /

إنَّ عــدّ أيَّامَ الــلــقــاء فــإنَّمَا يَوْمَاه يُوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طعَان
يــكـــسـو الأسِرَّةَ وَالمــنَابِر بَهْجَةً ويُزَيِّنُهَا بفَصَاحَــــــة وبَيَان
تَمْضِى أسِنــتـــهُ ويُسْفِرُ وَجْهُهُ فِى الحــــرْبِ عِنْدَ تَغَيّرِ الألْوانِ

ألقت صعاب الحصون مقاليدها لِيَدَهُ ، وأَصْبَحَ الدهـرُ فى عدادِ عُدَّتَهُ وَعُدَدِه ؛ فيمينه الغراء ملثم شفاه الجبابرة ، وغمامة الكرم المغيثة الماطرة :

فَبَاطِنُهَــــــــا لِلْنَدَى وظَـــــــاهِرُهَا لِلْقَبْلِ
وَنَائِلُهَا لِلْغنَـــــــــى وَسَطْوَتُهَا لـــــــلأجَلِ

وماذا عسى أن أصف من محاسنه الكريمة ، وأعدد من غرر فضائـله الجسيمة ؛ وهو تاج المجاهدين الذين عليهم الحق قد أثنى ، ووعدهم فى مقابلة بيع نفوسهم فى مرضاتـه بالحسنـى ؛ له المِنَّةُ العُظْمَى علـى المسلمين ، بـاستنقـاذهم من أسر الـكفرة المعتديـن ؛ وردّ النـوم إلى أجفـانهـم ، والأمن إلـى أوطانهم ؛ بعد أن سـلبوا نومًا وأمنًا ، واستبدلوا بالسرور ذلا وحزنًا :

إذَا الــوَزِيــرُ لَنَا جَادَت يَدَاهُ نَدَى لَمْ يُحْمَدْ الأجْوَدان الـبَحْرُ وَالمَطَرُ
وإنْ أضَاءَت لَنَا أنْــــوَارُ غُرَّتَهُ تَضَاءَلَ الـنَّيرَان الـشَمْسُ وَالـقَمَرُ
مَنْ لَمْ يَبِت حَذراً مِنْ خَوْفِ سَطَوَتَهُ لَمْ يَدْر مَا المُزْعِجَان الـسَّيْفُ وَالحَذَرُ
يَنَالُ بِالـظَّنِ مَا يَعـيَا الـعِيَانُ بِهِ والـشَّاهدَان عَلَيْه الـعَيْنُ والأثَرُ
كــــأنَّهُ ورِمَام المُلْك فِى يَدِهِ يَرَى عَوَاقِبَ مَا يَأتِى وَمَا يَذَرُ

اللهـم اجعل أيامه كلـها سعيدة ، ومـفاخره مشيـدة عتيدة ؛ والنصـر حيثُ سَارَ يقدمه ، والعِزُّ أيْنَمَا تـوجه يخدمه بالغًا بمزيـد الإجلال أمانيه ، مشكورًا عـلى ألسنة العالم مساعيه ؛ محمودًا فى إيـراده وإصداره ، ممدوحًا فى علانيته وأسراره ؛ منقادة إليه من الأمور أسبابها ، مذللة لديه صِعَابُهَا / ٦ أ/

تَنْدَهُ كُلَّ يَــــــومِ ألفَ المَعَالى عَلَى مَرِّ الأيـــامِ والــلَّيَالِى[1]
بَقِيــتَ بَقَاءَ الـدهْرِ يــا كَهْفَ أهْلِهِ وَهَذَا دُعَــــــاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِل

---

(١) سقط هذا البيت من طبعة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ٢٨ .

ثم من الاتفاقات التى يتفطن لها الأريب ، وينقاد لحكمتها اللبيب ، أنَّ مصر إذا شُوِّهَت محاسنها ، وَغُصَّت بشرار الدولة مساكنها ؛ لايكون تَطْهِيرُهَا من أرجاسها وإعادة ما ذهب من بهجتها وإيناسها ؛ إلاَّ بمن تسمى بهذا الاسم الشريف أعنى يوسف[1] ، فهو الذى بهذه المنقبة ينعت ويوصف ؛ وهذا من السرّ البديع الذى أودعه الله فى المنسمى به ، وارتباط الخصوصية بينه وبين إصلاح حال مصر ، وأنَّه إذَا حلّ بها دولة خاسرة ، فى الغالب لاتزال إلا بمن اسمه يوسف ، ووجود الخصوصيات ، والارتباط بالمناسبات الطبيعية ، والأسرار الفلكية ، أمر شوهد من بعضه ما لايصلح معه أن ينكر باقيه ؛ فإن الله قد جعل فى كل شىء من المخلوقات خصوصيات فى نفسه ، وخصوصيات يقع الارتباط بها بينه وبين بعض الأشياء المشاكلة له حتى الألفاظ كما هو معلوم ، لكن تلك الخصوصيات لايطلع عليها إلا من أحاط بكل شىء علمًا ، وقد أطلعنا الله على بعضها ، منها الخصوصية فى هذا الاسم ، والشاهد على ذلك أن أول يوسف أصلح حال مصر ، وبنى فيها إقليمًا كبيرًا ، وهو إقليم الفيوم ، ووضع مقياسًا للنيل ، وحفر الخليج المسمى الآن ببحر يوسف ، ونصب الجسور ، وَدَبَّرَ معاش الناس فى الجدب المتوالى سبع سنين ، ولولا ذلك التدبير لهلكوا ، وهو يوسف الصديق عليه السلام ، ويوسف صلاح الدين [2] هو الذى استنقذها من الفواطم ، وأزال البدعة ، وأظهر السنة ، وبنى قلعة الجبل ، وجدد دولة الأكراد التى هى من خير / الدول [3] ، وكذلك لما قدم المغفور له السلطان سليم الأكبر إلى مصر كان وزيره يسمى يُونس باشا [4] ، فتوفى قبل دخوله إلى مصر ، فحزن السلطان عليه حزنًا شديدًا حتى ، قال : « ما نصنع بمصر من غير يونس ؟ » ، ومولانا الوزير أبقاه الله هو ثالث من ملك مصر ممن تسمى بهذا الاسم، وانفرد بهذه الخصوصية، لأنه أزال دولة الكفار ، وجدد دولة الأخيار ، وعادت به بهجة مصر بعد انمحاقها ، وأشرقت شمس طلعته على آفاقها ؛ فانصلح بعد الفساد حالها ، وردّ إليها بعد التشوّه جمالها ، وإلى هذا المعنى يشير صاحبنا الآتى ذكره :

/٦ب

(١) المعنى هنا هو : يوسف ضيا ، الصدر الأعظم .
ثم يدلل بعد ذلك على الأعمال الجليلة التى قام بها فى مصر كل من حمل إسم « يوسف » ، منذ عهد سيدنا يوسف عليه السلام ، وحتى عهد يوسف ضيا ، الصدر الأعظم .

(٢) يوسف صلاح الدين : هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٦٧ - ٥٨٩ هـ / ١١٧١ - ١١٩٢ م) ، حكم مصر فى البداية نيابة عن نور الدين ، وَعُيِّنَ وزيرا لنور الدين فى مصر ، وفى عهد إسماعيل بن نور الدين ، إتصل مباشرة بالخليفة العباسى فى بغداد الذى منحه سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ، لقب سلطان ، وبذلك أصبحت مصر لأول مرة دار سلطنة . الأنصارى ، ناصر : موسوعة حكام مصر ، ط ٤ ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٩١ م ، ص ٨٩ .

(٣) المقصود بدولة الأكراد هنا هى « الدولة الأيوبية » . (٤) بالأصل « يوسف » ، وصحة الإسم كما أثبتناه .

يـوسفُ الـصِّديـقُ الـنَّبىُّ إليـه	مُلْكُ مصرَ منْ بَعْدِ فِرْعَونَ صاراَ
فَأَزَالَ الـــــشَّقَاءَ عَنْهَا وَفَاقَت	كُلَّ قُطْرٍ نَضَارَةً ونـــضـــاراَ
وَصَلاحٌ للـديـنِ يُوسـف قَدْ أذْ	هَبَ مِنْ دَولـةِ الـفوَاطِمِ عُسَارَا
وَبه دَولـــةُ الـــكِرَامِ منْ الأكْـ	ـراد شَادوا لـلدين فيـهَا منـاراَ
ثُمَّ قَدْ جَاءَهَا الـوزيـرُ مُزِيـلاً	للفَرَنْسِيـسِ حَتَى أَخْلُوا الديـاراَ
وأذاقُوا أَبْنـــاءَهَا كــــأْسَ ذلٍّ	واسـتـبَاحُوا المحَرَّمَاتِ جِهَاراَ
فَأُزِيـلَت بِعَزْمه دَوْلـةُ الـكـفـ	ـر ونَجْم الـسُرُورِ فيهـا استـناراَ
أَصْبَحَ الحـقُّ ظَاهِراً بـالـعَوَالي	يَتَسَامَى وَضِـــدُّهُ يَتوارَى
يَالَهَا نَفْرَة بهَا كَمُلَ الـــسَّعْـ	ـدُ وَشَادَت للْمُسْلمـينَ فخَاراَ
فَجَزَاهُ الـــدَّيَّانُ خَيْرَ جزَاءٍ	وَحَبَاهُ مَهْمَا يَؤُمُّ انـتـصاراَ

ولما استقر بمصر ركابه الشريف ، وأعاد المسلمين بعد انحطاط رتبتهم لمقامهم المنيف ؛ واستنارت بمقدمه البلاد ، وابتهج بالسرور جميع العباد ؛ فعاد لمصر بعد الهرم شبابها ، ورتعت فى ميادين المسرّة صحابها ؛ وطلعت شمسها المنيرة بعد الظلام ، وردَّ إليها ما استلبته من محاسنها الأيام .

٧/أ

وللنجْمِ مِنْ بَعْدِ الرجُوعِ إستقامةٌ ... وللبدْرِ من بعد الغرُوبِ طُلُوعٌ /

كان ذلك - ولله الحمد - مصداق قوله تعالى ، وهو أصدق القائلين : **﴿ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾**[1] .

ونعم العاقبة لمصر بحلول ركاب مولانا الوزير فيها ، وطلوع نجم عساكره فى آفاق نواحيها ؛ فابتهجت بهم مصر وأضاءت ، وتاهت على سائر الأقاليم وباهت .

ولقد كنت سطرت ما حصل من الوقائع، من ابتداء تملك الفرنسيس لأرض مصر إلى أن دخلها مولانا الوزير فى أوراق، غير منظومة فى سلك الاجتماع والاتفاق[2]، وكثيرًا ما كان يخطر ببالى ، وإن لم يكن ذلك من شأن أمثالى ؛ أن أجمع افتراقها، وأكسبها بالترصيف اتساقها ؛ ليكون ذلك تاريخًا مُطْلعًا اللبيب على عَجَائِبِ الأخبار ، وغرائب الآثار ؛ تذكرة بعدنا لكل جيل ، وإحاطة بهذا الخطب الجليل ؛ فيتأسى إذا لحقه مصاب ، ويتذكر بحوادث الدّهْرِ **﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾**[3] ؛

---

(١) سورة : الأعراف ، رقم (٧) ، آية رقم (١٢٨) .

(٢) أى غير مرتبة .

(٣) سورة : الرعد ، رقم (١٣) ، آية رقم رقم (١٩) .

فإن هذه الحوادث غريبة فى بابها ، متنوعة فى عجابها ؛ وكان ممن اعتنى أيضًا بجمع بعض تلك الأخبار ، ونقل غرائب هاتيك الآثار ؛ قطب الفضلاء ، تاج النبلاء ؛ ذو الذكاء المتوقد ، والفهم المسترشد ؛ الناظم الناثر ، الآخذ من العلوم العقلية والأدبية بحظ وافر ؛ صاحبنا العلامة حسن بن محمد الشهير بالعطار ، نظمنا الله وإياه فى سلك الأخيار ؛ فضممت ما نَمَّقَهُ مع بعض من منظومه ومنثوره بحسب المناسبة إلى هذا السفر ، ليتنظم معنا فى سلك حسن الذكر ؛ وسميناه (مَظْهَرُ التَّقْدِيسِ بِذِهَابِ دَوْلَةُ الفَرَنْسِيس) .

وإنا لنرجو ممن اطلع عليه ، وحلّ بمحلّ القبول لديه ، ألاّ ينسانا من صالح دعواته ، وأن يُغضى عما عثر عليه من هفواته .

مقدمة[1]

/٧ب / اقتضت الحكمة الرَّبانية ، والأسرار الإلهية ، نصب خليفة به يرتبط للعالم نظامه ، وتجرى عليه بحسب مطابقة قوانين الشرع أوامره وأحكامه ؛ أن النوع الإنسانىّ بحسب ما أودع فيه من فضيلة العقل ، وكمال الحدس ، وسرّ النطق ، ما فُضِّلَ بِهِ عَلَى سَائِرِ الحَيَوَانَاتِ ، وامْتَازَ بِهِ عَنِ العَجْمَاوَاتِ والجَمَادَاتِ ، وكل لتدبير نفسه فى معاشه ومعاده ، واحتاج لمخالطة أبناء جنسه ، للتعاون على قضاء أغراضه ولوازمه ؛ ومعلوم أنَّ الأغراض متخالفة ، والعقول متباينة ، والطباع متنوعة وكل ذلك يستدعى اتفاقًا بين الخلائق فى أمور ، وافتراقًا فى أخرى ، وإنفاذ غرض عن غرض ؛ وقد وضعَ الله الشريعة المطهرة قانونًا تجرى عليه جزئيات الأفعال الصادرة عنا ، لتنتظم الأفعال كلها فى سلك واحد ، ولابدّ مِنْ ذِى سَطْوةٍ وقوةٍ يَجْرِى الناس على تلك القوانين الشرعية ، وينتظم بِهِ أمر هذا النوع ، لئلا يهلك الضعيف بالقوى ، ويغلب الشريف على الوضيع ؛ وترجع الناس إلى تحسين عقولها ، والمشى مع أغراضها ، وما وافق طباعها ، فيختل نظامهم ، وتخف أحلامهم ؛ فيلحقون بمهملات البهائم ، وراتعات السوائم .

وكان أَوَّلُ خليفة جُعِلَ فى الأرضِ آدم عليه السلام ، بمصداق قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2] ، ثم توالت الرسل بعده ، لكنها لم تكن عامة الرسالة ، بل كل رسول أرسل إلى فرقة ، فهؤلاء الرسل عليهم السلام مُقَرِّرُونَ

(١) بطبعة وزارة التربية والتعليم غُيِّرَ هذا العنوان إلى « لمحة تاريخية » .
(٢) سورة : البقرة ، رقم (٢) ، آية رقم (٣٠) .

شرائع الله بين عباده، وملزموهم بتوحيده وامتثال أوامره ونواهيه ، ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم فى الدنيا ، وفوزهم بالنعيم السَّرْمَدِىِّ إذا امتثلوا فى الأخرى .

ثم جاء بعدهم الرسول الأكبر ، والنبى الأعظم ؛ سيدنا محمد / ﷺ فكان خاتمهم، وناسخًا لكل شريعة تقدمته، بَلْ هم فى الحقيقة نوابه ، بشهادة قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي، قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [1] ، فبعث ﷺ والناس مختلفة فى أديانهم ، ضالة عن طريق الحق ، عاكفة على أوثانهم ، فهو الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأمره بالصدع به والإعلان، وتطهيره من عبادة الأوثان، وأرجاس الشيطان ؛ وآمن به الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

فلم يزل هذا الدين القويم من حين بُعثَ النبى ﷺ يزيد وينمو ، ويتعالى ويسمو ، حتى تم ميقاته ، وقربت من النبىِّ وفاته ؛ فأنزل الله عليه وهو واقف بعرفة آخر وقفة وقفها : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [3] .

ولما قبض ﷺ ، قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علىّ ، ولم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية [4] رضوان الله عليهم أجمعين فى الأمر ؛ وبموت علىّ رضوان الله عليه ، تمت مدة الخلافة التى نصّ عليها النبىّ ﷺ بقوله : « الخلافةُ مِنْ بَعْدِى ثَلاثُونَ سنةً ، ثم تكون ملكًا عضوضًا » ، وبخلافة معاوية عليه السلام كان ابتداء دولة / الأمويين ؛ وانقرضت بظهور أبى مسلم الخراسانى [5] ، وإظهاره دولة بنى العباس وقتل مروان الحمار [6] ؛ فكان أول

(١) سورة : آل عمران ، رقم (٣) ، آية رقم (٨١) . (٢) سورة : الأعراف ، رقم (٧) آية رقم (١٥٧) .

(٣) سورة المائدة ، رقم (٥) ، آية رقم (٣) .

(٤) معاوية : هو معاوية بن أبى سفيان ، أسس الدولة الأموية سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م . واستخلف إبنه يزيد فى حكم الدولة ، فأقام بذلك نظام وراثة الحكم فى الإسلام لأول مرة .الأنصارى، ناصر ، المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٥) أبو مسلم الخرسانى : هو عبد الرحمن بن مسلم ، من أصل فارسى ، كان رأس الحركة الدينية والسياسية التى قامت بخرسان ، فذهبت بملك الدولة الأموية ، وأقامت العباسيين على عرش الخلافة . دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٦٠٦ - ٦٠٩ .

(٦) مروان الحمار : هو مروان بن محمد ، أخر خليفة أموى ، وعرف بالحمار لمثابرته الشديدة فى الحروب .

دولة بنى العباس السفاح [1] ، وظهرت دولتهم الظهور التام ، وبلغت القوة الزائدة ، والضخامة العظيمة ، بحيث أنه لم يبق فى زمن الخليفة هارون الرشيد كافر إلا أدَّى الجزْيَةَ ، ثم أخذت فى الانحطاط بتغلب الأتراك وظهورهم وقتلهم المتوكل [2] وتغلبهم على الخلفاء ، وَضَعُفَ أمرهم بالديلم [3] والسلجوقية[4] ، ولم تزل منحطة حتى خرج هولاكو[5] فأباد العالم وملك بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم [6] ، وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد ، وفى مدة ضعف الخلافة تغلب على النواحى كل متملك لهَا ، وانفرد ابن طولون [7] بمملكة مصر والشام وذريته من بعده ، ثم الإخشيد [8] وبعده كافور [9] ممدوح المتنبىِّ ، ثُمَّ قَدِمَ جوهر القائد [10] من المغرب بعد موت كافور من قبل المعزّ فَمَلَكَهَا مِنْ غَيْرِ ممانع ، وأسس القاهرة ، والجامع الأزهر [11] ، وَقَدِمَ سيده المعزّ ، وهو أول الفواطم ، فملكوا نيفًا ومائتين من السنين إلى أن ضعف أمرهم فى أيام العاضد . وسوء سياسة وزيره شَاوُر ، فتملكت الإفرنج بلاد السواحل

---

(١) السفاح : هو أبا العباس عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس ، اشتهر بالسفاح ، بويع أميرا للمؤمنين فى الكوفة ، حيث تم القضاء على الأمويين فى ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ، توفى فى ذى الحجة ١٣٦ هـ/ مايو ٧٥٤ م . الأنصارى ، ناصر ، المرجع السابق ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) المتوكل : هو جعفر بن محمد ، أحد الخلفاء العباسيين .

(٣) الديلم : أمة سميت المنطقة الجبلية التى قطنوها بإسمهم ، وجبال الديلم أو منطقة الديلم ، تقع جنوبى بحر قزوين ، وفتح المسلمون بلاد الديلم سنة ٢٤ هـ / ٤٤ - ٦٤٥ م .

(٤) السلجوقية : السلاجقة قبائل تركية من الغزاة ، زعيم هذه القبائل اسمه « سلجوق » ، وكان موطنها ، السهول الواقعة شمال بحر قزوين ، استقروا فى بخارى ، واعتنقوا الإسلام على المذهب السنى ، ثم نجحوا فى القرن الحادى عشر من إقامة الدولة السلجوقية الكبرى ، فأعادوا إلى الدولة الإسلامية هيبتها .

(٥) هولاكو : قائد تترى ، دَمَّرَ كثيرًا من مظاهر الحضارة ، دخل بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وارتكب فيها كثيرًا من الفظائع ، وقتل الخليفة المستعصم ، وأسقط الخلافة العباسية من بغداد ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

(٦) المستعصم: هو الخليفة العباسى ، المستعصم بالله بن المستنصر ، قتله هولاكو التترى فى ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م. وكان أخر خليفة عباسي ببغداد .

(٧) إبن طولون : هو أحمد بن طولون ، عين واليا على مصر ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م ، فجعل حكم مصر وراثيا فى أسرته لمدة ٣٨ عاما . الأنصارى ، ناصر ، المرجع السابق ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٨) الأخشيد : هو أبو بكر محمد بن طغج الأخشيد ، عهد إليه الخليفة العباسى بولاية مصر ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م .

(٩) كافور : أبو المسك كافور ، أحمد عبيد الأخشيد ، عهد إليه بالوصاية على ولده أنوجور ، سيطر على حكم مصر فى الفترة ٣٣٤ - ٣٥٧ هـ / ٩٤٥ - ٩٦٧ م . نفس المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(١٠) جوهر القائد : هو جوهر الصقلى ، قائد وكاتب ومولى الخليفة المعز لدين الله ، اختطَّ القاهرة ، لتكون عاصمة للفاطميين .

(١١) الجامع الأزهر : أول مسجد أسس بالقاهرة ، بدأ الشروع فى بنائه فى ٢٣ جمادى الأولى ٣٥٩ هـ / ٣ أبريل ٩٧٠ م ، وكمل بناؤه فى ٩ رمضان ٣٦١ هـ / ٢٤ يونيه ٩٧٢ م ، درس فيه فقه المذهب الشيعى ، ثم أصبح مركزًا لتدريس المذاهب السنية ، واللغة العربية ، وعلوم القرآن والحديث ، فأصبح جامعا وجامعة . مبارك ، على، الخطط التوفيقية ، ط ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٩ - ٩٢ .

الشامية ، وظهر بالشام نور الدين محمود بن زنكى [(١)] ، فبذل همته فى الجهاد ، واستنقذ منهم عدة من البلاد التى استولوا عليها، وكانت الحرب بينهم وبينه سجالا ، وقد كانت الإفرنج فى زمن العاضد إلى بلبيس[(٢)] وصلت ، ولإقليم مصر أرهبت وأزعجت ، وضربت على أهله الضرائب ، ووقعت الحروب بين الفريقين ، تكون الغلبة فيها على المصريين لسوء تدبير مشيرِ الدولة ، ثُمَّ إنَّه أَشَارَ بحرق الفسطاط [(٣)] ، فأمر الناس بالجلاء عنها / ، وأرسل عبيده بالشعل والنفوط ، فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها ، واستمرت النار بها أربعة وخمسين يومًا ، وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين الشهيد ، وبعث إليه بشعور نسائه ، فأرسل إليه جندًا كثيفًا وعليهم أسد الدين شيركوه[(٤)] وابن أخيـهِ[(٥)] الناصر يوسف صلاح الدين ، فحصل النصر ، وارتحل الإفرنج عن البَلاد ، وقبض أسد الدين على الوزير وصلبه ، ولم يزل هو وابن أخيه[(٦)] يعملان الحيلة فى المملكة وإظهار السنة وإخفاء البدعة ، واستوزر الخليفة العاضد أسد الدين ، فتوفى ، وأقام عوضه فى الوزارة الناصر يوسف [(٧)]، فبذل همته فى مقصده ، وظهر أمره لخليفته ، فَأَثَارَ فِتْنَةً فى جنده لِيَتَوَصَّلَ بها إلى هزيمة الأكراد وإخراجهم من بلاده ، فتفاقم الأمر ، وانشقت العصا ، ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاءً حسنًا ،

٩ أ/

---

(١) نور الدين محمود بن زنكى : سلطان الدولة السلجوقية ببلاد الشام آنذاك ، ساند الدولة الفاطمية فى صراعها ضد الصليبيين، وأرسل قائده أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين على رأس قوة مقاتلة لهذا الغرض.

(٢) بلبيس : مدينة قديمة ، إسمها القبطى «Becok» ، وإسمها المصرى «Barset» ، وإسمها الرومى «Biblos» ، والقبطى «Belbes» ، ووردت فى المصادر العربية بإسم « بلبيس » ، كانت قاعدة الحوف الشرقى أيام العرب ، ثم قاعدة الأعمال الشرقية من أيام الدولة الفاطمية إلى آخر العصر المملوكى ، ثم قاعدة ولاية الشرقية حتى ١٨٣٢ م . ثم قاعدة قسم بلبيس ، فقاعدة مركز بلبيس ١٨٧١ م ، وحتى الآن ، محافظة الشرقية . رمزى ، محمد : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، الهيئة المصرية العام ، ١٩٩٤ م ق ٢ ، جـ ق ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) الفسطاط : بلدة قديمة ، كانت عاصمة لمصر بعد الفتح العربى ، ثم اندرست ، وموقعها قريب من مصر القديمة، أنشأها عمرو بن العاص ، عقب دخوله مصر . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ١ ، ص ٩٢.

(٤) أسد الدين شيركوه : عمل قائدا لدى نور الدين محمود بن زنكى ، ولما استنجد الفاطميون بنور الدين لصد حملات الصليبيين ، أرسل نور الدين ، أسد الدين شيركوه ومع ابن شقيقه صلاح الدين للقيام بهذه المهمة ، وتمكنا من هزيمة الصليبيين عند الإسكندرية فى ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م . عاد أسد الدين إلى الشام ، ولكن الخليفة الفاطمى « العاضد » استغاث مرة أخرى بنور الدين ، فعاد أسد الدين إلى مصر ، ولم يغادرها ، وبقى بها ، قلَّدَه الخليفة « العاضد » ، الوزارة ، ولكنه لم يَعْمُرْ طويلا ، فورثه فى الوزارة صلاح الدين . الأنصارى، ناصر : المرجع السابق ، ص ٨٨ - ٩٨ .

(٥) بالأصل وجميع النسخ « أخُوهُ » صوبت .

(٧) الناصر يوسف : هو : يوسف صلاح الدين ، عَمِلَ مع عَمِّهِ أسد الدين شيركوه قائد نور الدين محمود بن زنكى ، جاء مع عَمِّهِ إلى مصر مرتين لمساندة الخليفة الفاطمى ضد الصليبيين ، تولى عمه الوزارة ، ولكنه توفى بعد فترة قصيرة ، فأسندت له الوزارة ، ثم أسس الدولة الأيوبية .

وانجلت الحروب عن نصرتهما ، وخذلان العسكر الفاطمىّ ، فعند ذلك ملك الناصر القصر ، وضيق على الخليفة وحبس أقاربه وأولاده ، وقتل أعيان دولته ، وأخذ أموالهم ، واحتوى على ما فى القصور من الذخائر والأموال ، وصرفها فى الغزو والجهاد ومصالح المسلمين ، وهلك العاضد قهرًا ، وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية ، وَطَهَّرَ الإقليم من البدع وَالتَّشَيع والعقائد الفاسدة ، وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة ، وهى عقائد الأشاعرة [1] والماتريدية [2] ، وبعث إليه أبو حامد الغزالى بكتاب أَلَّفَهُ له فى العقائد ، فحمل الناس على العمل بما فيه ، ومحا من الإقليم مستنكرات الشرع ، وأظهر الهدى .

ولما توفى نور الدين الشهيد انضم إليه ملك الشام / ، وواصل الجهاد وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس ، وحارب من خالفه من ملوك الأطراف ، واتسع ملكه ، وافتتح الفتوحات الكثيرة ، وأخذ البلاد الفراتية [3] وديار بكر [4] وغيرها ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى ، وأنفق جميع ماله فى الغزو حتى قيل : « إنه لم يترك إلا أربعين درهمًا » . /٩ب

ولما مات استقر الأمر لأولاده وأولاد أخيه الملك العادل ، وحضر الإفرنج أيضًا إلى مصر فى أيام الملك الكامل أبى العادل ، وملكوا دمياط [5] وهدموها ، فحاربهم شهورًا حتى أجلاهم ، وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة الآن فى غير مكانها ، وكانت تسمى بالمنشية؛ وحضروا أيضًا فى دولة الملك الصالح ، نجم الدين أيوب الكردى من أولاد العادل ، فملكوا دمياط أيضًا ، وزحفوا إلى فارسكور [6] ،

(١) الأشاعرة : فرقة إسلامية تنسب إلى أبى الحسن الأشعرى .

(٢) الماتريدية : فرقة إسلامية سنية ، تنسب إلى أبى منصور الماتريدى .

(٣) البلاد الفراتية : المقصور هنا البلاد التى تقع على نهر الفرات وحوله .

(٤) ديار بكر : منطقة بين الشام والعراق ، ذات مدن وقرى كثيرة ، قصبتها الموصل وحرّان ، وبها نهر دجلة والفرات . القرمانى ، أحمد بن يوسف ، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٩٢ م ، جـ ٣ ، ص ٣٦٨ .

(٥) دمياط : إسمها المصرى القديم «Tamcht» ، والرومى «Tamiathis» ، والقبطى «Tamiat» ، ومنه إسمها العربى دمياط ، وهى من ثغور مصر القديمة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل المعروف بفرع دمياط ، وبينها وبين مصب هذا الفرع فى البحر الأبيض المتوسط ٥ كم ، وهى قاعدة مركز دمياط ، محافظة الدقهلية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٨ .

(٦) فارسكور : وهى من القرى القديمة ، قرب دمياط ، ومن ١٨٧٠ م ، وهى قاعدة مركز فارسكور ، محافظة الدقهلية . رمزى ، محمد ، نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ .

واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرًا وهو مريض ، وانحصر جهة الشرق ، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة [1] ؛ وثقل مرضه ومات ، وأخفت زوجته شجرة الدر موته ، ودبرت الأمور حتى حضر ولده توران شاه من حصن كيفا [2] ؛ وكانت الكفار قد انهزمت قبل مجيئه شر هزيمة . وأسر ملكهم ، وكانت الفرنج هم طائفة الفرنسيس .

والملك الصالح هو أول من اشترى المماليك وأمَّرَهم بمصر ، وبنى لهم قلعة الروضة ، وأعدهم للجهاد ، وسمّاهم المماليك البحرية ؛ وبعد هزيمة الفرنج استوحش المماليك من ابن سيدهم ، فغدروه وقتلوه ، وآل الأمر لتملكهم ، فكان أولهم أيبك التركماني [3] ، ولما مات ولوا ابنه المظفر عليّ ، فوقعت حادثة التتار ، فخلع المظفر لصغره ، وتولى قطز [4] ، فحارب التتار وظهر عليهم ، بعد أن كانوا ملكوا / بغداد ومعظم المعمور من الأرض ، وقهروا كلّ ملك ، ثم تولى الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات البندقداري [5] وأولاده ، ثم الملك المنصور صاحب الخيرات قلاوون الألفي [6] وأولاده : منهم : الأشرف خليل [7] ، والملك

١٠/أ

---

(١) المنصورة : أنشأ هذه المدينة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ، عندما احتل الفرنج مدينة دمياط ، وجعلها قاعدة لعسكره وسماها المنصورة تفاؤلا بانتصاره على الصليبيين ، ولم يزل بها حتى استرجع دمياط ، ثم صارت بعد ذلك مدينة عامرة وهي قاعدة محافظة الدقهلية . رمزى ، محمد ، المرجع نفسه ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) حصن كيفا : حصن يقع على نهر دجلة ، بالقرب من ديار بكر في المنطقة التركية .

(٣) أيبك التركماني : هو السلطان الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالحي (٦٤٨ - ٦٦٥ هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م) ، حكم بالاشتراك مع آخر سلطان أيوبي ، الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن يوسف بن محمد ، وكان طفلا ، فعزله عز الدين أيبك ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م . الأنصاري : ناصر ، المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٤) قطز : هو السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز (٥٧ - ٦٥٨ هـ / ٥٩ - ١٢٦٠ م) ، وقد أبلى بلاء حسنا ضد التتار ، وانتصر عليهم في موقعة « عين جالوت » ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م ، نفس المرجع ، ص ٩٥ .

(٥) الظاهر بيبرس : هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م) ، ويعتبر من أعظم سلاطين المماليك ، وصنع النظم والقواعد التي أدت إلى تقوية دولة المماليك البحرية .

(٦) قلاوون الألفي : هو السلطان الملك المنصور ، سيف الدين قلاوون الألفي العلائي الصالحي (٦٧٩ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م) ، مؤسس أسرة قلاوون التي تعاقبت على حكم مصر فترة من الزمن ، صدّ غارات المغول عن بلاد الشام ، وأوقع بهم الهزيمة ، واهتم بشئون مصر الداخلية ، وبنى القبة التي دفن فيها ، ومدرسة وبيمارستان . نفس المرجع ، ص ٩٦ .

(٧) الملك الأشرف خليل : هو الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (٦٨٩ - ٦٩٣ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م) ، استرجع من أيدي الصليبيين : عكا ، وصور ، وصيدا ، وبيروت ، وطرطوس . إغتاله بعض المماليك . نفس المرجع ، ص ٩٦ .

الناصر محمد [١] وطالت مدته ، وتولى من أولاده بمصر اثنا عشر سلطانًا ، وفى أيام ابن ابنه الملك الأشرف شعبان بن حسين [٢] ، حضرت الفرنج إلى الإسكندرية على حين غفلة وملكوها ونهبوا أموالها وأسروا نساءها ، ووصل الخبر إلى مصر ، فتجهز الأشرف وسار بعساكره ، فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها ، ولهذه الواقعة تاريخ اطلعت عليه فى مجلدين ؛ ويقال : « إن الفرنساوى الذى يكون فى أذنه قرط ، أمه أصلها من النساء المأسورات فى تلك الوقعة».

ثم كانت دولة الجراكسة [٣] ، وأولهم الملك الظاهر برقوق [٤] العثمانى من مماليك المالك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، فاستمر الملك فيهم وفى بَيْتِهِم إلى أن كان آخرهم الملك الأشرف قانصوه الغورى [٥] ، فلم يزل فى الملك إلى أن كان ما كان بينه وبين السلطان الأكبر ، والملك الأفخم السلطان المجاهد المغازى ، قامع كلّ عدو وَلِه ، على مخالفته مجازى ، مولانا السلطان سليم خان [٦] ، ووقع بينه وبين الأشرف الغورى ما هو مسطر فى محله ؛ ولما استقر أمره بملك مصر عفى عن الكثير من الجراكسة وأبنائهم ، ورتب الخيرات والعلوفات ، وقرر مرتبات الأوقاف وغلال الحرمين والأنبار [٧] ، ورتب علوفات الأيتام [٨] والمشايخ والمتقاعدين ، ومصارف

---

(١) الملك الناصر محمد : هو السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، تولى حكم مصر ثلاث مرات ، الأولى (٦٩٣ - ٦٩٤ / ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م) ، الثانية (٦٩٨ - ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٩ م) ، الثالثة (٧٠٩ - ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م) ، ربط نفوذه وسيادته على الأقطار المجاورة ، ومكة والمدينة ، وأقيمت له الخطبة فى مصر وسوريا وطرابلس الغرب ، وله كثير من المنشآت . نفس المرجع ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) الملك الأشرف شعبان بن حسين : هو السلطان الملك الأشرف زين الدين شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م) . نفس المرجع ، ص ٩٨ .

(٣) الجراكسة : المقصود دولة المماليك التى كان مماليكها ينتمون إلى بلاد الجركس أو جورجيا .

(٤) برقوق : هو السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس اليبغاوى (٧٨٤ - ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ - ١٣٩٩ م) ، وهو أول سلاطين دولة المماليك البرجية أو الجراكسة فباعتلائه العرش انتهى ملك بيت قلاوون ، وانتهت دولة المماليك البحرية . الأنصارى ، ناصر : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٥) الأشرف قانصوه الغورى : هو السلطان الأشرف قانصوه الغورى (٩٠٦ - ٩٢٢ هـ / ١٥٠١ - ١٥١٦ م) ، توفى أثناء معركة مرج دابق ٢٥ رجب ٩٢٢ هـ / ٢٤ اغسطس ١٥١٦ م ، وهزيمة قواته أمام قوات السلطان سليم بن بايزيد الثانى العثمانى ، وخضعت حلب ثم بلاد الشام للسلطان سليم .

(٦) سليم خان : هو السلطان العثمانى سليم بن بايزيد الثانى .

(٧) الأنبار : الراتب من البر والتمر والشعير ، كان يصرف من الشون السلطانية .

(٨) علوفات : مفردها « علوفة » ، عربية ، راتب من المواد الغذائية ، تحسب على أساس الأجر اليومى ، وكانت تعطى مرة كل ثلاثة أشهر هجرية . سليمان : أحمد السعيد ، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ١٩٧٢ م ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

القلاع والمرابطين؛ وأبطل المظالم، ورفع المكوس [1] والمغارم[2] ؛ وغير ذلك مما تقصر

١٠ب/ عنه العبارة / ، ويعلم بعضها من المعنى والإشارة ؛ حتى قيل : إنه لم يصحب من مصر شيئًا سوى اكتساب جميل الذكر ونفاذ الهمة ، واتساع المملكة ، شعر:

إنَّ الأسُود أُسودُ الغَابِ هِمَّتُهَا يَومَ الكرِيهَةِ فِى المسْلُوبِ لاَ السَّلَبِ

ولما انتقل إلى رحمة مولاه ، وتولى بعده الملك الأعظم ، والخاقان الأعظم ؛ صاحب المناقب المشهورة ، والمآثر الحميدة المنشورة ؛ حضرة السلطان المغازى سليمان[3] ، عليه الرحمة والرضوان؛ فأسس القواعد ، وتمم المقاصد ، ونظم الممالك، وأنار الحوالك ؛ ورفع منار الدين ، وأخمد نيران الكافرين ؛ وسيرته الجميلة غنية عن التعريف ، وتراجمه مشحونة بها التصانيف ؛ ولم يزل هذا شأنهم، أدام الله أيامهم ، من عهد جدهم الأعلى غازى عثمان دائمًا إن شاء الله تعالى لآخر الزمان ؛ باقية دولتهم ، قائمة دعوتهم ، قوية شوكتهم ، وافرة حرمتهم ، نافذة سطوتهم ، مفروضة طاعتهم ؛ فإنهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين ، وأَشَدُّ مَنْ ذَبَّ عَنِ الدِّينِ ، وأعظم من جاهد فى المشركين ؛ فلذلك اتسعت ممالكهم ، بما فتحه الله على أيديهم وأيدى نوابهم ؛ وملكوا أحسن المعمور من الأرض ، ودانت لهم الممالك فى الطول والعرض ؛ هذا مع عدم إغفالهم الأمور ، وحفظ النواحى والثغور ؛ وإقامة الشعائر الإسلامية ، وَالسُّنَنِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ وتعظيم العلماء وأهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين ، والتمسك فى الأحكام والوقائع ، بالقوانين والشرائع ؛ فتحصنت دولتهم ، وطالت مدتهم ؛ وهابتهم الملوك ، وانْقَادَ لَهُمُ الْمَمَالِك والمُلُوك .

وقد استمر ملك مصر متشرفًا بانتظامه فى ممالك الدولة العثمانية أبقاها الله تعالى

١١ أ/ إلى وقتنا / هذا ، وما فيها من الحكام فنوابهم وخدامهم .

ثم إنَّ من اطَّلَعَ عَلَى كُتُبِ التَوَارِيخِ وَطَالعَ أَخْبَارُ الدُّوَلِ ، يرى أَنَّ كُلَّ دَوْلَةٍ لابُدَّ

---

(١) المكوس : تعنى الجمارك أو الضرائب التى تجبى من الجمارك ، وضرائب تقرر أحيانا على البيوت والحوانيت ، والخانات والحمامات ، والأفران ، والطواحين ، والبساتين ، ومصائد الأسماك والمعاصر . البقلى ، محمد قنديل ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٣٢٥ .

(٢) المغارم : ضرائب غير شرعية ، تفرض على الرعايا فى أوقات مفاجئة حسب الأحوال

(٣) المغازى سليمان : هو : سليمان بن سليم ، تولى السلطنة (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م)

أن يتحقق فيها شيء من البدع يخالف الشرع ؛ فإنَّ فى دولة الأمويين كان يُسَبّ سيِّدُنَا عَلِىٌّ عَلَى المنَابِر ، حتى أبطله عمر بن عبد العزيز ، وجعل بدله فى الخطبة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ [1] .

وفى دولة العباسيين ظهر القول بخلق القرآن ، وامتحن بسبب ذلك كثير من العلماء وأعاظم المجتهدين حتى بطل فى زمن الواثق [2] .

وأما دولة الفَوَاطِمِ فكانت كُلُّهَا بِدَعٌ وَمَسَاوِئٌ ، وكذلك كل دولة تنمو ، فى أولها وتضعف فى آخرها ، وقد برَّأ الله تعالى دولة آل عثمان - أبقاها الله - عن كل من هذين ، وهذه منقبة مختصة بملكهم ، وكذلك لم تزل قوتها متزايدة ، وعماد قواعدها إلى ذروة العز والشرف متصاعدة .

وَيَزِيدُهَا مَرُّ الليالِى جِدَّةً وَتَقَادُم الأَيَّامِ حُسْنُ شَبَابِ

أيدها الله بأسود أجناد أَيْنَمَا سَلَكُوا مَلَكُوا ، وَالعَدُوُّ ضَعِيفًا تركُوا ، وآبوا بالغنائم التى أثمرها النصر ؛ ولم يتفق أنه من حين تملكهم لمصر تطرق إليها شرار أشرار ، أو إلى الدخول فيها عصابة كفار ، سوى هذه الحادثة التى وقعت [3] ، ولكنها غير فادحة فى محاسن حيازتهم ، وضخامة صيانتهم ، وقوة شوكتهم ، وسرعة نصرتهم ؛ فإن المقضىّ واقع ، والمقدر ليس له دافع ؛ وما زالت الأيام تأخذ وتعطى ، وسهام التدبير تصيب وتخطئ ؛ والحروب سجال والمقدور بآجال ؛ والعبرة فى الأمور بعواقبها ، وكانت العاقبة لكونها للمتقين - بحمد الله - حميدة ؛ وقد مضت - والشكر لله - الأيام المنحوسة ، وأقبلت الأيام السعيدة / ؛ شعر : /١١ب

سَعِدَ الزَّمَانُ وَسَاعَدَ الإِقْبَالُ وَدَنَا المنُى وَأَجَابَت الآمَالُ

على أن ما وقع من هؤلاء الأشرار ، وخسرة الكفار ؛ خلسة مغافل ، وغدر عدو جاهل ؛ وسارق وجد أبواب الدار مفتحة فدخلها ، ولو كان ثم حارس لما سلكها ؛ وقد انقشعت سحابة صيفهم ، وتدفق عليهم من عارض ما توسموه شآبيب

(١) سورة : النحل ، رقم (١٦) ، آية رقم (٩٠) .
(٢) الواثق . هو : هارون الواثق بالله بن المعتصم ، بويع عند وفاة والده فى ربيع الأول ٢٢٧ هـ / ديسمبر ٨٤١ م .
(٣) المقصود بالحادثة هنا . مجئ الحملة الفرنسية على مصر .

حنقهم ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِين ﴾ [١] ، ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِين ﴾ [٢] .

فصـــل

وأول شرح القضية أنه فى يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف [٣] ، وردت مصر مكاتبات على يد السعاة من ثغر الإسكندرية مضمونها : أَنَّه فى يوم الخميس ثامنَ الشهر المذكور[٤] ، حضر إلى الثغر عشرة مراكب من مراكب الإنجليز ، ووقفوا على البعد بحيث يراهم أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبًا أيضًا ، فانتظر أهل الثغر ما يريدون ، وإذا بقايق[٥] صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار ، فوصلوا البرّ واجتمعوا بكبار البلد والرئيس إذ ذاك فيها ، والمشار إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كريم الآتى ذكره ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم ، فأخبروا أنهم انجليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس ، لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ، ولاندرى أين قصدهم ، فربما دهموكم فلا تقدرون[٦] على دفعهم ، ولا تتمكنون من منعهم ، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ، وظن أنها مكيدة ، وجاوبوهم بكلام خشن[٧] ؛ فقالت رسل الإنجليز لهم : « نحن نقف بمراكبنا فى البحر محافظين على الثغر ، وتمدونا بماء وزاد بثمنه » ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا غيرهم / عليها سبيل ؛ فاذهبوا عنا » ، فعندها عادت رسل الإنجليز وأقلعوا فى البحر ليمتاروا من غير الإسكندرية ، وليقضى الله أمرًا كان مفعولا ، ثم إنَّ أهل الثغر أرسلوا إلى كاشف البحيرة ، ليجمع العربان ويحضر لمحافظة الثغر[٨] ، فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر ، وقع بها اللغط الكثير بين الناس ، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت القالة ، ولاحت لوائح الأراجيف .

١٢ أ/

(١) سورة : الأعراف ، رقم (٧) ، آية رقم (١١٩) .

(٢) سورة : المائدة ، رقم (٥) ، آية رقم (٥٢) .
بالأصل ﴿ واصْبَحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِين ﴾ صوبت .

(٣) ١٠ محرم ١٢١٣ هـ / ٢٤ يونيه ١٧٩٨ م .

(٤) ١٠ محرم ١٢١٣ هـ/ ٢٤ يونيه ١٧٩٨ م، بالأصل «أن»، صوبت من نسخة وزارة التربية ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٥) قايق : جمعها « قوايق » و « قياق » ، مركب صغير بمعنى القارب أو الزورق «caique» ، يسير بالمجاديف ، ويستعمله الفلاحون المصريون فى الملاحة فى النيل . النخيلى : درويش ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤ م ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٦) بالأصل « تقدروا » ، صوبت .

(٧) فى نسخة وزارة التربية والتعليم ص ٤٨ « غليظ » .

(٨) أى للدفاع عن ثغر الإسكندرية والدفاع عنه .

ثم ورد فى ثـالث يوم بعد ورود المكـاتيب الأول [1] ، مكاتبات مـضمونها : أن المراكب التى وردت الثغر عادت راجعة ، فأطمأن الناس ، وَبَطُلَ القيلُ والقَالُ ؛ وأما الأمراء [2] ، فلم يـهتموا بشـىء فى ذلك ، ولم يكـترثوا به اعـتمادًا على قـوّتهم ، وزعمهم أنَّه إذًا جاءت جميع الفرنج لايقفون فى مقابلتهم ، وأنهم يحطمونهم بسنابك الخيولِ ، ويحصدون رؤوسهم ببوارق السيوف .

فلما كـان يـوم الأربعاء العشرون من الـشهر المذكور [3] ، وردت مكاتـبات من الثغر ، ومـن رشيد [4] ، ودمنهور[5] ، بأنَّهُ فى يـوم الإثنين ثامـن عشر [6] ، جاءت مراكب لـلفرنسيـس كثيرة ، فأرسـوا في البحر ، وأرسـلوا جماعة يـطلبون القـنصل وبعض أهل البلد ، فنزلوا لهم ، وَعَوَّقُوهُم فـى المراكب ، وفى الليل تحولت مراكب جهة العجمى[7] ، وأنزلوا آلات الحـرب والعساكـر ، فلم يشعـر أهل الثغـر فى وقت الصباح إلا والعساكر كالجراد المنتشر حـول البلد ، فعندها خرج أهل الثغر « وَمَنْ »[8] انضم إليهم مـن كاشف البحيرة والعربان المجتمـعة معه ، فلم يستطيعـوا مدافعتهم ، ولا أمكنهم ممـانعتهم ؛ فانهزم كاشف الـبحيرة « ومن »[9] معه من الـعربان ، ورجع أهل الثغر إلى التترس [10] فى البيوت والحيطان ؛ ودخلت الـفرنج البلد ، وانبث فيها الكثيـر/ من ذلك العدد؛ كل ذلك وأهـل البلد لهم بـالرمى بالبنادق يـدافعون، وعن أنفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون؛ فلما أعياهم الحال، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال؛ وليس ثم عـند أهل البلد للقـتال استعداد، لخلو الأبراج مـن آلات الحرب والبارود ، وكثرة العدوّ وَغَلَبَتِه ، طلب أهل الثغر الأمـان فَأَمَّنُوهُم ، ورفعوا عنهم القتال ، ومن

/١٢ب

(١) ١٢ محرم ١٢١٣ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٨ م .

(٢) الأمراء : هم الأمراء المماليك ، وعلى رأسهم : إبراهيم بيك ، ومراد بيك اللذان كان أمر مصر بأيديهما .

(٣) ٢٠ محرم ١٢١٣ هـ / ٤ يوليه ١٧٩٨ م .

(٤) رشيد : إسمهـا القبطى «Raschit» ، واللاتينى «Rosette» ، والعربى « رشـيد » ، من مدن الثغـور المصرية القديمة ، كانت مـحافظة من محافظات مصر القديمة ، ومنذ ٢١ ديسمبر ١٨٩٥ م ، هى قاعدة مركز رشيد ، محافظة البحيرة . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٠ .

(٥) دمنهور : إسمها المصرى «Demin Hor» ، وهى إحدى المدن المصرية القديمة ، وهى قـاعدة محافظة البحيرة. نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٦) ١٨ محرم ١٢١٣ هـ / ٢ يوليه ١٧٩٨ م .

(٧) العجمى : ضاحية تقع غربى الإسكندرية ، أنزل بها بونابرت معدات الحملة والعساكر ، وهاجم الإسكندرية من جهة بابها الغربى ، كما هو واضح من النص .

(٨) بالأصل « وما » ، صوبت .

(٩) بالأصل « ما » ، صوبت .

(١٠) التترس : أى الاحتماء بالبيوت والحيطان .

حصونهم أنزلوهم ؛ ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد ورفع بنديراته [١] عليها ، وطلب رئيسهم أعيان الثغر ، فحضروا بين يديه ، فألزمهم بجمع السلاح واحضاره ، وأن يضعوا الجوكار [٢] فى صدورهم فوق ملبوسهم ؛ والجوكار ثلاث قطع من الجوخ، أو الحرير ، أو غير ذلك ، مدورة فى قدر الريال سوداء وحمراء وبيضاء ، يوضع بعضها فوق بعض ، بحيث تكون كل دائرة أقلّ من التى تحتها ، حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيط بعضها ببعض ، وطلبوا الكُلَفَ [٣] والمال .

ولما وردت هذه الأخبار مصر حصل للناس الانزعاج ، وَعَوَّلَ أكثرهم على الفرار والهجاج ؛ وأما ما كان من حال الأمراء ، فإنَّ إبراهيم بيك ركب لقصر العينى ، وحضر عنده مراد بيك من الجيزة، لأنه كان مقيمًا بها ، وحضر بقية الأمراء والقاضى والعلماء ، وتكلموا فى شأن هذا الأمر الذى دَهَمَ المسلمين ، فاتفق الرأى على أنهم يرسلون مكاتبة للدولة بخبر هذه الحادثة ، فأرسلها باشا مصر إذ ذاك ، وهو بكر باشا ، على يد قاصد من جهة البرّ ، ويجهزون عسكرًا يكون كبيره مراد بيك ، وانفضّ المجلس على ذلك ، فأخذت العساكر فى الاستعداد للسفر ، وجمع مهمات الحرب ، فمكثوا نحو خمسة أيام يجهزون الأقوات والبارود وغير ذلك من القِرَبِ والخِيَم ، ومصر فى كرب زائد من هذا الأمر ، ومما ورد عليهم من الخبر / ، فإن العساكر لم يكن عندهم استعداد لمثل هذا ، ولم تسمح نفوسهم ببذل الأموال فى هذا المهم ، فصاروا يصادرون الناس [٤] ، ويأخذون أغلب ما يحتاجونه بدون ثمن . ١٣/أ

ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة [٥] ، وبرز خيامه ووطاقه [٦] إلى الجسر الأسود ، فمكث به يومين حتى تكامل « من »[٧] معه من العسكر وهم صناجقه ، وعلى باشا الطرابلسى ، وناصف باشا ، فإنهما كان من أخصّائه ومقيمين معه بالجيزة، وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود ، وسافر فى البر مع العساكر

(١) بنديراته : مفردها بديرة ، وتعنى العلم أو الراية .
(٢) الجوكار : الشارة أو الشعار الخاص بالثورة الفرنسية .
(٣) الكلف : مفردها « كلفة » ، وتعنى ضرائب غير مقررة أصلاً أى ضرائب إضافية.
(٤) أى يأخذون ما يجدونه مع الناس من الأموال والأمتعة .
(٥) ٢٢ محرم ١٢١٣ هـ/ ٦ يوليه ١٧٩٨ م .
(٦) الوطاق : تركية وتعنى الخيمة الكبيرة ، أى الغرفة ، وفى العربية تعنى الخيمة والمعسكر المكون من خيام . سليمان، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .
(٧) بالأصل « ما » ، صوبت .

الخيالــة ؛ وأما الرجالة وهم الألــضاشات [١] ؛ والغليونجية[٢] ، والمغاربة[٣] ، فإنهم سافروا فى البحر مع الغلايين الصغار التى كان صنعها مراد بيك .

ولما ارتحل من الجسر الأسود [٤] أرسل إلى مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد فى غاية الثخـن والمتانة ، طولها مائة وثـلاثون ذراعًا ، تنصب عند بوغاز رشـيد عند برج مغيزل[٥] من البر الشرقـى للغربى ، لتمنع من عـبور مراكب الفرنسيس لبـحر النيل ، وذلك بإشارة على باشا ، وأن يعمل عندها جسـر من المراكب ، ويعمل عليها متاريس ومدافع ، ظنًا منهم أن الفرنج [٦] ، لايقدرون على مقاتلتهم فى البرِّ ، وأنهم يعبرون بالمـراكب فـى بحر الـنيل ، ويـقاتـلونهـم وهم فـى المراكب ، وأنــهم يصــابرونــهم ويطاولونهم فى القتال حتى تأتيهم النجدة ؛ وكان الأمر بخلاف ذلك ، فإن الفرنسيس عند ما ملـكوا الإسكندرية ، تجهزوا سريعًا لـلتوجه إلى مصر من جهة الـبر ، بحيث أنهم التقوا مع مراد بيك عند الرحمانية [٧] ، كما سيأتى :

وفى أثناء خــروج مراد بيك بالعساكـر وسفره بدت الوحشة فـى الأسواق ، وكثر الهرج بين الناس والأرجاف ، وانقطعت/ الطرق، وأخذت الحرامية فى كل ليلة تطرق أطراف البلد، وتنقطع الطرق من المغرب، فلا تكاد تجد أحدًا يمشى ، فنادى الأغا[٨] ، / ١٣ب

(١) الألضاشات : تركية ، تتكون من مقطعين « يول » وتـعنى الطريق ، و « داش » ، وتعنى أداة المشاركة ، والمعنى العام « الرفيق » أو « الزميل » . دهمان : محمـد أحمـد ، معجـم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٠ م ، ص ١٩ .

(٢) الغليونجية : نسبة إلى الغليـون : السفينة الحربية الكـبيرة ، وتعنى هنا طائفة العاملين على الغـلايين الحربية . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) المغاربة : أى المغاربة الذين انضموا إلى القوات المحاربة .

(٤) الجسر الأسود : جسر ممتد من الجبـل إلى النيل ، به قنطرتان لصرف المياه على النيـل ، تعرف إحداهما بقنطرة الرهاوى ، والثانية بقنطرة أم ينار . رمزى ، محمد ، القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٧ . .

(٥) برج مغيزل : كان هذا البرج قائمًا على الشاطئ الشرقى من النيل قريبًا من رشيد

(٦) الفرنج : الفرنسيون .

(٧) الرحمانية : قـرية قديمة ، إسمها الأصلى « محلة عبـد الرحمن » ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وردت بإسمها الحالى ، وهــى إحـدى قرى مركز شبراخيت ، محافظة المنوفية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢، جـ ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٨) الأغا : تركية من المصدر « أغمـق » ، وقيل إنها من الفارسية « أقا »، وتطلق فى التركيـة على الرئيس والقائد، وشيخ القبيلة ، وعلى الخادم الخصى الذين يؤذن له بدخول غرف النساء ، والمقصود هنا أغا الإنكشارية ، المنوط به حماية الأمن فى القاهرة ، أى قائد الشرطة . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

والوالى[1] ، بفتح الأسواق والقهاوى ليلاً ، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين، وذلك لأمرين: الأول: إذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس ، والثانى : الخوف من الدخول فى البلد .

وفى يَوْمِ الإثنين [2] ، وردت الأخبار بأنَّ الفرنسيس وصلوا إلى دمنهور، ورشيد، وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم ، فذهبوا إلى « فوّه »[3] ونواحيها، والبعض أقام ببلده ، وطلب الأمان فَأُمِّنَ ؛ وقد كانت الفرنسيس حين حلولهم بالإسكندرية كتبوا مكْتُوبًا وطبعوه ، وأرسلوا منه نُسَخًا إلى البلاد التى يقدمون عليها تَطْمِينًا لهم ومكيدةً ، لئلا تعصى البلاد وتحاربهم ، فأوهموهم فيه أنهم قدموا من طرف السلطان ، وأنهم جاءوا ليزيلوا عنهم الظلم ، ووصل المكتوب مع جملة من الأسارى الذين وجدوهم بمالطة [4] ، فإنهم أحضروهم معهم ، وقبل الحرب الذى وقعت بإنبابة [5] بيوم ، أرسلوا هؤلاء الأسارى فى مراكب لبولاق[6] ، حيث عرضوا على إبراهيم بيك ومعهم عدة نسخ من هذا المكتوب ، ومعهم جواسيس من كفار مالطة[7] متزيين بزىّ الأسارى ، لأنَّ كُفَّارَ مالطة يَعْرِفُونَ العربية ويتكلمون بلغة المغاربة[8] ، فلا يكادون يمتازون عن الأسارى ؛ فكانت هذه أيضًا من المكايد الحربية، حيث أرسلوا الأسارى الذين معهم لمن ببولاق ، توصلا لإخفاء الجواسيس فيهم ، وليقع فى أوهام الناس أنهم لايأسرون أحدًا لأنهم قد خَلَّصُوا الأسارى ، وصارت

(١) الوالى : عرف بإسم « الزعيم » و « السوباشى » ، ووالى القاهرة ، كَانَ له حق الإشراف على زعيمى بولاق ، ومصر القديمة ، وكان الوالى يشارك أغا الإنكشارية فى حفظ الأمن فى القاهرة ، وهو أقل رتبة من أغا الإنكشارية ، ويعينه الباشا ومقره بباب زويلة الذى عرف بباب الولاة ، وكان يعاقب المخالفين بعقوبات مختلفة ، وينفذ حكم الإعدام الذى تصدره السلطات ، وله اختصاصات أخرى كثيرة . أحمد : ليلى عبد اللطيف ، الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، جامعة عين شمس ١٩٧٨ م ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

(٢) ٢٥ محرم ١٢١٣ هـ / ٩ يوليه ١٧٩٨ م .

(٣) فوه : إسمها القديم « بوى » ، قلبت الباء فاء ، وهى من القرى القديمة ، وهى مدينة حسنة كثيرة الفواكه والخصب ، وبها أسواق وتجارات ، فى ١٨٢٦ م ، أنشئ قسم بلاد الأرز غربا ، وجعلت فوة مقرا له ، وفى ١٨٦٩ م ، سمى مركز فوة وهى قاعدته ، محافظة الغربية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢، ص ١١٣ - ١١٥ .

(٤) مالطة : جزيرة بالبحر الأبيض المتوسط ، كانت موطنا لفرسان القديس يوحنا بعد طردهم من رودس .

(٥) إنبابة : منَ القرى القديمة ، إسمها الأصلى « نبابة » ، ووردت فى الروك الناصرى ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م ، بإسم «إنبابة» ، ثم وردت باسم « إمبابة » ، وهى قاعدة قسم إمبابة ، محافظة الجيزة . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٦) بولاق : ضاحية تقع على النيل ، وهى أحد أقسام القاهرة ، وتعرف ببولاق القاهرة أو بولاق أبو العلا .

(٧) كفار مالطة : المقصود بهم فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يقطنون جزيرة مالطة .

(٨) لغة المغاربة : أى يتحدثون اللغة العربية باللهجة المغربية .

الجواسيس على هيئة الأسارى من المالطية تُوَسْوِسُ للناس ، وتحل عزائمهم عن القتال ؛ وتتبع حال العَرَضى ، ثُمَّ فى يوم الحربِ خَفِىَ الكثير من هؤلاء / ١٤/أ الأسارى ، فلا يدرى أَحَدُ أين ذهبوا ، وما ذهبوا فى الحقيقة إلا إلى « عرضى » [١] الفرنسيس ليخبروهم بما شاهدوا .

ونص المكتوب المرسل : « بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله » لا ولد له ، ولا شريك فى ملكه ، من طرف الجمهور الفرنساوى [٢] المبنى على أساس الحرية والتسوية، السر عسكر الكبير بونابارت أمير الجيوش الفرنساوية ، يُعَرِّفُ أهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد ، السناجق الذين يتسلطنون [٣] فى البلاد المصرية ، يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ، ويظلمون [٤] تجارها بأنواع البلص والتعدى ، فحضر الآن ساعة عقوبتهم واحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الزمرةَ المماليك المجلوبين من بلاد الأبازا [٥] ، والكرجستان[٦] ، يفسدون [٧] فى الإقليم الأحسن الذى لايوجد فى كرة الأرض كلها .

فأما رب العالمين القادر على كل شىء فقد حَتَّمَ انقضاء دولتهم ، يأيها المصريين : « قد يقولون[٨] لكم إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا لكيما أُخَلِّصَ حقكم من يد الظالمين ، وأننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه محمدًا ، والقرآن العظيم . وقولوا أيضًا : إن جميع الناس متساوون[٩] عند الله ، وأنَّ الشىء الذى يفرقهم من بعضهم بعضًا فهو العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين المماليك ، ما العقل والفضائل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين ، وتستوجب أنهم يتملكون وحدهم كلما يحلوا به حياة الدنيا ، حيثما توجد أرض مخصبة فهى مختصة للمماليك والجوارى الأجمل ، والخيل الأحسن ، والمساكن

(١) عرضى : تركية وتعنى الجيش ، وتعنى المعسكر ، وهو المعنى المقصود هنا . سليمان : أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٢) الجمهور الفرنساوى : أى الجمهور الفرنسية .

(٣) بالأصل « يتسلطنوا » صوبت . (٤) بالأصل « يظلموا » صوبت .

(٥) الأبازة : نسبة إلى بلاد القوقاز أو قفقاسيا ، وبها سلسلة جبال القوقاز ، وتقع بين البحر الأسود ، وبحر قزوين .

(٦) الكرجستان : وتعرف باسم « جورجيا » ، وموقعها خلف جبال القوقاز ، وعاصمتها « تفليس » .

(٧) بالأصل « يفسدوا » ، صوبت .

(٨) بالأصل ، « يقولوا » صوبت . (٩) بالأصل ، « متساوين » صوبت .

١٤ب/ الأشهى ، فهذا كله لهم خاصًا . إن / كانت الأرض المصرية التزام للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها لهم الله ، فليكن رب العالمين ، هو « رءوفٌ » [١] وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم فصاعدًا ، لايستثنى أحدًا من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية ، فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبرون الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها .

سابقًا فى الأراضى المصرية كانت المدن العظيمة والخلجان الواسعة ، والمتجر المتكاثر ، وما أزال ذلك كله إلا الطمع وظلم المماليك ، أيها القضاة والمشايخ والأئمة ، ويأيها الشرباجية [٢] ، وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضًا مسلمين خالصين ، وإثباتًا لذلك قد نزلوا فى رومية[٣] الكبرى ، وضربوا فيها كرسى البابا الذى كان يحث دائمًا النصارى على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالليرية[٤] ، الذين يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ، ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمنلى ، وأعداء أعدائه ، أدام الله ملكه ، وبالمقلوب المماليك ، امتنعوا من طاعة السلطان، غير متمثلين لأمره ، فما أطاعوا أصْلاً إلا لطمع أنفسهم ، طوبى ثم طُوبَى [٥] لأهالى مصر الذين يتفقون[٦] معنا بلا تأخير فيصلح حالهم ، ويعلى مراتبهم ، طُوبَى أيضًا للذين يقعدونَ [٧] فى مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المحاربين ، فإذا هم يعرفوننا بالأكثر يتسارعون[٨] إلينا بكل قلب ، لكن الويل ثم الويل ، للذين يتحدون مع المماليك « ويساعدونهم » [٩] فى الحرب علينا ، فما يجدون طريق الخلاص ، ولايبقى منهم أثر .

(١) بالأصل ، « رءوفًا » صوبت .

(٢) الشرباجية : تركية من الأصل الفارسى « شور » ، بمعنى لذيذ ، و « با » بمعنى الطعام المطهو ، من الفهلوية (Pak) ، بمعنى الطبخ ، والجورباجى أو الجوربه جى ، ضابط إنكشارى ، تعادل رتبته « اليوزباشى » ، وهو رئيس المشاة ، ويقال للجوربجى « سوباشى » ، وهو له حصان ، وجبة من الجوخ الأحمر لها كُمَّان وسروال أحمر وخف أصفر ، وقلنسوة مذهبة الحاشية عليها ريشة ، ويشرف الجوربجى على كل أمور الكتيبة ، وله حق تأديب الجند فى الجرائم الصغيرة . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٣) رومية : المعنى المقصود هنا مدينة « روما » ، عاصمة إيطاليا .

(٤) الكواللرية : أى « الفرسان » ، والمقصود بهم فرسان القديس يوحنا الذين استقر بهم المقام فى « مالطة » ، بعد طردهم من رودس .

(٥) طوبى : أى حياة هنيئة وسلاما للذين يتفقون معنا .

(٦) بالأصل ، « يتفقوا » ، صوبت .

(٧) بالأصل ، « يقعدوا » صوبت .

(٨) بالأصل ، « يتسارعوا » صوبت .

(٩) بالأصل ، « يتحدوا » ، و « يساعدوهم » صوبتا .

المـــادة الأولى

جميــع القرى الواقــعة فى دائرة قــريبة بثــلاث ساعات عن المــواضع التى يمــر بها العسكر الفرنســاوى ، فواجب عليها أن ترسل للسر عسكــر بعض / وكلاء من عندها لكيما يعـرفوا المشار إليه أنــهم أطاعوا ، وأنهم نصبوا السنجاق[1] الفرنساوى الذى هو أبيض ، وكحلى ، أحمر .

/ ١٥أ

المـــادة الثانية

كل قرية التى تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار .

المادة الثالثة

كل قــرية التــى تطيع لــلعســكر الفــرنساوى ، الــواجب علــيها نصــب السنــجاق الفرنساوى ، وأيضًا نصب سنجاق السلطان العثمنلى محبنا دام بقاه .

المادة الرابعة

المشايــخ فى كل بلد ، أنْ يــختموا حالاً جمــيع الأرزاق والبيوت والأمــلاك بتاع المماليك ، وعليهم الاجتهاد الزائد لكيلا يضيع أدنى شىء منها .

المادة الخامسة

الواجب على المشايخ والقــضاة والأئمة أنهم « يلازمون » [2] وظائفهم وعلى كل واحد من أهالى البلد أنه يبقى فى مسكنه مطمئنًا [3] ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على الــعادة ، والمصريون[4] بأجمعهــم يشكرون فضل الله سبحــانه وتعالى ، من انقراض دولة المماليــك قائلين بصوت عال : أدام الله إجلال السلطــان العثمنلى ، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى، لعن الله المماليك ، وأصلَح حال الأمة المصرية ؛ تحــريرًا بمعــسكر إســكندريــة فى ١٣ شهر مــسيدور ســنة ١٢١٣ من إقــامة الجمــهور الفرنساوى ، يعنى فى أواخر شهر محرم سنة هجرته [5] ، انتهى منقولا بالحرف .

(١) السنجاق : العلم .
(٢) بالأصل ، « يلازمون » صوبت.
(٣) بالأصل ، « مطمئن » صوبت.
(٤) بالأصل « والمصريين » .
(٥) أخر محرم ١٢١٣ هـ / ١٤ يوليه ١٧٩٨ م .

تفسير بعض ما أورد[ه] المكتوب من الكلمات المفككة والتراكيب الملعبكة

قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ، لا ولد ، ولا شريك فى ملكه » فى ذكر هذه الجمل الثلاث إشارة إلى أنهم موافقون للملل الثلاث، ومخالفون لهم ، بل ولجميع الملل ، موافقون للمسلمين فى ذكر التسمية ، ونفى الولد والشريك ، ومخالفون لهم فى عدم الإتيان بالشهادتين وجحد الرسالة ، ورفض/ الأقوال والأفعال الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة ، وموافقون للنصارى فى غالب أقوالهم وأفعالهم ، ومخالفون لهم فى القول بالتثليث وجحد الرسالة أيضًا ، ورفض دياناتهم ، وقتل القسوس[1] ، وهدم الكنائس ، وموافقون لليهود فى التوحيد ، فإنَّ اليهود لاتقول بالتثليث ، وإنما هم مجسمة مخالفون لهم فى دياناتهم ، والذى تحرر من عقائدهم أنهم لايقفون على دين ، ولايتفقون على ملة ، بل كل واحد منهم ينحو دينًا يخترعه بتحسين عقله ، ومنهم الباقى على نصرانيته المتكتم لها ، وفيهم فِرَقٌ من اليهود الحقيقيين ، لكن كل ذى دين منهم ما نزله مُصِرٌّ عليه ، موافق للجمهور فى ضلالهم المُصِرِّينَ عليه .

١٥ب/

قوله : « فأما رب العالمين » كلام مستأنف .

قوله : « القادر على كل شىء » ، ومن قدرته الباهرة وآياته الظاهرة جلب هؤلاء الشياطين ، إلى مراتع الملوك والسلاطين ، ورجوع الكرة عليهم ، وقطع دابرهم ونواصيهم .

وقوله : « قد حتم هذا تحكم على الغيب ، وما بعد الكفر عيب » .

قوله : « إننى ما قدمت لكم إلا لكيما أُخَلِّصَ حقكم من يد الظالمين » هذه أول كذبة ابتدرها ، وفِرْيَة ابتكرها ؛ ثم ترقى إلى ما هو أعظم من ذلك ، رماه الله فى المهالك بقوله :

« وإننى أكثر من المماليك أعبد الله » إلى آخره ؛ لاشك أن هذا خبل فى العقل ، وغلو فى الجهل ، أى عبادة فضلا عن كثرتها مع كفر غطى على فؤاده ، وحجبه عن الوصول إلى طريق رشاده؛ وفى الكلام تقديم وتأخير ، والأصل : « وإننى أعبد الله أكثر من المماليك » ، ويحتمل ألا تقديم ولا تأخير ، وأن المعنى

---

(١) القسوس : مفردها « قسيس » ، وهى رتبة دينية كنسية فى الشريعة المسيحية .

إننى أكثـر ، من المماليك عـددًا ، فحذف التمييـز ، ويكون قوله « أعـبد الله » كلاما مستأنفًا ، وكذبة مستقلة .

قـولـه : « وأحترم نبـيه » ، معطــوف على مـا قبله مـن عطف/ الكـذب على الكذب ، لأنَّهُ لو احترمه لآمن به وصدقه واحترم أمته . /١٦أ

قوله : « والقـرآن العظيم » معـطوف على نبيـه ، أى وأحترم القرآن العـظيم ؛ وهذا كذب أيضًا ، فإن احترام القرآن تعظيمه ، وتعـظيمه بالتصديق بما فيه ، وهو من آيات الـنبى الدالـة على صدقـه ، وإنه نبى آخـر الزمان ، وأنَّ أمتـه أشرف الأمم ؛ وهؤلاء لجميـع ذلك نافون ، وفيما عـددوه كاذبون ، ﴿ وكأين من آية فـى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾[1] ؛ وأما التعظيم الحسى فهو فرض مأمور به بقوله تعالى : ﴿ لا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [2] فيحرم علـى المحدث والجنب مس آية من القـرآن ، وهؤلاء قد شوهد الكـثير منهـم يـتغوط ويمسح بأوراق المـصاحف ، ويرميها ملطخة فى الطريق ومحل النجاسات ، فإنهم لايستنجون بالماء البتة ، وجليلهم وحقيرهم يستعمل ما يجـده من الأوراق ، ودخل بعض الناس دارًا من دورهم فوجد باب المهنة [3] مسنودًا بمصحف كبير ، فـأخذه وفتحه فوجده ختمة [4] شريفة مكلفة ، فتأثر واغتـم ، وطلـب أن يفتـديه بدراهم ، فامتنع صاحب الـدار من بيعه إلا بمبلغ كذا ، فسـعى الرجل حـتى استرضـى خاطره واستـنقذ الختـمة ، وهم فى كـل ذلك يضحكون ، ويَعُدُّونَ الرجل كـأنه مجنون ؛ فأين أعزك الله التعظيـم الذى يزعمه هذا المفترى ؟

قـوله : « إن جميـع الناس متساوون[5] عنـد الله تعالى » ، هذا كـذب وجهل وحماقـة ، كيف وقد فضـل الله بعضهم عـلى بعض ، وشـهد بذلك أهل الـسموات والأرض .

قوله : « ما العقـل ؟ » مبتدأ وخبر ، والاستفهام للإنـكار ؛ وفى الكلام حذف أى لهم ؛ فالمعنى لا عقل للمماليك .

قوله : فَلْيُوَرُّونَا ، هذه كلمة عامية خارجة عن الطريقة العربية .

قوله : « الحجة التـى كتبها / الله لهم » هذا من الجهل والـكفر بمكان ، فإن الله /١٦ب

(١) سورة يوسف ، رقم (١٢) ، آية رقم (١٠٥) .

(٢) سورة الواقعة ، رقم (٥٦) ، آية رقم (٧٩) .

(٣) باب المهنة : أى باب غرفة الجلوس .

(٤) ختمة : مصحف شريف .

(٥) بالأصل « متساوين » صوبت .

لايُمَلِّكُ الناسَ شيئًا بحجة يكتبها لهم ، غايته أن الناس يتداولون البلاد عن أسيادهم كهؤلاء ، أو عن أسلافهم ، أو بالغلبة والقهر .

وقوله : « فى المناصب السامية » ، أى المرتفعة ، فيه احتراز عن دفع اللوم عنهم ، بتقليدهم مناصب الأحكام الجليلة للأسافل والرعاع ، كجعلهم برطلمين الطبجى ، وهو المسمى عند العامة بفرط الرمان ، كتخدا مستحفظان .

قوله : « وبذلك يصلح حال الأمة » ، نعم بتدبير العقلاء والفضلاء ينصلح حال الأمة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

قوله : « وخربوا كرسى البابا » ، بهذه الفعلة خالفوا النصارى ، كما سبقت الإشارة إليه ، فهؤلاء القوم خالفوا النصارى والمسلمين ، ولم يتمسكوا من الأديان بدين ؛ فتراهم دهرية معطلون ، وللمعاد والحشر منكرون ، وللنُبُوَّةِ والرِسَالَةِ جَاحِدُونَ ؛ ويقولون بقدم العالم وتأثير العلوية ، وللحوادث الكونية بالحركات الدورية ، وظهور الملل ، وانتقال الدول ، بموجب طبع القرانات ، وامتزاج المناظرات ؛ وربما اعتقدروا تناسخ الأرواح ، إلى غيرها من الأشباح ؛ ومثل ذلك من الخيالات ، وأنواع الضلالات ؛ وعقيدتهم السالكون فيها تحكيم العقل ، وما تستحسنه النفوس بحسب الشهوات ، ولايبالون بكشف العورات ، مع قبحه فى العقل والنقل ، فمتى دعت أحدهم الحاجة تَغَنَّاهَا[1] فى أى مكان اتفق ، ولو بمرأى من الناس ، ويذهب كما هو فى غير استنجاء ولا استجمار [2] ، وتارة يمسح المحل بما يجده ولو ورقة مكتوبة ، ويطئون على ما تيسر لهم من النساء ، ويحلقون لحاهم وشواربهم معا ، ومنهم من يبقى شعر عارضيه فقط ، ولايحلقون رؤوسهم ولا عاناتهم ، ويخلطون فى مأكولهم ومشروبهم ، ولايخلعون نعالاتهم أبدًا ، وَيَطَئُونَ على الفرش الثمينة ، ويمخطون ويبصقون / على الفراش ، ويمسحون بالمداس [3] . ١٧ أ/

وقوله : « مطمئن » ، صوابه مطمئنًا ، لأنه حال ، فعدوله إلى الرفع فى غير موضعه ، إشارة إلى أن رفعتهم باستملاك مصر غلطة من الدهر ، وأنهم فى نفسهم مخفوضون ، لاينتصبون ولايرتفعون ، ثم ليست هذه أول لَحْنَة ، لإن جميع كلمه ملحون ، ومنشؤه ملعون ، عجل الله لهم بالوبال والنكال ، وأخرس منهم عضو المقال ؛ وَفَرَّقَ جمعهم ، وَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ ، وَأَفْسَدَ رأيهم ، وأخمد أنفاسهم ، وهدم أساسهم ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير انتهى .

(١) بنسخة وزارة التربية « قَضَّاهَا » ، جـ ١ ، ص ٦٤ .

(٢) أى دون تَطَهُّرٍ .

(٣) المداس : الحذاء .

وفي يوم الخميس الثامن والعشرون من الشهر [1] ، وردت الأخبار بأن الفرنسيس ، زحفوا إلى نواحى « فوة » [2] ، ثم إلى الرحمانية[3] .

شهر صفر [4]

وفى يوم الأحد غرة صفر ١٢١٣ [5] ، وردت الأخبار بأنه فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم [6] ، التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس ، فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بيك ومن معه ، ولم يقع قتال صحيح ، وإنما هى مناوشة من طلائع العسكرين ، بحيث لَمْ يُقْتَلُ إلا القليل جدًا من الفريقين ، واحترقت مركب مراد بيك بما فيها من الجبخانة [7] والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس الطبجية [8] خليل الجردلى ، وكان قد قاتل فى البحر قتالا عجيبًا هو ومن انضم إليه من الغليونجية[9] ، وبقية العسكر والمشاة الذين فى المراكب مع مراكب الفرنسيس ، وأقدم إقدام الأسد ، فقدر الله أن علقت نار بالقلع فنزل البعض منها إلى البارود الذى فى المركب فاحترقت ، فمات هو ومن بالمركب من المحاربين ، فلما عايَنَ ذلك مراد بيك ولَّى منهزمًا ، وترك الأثقال والمدافع ، وتبعته عساكره ، والمشاة نزلت فى المراكب، وانفصل الفريقان بدون طائل .

وقد كانت العلماء عند توجه مراد بيك للقتال / ، تجتمع فى الأزهر كل يوم ، لقراءة البخارى وغيره من الدعوات ، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية[10] ، /١٧ب

---

(١) ٢٨ محرم ١٢١٣ هـ / ١٢ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) فوة : أنظر ، ص٢٢، حاشية رقم (٣) .

(٣) الرحمانية : أنظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (٧) .

(٤) ٢٨ محرم ١٢١٣ هـ / ١٢ يوليه ١٧٩٨ م .

(٥) شهر صفر ١٢١٣ هـ / ١٥ يوليه - ١٢ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٦) ١ صفر ١٢١٣ هـ / ١٥ يوليه ١٧٩٨ م .

(٧) الجبخانة : تركية « جبه » ، الدرع المكون من أكثر من جزء ، « وجى » ، صانع الدروع « زردكاش » ، وَسَّعَ الإنكشارية معنى « جبه جى » ، فأطلقوها على صناع الأسلحة والذخائر والقائمين على حفظها ، والجبه خانه فى التركية المكان الذى تحفظ فيه الأسلحة والذخائر ، والجبرتى يستعملها بمعنى الذخيرة نفسها ، وليس بمعنى المستودع . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٨) الطبجية : مفردها « طبجى » تركية بالباء المشربة ، بمعنى المدفع ، وأداة النسب التركية إلى الصنعة « جى » ، والطوبجى تعنى المدفعى ، أى الذى يضرب المدفع ، والجمع ضاربو المدافع . نفس المرجع ، ص ١٤٣ .

(٩) الغليونجية : أنظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (٢) .

(١٠) الأحمدية : طريقة صوفية تنسب للسيد أحمد البدوى .

والسعدية[1] ، والرفاعية[2] ، وغيرهم من طوائف الفقراء [3] ، وأرباب الأشاير[4] ، كل يوم يذهبون للأزهر فيجلسون للأذكار ، وتجتمع أطفال الكتاتيب للدعاء ، وتلاوة اسمه تعالى لطيف ، وكل هذا حصل بسببه النفع العظيم ، فهو وإن لم يدفع دخول الفرنسيس مصر ، لكونه أمرًا مقضيًا محتما ، لايرد بالدعاء ، لكن وقع اللطف الجزيل بسبب هذه الدعوات ، واجتماع القلوب بمجالس الذكر والاستغفار وآثار اللطف التى حصلت مشاهدة ، لاتنكر ، ولله الحمد .

ولما وصل خبر الهزيمة لمصر انزعجت الناس إنزعاجًا شديدًا ، وركب إبراهيم بيك إلى ساحل بولاق ، وحضر الباشا والعلماء ورؤوس الناس ، وأعملوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم ، فأجمع الرأى على عمل متاريس من بولاق إلى شبرا [5] ، ويتولى الإقامة ببولاق إبراهيم بيك وأمراؤه وكشافهم [6] .

وفى يوم الاثنين [7] ، حضر إبراهيم بيك إلى بر إنبابة ، وشرع فى عمل متاريس هناك من بشتيل [8] إلى آخر إنبابة ، وتولى ذلك هو وصناجقه[9] وأمراؤه وجماعة من خشداشينه [10] ، واحتفل فى ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه ، هو وعلى باشا الطرابلسى ونصوح باشا ، وأحضر المراكب الكبار والغلايين التى أنشأها بالجيزة ، وأوقفها على ساحل إنبابة ، وشحنها بالعساكر والمدافع ، فصار البر الشرقى والغربى مملوءين

(١) السعدية : طريقة صوفية كانت قائمة آنذاك ولاتزال قائمة ضمن الطرق الصوفية المصرية .

(٢) الرفاعية : طريقة صوفية تنسب لأحمد الرفاعى . (٣) الفقراء : المعنى المقصود بهم طوائف الصوفية .

(٤) أرباب الأشاير : طوائف الأشراف .

(٥) شبرا : أحد أقسام محافظة القاهرة ، وحى من أحيائها . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٤ .

(٦) كشاف : جمع « كاشف » ، أمير مملوكى أقل رتبة من الصنجق ، ويعين حاكما على إقليم صغير ، يسمى كشوفية ، والكاشف ، يكون تابعا لصنجق من الصناجق حكام الولايات الكبيرة .

(٧) ٢ صفر ١٢١٣ هـ / ١٦ يوليه ١٧٩٨ م .

(٨) بشتيل : قرية قديمة ، إسمها القبطى Bischtch ، إحدى قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٩ .

(٩) صناجق : تركية وتعنى العَلَم ، ثم أصبحت لقبا ، يمنح لكبار الأمراء المماليك الذين يحملون لقب « بيك » ، وكان الصنجق أحيانا يكون له من مماليكه مجموعة من الصناجق ، حيث وصل عدد الصناجق فى مصر ٢٤ صنجقا . البقلى ، محمد قنديل ؛ المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(١٠) خشداشينه : فارسية « خواجه تاش » ، خواجه وتعنى السيد ، وتاش ، أصلها : داش ، وتدل على المشاركة ، فمعنى « جواجة تاش » لغويا : الشريك فى السيد ، وتطلق على المملوك الذى ينشأ مع مملوك أخر فى خدمة سيد واحد ، وتعنى زملاؤه الذين نشأ معهم فى خدمة سيد واحد . سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

بالعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة ، ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك ، فإنهم من حين وصول الخبر لهم من الإسكندرية ، شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة ، للبيوت الصغار التى لايعرفها أحد ، وصاروا طول الليل فى نقل الأمتعة وتوزيعها / عند معارفهم وثقاتهم ، وإرسال البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا أيضًا فى تشهيل الأحمال والاستحضار لدواب الشيل وأدوات السفر ، وما ذاك إلا للتعويل على الهزيمة ؛ فلما رأى أهل مصر ذلك منهم داخلهم الخوف الكثير والفزع ، بحيث أن الأغنياء منهم استعدوا أيضًا للهروب ، ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك ، لما بقى من الأغنياء ومن له قدرة على الهروب بمصر منهم أحد ، قبل دخول الفرنسيس بأيام ، لكن قد منع إبراهيم بيك الناس من النقلة من مصر ، وهدَّدَ من أراد فعل ذلك منهم . /١٨أ

وفى يوم الثلاثاء [(١)] ، نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس ، وصاروا يكررون المناداة كل يوم ، فأغلق الناس الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع لِبَرِّ بولاق ، فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات[(٢)] ، يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون خِيَمًا ، أو يجلسون فى مكانٍ خربٍ أو مسجدٍ ، ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم ، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر ، ومنهم مَنْ يُجَهِّزُ جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك ، بِحَيْث أنَّ جميع الناس بذلوا وسعهم ، وَفَعَلُوا ما فى قُوَّتِهِم وطاقتهم وسمحت نفوسهم ببذل أموالهم ؛ فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشيء يملكه ، ولكن لم يساعدهم الدهر ، وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور والأعلام والكاسات ، وهم يَضُجُّونَ وَيَصِيحُونَ ، ويذكرون بأذكار مختلفة ، وَصَعَدَ نقِيبُ الأشراف السيد عمر للقلعة ، فأنزل منها بَيْرَقًا كبيرًا أسمته العامة البيرق النبوى ، فَنَشَرَهُ من القلعة إلى أن وصل به إلى بولاق، وهو راكب ومعه ألوف/ من العامة بالنبابيت والعصى ، يُهَلِّلُونَ وَيُكَبِّرُونَ ويكثرون من الصياح ، وبصحبته طبول وزمور وغير ذلك . /١٨ب

وأما مصر [(٣)] : فإنها بَقِيَت خالية الطرق لاتكاد تجد بها أحدًا سوى النساء فى البيوت والصغار وضعفاء الرجال ، الذين لايقدرون على الحركة ، فإنَّهم مستترون مع

(١) ٣ صفر ١٢١٣ هـ / ١٧ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) طوائف أهل الصناعات : أى أصحاب الحرف المختلفة .

(٣) مصر : المعنى المقصود مدينة « القاهرة » .

النساء فى بيوتهم ، والأسواق مجفرة[1] ، والطرق معفرة ، من عدم الكنس والرش ، وغلا سعر البارود والرصاص ، بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفًا ، والرصاص بتسعين ، وغلا السلاح ، وَقَلَّ ، وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصى ، ومكث المشايخ والعلماء بزاوية على بيك ببولاق [2] ، يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر ، وأقام غيرهم من الرعايا البعض بالبيوت ، والبعض بالزوايا ، والبعض فى الخيام ؛ ومحصل الأمر أن جميع مَنْ[3] بمصر من الرجال تحول لبولاق ، وأقام بها من حين نصب إبراهيم بيك العرضى [4] هناك إلى وقت الهزيمة سوى ناس قليل لايَجِدُونَ لهم مأوى ، فيرجعون لبيوتهم يبيتون بها ، ثم يصبحون ببولاق ؛ وأرسل إبراهيم بيك إلى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم أن يكونوا فى المقدمة بنواحى شبرا ، وما والاها ، وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرى[5] وغيرهم ، وفى كل يوم يتزايد الجمع ، ويعظم الهول ، ويضيق الحال بالفقراء ، الذين يحصلون قوت يوم بيوم ، لتعطل الأسباب ، واجتماع الناس كلهم فى صعيد واحد ، وتنقطع الطرق ويعدو الناس بعضهم على بعض ، لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم من هذا الأمر العظيم .

وأما بلاد الأرياف : فإنها قامت على ساق يقتل بعضهم بعضًا ، وينهب بعضهم بعضًا ، وكذلك العرب تُغِيرُ على الأطراف والنواحى ، وَصَار قُطْرُ مصر من أوله إلى آخره فى قتل / ونهب ، وإخافة طريق ، وقيام شر ، وإغارة على أموال الناس ، وإفساد مزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد التى لاتحصى ، وطلب أُمَرَاءُ مصر الإفرنج الذين هم تجار بمصر فحبس بعضهم بالقلعة ، وبعضهم بأماكن الأمراء ، وصاروا يفتشون فى محلات الإفرنج على الأسلحة وغيرها ، وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام ، والأقباط ، والأروام ، والكنائس ، والأديرة ، على الأسلحة، والعامة لاترضى إلاَّ أَنْ يَقْتُلُوا النصارى واليهود ، فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة فى وقت الفتنة . /١١٩أ

ثم فى كل يوم تكثر الإشاعة بقرب الفرنسيس إلى مصر[6] ، وتختلف الناس فى

---

(١) مجفرة : خالية .
(٢) بولاق : أنظر ، ص ٢٢، حاشية رقم (٦) .
(٣) بالأصل « ما » صوبت .
(٤) العرضى : انظر ، ص ٢٣ ، حاشية رقم (١) .
(٥) عرب الخبيرى : كانت ديرتهم بحوار الأهرام ، وضواحى الجيزة ، وفى المناطق القاحلة خلف الأهرامات . الطيب ، محمد سليمان ، موسوعة القبائل العربية ، جـ ١ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٣ م ، ص ٧٨٩ .
(٦) مصر : تعنى القاهرة .

الجهة التى يـأتون منها ، فمنهم من يـقول : « يأتون من البر الغربـى » ، ومنهم من يقول : « من البر الشرقى » ، ومنهم من يقول : « يأتون من الجهتين » ؛ هذا وليس لأحد من كبراء العسكرين همة أن يبعث جاسوسًا أو يرسل طليعة تناوشهم القتال قبل دخولهـم ، بل كل من إبراهـيم بيك ومراد بـيك قد جمع عـسكره ومكث بمـكانه ، لاينتقل عنه ، ينتظر ما يُفْعَلُ به ، وهذا من سوء التدبير وإهمال أمر العدو .

ولما كان يـوم الجمعة سادس الـشهر[1] ، وصل الفـرنسيس إلى الجـسر الأسود[2] وأصبح يوم السبت[3] ، فوصلوا إلـى أم دينار [4] ، فعندما اجتمع الـعالم العظيم من الجند والرعـايا والفلاحين المجاورة بـلادهم لمصر ، ولكن الأجـناد متنافرة قـلوبهم ، منحلة عـزائمهم ، مختلفـة آراؤهم ، حريصون على حيـاتهم وتنعمهم ورفـاهيتهم ، مختـالون فى زينتهـم ، مغترون بجمـعهم ، محتقـرون شأن عدوّهم ، مرتبـكون فى رويتهـــم ، مغـمورون فى غفـلتهم ؛ وهذا كـله من أسبـاب ما وقع من خـذلانهم وهزيمتهم : وقد كان / الـظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين ، فـلم يأتوا إلا من البر الغربى . /١٩ب

ولما كان وقـت القائلة من ذلـك اليوم [5] ، ركب جماعـة من العساكر التـى بالبر الغربى ، وتـقدموا إلى ناحية بـشتيل [6] ، وهى بلـدة مجاورة لإنبـابة ، فتلاقـوا مع مقـدمة الـفرنسيس ، وكـروا عليـهم الخيول ، فضربهم الفـرنسيس ببنادقهم المـتتابعة الرمى ، وأبلى الفريـقان ، وفى هذه الكرة استشهد : أيوب بيـك الصغير ، وعبدالله كاشف الجرف ، وكـان عبدًا أسودًا جسيمًا مـعروفًا بالشجاعـة والإقدام ، ومات أيضًا عدة من كـشاف محمد بـيك الألفى ومماليـكه ، وتبعهـم طابور من الإفرنج فـى نحو الستة آلاف سِرُّ عسكرهم ديزيه[7] الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم .

وأما بونابرت فلم يشاهد الوقعة ، بل حـضر بعد الهزيمة ، وكان بعيدًا عن هؤلاء بكثير ؛ ولـما قرب طابور الفرنسيس من مـتاريس مراد بيك ترامى الفريـقان بالمدافع ،

(١) ٦ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٨ م . (٢) الجسر الأسود : أنظر ، ص٢١ ، حاشية رقم (٤) .

(٣) ٧ صفر ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليه ١٧٩٨ م .

(٤) أم دينار : قرية قـديمة ، بها القناطر الـتى عمّرها السلطان الملـك الناصر محمد بن قـلاوون ، والجسر المعروف بالجسر الأسود ، وهى إحدى قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٧ .

(٥) ٧ صفر ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليه ١٧٩٨ م . (٦) بشتيل : أنظر ، ص ٣٠ ، حاشية رقم (٨) .

(٧) ديزيه Desaix أحـد قـادة الحملة الفرنـسية الذى كلف بمـطاردة قوات مراد بيك ، وإخـضاع الصعيد لـلنفوذ الفرنسى .

ورمت عسكر الغليونجية التى فى الغلايين البحرية بالمدافع أيضًا ؛ وكان قد قدم فى صبح هذا اليوم عدة من عسكر الأرناؤوط من دمياط ، وطلعوا إنبابة ، وانضموا للمشاة من الغليونجية والألضاشات والمغاربة ، وانتظموا معهم فى المتاريس ، فلما وقع الحرب مات معظمهم ، ولم ينتقل عن مكانه ، ولم يثبت من هذه الطوائف كلها ، إلا هذه الفرقة ، بحيث لم ينج منها إلا القليل ، ولم تتزلزل عن مكانها ولاتسلم فى أنفسها ، وهكذا الرجال ، ﷺ .

فلما رأى عسكر البر الشرقى القتال ، ركب جماعة من الأمراء الذين به ، وشرعوا فى التعدية إلى البر الغربى فى المراكب ، فتزاحموا على المعادى [1] لكون التعدية من محل واحد ، والمراكب قليلة جدًا ، فلم يتمكن الجميع من الوصول[2] إلا وقد انهزم العسكر الغربى ؛ هذا والريح النكباء قد اشتدت / فى هبوبها ، وأمواج البحر فى قوة اضطرابها ، والرمال يعلو غبارها ، وتسفيها للريح فى وجوه العسكر ، فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار ، وكون الريح فى جهة العدو ، وفى وجوه المقاتلين ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه .

٢٠ أ/

ثم إنَّ الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك ، انقسم على كيفية معلومة عندهم فى الحرب ، وتقارب من المتاريس ، بحيث صار محيطًا بالعسكر من خلفه وأمامه ، وَدَقَّ طبوله وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع ، واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود ، وغبار الرياح وَصُمَّتْ الأسماعُ من توالى الضرب بحيث خيل للناظر أنَّ الأرضَ تَزَلْزَلَت ، والسماء عليها سقطت ؛ فاستمر القتال نحو ثلاثة أرباع ساعة ، ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربى ، فَغَرِقَ الكثير من الخيالة فى البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيرًا فى يد الفرنسيس ، وَمَلَكُوا المتاريس وَفَرَّ مراد بيك ومن بقى معه إلى الجيزة ، فَصَعَدَ إلى قصره ، وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ، ثُمَّ ركبَ وَذَهَبَ إلى الجهة القبلية ، وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة مُلْقَاةٌ بِبَرِّ إنبابة تحت الأرجل ، وكان من جملة من ألقى نفسه فى البحر سليمان بيك المعروف بالأغا ، وأخوه إبراهيم بيك .

---

(١) المعادى : وتعرف بمعادى الخبيرى ، من ضواحى القاهرة ، وتنقسم إلى قسمين القسم القديم ، فهو قرية المعادى الأصلية ، وهى من القرى القديمة ، كانت تسمى منية السودان ، تقع بين بركة الحبش (دير الطين) ، وطرا ، ثم عرفت باسم المعادى ، حيث كان بها مرسى المراكب المخصصة لتعدية الناس والجند المتوجهين - من والى القاهرة وبلاد الصعيد ، وهى الآن قسم من أقسام محافظة القاهرة . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٧ - ١٨ .

(٢) بالأصل « للوصول » ، صوبت من نسخة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ٧٠ .

فَأَمَّا سليمان بيك فنـجا وغرق إبراهيم بيك المعروف بالصغيـر ؛ ولما انهزم العسكر الغربى ، حوَّلَ الفرنسيسُ المدافَع والبنادقَ عَلَى البرِّ الشرقى وضربوها ، فقامت صيحة عظيمة ببـولاق ، وركب إبراهيم بيك ، والباشا ، والأمـراء ، والعسكر ، والرَّعَايَا ، وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى ، لم يأخذوا منها شيئًا .

فأما إبراهيم بيك والباشا ، والأمراء / فذهبوا إلى جهة العادلية [1] . / ٢٠ب

وأما الرعايا فَهَاجُوا إلى جـهة المدينة ، ودخلوها أفواجًا أفواجًا وهـم فى غاية ما يكـون من الخوف والـفزع وتـرقب الهـلاك ، وهم يضـجون بالـعويـل والنحـيب ، ويبتهلون إلى الله مـن شَرِّ هَذَا اليومِ العصيبِ ؛ والنساء يصرخن بـأعلى أصواتهن فى البيوت ، وقد كان ذلك قبل الغروب، فلما استقر إبراهيم بيك بالعادلية ، أرسل فأخذ حريمه ، وكـذلك مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الأُمَرَاءِ ، فأركبـوا النساء بعـضهن علـى الخيول ، وبعضهـن على البغال ، والـبعض على الحمـير والجمال ، والبعـض ماشٍ كالجوارِ والخَدَمِ ، واستـمر معـظم الناس طـول الليـل خارجين مـن مصر البـعض بحـريمه ، والبعض ينـجو بنفسه ، وليس أحد مع أحـد ، بل كل واحد مشغول بنفـسه عن أبيه وابنه ؛ فخرج مـن تلك الليلة معظم أهـل مصر ، البعض لبلاد الصعـيد ، والبعض لجهة الشرق ، وهم الأكثـر ، وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لايقدر عـلى الحركة ممتثلا للقضاء، متوقعًا للمكروه ، وذلك لعدم قدرته، وقلة ذات يده ، وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ، ويصرفه عليهم فى الغُرْبَةِ ، فاستسلم للمقدور ، ولله عاقبة الأمور ؛ والذى أزعج قلـوب الناس وَهَيَّجَهُم على الترحال بـالأكثر ، أَنَّهُ فى عشاء تلك الـليلة شاع فى الناس أن الـفرنج عدواً إلى بولاق وأحرقوها ، وكذلـك الجيزة ، وأنَّ أولهم وصل إلى باب الحديد ، يحـرقون ويقتلون ويفجرون بالنسـاء ، وكان السبب فى هذه الإشـاعة أن بعـض الغليونجية من عسكـر مراد بيك الذين كانوا فى الغـليون بمرساة إنبابة ، لما تحقق الـكسرة أضرم النار فى الغليون الذى هو فيـه ، وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير من قبـالة قصره ليصحبه معه إلى جهة قبلى فمشوا به قليلا ، ووقف لقلة الماء فى الطين ، وكان / به عدة وافرة من آلات الحرب / ٢١أ

(١) العادلية : القبة التى بناها السلطان الملك العادل طومـان باى ، فوق تربته التى عرفت بالعادلية ، ولاتزال باقية على يسار شـارع صـلاح سالم وعليها تاريـخ تأسيسها ٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م . أنظر : الدمـرداشى ، أحمد ، الدرة المصانة ، تحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمن ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٩ م ، ص ٦ .

والجبخانة ، فأمر بحرقه أيضًا ، فصعد لهيبه إلى عنان السماء ، فلما عاين الناس بالمدينة لهيب النار من ناحية الجيزة ، وبولاق ظنوا ، بل أيقنوا أنهم حرقوا البلدين ، فماجوا واضطربوا زيادة عما هم عليه من الفزع والروع والجزع ، وخرج أعيان الناس ، وأفندية الوجاقات . وأكابرهم ، ونقيب الأشراف ، وبعض المشايخ القادرين ، فَلَمَّا عَايَنَ العَامةُ والرَّعيَّةُ ذلك ، اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم ، والحال أن الجميع لايدرون أى طريق يسلكون ، وأى جهة يذهبون ، وأى محل به يستقرون ، فتلاحقوا وتسابقوا ، وخرجوا من كل حدب ينسلون ، وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه ، وخرج أكثرهم ماشيًا أو حاملاً متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ، وَمَنْ قَدرَ عَلَى مَرْكُوب أَرْكَبَ زوجته أو ابنته ، ومشى هو على أقدامه ، وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات ، وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد [1] وصبحها ، وأخذ كل إنسانٍ مَا قَدرَ على حمله من مال ومتاع .

فَلَمَّا خرجوا من أبواب البلد ، وتوسطوا الفلاة ، تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم ، بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر عورته ، أو يسد جوعته ، فكان ما أخذته العرب شيئًا كثيرًا يَفُوتُ عن الحصر ، بحيث أنَّ الأموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك اللّيلة أضعاف ما بقى بها بلا شك ، لأنَّ مُعْظَمَ الأموال عند الأمراء والأعيان ، وحريمهم ، وقد أخذوه صحبتهم وغالب مساتير الناس وأصحاب القدرة خرجوا أيضًا بما عندهم ؛ والذى أقعده / العجز ، /٢١ب وكان عنده ما يَعِزُّ عليه من مال أو متاع أعطاه لجاره أو صديقه الراحل ، ومثل ذلك أمانات وودائع للحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه ، وربما قتلوا من قدروا عليه ، أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وعروا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والأعيان ، فمنهم من رجع من قريب ، وهم الذين تأخروا فى الخروج ، وبلغهم ما حصل للسابقين ، ومنهم من جازف مُتَّكلاً على كثرته وعزوته وخفارته فسلم أو عطب ، وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة ، جرى فيها مالم يتفق مثله بمصر ، ولا سمعنا بما يشابه بعضه فى تواريخ المتقدمين ، وما راءٍ كَمَنْ سَمِعَ .

ولما أصبح يوم الأحد المذكور [2] ، والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ، ومتوقعون

---

(١) ٨ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٢ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) ٨ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٢ يوليه ١٧٩٨ م .

حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين ، وهم فى أسوأ حال من العرى والفزع ، فتبين أن الفرنج لم يُعَدُّوا إلى البر الشرقى وأن الحريق كان فى المراكب المتقدم ذكرها ؛ فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتَشَاوَرُوا ، فاتفق رأيهم على أنْ يُرْسِلُوا مراسلةً إلى الفرنج ، وينتظروا ما يكون من جوابهم ؛ ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم وآخر صحبته ، فَغَابَا وَعَادَا وأَخْبَرَا أنهمَا قَابَلاَ كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانه ، ومضمونها الاستفهام عن قصدهم ، فقال على لسان الترجمان : « وأين عظماؤكم ومشايخكم ؟ ، لمَ تأخروا عن الحضور إلينا ، لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة ؟ » ، وَطَمَّنَهُم وَبَشّ فى وجوههم ، فقالوا : « نريد أَمَانًا منكم » ؛ فقال لقد أرسلنا لكم سابقًا يعنون الكتاب المذكور ، فقالوا : « وأيضًا لأجل اطمئنان الناس » ، فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها : « من معسكر الجيزة خطابًا لأهل مصر ، إِنَّنَا أَرْسَلْنَا لكم فى السابق / كتابًا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم أننا لَمْ حضرنا إلا بقصد إزالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذوا مال التجار ومال السلطان ، ولما حضرنا إلى البر الغربى ، خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقون ، وقتلنا بعضهم ، وأسرنا بعضهم عندنا ، وهرب بعضهم ، ونحن فى طلبهم ، حتى لم يبق منهم أحد بالقطر المصرى .

/ ٢٢أ

وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونوا مطمئنين ، وفى مساكنهم مرتاحين إلى آخر ما ذكر .

ثم قال لهم : « لازم أنَّ المشايخَ والشرباجية يأتون إلينا ؛ لنرتب منهم ديوانًا ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » [١] .

ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب : الشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ سليمان الفيومى ، وآخرون ، إلى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم ، وقال : « أنتم المشايخ الكبار ؟ » ، فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا ؛ فقال : « لأى شيء يخافون ؟ ، اكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديوانًا لأجل الراحة » ، فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان ، ثم انفصلوا من عندهم بعد العشاء ، وبقى الناس فى وَجَلٍ وَخَوْفٍ على غيابهم ، وأصبحوا فأرسلوا الأمانات إلى المشايخ ، فحضر : الشيخ السادات ، والشيخ الشرقاوى ، ومن انضم إليهما مِنَ الناسِ الفارينِ

(١) أى يشتركون فى إدارة أمور الرعايا .

من ناحية المطرية [1] ؛ وأما عمر أفندى نقيب الأشراف ، فإنّه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجى [2] ، والأفندية [3] .

وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية [4] ، وأوباش الناس [5] ، ونَهَبُوا بَيْتَ إبراهيم بيك ، ومراد بيك بقيسون [6] وأحرقوه ، ونهبوا أيضًا عدة بيوت من بيوت الأمراء ، وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان .

٢٢ب/ وفى يوم الثلاثاء [7] ، عَدَّت الفرنسيس / إلى بَرِّ مصر ، وسكن بونابرت ببيت محمد بيك الألفى بالأزبكية بخط الساكت [8] ، وكان عَمَّرَهُ محمد بيك المذكور سنة تاريخه[9] ، وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظيمة ، وفرشه بالفرش الفاخرة ، وعند تمامه وسكناه فيه ، حصلت هذه الحادثة ، فأخلوه وتركوه بما فيه ، فكأنه كان يبنيه للفرنسيس ، وكذلك حصل فى بيت حسن كاسف جركس بالناصرية [10] .

وفى يوم الخميس ثالث عشر صفر [11] ، طلبوا المشايخ ، والوجاقلية ، عند

---

(١) المطرية : قرية قديمة ، كانت ضاحية من ضواحى القاهرة ، والآن تشكل حيًا من أحياء القاهرة . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١١ .

(٢) الروزنامجى : فارسية « روز » بمعنى : يوم ، و « نامه » كتاب أو دفتر ، و « جى » ، تدل على النسب إلى الصنعة أى « كاتب اليومية » ، وهو من كبار الأفندية ، وكان يرأس ديوان المالية ، الذى كان يجبى الضرائب ، ويتولى الإنفاق على الجهات الحكومية وغيرها . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١١٧ - ١١٨ .

(٣) الأفندية : مفردها « أفندى Efendis » يونانية ، وتعنى « السيد العظيم » ، واستعملها العثمانيون لقبًا لبعض كبار الموظفين ، ولقبًا للأمراء أولاد السلاطين ، وأطلقت على مشايخ الإسلام ، ولُقِّبَ بها الضباط حتى رتبة الكبابشى ، وفى اللغة العربية أطلقت على الكاتب الموظف فى الدولة . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢٣ .

(٤) الجعيدية : الفئات التى تميل إلى الإعتداء على الغير وإثارة الفتنة .

(٥) أوباش الناس : أسافل الناس ورعاعهم .

(٦) قيسون : يقع بحارة درب الأغوات ، شارع السروجية ، حيث تتصل هذه الحارة بعطفتى قيسون المتصلتين بشارع محمد على ، وبها جامع قوصون الذى اخذ بعضه فى شارع محمد على . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .

(٧) ١٠ صَفر ١٢١٣ هـ / ٢٤ يوليه ١٧٩٨ م .

(٨) خط الساكت : شارع بمنطقة الأزبكية .

(٩) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .

(١٠) الناصرية : شارع يمتد من آخر سويقة السباعين ، وينتهى لشارع الكومى ، وسكة القصر العالى ، وطوله خمسمائة وثمانون مترا . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨.

(١١) ١٣ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٧ يوليه ١٧٩٨ م . والصواب ١٢ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٦ يوليه ١٧٩٨ م .

بعض رؤسائهم ، وَعَيَّنُوا عَشْرَةَ أنفارٍ من المشايخ للديوان ، وهم : الشيخ عبدالله الشرقاوى، والشيخ خليل البكرى ، والشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ موسى السرسى ، والسيد مصطفى الدمنهورى ، والشيخ أحمد العريشى ، والشيخ يوسف الشبراخيتى ، والشيخ محمد الدواخلى ؛ وحضر ذلك المجلس أيضًا : مصطفى بيك كتخدا الباشا، والقاضى ، وَعَمَلُوا : محمد أغا المسلمانى ، أغاة مستحفظان[1] ، وعلى أغا الشعراوى ، زعيم مصر[2] ، وحسن أغا محرم أمين احتساب [3] وذلك بإشارة أرباب الديوان ، فإنهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك ، فَعَرَّفُوهُم أَنَّ سَوَقَةَ مصر لايخافون إلا من الأتراك ، ولايحكمهم سواهم ، وهؤلاء الجماعة من أرباب البيوت القديمة ، وَقَلَّدُوا زين الفقار كتخدا، ومحمد بيك الألفى كتخدا بونابرت؛ ومن أرباب المشورة : موسى كافوا[4] وكلوى الفرنساويَّان [5]، ووكيل الديوان حنا بينو .

وفيه[6] اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه ، فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت ، فقالوا له : « هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس » ، فقال : « لأى شىء يفعلون ذلك ، وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم على متاع المماليك ؟ » ، فقالوا : « هذا الأمر لاقدرة لنا على منعه ، وإنما ذلك من وظيفة الحكام » ، فأمروا الوالى والأغا ، /٢٣أ بأن ينادوا / بالأمان ، وفتح الدكاكين والأسواق ، والمنع من النهب ، فلم يستمعوا ولم ينتهوا ، واستمرت الدكاكين مغلقة والأسواق على حالها مقفرة ، والناس غير مطمئنين وقلوبهم مرقرقة ، وصدورهم ضيقة ، والتفت جماعة الفرنسيس إلى فتح البيوت التى للأمراء ، فصاروا يفتحون الدار ويدخلونها ويأخذون منها ما يليق بخاطرهم ، ويخرجون ويتركون الأبواب مفتحة ، فيدخل بعدهم طائفة الجعيدية ، وَيَسْتَأْصِلُون الباقى ؛ واستمروا على ذلك عدة أيام ، ثم إنهم تتبعوا بيوت الأمراء

---

(١) اغاة مستحفظان : هو أغاة الإنكشارية ، وقد أصبحت لـه الصدارة على قواد بقية الأوجاقات ، فهو قائد جميع الفرق ، ورئيس قوات حفظ الأمن فى القاهرة وضواحيها أحمد ، ليلى عبد اللطيف ، الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ م ، ص ٢٢٩.

(٢) زعيم مصر : أنظر ، ص٢٢ ، حاشية رقم (١) .

(٣) أمين إحتساب : نظام الحسبة نظام إسلامى ، وكان أمين الإحتساب فى العصر العثمانى ، يقوم بمراقبة الأوزان والمقاييس والأسعار فى الأسواق حيث تباع المواد الغذائية ، وكان يفتش على المخالفين للتسعيرة أو الآداب العامة، وينزل بهم العقاب المناسب . أحمد ، ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ - ٢٣٨ .

(٤) كافوا ، وصحة الإسم « كاف Caffe » ، تاجر فرنسى .

(٥) بالأصل « الفرنساويين » صوبت .

(٦) ١٢ صفر ١٢١٣ هـ/ ٢٦ يوليه ١٧٩٨ م .

وأتباعهم ، وختموا على بعضها ، وسكنوا بعضها ، فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية ، أو من أهل البلد يعلق له بيرقًا على باب داره ، ويأخذ له ورقة من الفرنسيس ، لايعرف ما فيها ، ويلصقها على بابه.

وفيه[1] قَلَّدُوا برطلمين العسكرى الرومى النصرانى ، وهو الذى تسميه العامة فَرَطَ الرُّمَّانِ جعلوه كتخدا مستحفظان . والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر ، وكان طُوبْجِيًّا عند محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسكى[2] ، يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة ، فلما قلدوه المنصب نزل بموكب من بيت بونابرت وراكب فرسًا بقلاعية ، وأمامه عدة وافرة من طوائف الأجناد البطالين مشاة بين يديه ، وعلى رأسه خشيشة[3] من الحرير ، ولابس فروة بزعارة [4] ، وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة ، ورتب له بيوك باشى [5] وقلقات[6]، عينوا لهم مراكز بأخطاط المدينة ، يجلسون بها ، وسكن اللعين المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين [7] ، واحتوى عليه بما فيه من فرش ومتاع وجوارى وغير / ذلك ، وقلدوا إفرنجيًا آخر ، وجعلوه أمين البحرين [8] ، وآخر جعلوه أغاة الرسالة [9]، وجعلوا الديوان ببيت قائد أغا بالأزبكية ، بالقرب من الرويعى [10] ، وسكن به رئيس الديوان ، وسكن دبوى [11] ، قائم مقام مصر ببيت

٢٣ب/

---

(١) ١٢ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٦ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) خط الموسكى : شارع أوله من آخر شارع السكة الجديدة من عند قنطرة الموسكى ، وآخره شارع العتبة الخضراء . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠٩ .

(٣) خشيشة : غطاء يوضع على الرأس أشبه بالكوفية ، أو الشال الصغير .

(٤) زعارة : أى فروة بها خصل شعر أو ريش .

(٥) بيوك باشى : أى بكباشى .

(٦) قُلَّقات : مفردها « قُلُّق » تركية تعنى العبد ، ولما كان عبيد الباب هم « حرسه » ، فقد صارت القللق بمعنى دار الحراسة ، ومكان إقامة الحرس ، وتعنى فى النص الشرطة المكلفة بالحراسة ، وأحيانا تفهم بمعنى الحراس. سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٧) حارة عابدين : حارة تقع على يمين المار ، بشارع الكردى ، مبارك ، على ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .

(٨) أمين البحرين : أى مدير جمركَىْ بولاق ومصر القديمة .

(٩) أغاة الرسالة : أى الأغا المسئول عن الرسائل .

(١٠) الرويعى . شارع يبتدئ من أول شارع البكرية ، وينتهى لشارع وش البركة ، وطوله مائة وأربعون مترا . مبارك، على ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠٣ .

(١١) دبوى Dupuy أحد قادة الحملة عينه بونابرت حاكما للقاهرة .

إبراهيم بيك الوالى على بركة الفيل[1] ، وسكن شيخ البلد ببيت إبراهيم بيك الكبير ، ومجلون [2] سكن ببيت مراد بيك على رصيف الخشاب[3] ، والرزنامجى سكن ببيت الشيخ البكرى القديم ، ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وطلبوا الدفاتر من الكتبة ، وكذلك قلدوا دفتر دارًا[4] إفرنجيًا .

ثم إن عساكرهم صارت تدخل إلى المدينة شيئًا فشيئًا ، حتى امتلأت منهم الطرقات ، وسكنوا فى البيوت وجافت منهم الحارات ، ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ، وهذه من أعظم المكايد لأجل إضلال عقول العامة ، وانهمكوا على أنواع المأكولات مثل الكلاب السعرانين ، فَفَجَّرَ السوقة وَصَغَّرُوا الخبز وطحنوه بترابه ، وباعوا البيضة بنصف فضة ، بعد أن كانوا يبيعون كل أربع بيضات بنصف ، وفتح الناس عدة دكاكين بجوارهم ، يبيعون فيها أصناف المأكولات كالفطير والكعك والسمك المقلى ، واللحوم ، والفراخ المحمرة ، وغير ذلك ، وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع المسكرات ، وعدة خمامير وقهاوى ، وطافت جماعة من النصارى فى الأسواق تبيع العرقى كسقاة الماء ، وصاروا ينادون به فى الأسواق به فى الأسواق بلغتهم ، وفحش ذلك جدًا .

وفيه[5] ، تشفع أرباب الديوان فى أسرى المماليك، فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم ، فدخلوا الجامع الأزهر ، وهم فى أسوأ حال ، وعليهم / الثياب الزرق المقطعة ، / ١٢٤أ فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ، ويتكففون المارين ، وفى ذلك عبرة للمعتبرين .

وفى يوم السبت [6] ، اجتمعوا بالديوان وَطَلَبُوا دَرَاهِمَ سُلْفَةً ، وهى مقدار خمسمائة ألف ريال من : التجار المسلمين ، والنصارى القبط ، والشوام ، وتجار الإفرنج أيضًا ؛ فسألوا التخفيف فلم يجابوا فأخذوا فى تحصيلها .

وفيه [7] ، نادوا على من أخذ شيئًا من نهب البيوت يحضر به إلى بيت قائم مقام

(١) بركة الفيل : تقع بين مصر القديمة والقاهرة ، وهى كبيرة جدًا ، بدأ حولها العمران ، فصارت مساكنها من أجمل مساكن مصر كلها . المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على ، الخطط المقريزية ، جـ ٢ ، ص ١٦١ .

(٢) مجلون Magallon كان قائما بأعمال قنصل فرنسا بالإسكندرية نيابة عن عمه ، وقابل بونابرت فى عرض البحر .

(٣) رصيف الخشاب : شارع قريب من بركة الأزبكية .

(٤) دفتردار إفرنجى : أى مسئول عن الشئون المالية فرنساوى .

(٥) ١٢ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٦ يوليه ١٧٩٨ م .

(٦) ١٤ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٨ يوليه ١٧٩٨ م .

(٧) ١٤ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٨ يوليه ١٧٩٨ م .

وإلا يحصل له مزيد الضرر ، ونادوا أيضًا على نساء الأمراء بالأمان وأنهن يسكن بيوتهن وإن كان عندهن أشياء من متاع أزواجهن يظهرنه ، فإن لم يكن عندهن شيء من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ، ويأمن فى دورهن ، فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بيك ، وصالحت على نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمائة وعشرين ألف ريال فرانسة ، وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها ، ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النساء بالوسائط ، فجمعوا شيئًا كثيرًا ، فصار الديوان عبارة عن قطع الجرائم ، وعمل المصالحات ، وَكَتْبِ أَمَانَاتٍ لِلْغُزِّ وَالأَجْنَادِ المخْتَفِين والغَائِبِينَ بالقرى ، بحضورهم ومصالحتهم عن أنفسهم ، فانتفع كثير من الوسائط المتداخلين فى ذلك ، كنصارى الشوام ، والإفرنج البلديين [1] ، وغيرهم ، فصاروا يعملون إرهاصات على الناس وتخويفات وتخيلات ، وغير ذلك مما يطول شرحه استجلابًا للأموال .

وفى يوم الأحد [2] ، طلبوا الخيول والجمال والسلاح ، فجمعوا شيئًا كثيرًا حتى الأبقار والثيران ، وَحَصَلَ فِى ذَلِكَ مِثْلَ مَا حَصَلَ فِى المُصَالَحَاتِ، وَجَمَعُوا من ذلك شيئًا كثيرًا ، وأشاعوا / التفتيش بسبب ذلك ، وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح [3] ٢٤ب/ وغيره ، وأخذوا ما وجدوه فيها من السلاح من غير ثمن . هذا وفى كل يوم ينقلون على الجمالِ والحميرِ من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك من البيوت ما لايحصى ، ويستخرجون الخَبَايَا ويأخذون البنائين ، والمهندسين ، والخدم ، الذين يعرفون بيوت أسيادهم ليدلُّوهم على محلات الخَبَايَا والدفائن .

وفيه [4] ، قَبَضُوا عَلَى شَيْخِ الجِعَيدِيَّةِ ، ومعه آخر ، وَبَنْدَقُوا عليهما ببركة الأزبكية ، ثم على آخرينَ أيضًا بالرميلة [5] ، وأحضروا شيئًا كثيرًا من المنهوبات .

وفى يوم الثلاثاء [6] ، طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق ، وَقَرَّرُوا عليهم

(١) الإفرنج البلديون : أى الذى إختلطوا بأبناء البلد وصاروا مثلهم .

(٢) ١٥ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٩ يوليه ١٧٩٨ م .

(٣) سوق السلاح : شارع يبتدئ من نهاية شارع سويقة العزى من عند حارة حلوات ، وإنتهاؤه شارع محمد على، وطوله مائتان وعشرون مترا ، وكان به فى العصر العثمانى سوق السلاح . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٢ .

(٤) ١٥ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٩ يوليه ١٧٩٨ م .

(٥) الرميلة : المنطقة التى تعرف حاليا ، بميدان صلاح الدين أو ميدان القلعة .

(٦) ١٧ صفر ١٢١٣ هـ / ٣١ يوليه ١٧٩٨ م .

جملة يعجزون عنها من المال ، ويزعمون أنها سلفة إلى ستين يومًا ، فضجوا واستغاثوا وذهبوا إلى الجامع الأزهر ، والمشهد الحسينى [1] ، واستشفعوا بالمشايخ ، فتكلموا لهم ، فأضعفوها إلى النصف ، ووسعوا لهم فى أيام المهلة .

وفيه [2] ، شرعوا فى تكسير الدروب والبوابات النافذة ، وخرج عدة متفرقة من عساكرهم يخلعون ويكسرون أبواب الدروب ، والعطف ، والحارات ، واستمروا على ذلك عدة أيام ، وعند وقوع هذه الأمور داخل الناس من الفرنسيس خوف شديد ، وتجسم عندهم الفزع ، وَغَلَبَ عليهم الوهم ، وفساد المخيلة ، وَوَسْوَسَت لهم نفوسهم بمعان نطقوا بها ، وَتَصَوَّرُوا حقيقتها ، وتناقلوها فيما بينهم ، كقولهم : « إن عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم فى صلاة الجمعة » ، ومنهم من يقول غير ذلك ، وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض اطمئنان وفتحوا بعض الدكاكين، فلما حصلت هاتان النكتتان انكمش الناس ثانيًا .

وفى عشرينه [3] ، / حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة [4] ، فذهب أَرْبَابُ الديوان إلى باش عسكر وأعلموه بذلك ، وطلبوا منه أمانًا لأمير الحاج ، فامتنع وقال : « لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتى من غير مماليك ولا عسكر ، ويكون كآحاد الناس » ؛ فقالوا له : « ومن يوصل الحجاج ؟ » فقال : « نُرسل لهم أربعة آلاف من العساكر يوصلونهم إلى مصر » ، فكتبوا لأمير الحاج مكاتبة بالملاطفة ، وأن يحضر بالحجاج إلى الدار الحمراء ، وبعد ذلك يحصل الخير ، فلم تصلهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم بك ، يطلبهم للحضور إلى جهة بلبيس [5] ، فَعَرَّجُوا على بلبيس ، وأقاموا هناك أيامًا ، وكان إبراهيم بيك وَمَنْ مَعَهُ ، ارتحل من بلبيس إلى الصوة [6] ، وأرسلوا الحريم إلى القرين [7] . /١٢٥أ

وفى ثالث عشرينه [8] ، خَرَجَت طَائِفَةٌ من العسكر الفرنساوى إلى جهة العادلية، وَصَارُوا فى كل يوم تخرج طائفة بعد أخرى يذهبون إلى جهة الشرق .

---

(١) المشهد الحسينى : أنشاه الفاطميون لرأس الإمام الحسين سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م ، بالقرب من الجامع الأزهر، ثم تحول المشهد إلى جامع الحسين الذى لايزال فى موضعه حتى الآن . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٣ - ١٩٣ .

(٢) ١٧ صفر ١٢١٣ هـ / ٣١ يوليه ١٧٩٨ م .

(٣) ٢٠ صفر ١٢١٣ هـ / ٣ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٤) العقبة : مدينة أردنية تقع على خليج العقبة .

(٥) بلبيس : انظر ، ص ١٢ ، حاشية رقم (٢) .

(٦) الصوة : قرية قديمة ، كان إسمها القديم « سوق الشتا » ، إحدى قرى مركز أبو حماد ، محافظة الشرقية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٧) القرين : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز أبو حماد ، محافظة الشرقية . نفس المرجع ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٨) ٢٣ صفر ١٢١٣ هـ / ٦ أغسطس ١٧٩٨ م .

فلما كان ليلة الأربعاء سادس عشرينه [١] ، خرج باش العسكر ، وكانت أوائلهم وصلت إلى الخانكة[٢] ، وأبو زعبل [٣] ، فطلبوا كلفة [٤] ، من أبو زعبل فامتنعوا فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ، وَنَهَبُوا البَلَدَ وأَحْرَقُوهَا وانتقلوا إلى بلبيس .

وأما الحجاج : فإنهم نزلوا بلبيس ، واكترت حُجَّاجُ الفَلاَّحِينَ مِنَ العَرَبِ فأوصلوهم إلى بلادهم من : الغربية ، والمنوفية ، والقليوبية ، وغير ذلك ، وكذلك فعل ذلك غير الفلاحين الكثير من الناس الحجاج ، فتفرقوا فى البلاد بحريمهم ، ومنهم من أقام ببلبيس .

وأما أمير الحاج : صالح بيك ، فإنه لَحِقَ بإبراهيم بيك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم .

وفى ثامن عشرينه [٥] ، ملك الفرنج مدينة بلبيس وبها من بقى من الحجاج ، فلم / يُشَوِّشُوا عليهم ، وأرسلوهم إلى مصر وصحبتهم جماعة من عساكرهم . ٢٥ب/

فلما كان ليلة الأحد غايته [٦] ، جاء الرائد إلى الأمراء بالصوّة ، وأخبرهم أن الفرنج قادمون عليهم ، فركبوا نصف النهار وترفعوا إلى جهة القرين ، وتركوا التجار وأصحاب الأثقال ، فلما طلع النهار حضر إليهم جماعة من العربان واتفقوا معهم على أن يوصلوهم إلى القرين ، وعاهدوهم أن لايخونوهم ، فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا عهدهم ، وخانوهم ، ونهبوا حمولهم ، وتقاسموا متاعهم ، وعرُّوهم من ثيابهم، وفيهم كبير التجار السيد أحمد بن المحروقى، وكان ما يخصه نحو ثلاثمائة ألف ريال فرانسة [٧] نقودًا ، ومتجرًا من جميع الأصناف الحجازية ، وصنعت العرب

(١) ٢٦ صفر ١٢١٣ هـ / ٩ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٢) الخانكة : إحدى قرى مركز شبين القناطر ، وقد أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون لتكون دارا للصوفية، يقيمون فيها لعبادة الله فى الصحراء ، وتمَّت عمارتها سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م . وهى إحدى قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٢ .

(٣) أبو زعبل : قرية قديمة ، إسمها الأصلى « القنصير » ، وردت فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، بإسمها الحالى، وهى إحدى قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(٤) كلفة : إحدى الضرائب غير الشرعية ، التى كانت تفرض على القرى فجأة ، ويجبر الفلاحون على دفعها وتحصيلها منهم .

(٥) ٢٨ صفر ١٢١٣ هـ / ١١ أغسطس ١٧٩٨ م . (٦) غاية صفر ١٢١٣ هـ / ١٢ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٧) ريال فرانسة : نقد فضى كبير ، كان موضوعا لمضاربة نقدية خطيرة ، ومع ذلك ظل مستعملا فى مصر ، كعملة أجنبية ، وراج استعماله فى فترة الحملة الفرنسية على مصر .

معهم ما لاخير فيه ، وَلَحِقَهُم عَسْكَرُ الإفرنج ، فذهب السيد أحمد المحروقى ، وَلاقَى صَارى عَسْكَر وصحبته جماعة من العرب المنافقين ، فشكا له ما حل به وبإخوانه ، فَلاَمَهُم على تنقلهم وركونهم إلى المماليك والعرب ، ثم قبض على أبو خشبة شيخ بلد القرين ، وقال له : « عَرِّفْنِى عن مكان المنهوبات » ، فقال : « أرسل معى جماعة إلى القرين » ، فأصحب معه جماعة من العسكر ، فلما دخل إلى القرين ، ومعه الجماعة ، دَلَّهم على بعض الأحمال ، فَأَخَذَهَا الإفرنْجُ وتَقَاسَمُوهَا ، ثم تبعوه إلى محل آخر ، فأوهمهم أنه يدخل ويخرج لهم أحمالا كذلك ، فدخل وخرج من مكان آخر ولم يرجع ، فرجع أولئك العسكر بحمل ونصف لا غير ، وقالوا : « هذا الذى وَجَدْنَاهُ والرَّجُل فرَّ مِنْ أَيْدِينَا » ؛ فقال صارى العسكر : « لاَبُدَّ مِنْ تَحَصْيلِ ذَلِكَ » ، فطلبوا منه الإذن فى التوجه إلى مصر ، فأصحب معهم عدة من عسكره ، أوصلوهم إلى مصر ، وهم فى أسوأ حال، وصحبتهم أيضًا جماعة من النساء اللاتى كُنَّ خَرَجْنَ ليلة الحادثة ، وهم أيضًا فى حالة / تُسْكَبُ عند مشاهدتهن العبرات، وَيَتَقَطَّعُ القَلْبُ مِنْ تَوَالِى الحَسَرَاتِ . /٢٦أ

شهر ربيع الأول [1]

فى ثانيه [2] ، وصل الإفرنج إلى نواحى القُرَيْنَ ، وكان إبراهيم بيك ومن معه وصلوا إلى الصالحية[3] ، وَأَوْدَعُوا حَمْلَتَهُم وَحَرِيمَهُم هناك ، وضمنوا عليهم العربان وبعض الجند ، فأخبر بعض العرب الإفرنج بمكان الحملة ، فركب صارى عسكر وأخذ معه الخَيَّالَة، وقصد الإغارة على الحملة ، وعلم إبراهيم بيك بذلك أيضًا ، فركب هو وصالح بيك ، وعدة من الأمراء ، والمماليك ، وتلاقوا مع الفرنسيس الخيالة الذين كانوا مع صارى عسكر وتحاربوا ساعة أشرف فيها الإفرنج على الهزيمة والدمار ، لكون خَيَّالَة الإفرنج لاقدرة لهم على قتال المماليك ، وإذا الخبر وصل إلى إبراهيم بيك بأنَّ العرب مَالُوا على الحملة وقصدهم نهبها، فرجع على أثره بمن معه، وترك قتال الفرنسيس ، ولحق بالعرب وجلاهم عن متاعه ، وقتل منهم عدة أشخاص ، وارتحل إلى قطيا [4] ، ورجع صارى عسكر الفرنسيس إلى مصر ، وترك عدة من عساكره

(١) شهر ربيع الاول ١٢١٣ هـ / ١٣ اغسطس - ١١ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٢) ٢ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٤ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٣) الصالحية : بلدة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤ هـ / ٤٦ - ١٢٤٧ م ، فى أرض السايح فى أول الرمل بين مصر والشام ، لتكون منزلة للعساكر ، عند ذهابهم للشام ، وعند عودتهم منها . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٤) قطيا : قرية اندرست ، تقع على الطريق بين مصر والشام ، بين القنطرة والعريش ، بالقرب من محطة الرمانة . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ١ ، ص ٣٥٠ .

متفرقين فى البلاد، فدخل مصر ليلا، وذلك ليلة الخميس رابعه [١] .

وفى يوم الجمعة خامسه الموافق لثلاث عشر مسرى القبطى [٢] ، كان وفاء النيل المبارك ، فأمر كبير الإفرنج بالاستعداد لذلك ، وَتَزْيِينِ العَقَبَةِ كَالْعَادَةِ ، وكذلك عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج والتنزه فى النيل ، والمقياس ، والروضة ، على عادتهم ، هذا مع ما هم عليه مما دهمهم من الفردة[٣] ، والحث فى طلبها ، ونهب البيوت وإزعاج النساء والجوارى وغيرهن ، وأخذهن وَحَبْسِهِنَّ ، وعمل المصالحات الخارجة عن الحد وَغَيْرِهَا ، وأرسل صارى عسكر أوراقًا لكتخدا الباشا والقاضى، وأرباب الديوان وأصحاب المشورة / ، ومتولى[٤] المناصب وغيرهم ، بالحضور فى صبحها ، وركب معهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره إلى قصر قنطرة السد [٥] ، وكسروا الجسر بحضرتهم ، وعملوا شنك مدافع ونفوط حتى جرى الماء فى الخليج ، وركب وهم صحبته حتى رجع إلى داره ، ولم يخرج أحد من الناس فى تلك الليلة للتنزه فى المراكب على العادة ، سوى النصارى الشوام ، والقبط ، والإفرنج ونساؤهم ، وقليل من الناس البطالين ، حضروا فى صبحها بقلوب منكسرة ، ونفوس ضعيفة .

٢٦ب/

وفيه [٦] ، تواترت الأخبار ، بحضور عدة مراكب من الإنجليز إلى ثغر الإسكندرية وحاربوا مراكب الفرنسيس بالميناء ، وكانت أشيعت هذه الأخبار من مدة أيام ، وتحدث بها الناس ، فصعب ذلك على الإفرنج ، وَشَقَّ عليهم ، وَاتَّفَقَ أَنَّ بعض النصارى الشوام ، نقل عن رجل شريف ؛ يقال له : السيد أحمد الزرو من تجار وكالة الصابون [٧] بخط الجمالية[٨] أَنَّهُ تحدث بذلك ، فأمروا بإحضاره ، وذكروا

(١) ٤ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٦ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٢) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٣ مسرى ق / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٣) الفردة : ضريبة غير شرعية تفرضها الإدارة على الرعايا عند احتياج الإدارة إلى الأموال . .

(٤) بالأصل « ومتولين » صوبت .

(٥) قنطرة السد : أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م ، على الخليج المصرى ، بالقرب من فمه ، وقد عرفت بقنطرة السد بسبب السد الترابى الذى كان يقام بجوار القنطرة ، بسبب زيادة مياه النيل وقت الفيضان ، الذى كان يفتح باحتفال رسمى ، عندما تصل الزيادة إلى ستة عشر ذراعا . زكى ، عبد الرحمن ، موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام ، الأنجلو ، ط ٨ ، ص ١٩٨٧ م ص ٢١٩ - ٢٠٠ .

(٦) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٧) وكالة الصابون : وكالة كانت متخصصة فى تجارة الصابون ، بخط الجمالية .

(٨) خط الجمالية : خط قديم من أخطاط القاهرة ، يشتمل على الخرنفش والدراسة والعطوف ، وباب الفتوح ، وبين السورين ، وخان الخليلى ، وقصر الشوك ، وفيه كثير من الآثار الإسلامية . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

له ذلك ، فأنكر ، وقال : « أنا سمعت من فلان النصرانى » ، فأحضروه أيضًا وأمروا بقطع لسانهمَا أَوْ يَدَفَعُ كُلٌّ واحد مائة ريال فرانسة ، فتشفع المشايخ فلم يقبلوا؛ فقال بعضهم : « أطلقوهم ونحن نأتيكم بالدراهم فلم يمكن ، فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى ، وأحضر مائتى ريال فرانسة ودفعهم فى الحضرة » ، فلما قبضوها ردوها إليه ، وقال : « فَرِّقُوهَا عَلَى الفُقَرَاء » ، فأظهر أَنَّهُ فَرَّقَهَا كَمَا أَشَارَ وردّها إلى صاحبها ، فانكف الناس عن التكلم فى شأن ذلك .

والواقع أن الإنجليز حضروا فى أَثَرِهِم إلى الإسكندرية ، وحاربوا مراكبهم ، فنالوا منهم ، وحرقوا قَايِقَهُم الكبير [١] المسمى بنصف الدنيا ، وكان به أموالهم وذخائرهم ، واستمر الإنجليز بمراكبهم قبالة الإسكندرية ، يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس .

/ وفى ذلك اليوم [٢] ، سافر عدة من عساكرهم إلى بحرى وإلى الشرقية ، فلما جرى الماء فى الخليج أمر بسد قنطرة الأزبكية [٣] ، ومنعوا الماء من دخوله إلى البركة بسبب وطاقهم [٤] ، ومدافعهم التى بها . /٢٧أ

وفيه [٥] ، سأل صارى عسكرى عن المولد النبوى ، ولِمَاذَا لَمْ يعملوه كعادتهم ، فاعتذر الشيخ البكرى بتوقف الأحوال ، وتعطل الأمور ، وعدم المصروف ، فلم يقبل ، وقال : « لأُبدَّ مِنْ ذَلِكَ » ، وأعطى للشيخ البكرى ثلاثمائة ريال فرانسة يستعين بها ، فعلقوا حبالاً وقناديل ، واجتمع الفرنسيس يوم المولد ولَعِبُوا وَدَقُّوا طبولهم ، وأحرقوا حراقة فى الليل ، وسواريخ تصعد فى الهواء ونفوطًا .

وفى ذلك اليوم [٦] ، ألبس الشيخ البكرى فروة وَتَقَلَّدَ نَقَابَةَ الأشراف ، ونودى فى المدينة بِأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ دَعْوَى على شريف فليرفعها للنقيب .

وفيه [٧] ، وَرَدَ الخَبَرُ بِأَنّ إبراهيم بيك والأمراء المصرية استقروا بغزة [٨] .

وفى خامس عشره [٩] ، سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنج إلى جهة الصعيد

(١) قايق : أنظر ، ص ١٨ ، حاشية رقم (٥) . (٢) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م .
(٣) قنطرة الأزبكية : قنطرة كانت مقامة ما بين الخليج وبركة الأزبكية .
(٤) وطاق : أنظر ص ٢٠ ، حاشية رقم (٦) . (٥) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م .
(٦) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م . (٧) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م .
(٨) غزة : مدينة فلسطينية قديمة تقع فى القطاع الذى عرف باسمها قطاع غزة .
(٩) ١٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٢٧ أغسطس ١٧٩٨ م .

وعليهم صارى عسكر متولى على الصعيد اسمه ديزيه [1] ، وبصحبتهم يعقوب القبطى ليدبر لهم الأمور ، ويعمل لهم أنواع المكر والخداع ويطلعهم على المخبآت ، ويصنع لهم التحيلات [2] ، فمنها : أنه كان يرسل الجماعة من الإفرنج لقبض الأموال أو طلب الكلف ، ويلبس البعض منهم ملابس العثمانيين ، ويكتب لهم التحذير من المخالفة ، ويذكر لهم أن هذا أمر سلطانى ، فيروج ذلك على كثير من أهل البلاد ، ويمتثلون الأوامر .

وفيه [3] ، حضر القاصد الذى كان أرسله الفرنج بمكاتبة وهدية إلَى أحمد باشا الجزار بعكا [4] ، وذلك عند استقرارهم بمصر ، وصحبته اثنان أو ثلاثة من نصارى الشوام فى صفة تجار ، ومعهم جانب أرز / وكان من خبرهم على ما نقل أنهم من ثغر دمياط فى مركب أحمد باشا ، فلما وصلوا إلى عكا ، وعلم بهم أحمد باشا ، أمر بذلك الإفرنجى ، فنقلوه إلى بعض النقاير[5] ، ولم يقابله ، ولم يأخذ منه شيئًا ، وأمره بالرجوع من حيث جاء ، وعوَّق عنده النصارى الشوام الذين كانوا بصحبته . ٢٧ب/

وفيه[6] ، حضر جماعة من الإفرنج إلى بيت رضوان كاشف بباب الشعرية وصحبتهم مهندس ، فانزعجت زوجته وكانت قبل ذلك بأيام صالحت على بيتها ونفسها بألف وثلاثمائة ريال ، وأخذت منهم ورقة لصقتها على باب دارها ، وردت ما كانت وزعته من الأمتعة واطمأنت ، فلما حضر إليها هؤلاء الجماعة قالت لهم : « ما تريدون ؟ ، وقد غَلَّقْتُ ما صالحتكم عليه » ، فقالوا لها : « بلغنا أن عندك أسلحة وملابس للمماليك »، فأنكرت ذلك ، فقالوا : « لازم من التفتيش » ؛ فقالت : « دُونَكُم » ، فطلعوا إلى مكان وفتحوا مخبأة ، فوجدوا بها أربعة وعشرين سروآلا من ملابس الغز ، ويلكات [7] وأمتعة وغير ذلك ، ووجدوا فى أسفلها مخبأة أخرى ، بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق والطبنجات [8] ، وصناديق بارود وغير ذلك ،

---

(١) ديزيه Desaix قائد القوات الفرنسية بالصعيد ويكتبه الجبرتى « دزه » .

(٢) التحيلات : أى الحيل لتحقيق أغراضهم .

(٣) ١٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٢٧ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٤) عكا : مدينة فلسطينية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

(٥) النقاير : مفردها « نقيرة » ، سفن كانت تستعمل فى البحر الأبيض المتوسط ، كقطع حربية صغيرة . النخيلى ، درويش ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٦) ١٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٢٧ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٧) يلكات : مفردها « يلك » لباس بلا أكمام يلبس على الصدر ، ليدفع الهواء عن الصدر ، فهو الصدار أو الصديرى . سليمان : أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٨) الطبنجات : مفردها « طبنجة » ، وتعنى البندقية الصغيرة أو المسدس . نفس المرجع ، ص ١٤٤ .

فاستخرجوا ذلك جميعه ، ثم نزلوا إلى تحت السلالم ، وفحروا الأرض ، وأخرجوا منها دراهم ، وحجاب ذهب فى داخله دنانير ، فأخذوا ذلك جميعه ، ثم أنزلوا صاحبة الدار ومعها جارية بيضاء فأخذوهما مع جواريهما السود وذهبوا بهن ، فأقمن عندهم ثلاث ليال ، ونهبوا ما وجدوه من فرش وأمتعة ، ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ، قامت بدفعها ، وأطلقوها ورجعت إلى بيتها ، وبسبب هذه الحادثة ، شددوا فى طلب الأسلحة ونادوا بذلك ، وأنهم بعد ثلاثة أيام يفتشون البيوت / وكل من وجدوا عنده سلاحًا قتلوه ؛ فخاف الناس من تفتيش البيوت ، /٢٨أ وقالوا : « هذه حيلة على نهب البيوت » ، ثم بطل ذلك .

وفى عشرينه [١] ، قَلَّدُوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على إمارة الحاج ، فحضر إلى المحكمة ، ولَبِسَ من هناك بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم بونابرته بتشهيل مهمات الحج ، وعمل محمل جديد .

وفيه [٢] ، سأل أصحاب حصص الإلتزام التصرف فى حصصهم ، فطلبوا حلوانًا زائدًا عن القانون ، فلم يرتضوا بذلك ، فواعدوهم لتمام التحرير والإملاء ، وقالوا : « كل من كان له التزام وتقسيطه ناطق باسمه يحضره » ، وعليه ففعلوا ذلك فى عدة أيام ، والحال على حاله .

وفيه قطعوا كلف [٣] ، وتفاريد [٤] ، على البلاد ، وكتبوا بذلك أوراقًا ، وذكروا فيها أنها تحسب من المال ، ورتبوا لذلك الصيارف من القبط ، نزلوا فى البلاد كالحكام ، وبلغوا أغراضهم فى المسلمين بالضرب والحبس والإهانة والتشديد فى الطلب ، والتخويف بإحضار عساكر الفرنج ، إنْ لم يدفعوا المقرر بسرعة ، وكل ذلك بترتيب القبط ومكرهم .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه [٥] ، قتل الفرنسيس رجلا شريفًا من أهل الإسكندرية بالرميلة ، يقال له : السيد محمد كُرَيِّمْ ، بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء وسكون الميم .

---

(١) ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٢) ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٣) كلف : انظر ، ص ٢٠ ، حاشية رقم (٣) .

(٤) تفاريد : مفردها « تفريدة » ، ضريبة غير شرعية ، كانت تفرض على القرى ويجبر الفلاحون على دفعها ، وتحصل منهم قسرًا .

(٥) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

وخبر هذا المقتول أنه كان فى أول أمره قَبَّانيًا يـزن البضائع فى حانوت بـالثغر ، وعنده خفة فى الحركة وتَوَدُّدٌ فى المعاشرة ، فلـم يزل يتقرب إلى الناس بحسن الود ، ويستجلب خواطـر حواشى الدولة ، وغيرهم من تجار المسلـمين والنصارى ، ومن له وجاهــة وشـهرة فـى أبنـاء جنسه ، حتـى أحبه النـاس ، واشتـهر ذكـره فى ثـغر الإسـكندريـة ، ورشيد ، ومصـر / ، واتصـل بصـالح بيك حـين كان وكيلاً لدار السـعادة [1] ، وله الكـلمـة النافـذة فى ثغر رشيـد ، وتملكهَا وضواحيـهَا ، واسترق أهلهَا ، وَقَلَّدَ أمـرهَا لعثمـان خجا [2] ، فاتحد بـه وبمخدومه السـيد محمـد المذكور ، واتصل بمـراد بيك ، فتقرب إلـيه ، ووافق منه الـغرض ، ورفع شأنه علـى أقرانه ، وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر [3] ، ونفذت أحكامه ، وتـصدر لغالب الأمور ، وزاد فى المكوسات[4] والجمارك ، ومصادرات التجار ، خصوصًا الإفرنج ، ووقع بينه وبين السيد أحمد أبو شهبة ، الحادثة التى أوجـبت له الاختفاء بالصهريج وموته فيه . فلمـا حضر الفـرنسيس ، ونـزلوا الإسكنـدرية قبضـوا على السـيد محمـد المذكور ، وطالبوه بالمـال ، وضيقوا عليه وحبسـوه فى مركب ، ولما حضروا إلى مـصر وطلعوا إلى قصـر مراد بيك ، وجدوا مـكاتبيه إلـيه فى مجـلس مراد بيك ، وفـيها مطالـعته بأخبارهم ، وبـالحث والاجتهاد على حربهم وتـهوين أمرهم ، فاشتد غيظـهم عليه، وأرسـلوا فأحـضـروه إلى مصر وحبسـوه ، فتشفع فيه أرباب الديـوان عدة مرار فلم يمكن ، إلى أن كانت ليلة الخميس [5] ، حضـر إليه مجلون [6] الملعـون ، وقال له : « المطلوب منك كذا وكذا من المال ، قدر يعجز عنه ، وأَجَّلَهُ إثنتى عشرة ساعة، وإلاَّ يقتل بعد مضيها ، إنْ لم يدفع .

فلما أصبح ، أرسل إلى المشايـخ ، وإلى السيد أحمد المحروقى [7] ، فحضر إليه بعـضهم ، وترجـاهم وتدخل عـليهم ، واسـتغاث وصار ، يـقول : « اشترونـى يا مسلمين » ، وليس بيدهم ما يفتدونه به ، وكل إنسان مشغول بنفسه ، ومتوقع لشىء يصيبه ، فلما كان قريب الظهر ، وقـد انقضى الأجل ، أركبوه حمارًا واحتاط به عدة من العسكر ، وبأيديهم السيوف المسلولة ، ويقدمهم طبلهم يضربون عليه ، وشقوا به

٢٨ب/

---

(١) دار السعادة : اسم يطلق على مَقَرّ دار الحكم ، وعلى القصر السلطانى المخصص للجوارى .

(٢) عثمان خجـا : أسره الفرنسيون بالإسكندرية عندما انتصروا على الجيش العثمانى بقيادة مصطفى باشا ، فى معركة أبو قير البحرية ، وأمر بونابرت بقتله .

(٣) الثغر : اى ديوان الجمارك بالإسكندرية .

(٤) المكوسات : جمع مكس ، ضريبة ، وقيمة الجمرك .

(٥) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٦) مجلون : أنظر ، ص ٤١ ، حاشية رقم (٢) .

(٧) السيد أحمد المحروقى : كان من كبار تجار القاهرة ، وشغل منصب شاه بندر التجار .

/ ٢٩أ الصليبة [١] / إلى أن ذهبوا إلى الرميلة ، وكتفوه وربطوه مشبوحًا ، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلوه ، ثم قطعوا رأسه ورفعوها على نبوت ، وطافوا بها جهات الرميلة ، والمنادى يقول : « هذا جزاء من يخالف على الفرنسيس » ؛ ثم إنَّ أتباعه أخذوا رأسه ودفنوها مع جثته ، وانقضى أمره .

وفيه [٢] ، طلب صارى عسكر بونابرته المشايخ ، فلما استقروا عنده نهض بونابرته من المجلس ، ورجع وبيده طيلسانات [٣] ملونة بثلاثة ألوان ، كل طيلسان: أبيض ، وأحمر ، وكحلى ، فوضع منهم واحدًا على كتف الشيخ الشرقاوى ، فرمى به إلى الأرض ، واستعفى وتغير لونه ، فقال الترجمان : « يا مشايخ أنتم صرتم أحباب صارى عسكر ، وهو قصده تعظيمكم وتشريفكم بزِيِّه وَعَلاَمَته ، فإنكم إذَا تميَّزتُم بذلك ، عظمتكم العساكر والناس ، وصار لكم منزلة فى قلوبهم » ؛ فقالوا له : « لكن قدرنا ينحط عند الله وعند إخواننا المسلمين » ، فاغتاظ لذلك ، ورطن بلسانه ، وبلغ عنه بعض التراجمين أنه ، قال عن الشيخ عبدالله : « هذا لايصلح للرياسة ونحو ذلك » ، فلاطفوه بقية الجماعة واستعفوه من تلك الشالات ، فقال : « إن لم يكن ذلك فلازم من وضعكم الجوكار فى صدوركم، وهى العلامة التى يقال لها: الوردة، فقالوا: « أمهلونا حتى نتروى فى ذلك »، واتفقوا على اثنى عشر يومًا.

وفى ذلك الوقت ، حضر الشيخ السادات باستدعاء ، فصادفهم منصرفين ، فلما استقر به الجلوس بش إليه وضحك له صارى عسكر ، وتملق بين يديه بلطيف القول الذى يُعَرِّبُهُ الترجمان ، وصار يُقَبِّلُ يَدَهُ تَارَةً وَرُكْبَتَهُ أُخْرَى ، ويظهر له المحبة والصداقة ؛ وأهدى له خاتمًا الماسًا ، وكلَّفه للحضور عنده من الغد ، وقام وانصرف .

/ ٢٩ب / وفى ذلك اليوم [٤] ، نادى جماعة القلقات على الناس ، بوضع العلامات المعروفة بالوردة ، وهى عبارة عن ظهور أمارة الطاعة والمحبة عندهم ، فأنف غالب

---

(١) الصليبة : شارع يبتدئ من جهة المنشية ، وينتهى إلى أول شارع حدرة الحناء قبالة حارة بئر الوطاويط ، وبه عدة عطف وحارات ودروب . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٢) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٣) طيلسانات : نوع من الخِمَارِ الذى يطرح على الرأس والكتفين ، أو على الكتفين فقط ، وهو خاص بالفقراء أو بأساتذة الفقه والشريعة . دوزى ، رينهات ، العجم المفضل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : أكرم فاضل، وزارة الإعلام ، العراق ، (د. ت) ، ص ١٢٩ .

(٤) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

الناس من ذلك ، وبعضهم رأى أن ذلك لايخل بالدين، إذ هو مكروه ، ويترتب على عدم الامتثال مزيد الضرر فوضعها .

ثم فى عصر ذلك اليوم [١] ، نادوا بإبطالها من العامة ، وألزموا بعض الأعيان ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها إذا حضروا عندهم ، ويرفعونها إذا انفصلوا عنهم ، وذلك أيامًا قليلة ، وحصل ما يأتى ذكره فتركت .

وفى أواخره [٢] ، شرع الفرنسيس فى عمل عيد لهم ببركة الأزبكية ، وسبب هذا العيد أنهم لما قتلوا سلطانهم ، وظهرت بدعتهم التى ابتكروها ، وخرجوا بها عن الطريق والملل ، جعلوا ذلك اليوم عيدًا وتاريخًا ، وهو موافق للاعتدال الخريفى ، وهو انتقال الشمس لبرج الميزان[٣] ، فنقلوا أخشابًا ، وحفروا حفرًا ، وأقاموا صاريًا عظيمًا بالآلات ، وبنى بوسط بركة الأزبكية ، وردموا حوله ترابًا كثيرًا عاليًا مقدار قامة ، وعملوا فى أعلاه قالبًا من الخشب مجدداً لأعلى ، مربع الأركان ، ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشًا ثخينًا طلوه بالحمرة المجزعة ، وعملوا أسفله قاعدة ، نقشوا عليها تصاوير سواد فى بياض ، وصنعوا مقابل باب الهوا [٤] شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مُقَفَّص ، وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارى ، وفى أعلى القوصرة طلاء أبيض وبه تصاوير بالأسود ، مصور فيه مثال حرب المماليك المصرية معهم ، وهم فى شبه المنهزمين بعضهم واقع على بعض ، وبعضهم ملتفت خلف ظهره ، وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى ، بناحية قنطرة الدكة [٥] ، التى / ٣٠ أ/ يدخل منها الماء إلى البركة ، مثال بوابة أخرى على غير شكلها لحراقة البَارُود ، وأقاموا أخشابًا كثيرة منتصبة مصطفة منها إلى البوابة الأخرى ، شبه الدائرة متسعة محيطة بمعظم فضاء البركة ، بحيث صار الصارى الكبير فى المركز ، وربطوا بين تلك الأخشاب حبالا ممتدة ، وعلقوا بها صفين من القناديل ، وتماثيل بين ذلك لحراقة البارود أيضًا ؛ وأقاموا فى هذا العبث عدة أيام .

(١) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٦ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٢) اخر ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١١ سبتمبر ١٧٩٨ م .
(٣) برج الميزان : البرج السابع ، انظر ، ص ١ ، حاشية رقم (٢) .
(٤) باب الهوا : باب كان يطل على بركة ، الازبكية .
(٥) قنطرة الدكة : كانت تقع على خليج الذكر ، عرفت بقنطرة الأمير بدر الدين التركمانى الذى عمرها ، وعرفت بقنطرة الدكة لوجود دكة عندها يجلس عليها الحراس أو الخفر . زكى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

شهر ربيع الثانى [1]

استهل بيوم الأربعاء [2] ، فيه [3] ، وردت الأخبار بأن مراد بيك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم ، رجعوا إلى جهة الفيوم ، وأن عثمان بك الأشقر عدَّى إلى البر الشرقى ، وذهب من خلف الجبل إلى عند سيده بغزة ، وخرج جماعة من الإفرنج إلى جهة الشرق ، ومعهم عدة جمَّال وأحمال ، فَخَرَجَ عليهم الغز والعرب الذين يَصْحَبُونَهم فأخذوا منهم عِدَّة جمال بأحمالهم ، ولم يَلْحَقُوهُم .

وفى ثالثه [4] ، حضرت المكاتبة من إبراهيم بيك خطابًا للمشايخ وغيرهم ، مضمونها : أَنْ تَكُونُوا مطمئنين ومحافظين على أنفسكم والرعية ، وأَنَّ حضرة مولانا السلطان وَجَّهَ لنا عساكر ، وإن شاء الله عن قريب نحضر عندكم .

فلما وردت تلك المكاتبة ، وقد كان سأل عنها بونابرته ، فأرسلوها له ، وقرئت عليه ، فقال : « المماليك كَذَّابُون » ، ووافق أيضًا أنه حضر أغا رومى كان معوقًا بالإسكندرية ، فمرّ بالشارع ، وذهب لزيارة المشهد الحسينى ، فشاهده الناس ، فاستغربوا هيئته، وفرحوا برؤيته ، وقالوا: « هذا أبجىْ حضر من عند مولانا السلطان بجواب للفرنسيس يأمرهم بالخروج من مصر » ، واختلفت رواياتهم / وآراؤهم ، / ٣٠ب وتجمعوا بالمشهد الحسينى ، وتبع بعضهم بعضًا ، وصادف أن بونابرته فى ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس ، أنه ورد مكتوب إلى المشايخ أيضًا وأخفوه ، فركب من فوره وحضر إلى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسينى ، فلما مر بعسكره وطوائفه فى ذلك الوقت ، ورآه الناس المتجمعة بخط المشهد الحسينى ، وشاهد الآخر جمعيتهم ، تحقق الناس ما توهموه، وداخل الفرنسيس أمر من ذلك أيضًا ، وعندما رأى العامة بونابرته خارجًا من بيت الشيخ السادات راكبًا على فرسه ، وخلفه الخيالة بأيديها السيوف المسلولة كعادتهم ، صاحوا بأجمعهم ، وقالوا : « الفاتحة بصوت عال » ، فشخص إليهم ، وصار يسأل من معه عن ازدحامهم وصياحهم فلطفوا له القول ، وكان لما دخل دار الشيخ السادات ، نزل إليه الشيخ ، وواجهه بعد ما انزعج هو وعياله لورود هؤلاء عليهم فى وقت القائلة ، على حين غفلة ، فلما استقر به الجلوس ، سأل عن تلك المراسلة ، فأجابه بعدم علمه بشىء من ذلك ، فألح عليه فحلف له وتنصل ، فلم يصدق ، وقال له : « لعلَّه وصل إلى غيرك » ، فأحضروا

---

(١) شهر ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١٢ سبتمبر - ١٠ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٢) ١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١٢ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٣) ١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١٢ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٤) ٣ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٥) ٣ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م .

الشيخ الشرقاوى ، وبعض المشايخ ، فجحدوا ذلك ، ثم قام فركب وذهب إلى داره ، وكانت نكتة غريبة ، وساعة اتفاقية عجيبة ، كاد ينشأ منها فتنة لولا ألطاف الله تعالى .

وفيه [1] ، شرعوا فى خلع البوابات والدروب غير النافذة أيضًا ، ونقلوها إلى بركة الأزبكية ، لأنهم جمعوا ما قلعوه من البوابات عند رصيف الخشاب ، والبوابة العظيمة يقطعونها نصفين ، ويرفعونها بالعتالين إلى هناك ، فاجتمع من ذلك شىء كثير جدًا ، وامتلأت من رصيف الخشاب إلى وسط البركة .

٣١ أ/ / وفى يوم السبت حادى عشره[2] ، كان يوم عيدهم الموعود به ، فضربوا فى صبيحة ذلك اليوم مدافع كثيرة ، ووضعوا على كل قائم بنديرة[1] ، من بنديراتهم الملونة ، وضربوا طبولهم ، واجتمعت عساكرهم بالبركة ، الخيالة والرجالة ، واصطفوا صفوفًا على طرائقهم المعروفة بينهم ، ودعوا المشايخ ، وأعيان المسلمين ، والقبطة ، والشوام ؛ فاجتمعوا ببيت كبيرهم ، وصارى عسكرهم بونابرته ، وجلسوا حصة من النهار ، ولبس النصارى من القبط والشوام ملابس الافتخار ، فلبس جرجس الجوهرى كركة بطرز قصب [1] ، على أكتافها إلى أكمامها ، وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار ، وكذلك فلتيوس ، وتعمموا بعمائم كشميرى ، وركبوا البغال الفارهة ، واظهروا البشر والسرور فى ذلك اليوم إلى الغاية ، ثم نزل عظماؤهم ، وصحبتهم المشايخ والقاضى ، وكتخدا الباشا ، فركبوا وذهبوا للصارى الكبير الموضوع بوسط الأزبكية ، وكانوا فرشوا فى أسفله بسطًا كثيرة .

ثم إن العساكر لعبوا ميادينهم ، وعملوا هيئة حربهم وضربوا البندق والمدافع .

فلما انقضى ذلك ، اصطفت العساكر صفوفًا حول ذلك الصارى ، وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم لايدرى معناها إلا أهلها ، ولعلها كالوصية والنصيحة أو الوعظ ، ثم قاموا وانفض الجمع ، ورجع صارى عسكر إلى داره ، فمدّ سماطًا عظيما للحاضرين .

فلما كان عند الغروب ، أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال والتماثيل والأحمال التى على البيوت ، وعند العشاء عملوا حراقة بارود وسواريخ ونفوط ، وشبه سواقى، ودواليب من نار ومدافع كثيرة ، نحو ساعتين من الليل ؛ واستمرت/ ٣١ب/ القناديل موقدة حتى طلع النهار ، ثم فكوا الأحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ،

(١) ٣ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٢) ١١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ م .

وبقيت البوابة المقابلة لباب الهواء ، والصارى الكبير ، وتحته جماعة ملازمون الإقامة عنده لـيلا ونهاراً مـــن عسـاكرهم ، لأنه شـعارهم ، وإشارة إلـى قيام دولتـهم فى زعمهم، عجل الله زوالها من جميع الأرض .

وفى ثانى ليـلة منه [١] ، ركب كبيـرهم إلى بر الجيزة ، وَسَفَّرَ عَسَاكِرَ إلـى الجهة التى بها مراد بيك ، وكذلك إلى جهة الشرقية ، ومعهم مدافع على عجل .

وفيه [٢] ، أرسل اللـعين دبوى [٣] قائم مـقام ، إلى الست نفيـسة [٤] ، وطلب زوجة عثمان بيك الجوخدار [٥] ، فأرسلت إلى المشـايخ تستغيث بهم ، فحـضر إليها المهدى والسرسى ، وقصدوا منعها فلم يمكنهم ، فذهبوا صحبتها ونظروا فى قصتها ؛ والسبـب فى طلبـتها ، أنهم وجـدوا رجلا فراشًا معه جـانب دخان وبعـض ثياب ، فقبضوا عليه وقرّروه ، فأخبر أنه تابعـها ، وأنها أعطته ذلك وواعدته بالرجوع أيضًا ، لتسلمه شبكين دخان ، وفروة ، وخمسمائة محبوب[٦] ، ليوصل ذلك جميعه لسيده، فهذا هو السبب فى طلبها ؛ فقالوا : « وأين الفراش ؟ » ، فبعثوا لإحضاره وسألوها فأنكرت ذلك بالمرة ، فـانتظروا حضور الفراش إلى بعد المغرب ، فـلم يحضر ، فقال لهم المشايخ : « دعوهـا تذهب إلى بيتها ، وفى غد تأتى ، ونحـقق هذه القضية » ، فقال الملـعون : « نونو » ومعنـاه بلغتهم النـفى أى لاتذهب ، فقالـوا : « دعها هى تذهـب ، ونحـن نـبيت عـوضًا عنها » ؛ فـلم يرض أيضًا وعـالجوا فى ذلك بـقدر طاقتهـم، فلما أيسوا تـركوها ومضوا ، فبـاتت عندهم فى جـهة من البيت ، ومـعها جماعة من النساء المسلمات والنساء الإفرنجيات .

فلما أصبح النهار [٧] ، ركب المشايخ إلـى كتخدا الباشا والقاضـى، فركبا معًا ،

---

(١) ١٢ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٢) ١١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٣) دبوى : حاكم القاهرة ، وقائم مقام بونابرت فى حكم القاهرة .

(٤) نفيسة : هى نفيسة المرادية ، زوجة مراد بيك ، وكانت مـن قبل زوجة لعلى بيك ، شركسية الأصل ، اكتسبت إحترام الجميع ، ووصـلت شهرتها إلى الأوساط الأوروبية ، وأهدتهـا حكومة فرنسا قبل الحملـة ساعة مرصعة بالماس .

(٥) الجوخدار : صاحب الجوخ والقيم عليه أو لابسه ، والجوخدار ، مـوظف غير عسكرى يناط به النظر فى ملابس السلطان فى العصر العثمانى . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٦) المحبـــوب : أو « زر محـبـوب » نقد ذهبى تركـى ، ضرب فى عهد السـلطان مصطفـى الثانى (١١٠٦ - ١١١٥ هـ / ١٦٩٤ - ١٧٠٣ م) ، وعرف بالـذهب المحبوب ، لإرتفاع عـيار ذهبه . فهمى ، عبد الرحمن فى: النقـود المتداولة أيام الجبرتـى ، فى كتاب « عبد الرحمـن الجبرتى دراسات وبحوث » إشـراف · الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٧) ١٢ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨ م .

٣٢ أ/ وذهبا إلى بيت صارى عسكر الكبير ، فأحضرها / وسلمها إلى القاضى ، ولم يثبت عليها شىء من هذه الدعوى الباطلة ، وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة ، وذهبت إلى بيت لها مجاور لبيت القاضى ، وأقامت فيه ، لتكون فى حمايته .

وفى يوم الخميس (١) ، نادوا فى الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها إلى بيت قائم مقام ببركة الفيل ، ويأخذ ثمنها ، وإن لم يحضرها بنفسه ، تؤخذ منه قهرًا ، ويدفع ثلاثمائة ريال فرانسة ، وإن أحضرها باختياره يأخذ فى ثمنها خمسين ريالا ، قلت عن قيمتها أو كثرت ، فغنم صاحب الخسيس ، وخسر صاحب النفيس، ثم ترك ذلك .

وفيه (٢) ، نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على باب كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات والقطط الميتة ، هذا مع ما هم فيه من القذارة فى بيوتهم ، وأزقة مساكنهم ، وكثرة الأتربة المسبخة ، وما يختلط بها من ريش الطيور ، ومصارين الحيوان ، وفضلات مآكلهم ، ورائحة شرابهم ، وحموضة مسكراتهم وبولهم وغائطهم ، بحيث أن المار يسد أنفه حتى يتجاوز عنهم .

وفيه (٣) ، نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم ، والخدامين والبطالين ليسافروا إلى بلادهم ، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه ، ثم كرروا المناداة بذلك ، وأَجَّلُوهُم أربعة وعشرين ساعة ، فذهب جماعة من المغاربة إلى صارى عسكر ، وقالوا : « أَرُونَا طريقًا للذهاب ، فإن طريق البر غير مسلوكة ، والإنكليز واقفون بطريق البحر ، يمنعون المسافرين ولانقدر على المقام فى الإسكندرية من الغلاء ، وعدم الماء بها » فتركهم .

٣٢ب/ وفيه (٤) ، جعلوا إبراهيم أغا / المتفرقة المعمار قبطان السويس (٥) ، وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوى ، فخرج عليهم العربان فى الطريق فنهبوهم ، وقتلوا إبراهيم أغا المذكور ومن بصحبته ، ولم يسلم منهم إلا القليل .

وفيه (٦) ، أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قايد أغا ، فأقاموا أيامًا يذهبون فلا يأتيهم أحد ، فتركوا الذهاب ، فلم يطلبوا .

(١) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٢) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .
(٣) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٤) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .
(٥) قبطان السويس : أى قائد الأسطول فى السويس . (٦) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .

وفيه [1] ، شرعوا فى ترتيب ديوان آخر ، وسمـوه محكمة القضايا [2] ، وكتبوا فى شأن ذلك طومارًا ، وشرطـوا فيه شروطًا بألفاظ يعافهَا الطبـع ، ويمجهَا السمع ، وَرَتّبُوا به ستة من القبطة ، وستة من تجار المسلمـين ، وقاضيه الكبير ملطى القبطى ، الذى كان كاتبًا عند أيـوب بيك الدفتردار ، وفوضوا إليهم القضـايا فى أمور التجار ، والعـامة ، والمواريث ، والـدعاوى ، وجعلـوا لذلك الديـوان قواعد من الخـبث ، وأساسًا من الكفر ، ودعائم من الظلم ، وأركانًا مـن البدع السيئة ، وكتبوا نسخًا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها إلى الأعيـان ، وألصقوا نسخًا فى مفارق الطرق ، ورؤوس العطف ، وأبواب المساجد ، وشرطوا فى ضـمنه شروطًا ، وفى ضمن تلك الشروط شروطًا أخر ، وذلك بتعبيراتهم الكثيفة ، وألفـاظهم السخيفة ، محصلها التَّحَيُّل على سلب أموال الناس ، ونزع ما بأيديهم من مال وعقار وميراث وغير ذلك ، كقولهم ، وما يفهم بعد الـتأمل الكثير فى عبارتهم : « بـأن أصحاب الأملاك يأتونَ بحُجَجِهم ، وَسَنَدَاتِهم الشَّاهِدَة لـسهم بالتَّمـليكِ ، فـإذَا أحضـروهَا وَبَيَّنُوا وَجْهَ تملكهم لـها ، إما بالبيع ، أو الانتقـال لهم بالإرث عن أسلافهم ، لايكتفى بذلك ، بـل يؤمر بالكشف عليـها فـــى السجلات ، ويـدفع على ذلـك الكشف دراهم بـقدر عينـوه فى ذلك الطومار ، فإن وجـد تمسكه مقيدًا بالسجـل طلب منه بعد ذلك / الثبـوت ، فإن أثبته بشهادة البينة، وقبلوها دفع مقررًا آخر على ذلك الإشهاد، وكتب بذلك تصحيحًا [3]، ثم يكتب له بـعد ذلك تمكين [4] ، وينظر بعـد ذلك فى قيمته ، ويدفع عـلى كل مائة اثنين ، فإن لم يـكن له حجة ، أو كانت ، ولم تـكن مقيدة بالسجـل ، أو مقيدة ، ولم يثبت ذلك التقييد ، فإنها تضبط لديوان الجمهور ، وتصير من حقوقهم .

/ ١٣٣أ

وهذا من أخبث التحيل على نزع الأملاك والعقارات من أيدى أربابها ، وذلك أن الناس إنما وضعوا أيديهـم على أملاكهم إما بالشراء ، أو بأيلولتـها لهم من مورثهم أو نحو ذلك ، بحجة قريبة أو بعيدة العهد ، أو لحجج أسلافهم ومورّثيهم ، فإذا طولبوا بإثبات مضمونها وسجلاتها تـعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار ، أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل ، فإن قبلت فعلت به ما ذكر .

ومـن الـشروط مقررات علـى المواريث والموتى ، ومـقاديرها مـتنوعة فى الـقلة والكثرة ، كقولهم إذا مات الميت يشاور علـيه ، ويدفعون قدرًا للمشاورة ، ويفتحون

(١) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٢) محكمة القضايا : هى المحكمة التى اختصت بالفصل فى القضايا أو المنازعات التجارية والمدنية .

(٣) التصحيح : أى أشِّرَ على التمسك بصحته . (٤) التمكين : أى سند يعطيه حق الملكية .

تركته بعد أربع وعشرين ساعة ، فإن بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان أيضًا ، ولا حق فيها للورثة ، وإن فتحت علـى الرسم بإذن من الديوان ، يدفع على ذلك الإذن مقررًا ، وكذلك على ثـبوت الورثة ، ثم عليهم بعد قبض ما يـخصهم مقرر ، وذلك بزيادة كثيرة ، وكذلك من يدعى دينًا على الميـت ليثبته بديوان الحشريات !! يدفع على إثباته مقررًا ، ويأخذ له ورقة يستلم بها دينه ، فإذا استلمه دفع المقرر الزائد .

ومثـل ذلك فى : الإلـتزام [١] ، والـرزق [٢] ، والأطيـان ، بشـروط وأنواع ، وكيـفيـة أخرى غـير ذلـك ، والهبـات ، والمبـيعـات ، والدعـاوى ، والمنـازعات ، والمشاجرات ، والإشهادات الجزئيات / والكليـات ، والمسافر كذلك لايسافر إلا بورقة ويدفع عليها مقررًا ، وكذلك المـولود إذ ولد ، ويقال له : إثبات الحياة [٣] ، وكذلك المؤجرات، وقبض أجر الأملاك وغير ذلك .

/٣٣ب

وفيه [٤] ، نادى أصحاب الدرك [٥] ، على العامة بترك الفضول والكلام فى أمور الدولة ، وإذا مر عليهـم جماعة من العسكر مجروحين أو منهـزمين لايسخرون بهم ، ولايصفقون عليهم كما هى عادتهم .

وفيه [٦] ، نهبوا أمتعة عسـكر الغليونجية الذين كانوا عسكـرًا عند الأمراء ، فنهبوا ما كان بوكالـة علي بك بساحل بولاق وبالجمـالية ، وأخذوا متاعهم ومتـاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوهم مع المماليك وهربوا معهم .

وفيه [٧] ، أحضروا مـحمد كتخـدا أبو سيف الـذى كان سردارًا [٨] بدمياط من طرف الأمراء ، وكان سابـقًا كتخدا حسن بك الجداوى ، فـلما حضر حبسوه بـالقلعة وحبسوا معه فراشًا لإبراهيم بيك .

(١) الإلتزام : نظام وضع لإدارة أراضى مصر الزراعية ، وبدأ تطبيقه سنة ١٦٥٨ م ، وهو نظام يسـير على نفس نظام التزام المقاطعات مثل الجمارك وغيرها . عبد الرحيم ، عبـد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، جامعة عين شمس ١٩٧٤ م ، ص ٧٤ - ٧٦ .

(٢) الرزق : الأراضى التى تـوهب باسم السلطان ، وهى أراضى مـعفاة من الضرائب وكان جزء كـبير من أراضى مصر رزقا أحباسية وهبها السلاطين السابقون من العصر المملوكى .

(٣) إثبات الحياة : أى إثبات أن المولود لايزال على قيد الحياة بتسجيله فى شهادة للميلاد .

(٤) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٥) أصحاب الدرك : أى الحراس المناط بهم حماية منطقة معينة ، تسمى الدرك .

(٦) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٧) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٨) سردار : فارسيـة ، « سر » بمعنى الرأس ، و « دار » بمعنـى صاحب ، والسردار ، تعنـى القائد . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ - ١٣٠ .

وفيه [١] ، أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول إلى المدينة ليسكنوا بها ، فنزلوا ، وأصعدوا إلى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع ، وهدموا بها أبنية كثيرة ، وشرعوا فى بناء حيطان وكرانك [٢] وأسوار ، وهدموا أبنية عالية وأعلوا مواطئ منخفضة ، وبنوا على بدنات [٣] باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها ، وأبدلوا محاسنها ، ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين ، وآثار الحكماء والعظماء ، وسلبوا ما كان بأبوابها العظام ، وإيواناتها [٤] الفخام ، من الأسلحة ، والدرق ، والبلط ، والخوذات [٥] ، والحراب الهندية[٦] ، وأكر الفداوية[٧] ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ، ومحاسن الملوك والسلاطين ؛ ذوات الأركان الشاهقة ، والأعمدة الباسقة ، وكذلك ما بها من المساجد ، والزوايا والمشاهد ؛ وشوَّهُوا المسجد العظيم ، والجامع المشيد الفخيم ، الذى / أنشأه صاحب المفاخر ، محمد بن قلاوون الملك الناصر [٨] ، فقلعوا منبره ، وشعثوا إيوانه ، وأخذوا أخشابه ، وزعزعوا أركانه ، وأزالوا المقصورة الحديد البديعة الإتقان ، التى كان يصلى بداخلها السلطان ؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل . / ٣٤أ

وفيه [٩] ، عينت عساكر إلى مراد بيك وذهبوا إليه ببحر يوسف .

وفى يوم الخميس سادس عشره [١٠] ، نودى بأن كل من تشاجر مع نصرانى أو يهودى ، أو تشاحن معه نصرانى أو يهودى ، يشهد أحد الخصمين على الآخر ، ويطلبه لبيت صارى عسكر .

(١) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٢) كرانك : مفردها « كرنك » ، وتعنى المتاريس .

(٣) بدنات : مفردها « بدنة » ، وتعنى جنبة الباب ، والمقصود البناء فوق جنبتى الباب .

(٤) الإيوانات : مفردها « إيوان » ، وهو المكان المتسع من القصر تحيط به ثلاثة حوائط .

(٥) الخوذات : مفردها « خوذة » ، والخوذة غطاء للرأس يستعمله الجند وقت الحرب . زكى ، عبد الرحمن ، « السلاح فى الإسلام » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ٢٣ .

(٦) الحراب الهندية : مفردها « حَرْبَةٌ » ، وهى الرمح القصير ، وهى ترمى باليد ، والحراب المستعملة هنا ، مصنوعة فى الهند ، ولذا كان وصفها بالهندية . زكى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٧) أكر فداوية : الاكر التى كانت تعلق على أبواب القصور والبيوت والأضرحة والمساجد ، لاعتقاد من يُعَلِّقُونها أنها تمنع الحسد ، وتساعدهم على قضاء حوائجهم .

(٨) جامع الملك الناصر محمد بن قلاوون : يقع بالقلعة بناه الناصر محمد بن قلاوون ، سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨م ، أصلحه السلطان قايتباى سنة ١٤٧١ ، ويحمل رقم أثر (١٤٣) . زكى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٣٣١ .

(٩) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م . (١٠) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .

وفيه [1] ، قتلوا شخصين وطافوا برؤوسهما ينادون عليهما ، ويقولون : « هذا جزاء من يأتى بمكاتيب من عند المماليك أو يذهب إليهم بمكاتيب » .

وفيه [2] ، نَبَّهُوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن : كتربة الأزبكية : والرويعى ، ولايدفنون الموتى إلا بالقرافات البعيدة ، والذى ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته فى ترب المماليك ، وإذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر [3] .

ونادوا أيضًا ، بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة ، كل ذلك خوفًا من حصول الطاعون وعدواه ، ويقولون : « إنَّ العفونة تستجن بأغوار الأرض ، فإذا دخل الشتاء وبردت الأغوار بسريان النيل والأمطار والرطوبات ، خرج ما كان مُسْتَجِنًا بالأرض من الأبخرة الفاسدة فيتعفن الهواء ويفسد ، فيحدث الوباء والطاعون » .

ومن قولهم أيضًا : « إنه إذا مرض مريض لابد من الإخبار عنه » ، فيرسلون من جهتهم حكيما للكشف عليه إن كان بالطاعون أو غيره ، ثم يرون رأيهم فيه بعد ذلك .

/٣٤ب/ وفى يوم السبت ثامن عشره [4] ، ذهب / جماعة من القواسة الذين يخدمون الفرنسيس وشرعوا فى هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأزبكية وتمهيدها بالأرض ، فشاع الخبر بذلك ، وتسامع أصحاب الترب بتلك البقعة ، فخرجوا من كل حدب ينسلون ، وأكثرهم النساء الساكنات بحارات المدابغ [5] ، وباب اللوق [6] ، وكوم الشيخ سلامة [7] ، والفوالة [8] ، والمناصرة [9] ، وقنطرة أمير

---

(١) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٢) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٣) تسفيل الحفر : أى تعميق الحفر ، وجعل الحفرة عميقة .

(٤) ١٨ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٥) حارة المدابغ : حارة غير نافذة ، تقع فى جهة اليسار من شارع الدرب المحروق . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٦) باب اللوق : يطلق على المنطقة المجاورة لجامع الطباخ المطل على بركة الشقاف ، وما يُسَامِتُهُ إلى الخليج . المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٧ .

(٧) كوم الشيخ سلامة : شارع يقع بشارع العلوة من جهة اليمين ، وطوله مائة وعشرون مترا ، وبه جامع كوم الشيخ سلامة برأس شارع الموسكى . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٢ .

(٨) حارة الفوالة : حارة تقع بشارع البكرية الذى يبتدئ من أخر شارع العتبة ، وينتهى إلى شارع مشتهر . نفس المرجع ، جـ ٣ ، ص ٣٨٧ .

(٩) حارة المناصرة : حارة تقع قريبًا من بركة الأزبكية .

حسين[1] ، وقلعة الكلاب[2] ، إلى أن صاروا كالجراد المنتشر ، ولهم صياح وضجيج ، واجتمعوا بالأزبكية ووقفوا تحت بيت صارى عسكر ، فنزل له التراجمون واعتذروا بأن صارى عسكر لا علم له بذلك الهدم ، ولم يأمر به ، وإنَّما أمر بمنع الدفن فقط ؛ فرجعوا إلى أماكنهم ، ورفع الهدم عنهم .

وفيه [3] ، كتبوا من المشايخ كتابًا ليرسلوه إلى السلطان، وآخر إلى شريف مكة، ثم إنهم بَصَمُوا مِنْهُ عدة نُسِخٍ وَلَصَقُوهَا بالطُّرُقِ والمفَارِقِ وَالأَزِقَّةِ ، وصورته ملخصًا بعد الصدر وذكر ورودهم وقتالهم مع المماليك وهروبهم ، وأن جماعة من العلماء ذهبت إليهم بالبر الغربى فَأَمَّنَهم ، وكذلك الرعية دون المماليك ، وذكر فيه : « أنه من أَخِصَّاءِ السُّلْطَانِ ، وأعدى أعدائه ، وأن السكة[4] ، والخطبة باسمه ، وشعائر الإسلام مقامة على ما هو عليه » ، وباقى الكلام الْمُمَوَّه الذى ذكروه بمعنى الكلام السابق من كذبهم وقولهم إنهم مسلمون ، ويحترمون النبى والقرآن ، وأنهم أوصلوا الحجاج المشتتين وأكرموهم ، وأركبوا الماشى ، وأطعموا الجوعان ، وسقوا الظمآن ، واعتنوا بيوم الزِّينَةِ يَومَ جَبْرِ البَحْرِ ، وعملوا له شأنًا ورونقًا استجلابًا لسرور المؤمنين ، وأنفقوا أموالاً برسم الصدقة على الفقراء ، وكذلك اعتنوا بالمولد النبوى ، وأنفقوا أموالا فى شأن انتظامه ، وعلو شأنه ، واتفق رأينا ورأيهم على / لبس / ٣٥أ حضرة الجناب المكرم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا ، والى مصر حالاً ، فاستحسنا ذلك لبقاء علاقة الدولة العلية ، وهم أيضًا مجتهدون فى إتمام مهمات الحرمين ، وأمرونا أن نعلمكم بذلك إلى آخره والسلام .

وفيه [5] ، وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات ، وهو أن رجلاً صيرفيًا بخط الجمالية بجوار حارة الجوانية[6] ، وقع من لفظه أنه ، قال : « السيد أحمد البدوى بالشرق ، والسيد إبراهيم الدسوقى بالغرب ، يقتلان كل من يمر من النصارى » ،

(١) قنطرة الأمير حسين : أنشأها الأمير سيف الدين حسين بن حيدر ، من أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، على الخليج الكبير ، ليتوصل منها إلى جامعه الذى أنشاه فى حكر جوهر النوبى ، مكانها الحالى الزاوية الشمالية الغربية بميدان أحمد ماهر . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) قلعة الكلاب : قلعة كانت قائمة على الخليج الكبير .

(٣) ١٨ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٤) السِّكَّة : العملة . (٥) ١٨ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٦) حارة الجوانية : تقع على يسار المار من حارة الشيخ الجمل ، بشارع وكالة الصابون ، ويسلك منها إلى عطفة الدير ، وهى من الحارات القديمة التى اختطها جوهر لعساكره . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ .

وكان هذا الكلام بمحضر من النصارى الشوام ، فجاوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ، ووقع بينهما التشاجر ، فقام النصرانى وذهب إلى دبوى [1] ، وأخبره بالقصة ، فأرسل فقبض على ذلك الصيرفى وحبسه وسمر حانوته ، وختم على دارين له ؛ فتشفع فيه المشايخ عدة مرار فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه إلى بيت البكرى ليؤدب هناك بالضرب ، أو يدفع خمسمائة ريال فرانسة ، فضرب فى بيت البكرى مائة سوط وأطلق سبيله ، وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين .

وفى يوم الإثنين [2] ، طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكايل فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين ، وأمروهم أن لايُسكِّنوا أحدًا من الأغراب ولايطلقوا أحدًا يسافر إلا بإذن من أغاة مستحفظان .

وفى يوم الثلاثاء [3] ، عمل المولد الحسينى ، وكان العزم تركه فى هذا العام فَدَسَّ بعض المنافقين دسيسة عند الإفرنج ، وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يحل مولد الحسين بعد مولد النبى ، فقال بونابرته : « ولماذا لم يعملوه ؟ » ، فقال ذلك المنافق : « غرض الشيخ السادات عدم عمله ، إلا إذا حضر المسلمون » ، فبلغ الشيخ السادات ، ذلك فشرع / فى عمله على سبيل الاختصار ، وحضر صارى عسكر وشاهد الوقدة ، ورجع إلى داره بعد العشاء . ٣٥ب/

وفيه [4] ، حضر علماء الإسكندرية وأعيانها ، وكذلك رشيد ، ودمياط ، وبقية البنادر ، باستدعاء صارى عسكر ، ليحضروا الديوان الشارعين فيه ، لترتيب النظام الذى سبقت الإشارة إليه .

وفيه [5] ، سافر أيضًا جماعة من الفرنسيين إلى جهة مراد بيك ومن معه ، والتقوا معهم وتراموا ساعة ، ثم انهزموا عنهم ، وأطمعوهم فى أنفسهم فتبعوهم إلى أسفل جبل اللاهون [6] ، ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا ، وتراموا معهم أَرْسَالا ، وكانوا رتبوا عساكرهم طوابير ، وأكمنوا كمينًا مخبورين ؟ ، مشاهير ، فلما تلاقت الفئتان ، وترامت الفرقتان ، وعلا بينهما الغبار ، واسودَّ وجه النهار ،

---

(١) دبوى Dupuy ، حاكم القاهرة .
(٢) ٢٠ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٣) ٢١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٤) ٢١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٥) ٢١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٦) جبل اللاهون : جبل اللاهون عبارة عن المرتفعات التى تشرف على بحر يوسف ، وقد وقعت فى الجنوب الغربى من جبل اللاهون ، موقعة بين الفرنسيين ، ومماليك مراد بيك ، عند قرية سدمنت . التى تعرف « بسدمنت الجبل » .

كبست عند ذلك الطوابير بالسيوف ، فأذاقوهم كأس الحتوف ؛ وأثخنوهم قتلا ذريعًا ، وتركوا أكثرهم صريعًا ، فولوا على أدبارهم إلى جهة البحر منهزمين ، وللنجاة طالبين ، فخرج عليهم ذلك الكمين ، فقطع منهم الأعناق ، وتركهم طرحى في الأملاق [1] ؛ والذى نجا منهم بالسباحة والهرب ، تلقته طائفة العرب ؛ فاستأصلوا شأفتهم ، وأهلكوا كافتهم ؛ فلم يفلت منهم إلا ما ندر ، وغبروا فيمن غبر ؛ فلما تواتر هذا الخبر ، وتناقل حديثه الناس واشتهر ، سُرَّ النَّاسُ بَاطِنًا ، لخذلان أهل الكفر ، وفرحوا واستبشروا ببدء خذلانهم وانشرحوا .

وفى ذلك اليوم [2]، سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهوى، التى كانوا وضعوها فى عيدهم ، وتقدم شرحها ووصفها ، فتفاءل الناس بسقوط دولتهم أيضًا ، وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة ، وسدوا القنطرة كما تقدم ، رَشَحَ الماء فى أرض البركة ،/ وتخلخلت الأرض فسقطت تلك البوابة . / ١٣٦أ

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه [3] ، نبهوا على المشايخ والأعيان والتجار ، ومن حضر من الأقطار [4] ، بالحضور إلى الديوان العام ، ومحكمة النظام ، بكرة تاريخه[5] ، وذلك ببيت مرزوق بيك بحارة عابدين ، فلما أصبح يوم السبت [6] ، أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قائد أغا بالأزبكية ، فتوجه المشايخ المصرية والذين حضروا من الثغور والبلاد، وحضرت الوجاقات، وأعيان التجار، ونصارى القبط، والشوام ، ومدبرو الديوان من الفرنسيس وغيرهم جمعًا موفورًا .

فلما استقر بهم الجلوس، شرع ملطى القبطى الذى عملوه قاضيًا فى قراءة فرمان[7] الشروط، وفى المناقشة، فابتدر كبير المدبرين فى إخراج طومار[8] آخر، وناوله للترجمان، فنشره وقرأ ملخصه ؛ ومضمونه : « الإخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد ، وكان يجلب إليْهَا المتاجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التى يعرفها الناس فى الدنيا ، أخذت على أجداد أهل مصر الأول ، ولكون قطر مصر بهذه الصفات ، طمعت الأمم فى تملكه ،

(١) الأملاق : مفردها « ملقة » ، وتعنى الأرض الفضاء .

(٢) ٢١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٩٨ م . (٣) ٢٤ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٥ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٤) الأقطار : تعنى أقاليم مصر . (٥) ٢٤ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٥ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٦) ٢٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٦ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٧) فرمان : أمر يصدر من الباشا أو من يَحِلُّ محله ، والصحيح أن يكون « بيورلدى » ، لأنَّ الفرمان يصدر من السلطان .

(٨) طومار : أى ورقة مكتوب فيها أمر أو خطاب .

فملكه أهل بابل واليونانيون والعرب والترك[1] ، إلا أن الدولة الأشد خرابًا له هم الترك ، فإنهم إذا حصلوا الثمرة قطعوا أصولها، فكذلك لم يبقوا بأيدى الناس إلا النزر اليسير، وصار الناس لأجل ذَلِكَ مختفين تحت حجاب الفقر ، وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم .

ثم إنَّ الطائفة الفرنساوية ، بعدما تمهد أمرهم ، وبعد صيتهم ، بقيامهم بقيام الحرب ، اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر مما هى فيه ، وإراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة جهلا وغباوة ، فقدموا وحصل / لهم النصرة ، ومع ذلك فلم يتعرضوا لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ، وأن غرضهم تنظيم أمور مصر ، وإجراء خلجانها التى دثرت ، ويصير لها طريقان : طريق إلى البحر الأسود ، وطريق إلى البحر الأحمر ، فيزداد خصبها وريعها ، ومنع القوى من ظلم الضعيف ، وغير ذلك استجلابًا لخواطر أهلها ، وإبقاء للذكر الحسن ، فالمناسب من أهلها ترك الشغب ، وإخلاص المودة ، وإن هذه الطوائف المحضرة من الإقليم يترتب على حضورها أمور جليلة ، لأنهم أهل خبرة وعقل ، فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها ، فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه إلى آخر » ، ما سطروه من الكلام المطول المحرف ، والقول المعوج المزخرف .

٣٦ب/

قلت: « ولم يعجبنى فى هذا التركيب » ، إلا قوله : « المفعمة جهلا وغباوة »، بعد قوله : « اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر ، ومن جهله وغباوته أيضًا وكذبه الصريح » ، وقوله بعد ذلك : « ومع ذلك فلم يتعرضوا لأحد إلى آخر العبارة » .

ثم قال الترجمان : « نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصًا منكم يكون كبيرًا ورئيسًا عليكم ، تمتثلون أمره وإشارته ، فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوى . فقال : « نو . نو » وإنما ذلك يكون بالقرعة ، فعملوا قرعة بأوراق ، فطلع الأكثر الشيخ الشرقاوى ، فقال حينئذ : يكون الشيخ عبدالله الشرقاوى هو الرئيس ، فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس ، فأذنوا لهم فى الذهاب ، وألزموهم بالحضور فى كل يوم .

وفيه [2] ، وقعت كاينة الحاج محمد بن قيمو المغربى ، التاجر الطرابلسى ، وهو أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام التراجمين منافسة ، فأنهى إلى عظماء الفرنسيس أنه ذو مال ، وأنه شريك عبدالله المغربى ، تابع مراد بيك ، فأرسلوا

(١) يشير هنا إلى الدول القديمة التى طمعت فى تملك مصر .
(٢) ٢٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٦ أكتوبر ١٧٩٨ م .

/ ٣٧أ بطلبه ، فذهب إلى بيت الشيخ / عبدالله الشرقاوى لنسابة بينهما ، فقال الشيخ للقواسة بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا : « الدعوة شرعية » ، فقال لهم : « فى غد أحضروا خصمه ويتداعى معه ، فإن توجه الحق عليه ألزمناه بدفعه » ، فرجعت الرسل وتغيب الرجل لخوفه ، فبعد مضى مقدار ساعة ، حضر نحو الخمسين عسكريًا من الفرنسيس إلى بيت الشيخ وطالبوه به ، فأخبرهم أنه هرب ، فلم يقبلوا عذره وألحوا فى طلبه ، ووقعت منهم أمور غير لائقة ، فركب المهدى ، والدواخلى ، إلى صارى عسكر وأخبروه بالقضية ، وبهروب الرجل ، فقال : « ولأى شىء هرب ؟ » ، فقالوا : « من خوفه » ، فقال : « لولا أن جرمه كبيرًا ما هرب وأنتم غيبتموه » ، وأظهر الحنق والغيظ ، فلاطفاه واستعطفا خاطر الترجمان ، فكلمه وسكن غيظه ، ثم سأل عن منزله ومخزنه ، فأخبروه عنهما ، فقال : « يذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر فى غد » ؛ فاطمأنوا لذلك ، ورجعوا عند الغروب ، وختموا على مخازنه ومنزله واصبحوا فنهبوهما ، وما معهما من الجيران ، وأموال الشركاء والتجار ، وكانت عنده أمانات كثيرة للناس ، فإنه كان عهدة ومليًا عند التجار [١] .

وفى يوم الأحد [٢] ، ذهبوا إلى الديوان ، وعملوا مثل عملهم الأول حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر والشغور ، من المشايخ ، والوجاقلية ، والقبط ، والشوام ، وتجار المسلمين ، وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق .

وفى يوم الإثنين [٣] ، اجتمعوا بالديوان ، ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس بإحضارهم حجج أملاكهم إلى الديوان ، والمهلة ثلاثون يومًا ، فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ، ومهلة البلاد ستون يومًا ؛ ولما تكامل الجمع شرع ملطى فى قراءة المنشورة ، وتعداد / ما به من الشروط مسطور ، وذكر من ذلك / ٣٧ب أشياء : منها أمر المحاكم ، والقضايا الشرعية ، وحجج العقارات ، وأمر المواريث ، وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمن ، وكتب هذه الأربعة أشياء أرباب ديوان الخاصة ، يدبرون رأيهم فى ذلك ، وينظرون المناسب والأحسن ، وما فيه الراحة لهم وللرعية ، ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس [٤] ، وما بين ذلك لهم مهلة ، وانفض المجلس .

(١) بنسخة وزارة التربية والتعليم ، ص ١٢١ « كان مستأمنًا عند التجار » .
(٢) ٢٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٧ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٣) ٢٧ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٨ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٤) ١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

شهر جمادى الأولى [1]

استهل بيوم الخميس [2] ، الموعود ، واجتمعوا بالديوان ، ومعهم ما لخصوه واستصوبوه فى الجملة ، فأما أمر المحاكم والقضايا ، فالأولى بقاؤها على ترتيبها ونظامها ، وَعَرَّفُوهم عن كيفية ذلك ، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد فاستحسنوا ذلك ، إلا أنهم قالوا : « نحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لايتعدوه القضاة ولا نوابهم » ، فقرروا ذلك ، وهو إذا كانت عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون ، وإذا كانت خمسين ألفًا فما دونها ، يكون على الألف عشرون ، وإذا كان المبلغ مائة ، يكون على الألف خمسة عشر ، فإن زاد على ذلك فعشرة » ، واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك .

وأما حجج العقارات ، فهذا أمر مشق طويل الذيل ، فالمناسب فيه والأولى ، أن تجعلوا عليها دراهم من بادئ الرأى ليسهل تحصيلها ، ويحسن عليها السكوت ، أعلى ، وأوسط ، وأدنى ، وَبَيَّنُوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن ، وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه ، وانفض الديوان .

وفى ذلك اليوم [3] ، نودى فى الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يومًا ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط ، والحارات[4] ، والقلقلات[5] ، بالفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة إمرأة ورجلين ، يدخلون البيوت للكشف عن ذلك ، فتطلع المرأة/ ٣٨ أ/ إلى أعلى الدار ، وتخبرهم عن نشر الثياب ، ويعطونهم بعض دراهم ، ويذهبون بعد التأكيد على أهل المنزل وشدة التعنت ، وأنهم بعد أيام يأتى إليهم جماعة الإفرنج ويطلعون أيضًا يفتشون ، وكل ذلك حتى تذهب من الثياب رائحة الطاعون ، وكتبوا بذلك أوراقًا لصقوها بحيطان الأسواق على عادتهم فى ذلك .

وفيه [6] ، حضر لبيت البكرى جم غفير من أولاد الكتاتيب ، والفقهاء ، والعميان ، والمؤذنين ، وأرباب الوظائف ، والمستحقين من الممرورين ، والزمنى ،

(١) جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر - ٩ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٢) ١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٣) ١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٤) مشايخ الأخطاط والحارات : أى الأشخاص المسئولين عن حماية الأمن وَحَلّ مشاكل الرعايا فى هذه الأخطاط والحارات ، ويقع ضمن دائرة عملهم إحضار الأشخاص الذين تطلبهم الإدارة من رعايا أخطاطهم وحاراتهم.
(٥) القلقلات : مفردها « قلق » ، وتعنى مَقّار الشرطة التى تعرف حاليا بأقسام الشرطة .
(٦) ١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

والمرضى بـالمارستان المـنصورى ، وأوقاف عـبد الرحمـن كتخدا ، وشـكوا مِنْ قَطْعِ رواتبهم وخبـزهم ، فإن جميع الأوقاف تعـطل إيرادها ، وانقطع راتبـها ، واستولى على نظارة الأوقاف ، النـصارى القبط ، والشوام ، وجعلوا ذلك مغنـما لهم ؛ فلما اجتمعوا بضجتهم وصياحهم ، فواعدوهم على حضورهم الديوان ، وَيُنْهُونَ شكواهم ويتشفعون لهم ؛ فذهبوا راجعين .

وفيه [١] ، قدمـت مراكب من جـهة الصعـيد وفيهـا عدة من العـسكر مجـاريح ومشوهون[٢] .

وفيه [٣] ، وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضاء ، فأكثر الناس من اللغط بسبب ذلك ، ولم يعلم أصل ذلك .

وفى يـوم الأحد [٤] ، اجتـمعوا بالـديوان وأخذوا فـيما هـم فيه ، فذكـروا أمر المواريث ، فـقـال الـلعين ملـطى : « يا مشايـخ أخبرونا عـما تصنـعونه فى قـسمة المواريث، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية » ، فقال : « ومن أين لكم ذلك ؟ »، فقالوا : « من القـرآن » وتلوا عليهم بعض آيات المواريـث ؛ فقال الإفرنج : « نحن عندنا لانورِّث الولد ونورِّث البنت ، ونفعل كذا وكذا » ، بحسب تحسين عقولهم لأن الولد أقدر على التكـسب من البنت، فقال مخائيل / كحيـل الشامى ، وهو من أهل الديوان أيضًا : « نحن والقبطة يقسم لنا مواريثنا المسلمون » ، ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها ، فسايروهم وواعدوهم بذلك وانفضوا . /٣٨ب

وفى ذلك الـيوم [٥] ، عزلوا مـحمد أغا المسـلمانى أغاه مسـتحفظان ، وجـعلوه كتخدا أمير الحاج ، واستقروا بمصطفى أغا ، تابـع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقًا عوضًا عنه ، ونودى بذلك .

وفى يوم الإثنين [٦] ، عملوا الديوان، وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث، وفروض القسمة الشرعية ، وحصص الورثة ، والآيات المتعلقة بذلك ، فاستحسنوا ذلك .

وفى يوم السبت عـاشر جمادى الأولى [٧] ، عملوا الديوان ، وأحـضروا قائمة

---

(١) ١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٢) سقطت هذه الفقرة من طبعة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .
(٣) ٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٤) ٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٥) ٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٦) ٥ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١٥ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٧) ١٠ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ م .

مقررات الأملاك والعقار ، فجعلوا الأعلى ثمانية فرانسة ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة ، وما كان أجرته أقل من ريال فى الشهر فهو معاف . وأما الوكايل [1] ، والخانات[2] ، والحمامات[3]، والمعاصر[4]، والسيارج[5]، والحوانيت[6]، «فَمِنْهَا ما»[7] جعلوا عليه ثلاثين وأربعين ، وكل شيء بِحِسَابِهِ ، وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم ولصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخًا للأعيان ، وَعَيَّنُوا المهندسين ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى ، وشرعوا فى الضبط والإحصاء ، وطافوا ببعض الجهات لتمييز الأعلى من الأدنى ، وتقييد الأسماء .

ولما أشيع ذلك فى الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضاء، فانتبذ جماعة من العامة ، وتناجوا فى ذلك ، ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذين لم ينظروا فى عواقب الأمور ، ولم يتفكر أنه فى القبضة مأسور ، وأنَّ الملاعينَ الكفار ، مالكون القلاع والأسوار ، ومحصنون الجميع ، بآلات الحرب المنيع ، فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم / ، ولا قائد يقودهم . ٣٩ أ/

وأصبحوا يوم الأحد [8] ، متحزبين وعلى الجهاد عازمين ، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح ، وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية ، وزعر[9] الحارات البرانية ، ولهم صياح عظيم وهول جسيم ، ويقول بصياح فى الكلام : « نصر الله دين الإسلام » ؛ فذهبوا إلى بيت قاضى العسكر ، وبه من سبقهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر ، فخاف القاضى العاقبة ، وأغلق أبوابه ، وأوقف حجابه فرجموه بالحجارة والطوب ، وطلب الهروب فلم يمكنه الهروب ؛ وكذلك اجتمع بالجامع الأزهر ، العالم الأكبر ؛ وفى ذلك الوقت حضر

(١) الوكائل : مفردها « وكالة » ، والوكالة بناء يتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق أو أربعة ، وكان الطابق الأرضى به حواصل ومحلات ليقوم التجار بتخزين بضائعهم فى الحواصل ، وعرض بعضها فى المحلات ، والأدوار الأعلى لنزل التجار ، وتخزين سلعهم .

(٢) الخانات : مفردها « خان » ، والخان عبارة عن فندق لنزل التجار ، والدور الأرضى يعتبر بمثابة سوق ، تتم فيه الصفقات التجارية بين التجار .

(٣) الحمامات : مفردها « حمام » ، والحمامات كانت فى ذلك الوقت عامة ، يذهب الناس للاستحمام فيها ، نظير أجر معين يدفعه الشخص الذى يرغب فى الاستحمام .

(٤) المعاصر : مفردها « معصرة » ، كانت هناك معاصر للزيوت ، ومعاصر للقصب وهكذا .

(٥) السيارج : مفردها « سيرجة » ، وهى تستخرج الزيت من السمسم ، وتُصَنِّعُ الحلاوة الطحنية ، والطحينة .

(٦) الحوانيت : مفردها « حانوت » ، وهى المحل أو الدكان الذى يبيع سلعًا مختلفة .

(٧) بالأصل « فَمِنْهُم من » ، صوبت .

(٨) ١١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ م . بداية ثورة القاهرة الأولى .

(٩) الزعر : أى فتوات الحارات التى تقع خارج القاهرة .

اللعين «دبوى» بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه ، فمر بشارع الغورية [١] ، وعطف على خط الصنادقية [٢] ، وذهب إلى بيت الشرقاوى فلم يجده ، فذهب إلى بيت القاضى ، فوجد ذلك الزحام ، فخاف وخرج من بين القصرين[٣] ، وباب الزهومة[٤] ، وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة ، فبادروا إليه وضربوه ، وأثخنوا جراحاته وقتلوه ، وقتل الكثير من فرسانه ، وأبطاله وشجعانه؛ وذهبوا إلى السعير ، وبئس المصير .

فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم، وخرجوا يهرعون ، وفى كل حدب ينسلون ، ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة ، كباب الفتوح[٥] ، وباب النصر[٦] ، والبرقية[٧] ، إلى باب زويلة[٨] ، وباب الشعرية[٩] ؛ وجهة البندقانيين[١٠] ، وما

(١) شارع الغورية : يبدأ من قراقول الأشرفية ، وينتهى إلى باب الكحكيين به عدة حارات وعطف ووكالات . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٢ .

(٢) الصنادقية : يبتدئ من نهاية شارع الأشرف ، وأول شارع الغورية ، ويمتد شرقا إلى الجامع الأزهر ، وطوله مائتان وثمانون مترًا . نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٣) بين القصرين : هى المنطقة الواقعة بين القصرين ، القصر الشرقى ، والقصر الغربى ، وهى منطقة شارع المعز فى يومنا هذا.

(٤) باب الزهومة : كان يقع فى أخر ركن القصر ، مقابل خان مسرور ، وسمى بهذا الاسم لأن اللحوم وحوائج الطعام التى كانت تدخل إلى مطبخ القصر كانت تدخل من هذا الباب . المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣٥ .

(٥) باب الفتوح : يقع بشارع باب الفتوح ، أنشأه بدر الدين الجمالى ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، وهذا الباب يتكون من برجين مستديرين ، يتوسطهما المدخل ، ويحمل رقم أثر (٦) . زكى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٦) باب النصر : يقع بشارع باب النصر ، أنشأه جوهر الصقلى ، نقله بدر الدين الجمالى إلى موضعه الحالى ، ويحمل رقم أثر (٧) . نفس المرجع ، ص ٢٥ .

(٧) باب البرقية : أحد أبواب القاهرة فى سورها الشرقى ، المشرف على الصحراء الشرقية ، أنشأه صلاح الدين فى ٥٦٩ هـ / ١١٨٤ م ، حينما أراد توسيع القاهرة من الجهة الشرقية . زكى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٨) باب زويلة : أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها القبلى ، أنشأه أمير الجيوش بدر الدين الجمالى فى ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، وكان يواجه باب زويلة الذى كان فى سور القائد جوهر وهدم . نفس المرجع ، ص ٢١ .

(٩) باب الشعرية : أحد أبواب القاهرة فى سورها الشمالى ، أنشأه صلاح الدين غربى الخليج المصرى فى المسافة بين الخليج وباب البحر . نفس المرجع ، ص ٢٢ .

(١٠) البندقانيين : شارع يبتدئ من آخر شارع الوراقين ، وينتهى لشارع الحمزاوى ، وطوله أربعة وستون مترًا . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

حاذاها ، ولم يتعدوا جـهة سواها ؛ وهدّموا مصاطب الحوانيت ، وجـعلوا أحجارها متاريـس للكرنـكـة ، لتـعـوق هجـوم العدو ، فى وقـت المعركة ، ووقـف دون كل متراس ، جمع عظيم من الناس .

/٣٩ب وأما الجهات البرانية [١] ، والنواحى الفوقانية[٢] / فلم يـفزع منهـم فازع ، ولم يتحرك مـنهم أحد ولم يسـارع ؛ وكذلك شذ عن الوفـاق ، مصر العتيـقة وبولاق ؛ وعذرهم الأكـبر ، قربهـم مـن مساكـن العسكر ؛ ولـم تزل طائفة المحـاربين ، فى الأزقة متترسـين ؛ فوصل جماعة من الفرنـساوية ، وظهروا من ناحية المـناخلية[٣] ؛ وبندقوا على متراس الشوّايين[٤] ، وبه جماعة مـن مـغاربة الفحامين[٥] ؛ فقاتلوهـم حتى أجـلوهم ، وعن المـناخليـة أزالوهم ؛ وعنـد ذلك زاد الحال ، وكثـر الرجف والزلزال ؛ وخرجت العامة عن الحد ، وبالغوا فى القضية بالعكس والطرد ؛ وامتدت أيديهم إلى النهب ، والخطف والسلب ؛ فهجموا على حارة الجوانية[٦] ، ونهبوا دور النصارى الـشوام والأروام ، وما جاورهم من بيـوت المسلمين على الـتمام ؛ وأخذوا الودائع والأمانات ، وسبوا النساء والبـنات ؛ وكذلك نهبوا خان الملايات[٧] ، وما به من الأمتعة والموجودات ؛ وأكثروا من المعايـب ، ولم يفكروا فى العواقب ، وباتوا تلك الليلة سهرانين ، وعلى هذا الحال مستمرين .

وأما الإفـرنج ، فإنهم أصبحوا مسـتعدين ، وعلى تلال الـبرقية [٨] ، والقلعة واقفـين ؛ وأحضـروا جمـيع الآلات ، مـن المدافع والـقنـابر والـبنـبات ؛ ووقـفوا مستحضرين ، ولأمر كبيرهم منتظرين .

وكان كبـير الفرنسيـس أرسل إلى المشايـخ مراسلة ، فلـم يجيبوه عنـها وَمَلّ من

(١) الجهات البرانية : أى الجهات الواقعة خارج القاهرة .

(٢) النواحى الفوقانية :أى النواحى العالية والمرتفعة التى تحيط ببعض جهات القاهرة .

(٣) المناخلية : شارع أوله من زاوية سالم الـتى تجاه باب سوق المؤيد ، وأخره باب المتولى . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(٤) الشوائين : هى المنطقة التى تمتد من باب حارة الروم إلـى سوق الحلاويين ، وكان بهذه المنطقة سوق يعرف بسوق الشوائين ، أو سوق الشرايحيين . المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ .

(٥) الفحامين : يعرف بشارع العطارين ، يبتدئ من نهاية شارع التربيعة ، وينتهى أول شارع المؤيد طوله مائتان وأربعة عشر مترًا . مبارك ، على . المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ .

(٦) حارة الجوانية : أنظر ، ص ٦١ ، حاشية رقم (٧) .

(٧) خان الملايات : خان كان يوجد داخل سوق الفحامين .

(٨) تلال البرقية : تلال كانت توجد خارج باب البرقية ، شرقى القاهرة .

المطاولة ؛ هذا والحرب والرمى متتابع من الجـهتين ، وتضاعف الحال ضعفين ، حتى مضى وقت العصر وزاد القهر والحصر ؛ فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات ، على البيوت والحارات ؛ وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ، وحرروا عليه المدافع والقنبر ؛ وكذلك ما جاوره من الأماكن المحاذية[1] ، كسوق الغورية [2] ، والفحامين[3] ؛ فلما سقط / عليهم ذلك ورأوه ، ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه ؛ نادوا : « يا سلام ، من هذه الآلام ؛ يا خفى الألطاف ، نَجِّنَا مِمَّا نَخَافُ » ؛ وهربوا من كل سوق ، ودخلوا فى الشقوق ؛ وتتابع الرمى من القلعة والكيمان ، حتى تزعزعت الأركان ؛ وهدمت فى مرورها حيطان الدور ، وسقطت فى بعض القصور ؛ ونزلت فى البيوت والوكايل ، وأصمت الآذان بصوتها الهائل .

/ ٤٠ أ

فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ؛ ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيس ، ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمى المتراسل ؛ ويكفهم كما انكف المسلمون عن القتال ، والحرب خدعة وسجال .

فلما ذهبوا إليه ، واجتمعوا عليه ؛ عاتبهم فى التأخير ، واتهمهم فى التقصير ؛ فاعتذروا إليه فقبل عذرهم ، وأمر برفع الرمى عنهم ؛ وقاموا من عنده ينادون بالأمان فى المسالك ، وتسامع الناس بذلك ؛ فردت فيهم الحرارة ، وتسابقوا لبعضهم بالبشارة؛ واطمأنت منهم القلوب ، وكان الوقت قبيل الغروب ؛ وانقضى النهار وأقبل الليل ، وغلب على الظن أن القضية لها ذيل .

وأما أهل الحسينية [4] ، والعطوف البرانية ؛ فإنهم لم يزالوا مستمرين ، على الرمى والقتال ملازمين ؛ ولكن خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود ، والإفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع ، بالقنابر والمدافع ؛ إلى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت من عندهم الأدوات ؛ فعجزوا عن ذلك ، وانصرفوا وكَفَّ عنهم القوم وانحرفوا ؛ وبعد هجعة من الليل دخل الإفرنج المدينة كالسيل ومروا فى الأزقة والشوارع ، لايجدون لهم ممانع ؛ كأنهم الشياطين أو جند / إبليس ، وهدموا ما وجدوه من المتاريس ؛ وذهبوا وجاءوا ، وبغضب الله باءوا ؛ ودخل طائفة من باب البرقية [3] ، وشقوا إلى الغورية ، وكروا ورجعوا ، وترددوا وما هجعوا ؛ وعلموا

/ ٤٠ب

(١) بالأصل « المحاربين » ، صوبت من طبعة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ١٣٠ .
(٢) سوق الغورية : سوق كان قائما بشارع الغورية . (٣) الحسينية : خط نشأ خارج القاهرة .
(٤) باب البرقية : أنظر ، ص ٦٩ ، حاشية رقم (٧) .

باليقين ، أن لا دافع لهم ولا كمين ؛ وتـراسلوا إرسالا ، ركبانًا ورجالا ؛ ثم دخلوا أولئـك الوعول ، إلى الجـامع الأزهر ، وهـم راكبون الخـيول ؛ وولجوه من الـباب الكبير، وخرجوا من الباب الثانى حيث موقف الحمير ؛ وداس فيه المشاة بالنعالات ، وهم يحملون السـلاح والبندقيات ؛ وتفرقوا فى صحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ؛ وعاثوا بالأروقة والبحرات ، وكسـروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبـة ، والمجاورين والكتبة ؛ ونهـبوا ما وجدوه من المتاع ، والأوانـى والقصاع ؛ والودائع والمخـبآت ، بالدواليـب والخزانات ؛ ودشتوا الـكتب والمصاحـف ؛ وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالاتهم داسوها ، وأحدثوا بالمسجد وتمخطوا ، وبالوا وتغوطوا ؛ وشربوا الشراب ، وكسروا أوانيه ، والـقوهًا بصحنه ونواحيه ؛ وكل من صادفوه به عروّه ، ومن ثيابه أخرجوه ؛ ووجـدوا فى بعض الأروقة إنسانًا فذبحوه ، ومن الحياة أعدموه ، وفعلوا بالجامع الأزهر ، ما لـيس عليهم بمستنكر ، لأنهم أعداء الدين ، وأخـصـام متـغلبون ، وغـرماء متشمـتون ، وضباع مـتكالبـون ، وأجناس متبايـنون ، وأشكال متعانـدون ، وأعطى تلك الليلـة جيش الرحمن ، فسـحة لجيش الشيطان ، لرهن لزمه فَأَدَّاهُ ، وَقَطْع كان عليه فتعداه .

ولما أصبح يـوم الثلاثاء[1] اصطـف منهم حـزب بباب الجامـع ، فكل من حـضر للصلاة يـراهم فيكر راجعا ويـسارع ./ وتفرقت طوائـفهم بتلك النـواحى أفواجا ، ٤١ أ/ واتخذوا السعى والطواف بها منهاجا . وأحـاطوا إحاطة السوار ، ونهبوا بعض الديار بحجة الـتفتيش علـى النهب ، وآلة السـلاح والضرب ، وخرج[2] سكان تلـك الجهة يهرعون ، ولـلنجاة بأنفـسهم طالبون . وانتـهكت حرمة تلـك البقعة بعـد أن كانت أشرف البقـاع ، وترغب الناس فى سكـناها ، ويودعون عنـد أهلها ما يخافـون عليه الضياع . وجمـاعة الإفرنج لايمرون بها إلا فى النادر ويـحترمونها كغيرهـم فى الباطن والظاهر ، فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع وانخفض على غير القياس المرفوع . ثم تَرَدَّدُوا فى الأسواق ووقفوا صفوفًا ، مثينًا وألوفًا ، فإنْ مَرَّ بهم أحد فتشوه، وأخذوا ما معـه وربما قتلـوه ، ورفعت القتـلى والمطروحـين من الإفرنج والمسـلمين ، وَوَقَفَ جَمَاعَةٌ من الفرنسيس وَنَظَّفُوا مراكز المـتاريس ، وَأَزَالُوا مَا بِهَا من الأتربة ، والأحجار المتراكمة، وَوَضَعُوهَا فى ناصية ، لتصيـر طرق المرور خالية . وتحزبت نصارى الشوام وجماعـة أيضًا من الأروام ، الذيـن نهبت دورهم بـحارة الجوانية ، يـشكون لكـبير

(١) ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٢) بالأصل « وخرجت » ، صوبت .

الإفرنج ما لحقهم من الرزية . واغتنموا الفرصة فى المسلمين ، وأظهروا ما هو بقلوبهم كمين[1] وضربوا فيهم المضارب ، وكأنهم شاركوا الإفرنج فى النوائب . وما قصدهم المسلمون ، ونهبوا ما لديهم إلا لكونهم منسوبين إليهم . مع أن المسلمين الذين جاوروهم نهبهم الزُّعْرُ أيضًا وَسَلَبُوهُمْ ، وكذلك خان الملايات المعلوم ، الذى عند باب حارة الروم ، وفيه بضائع المسلمين ، وودائع الغائبين ، فسكت المصاب على/ غصته ، واستعوض الله فى قضيته ، لأَنَّه إِنْ تكَلَّمَ لاتسمع دعواه ، ولايلتفت لشكواه . وانتدب « برطلمين » الكافر للعسس [2] على من حمل السلاح واختلس . وبث أعوانه فى الجهات ، يتجسسون فى الطرقات ، فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم ، وما ينهيه من إبغاضهم . فيحكم فيه بمراده ، ويعمل برأيه واجتهاده . ويأخذ منهم الكثير ، ويركب فى موكبه ويسير وهم موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال. فيودعونهم فى السجونات، ويطالبونهم بالمنهوبات. ويقررونهم بالعقاب والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب . ويدل بعضهم على بعض ، فيضعون على المدلول عليهم أيضًا القبض . وكذلك فعل مثل فعله اللعين الأغا ، وتجبر فى أفعاله وطغى . وكثير من الناس ذبحوهم ، وفى بحر النيل قذفوهم . ومات فى هذين اليومين وما بعدهما أمم كثيرة لايحصى عددها . وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم .

/ ٤١ ب

وأصبح يوم الأربعاء [3] ، فركب فيه جميع المشايخ ، وذهبوا فيه لبيت الصارى عسكر ، وقابلوه ، وخاطبوه فى العفو ولاطفوه . والتمسوا منه أمانًا كافيًا، وعفوًا، ينادون به باللغتين شافيًا ؛ لتطمئن بذلك قلوب الرعية ، ويسكن روعهم من هذه الرزية ؛ فوعدهم وعدًا مشوبًا بالتسويف، وطالبهم بالتبيين والتعريف ، عمن تسبب من المتعممين فى إثارة العوام ، وحرضهم على الخلاف والقيام ، فغالطوه عن تلك المقاصد ، فقال على لسان الترجمان : « نحن نعرفهم بالواحد » ، فترجوا عنده فى إخراج العسكر ، من الجامع الأزهر ، فأجابهم لذلك / السؤال ، وأمر بإخراجهم فى الحال ، وأبقوا مِنْهُمْ نحو السبعين أسكنوهم بالخطة كالضابطين ، ليكونوا للأمور مراصدين ، وبالأحكام متقيدين .

/ ٤٢ أ

(١) كمين : دفين .

(٢) العسس : التجسس .

(٣) ١٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .

ثم أنهـم ، فحصوا عـن المتهمـين فى إثارة الفـتنة ، فطـلبوا : الشـيخ سليـمان الجوسقى ، شيخ طائـفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوى ، والـشيخ عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى، والشيخ إسماعيل البراوى ، وحبسوهم ببيت البكرى .

وأما السيد بدر : فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام ، وفحصوا عيه فلم يجدوه ، وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقـين فغولطوا ، واتهم أيضًا إبراهيم أفندى كاتب البهار[1] ، بأنه جمع له جـمعًا من الشطار [2] ، وأعطاهم الأسلـحة والمساوق ، وكان عنده عدة من المماليـك المخفيين ، والرجال المعدودين ؛ فقبضوا علـيه وحبسوه ببيت الأغا .

وفى يوم الأحد ثـامن عشره [3] ، توجه الشيخ السادات وبـاقى المشايخ إلى بيت صارى عسكر الفرنسـيس ، وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجـونين ببيت الأغا ، وقائم مقام، والقلعة، فقيل لهم « طَوِّلُوا رُوحكُم وَلاتَسْتَعْجِلُوا » ؛ فقاموا وانصرفوا .

وفيه [4] ، نادوا فى الأسواق بالأمان، ولا أحد يشوش على أحد، والقبض على الناس مستمر ليلاً ونهارًا ، وكذلك كَبْسَ البيـوت ، والنهب بحسب ما ينهيه العدو فى عدوه ، ورَدّ بعض الأمتعة التى ذهبت للنصارى .

وفيه [5] ، توسط عمر القلـقشى لمغاربة الفحامين ، وجمع مـنهم ، ومن غيرهم عدة وافرة ، وعـرضهم علـى صارى عسكر ، فـاختار منهـم الشباب وأولـى القوة ، وأعطاهم سلاحًا وآلات حرب ، ورتبهم عسكـرًا ، ورئيسهم عمر المذكور ، وخرجوا وأمامهم الطبل الشامى على عادة عسكـر المغاربة ، وسافروا إلى جهة بحرى ، بسبب أن بعض الـبلاد / قام علـى عسكر الإفرنج وقـت الفتنة وقـاتلوهم ، وضـربوا أيضًا مركبين بـها عـدة مـن عســاكرهم فحاربـوهم وقاتلوهم ؛ فَلَمَّا ذَهَبَ أولئـك المغاربة سكَّنُوا الفتنة ، وضـربوا عشمة [6] ، وقتلوا كبيرها المسمـى بابن شعير ، ونهبوا داره

٤٢ب/

(١) كاتب البهار : أى الشخص المسئول عن جمرك البهار .

(٢) الشطار : جمع شاطر ، أصحاب الحيل والخبث الذين يزعجون الناس ويحتالون عليهم .

(٣) ١٨ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٤) ١٨ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٥) ١٨ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٦) عشمـة : قرية قديمة ، وردت فـى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، باسـم « عشما » ، وهى إحدى قـرى مركز شبين الكوم ، محافظة المنوفية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٩٢ .

ومتاعه وماله وبهائمه ، وكان شيئًا كثيرًا جدًا ، وأحضروا إخوته وأولاده وقتلوهم ، ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخًا عوضًا عن أبيه ، وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة [1] ، ورتبوا لهم من الفرنسيس جماعة يأتون إليهم فى كل يوم ، ويدربونهم على كيفية حربهم ، وقانون ترتيبهم ، ومعنى إشاراتهم فى مصافاتهم ، فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفًا ، وبأيديهم بنادقهم ، فيشير إليهم بألفاظ مستهجنة بلغتهم ، كأن يقول هردبوش[2] ، فيرفعونها قابضين بأكفهم على أسافلها ، ثم يقول : [3] مرش ، فيمشون صفوفًا إلى غير ذلك .

وفيه [4] ، سافر برطلمين الكافر إلى ناحية سرياقوس[5] ، ومعه جماعة من العسكر ، بسبب الناس الفارين إلى جهة الشرق ، فلم يدركهم ، وقبض من البلاد تفريدة وكلفا ، وعسف فى قبضها وتحصيلها ، ورجع بعد أيام .

وفى يوم الأربعاء [6] ، تصدى الشيخ المهدى لإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف مع كبير الفرنسيس بمعونة بوسليك [7] المعروف بالرزنامجى ، ونقله من بيت الأغا إلى داره ، وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار .

وفى يوم الخميس [8] ، سافر عدة مراكب نحو الأربعين بها عساكر الإفرنج إلى جهة بحرى .

وفى ليلة السبت رابع عشرينه [9] ، حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات ، وهو صورة فرمان ، وعليه طرّة ، ومكتوب من أحمد باشا ، وآخر من بكر باشا ، إلى كتخدائه مصطفى بيك ، ومكتوب من إبراهيم بيك خطابًا / ٤٣ أ / للمشايخ ، وذلك كله بالعربى ، ومضمون ذلك ، بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث، والآثار المتعلقة بالجهاد ، ولعن طائفة الإفرنج ، والحط عليهم ،

---

(١) باب سعادة : أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها الغربى ، المحاذى للخليج المصرى ، أنشأه جوهر القائد فى ٣٥٩ هـ / ٦٩/ ٩٧٠ م ، وهو منسوب إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله ، وقد مات ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م . زكى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢) هردبوش : أى ما يعرف فى الجيش بإسم « كتفن سلاح » .

(٣) مرش : يأمرهم بالمشى المنتظم .

(٤) ١٨ جمادى الأوى ١٢١٣ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٥) سرياقوس : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية . رمزى ، محمد : المرجع السابق، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(٦) ٢١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٣١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٧) بوسليك : «Poussielgue» .

(٨) ٢٢ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٩) ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٣ نوفمبر ١٧٩٨ م .

وَذِكْرَ عقيدتهم الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم ، وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك ، فأخذهم مصطفى بيك وذهب بهم إلى كبير الفرنسيس ، فلما اطلع عليهم ، قال : « هذا تزوير من إبراهيم بيك ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة ، وأما أحمد باشا ، فهو رجل فضولى ، لم يكن واليًا بالشام ولا مصر ، لأن والى الشام إبراهيم باشا ، وأما والى مصر فهو عبدالله بن العظم الذى هو الآن والى الشام ، وأنا أخبر بذلك ، وسيأتى بعد أيام والٍ ، ونقيم معه كما كانت المماليك مع الولاة » ، وورد خبر أيضًا بانفصال محمد باشا عزت عن الوزارة ، وعزل أنفار من رجال الدولة .

وفى هذه الأيام ، بَطَّلَ الاجتماع بالديوان المعتاد ، وأَخَذُوا فِى الاهْتِمَامِ بعمل متاريس فِى عِدَّةِ جِهَاتٍ ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا عدة أماكن بالجيزة وحصنوها تحصينًا زائدًا ، وكذلك مصر العتيقة ، ونواحى شُبْرَا ، وإِنْبَابَة ، وهدموا عدة مساجد منها : المسجد المجاور لقنطرة الدكة ، ومسجد المقسى المعروف الآن بأولاد عنان[1] ، على الخليج الناصرى بباب البحر[2] ، وقطعوا أشجارًا كثيرة ونخيل البساتين ، وهدموا جامع الكازرونى بالروضة[3] ، وأشجار الجيزة التى عند أبى هريرة [4] قطعوها ، وحفروا هناك عدة خنادق كثيرة وغير ذلك ، والنخيل جهة الحلى [5] ، وبولاق وَخَرَّبُوا الدُّورَ ، وَهَدَمُوا القُصُورُ ، وَكَسَّرُوا الشبابيك / ، وَدَقُّوا الأخشاب ، بحيث عَمَّ جميع الأماكن الخراب ، وزعق فيها البوم والغراب . ٤٣ب/

وفى ليلة الأحد [6] ، حضر جماعة من عسكر الفرنسيس إلى بيت البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين لعند صارى عسكر ليتحدث معهم ، فلما صاروا خارج الدار وجدوا عدة كثيرة فى انتظارهم ، فقبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت

---

(١) مسجد أولاد عنان : أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس ، خارج البحر ، كان يعرف بجامع المقس ، وعرف أيضًا بجامع باب البحر ، وجامع أولاد عنان لوجود ضريح سيدى محمد بن عنان . مبارك، على : المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

(٢) باب البحر : أحد أبواب القاهرة الخارجية ، فى نهاية سورها الشمالى من الجهة الغربية ، أنشأه صلاح الدين فى ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٣) جامع الكازرونى : جامع كان قائمًا بالروضة ، فهدمه رجال الحملة الفرنسية .

(٤) جامع أبى هريرة : جامع كان قائمًا بالجيزة وهدمه الفرنسيون .

(٥) الحلى : قصر كان قائمًا فى رملة بولاق حتى أواخر القرن الثامن عشر .

(٦) ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٤ نوفمبر ١٧٩٨ م .

قائم مقام بدرب[1] الجماميز ، فعرّوهم من ثيابهم ، وصعدوا بهم إلى القلعة ، فسجنوهم إلى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم ، وألقوهم من السور خلف القلعة ، وتغيب حالهم عن أكثر الناس أيامًا .

وفى ذلك اليوم [2] ، ركب بعض المشايخ إلى مصطفى أغَا ، كتخدا الباشا ، وَكَلَّمُوهُ فِى أَنْ يَذْهَبَ معهم إلى صارى عسكر ، ليشفع فى الجماعة المذكورين ، ظنًا منهم أنهم فى قَيْدِ الحياة ، فركب معهم إليه ، وَكَلَّمُوهُ فى ذلك ، فقال لهم الترجمان : « يقول لكم صارى عسكر : « اصبروا ما هو وقته » ، وقام ليذهب فى بعض أشغاله ، فنهض الجماعة أيضًا ، وركبوا إلى دورهم .

وفى يوم الثلاثاء [3] ، حضر عدة من عساكر الفرنسيس ، ووقفوا بحارة الأزهر[4] ، فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم كرشة ، وأغلقوا الدكاكين ، وتسابقوا للهرب وذهبوا إلى البيوت والمساجد ، واختلفت آراؤهم وَرَوَوا فى ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم ، وفساد مخيلتهم ، فذهب بعض المشايخ إلى صارى عسكر وأخبره بذلك ، فأرسل إليهم وأمرهم بالذهاب ، فذهبوا ، وتراجع الناس وفتحوا الدكاكين ، ومرّ الوالى ، والأغا ، وبرطلمين ، ينادون بالأمان ، فسكن الحال ، وقيل : إنَّ بعض كبرائهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد ، وجلس عنده حصة ، وهؤلاء كانوا أتباعه ، ووقفوا / ينتظرونه ، ولعل ذلك قصد التخويف والإرهاب خشية من قيام فتنة لَمَّا أشيع قتل المشايخ . /٤٤ أ

وفيه [5] ، كتبوا أوراقًا وَلَصَقُوهَا بالأسواق ، تتضمن العفو والتحذير من إثارة الفتنة ، وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ مِنَ المسلمين فِى نظير مَنْ قُتِلَ من الفَرَنْسِيسِ .

وفيه [6] ، شرعوا فى إحصاء الأملاك والمطالبة بالمقرر ، فلم يعارض فى ذلك معارض ، ولم يتفوّه بكلمة .

---

(١) بالأصل « بضرب » ، صوبت .

(٢) ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٤ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٣) ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٦ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٤) حارة الأزهر : حارة تقع بجوار الجامع الأزهر ، وأخذت إسمها من مجاورتها للجامع الأزهر .

(٥) ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٦ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٦) ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٦ نوفمبر ١٧٩٨ م .

وفيه [1] ، أيضًا ، قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة « غَيْرُ النَّافِذَة »[2] ، وهى التى كانت تركت وسومح أصحابها ، وصالحوا عليها قبل الحادثة ، وبرطلوا[3] القلقات والوسائط على بقائها ، وكذلك دروب الحسينية ، فلما انقضت هذه الحادثة ، ارتجعوا عليهم وقلعوهم ونقلوهم إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية ، ثم كسروها وفصلوا أخشابها قطعًا ، ورفعوا بعضها على العربات إلى حيث يصنعون المتاريس بالنواحى والجهات ، وباعوا بعضها حطبًا للوقود ، وكذلك ما بها من الحديد باعوه .

وفى ليلة الخميس [4] ، هجم المنسر [5] على بوابة سوق طيلون [6] ، وكسروها وعبروا منها إلى السوق ، فكسروا القناديل وفتحوا ثلاث حوانيت ، وأخذوا ما بها من متاع المغاربة التجار ، وقتلوا القلق الذى هناك ، وخرجوا بدون مدافع ومنازع .

وفى يوم الخميس المذكور [7] ، ذهب المشايخ إلى صارى عسكر ، وشفعوا فى إبن الجوسقى شيخ العميان ، فإنه كان معوقًا ببيت البكرى ، فشفعهم فيه وأطلقوه .

شهر جمادى الثانية [8]

استهل بيوم السبت [9] ، فيه [10] ، كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها إلى البلاد ، ولَصَقُوا مِنْهَا نُسَخًا بالأسواق والأزقة ، ونصها :

٤٤ب/ « صورة / نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة ، نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ونَبْرَأ إلى الله من الساعين فى الأرض بالفساد ، نُعَرِّفُ أهل مِصْرَ قَاطِبَةً ، أَنَّهَ حَصَلَ بَعْضُ خلل فى مدينة مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس ، فَحَرَّكُوا الشرور بين الرعية والعسكر الفرنساوية ، بعدما

---

(١) ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٦ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٢) بالأصل « الغير النافذة » ، صوبت .

(٣) برطلوا : أى رشوا أو قدموا الرشوة ، والبراطيل تعنى الرشاوى ، والمعنى هنا ، أنهم قدموا الرشاوى لرجال القلقات .

(٤) ٢٩ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٨ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٥) المنسر : أى اللصوص أو قطاع الطرق .

(٦) سوق طيلون : سوق كان قائما بمنطقة جامع أحمد بن طولون ، وكان معظم التجار الذين يتاجرون بهذا السوق من المغاربة .

(٧) ٢٩ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٨ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٨) جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٠ نوفمبر - ٨ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٩) ١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(١٠) ١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .

كانوا أصحابًا وأحبابًا بالسوّية ، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهب بعض من البيوت ، ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته ، وارتفعت هذه البلية ، لأنه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة إلى الفقراء والمساكين ، ولولاه لكانت العساكر أحرقت المدينة ، ونهبت جميع الأموال ، وقتلوا كامل أهل مصر ، فعليكم أن لاتحركوا الفتن ولاتطيعوا أمر المفسدين ، ولاتسمعوا كلام المنافقين ، ولاتتبعوا الأشرار، ولا تكونوا مع الخاسرين سفهاء العقول ، الذين لايقرءون العواقب ، لأجل أن تحفظوا أوطانكم ، وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم ، فإن الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ، ويحكم ما يريد ، ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم ، وأراح الله منهم البلاد والعباد ؛ ونصيحتنا لكم أن لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معايشكم ، وأمور دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم ، والدين النصيحة ؛ والسلام » .

وفيه [1] ، أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين عنهم ، ليكون الكُلُّ فى حومة واحدة ، وذلك لما داخلهم من / المسلمين ، حتى أن الشخص منهم صار لايمشى بدون سلاح ، بعد أن كانوا من حين دخول البلد ، لايمشون به أصلا إلا لغرض ، والذى لم يكن معه سلاح يأخذ فى يده عصا أو سوطًا أو نحو ذلك ، وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وأخذ كل واحد حذره من الآخر، وانكف المسلمون من الخروج والمرور بالأسواق من الغروب إلى طلوع النهار . /٤٥ أ

ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر إلى الأزبكية ، اللعين كفرلى[2] المسمى عند العامة بأبى خشبة ، لأنَّ إحْدَى رِجْلَيْهِ مقطوعة من الركبة ، وقد ألبسها خشبة ، وهو يمشى بها بدون معين ، ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار إليه فيهم ، والمدبر لأمور القِلاَعِ والبِنَاءِ ، ومَصَافِّ الحروب ، ولهم به عناية عظيمة ، واهتمام زائد ، كان يسكن بيت مصطفى كاشف طرا وفى وقت الحادثة ، هجمت على الدار العامة

---

(١) ١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٢) كفرلى : وصحة الإسم « كافاريلى » Caffarlli ، كان قائدًا كفؤًا من قادة الجيش الفرنسى ، وكان فقد إحدى قدميه فى حروب الثورة الفرنسية ، وكان يستعمل خشبة فى مشيه ، فعرف « بأبى خشبة » ، وقد عيَّنه بونابرت رئيسًا لفرقة المهندسين فى الجيش ، وكان عضوا فى المجمع العلمى ، شعبة الإقتصاد السياسى، قتل فى حصار عكا ، فحزن عليه بونابرت ، ونعاه لأعضاء الديوان ، بحزن شديد .

فنهبوها ، وقتلوا منها بعض الفرنساوية ، وَفَرَّ البَاقُونَ ؛ فأخبروا من بالقلعة الكبيرة ، فنزل منهم عدة وافرة ، وقف بعضهم خارج الدار ، بعد أن طردوا المزدحمين ببابها وضربوهم بالبندق ، وَدَخَلَ الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة ، وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع ، والنظارات الغريبة ، والآلات الفلكية والهندسية ، والعلوم الرياضية ، وغير ذلك ، مما هو معدوم النظير ، كل آلة لاقيمة لها عند من لا يعرف صنعتها ومنفعتها ، فَبَدَّدَ ذلك كله العامة
٤٥ب/ وكسروه قطعًا ، وصعب ذلك على الفرنسيس / جدًا ، وأقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات ، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات ، وممن استشهد فى وقعة تلك الدار الشيخ محمد الزّهار .

وفى خامسه[١] ، أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار ، وتوجه إلى بيته .

وفى ثامنه [٢] ، قتلوا أربعة أنفار من نصارى القبط ، فيهم إثنان من النجارين ، قيل إنهم سكروا فى الخمارة ، وَمَرُّوا فى سكرهم ، وفتحوا بعض الدكاكين ، وسرقوا منها أشياء ؛ وقيل : « تكرر ذلك منهم عدة مرار » ، فاغتاظ لذلك القبطة .

وفيه [٣] ، كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخًا للبلاد ولَصَقُوا منها بالأسواق ، والأخطاط ، وذلك على لسان المشايخ أيضًا ، ولكن تزيد صورتها عن الأولى ، ونصها :

« صورة نصيحة من علماء الإسلام بمصر المحروسة ، نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين؛ ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين ، أنَّ إبراهيم بيك، ومراد بيك ، وبقية دولة المماليك ، أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات إلى سائر الأقاليم المصرية ، لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ، ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان ، وسبب ذلك أنه حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد ، واغتاظوا غيظًا شديدًا من علماء مصر ورعاياها ، حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ، ويتركون عيالهم وأوطانهم ؛ فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشرّ بين الرعية والعسكر الفرنساوية ، لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية ، وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر
٤٦ أ/ المحمية ، ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة / مولانا سلطان

(١) ٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٤ نوفمبر ١٧٩٨ م . (٢) ٨ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٣) ٨ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م .

السلاطين ، لأرسلها جهاراً مع أغوات معينين ؛ ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الافرنجية ، دائمًا يحبون المسلمين وملتهم ، ويبغضون المشركين وطبيعتهم ، أحباب لمولانا السلطان ، قائمون بنصرته وأصدقاء له ، ملازمون لمودته وعشرته ومعونته ، يحبون من والاه ، ويبغضون من عاداه ، ولذلك بين الفرنساوية ، والموسقو [1] غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة الموسقو القبيحة الردية ، والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة مولانا السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله ، ولايبقون منهم بقية ؛ فننصحكم أيها الأقاليم المصرية ، أنكم لاتحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضر والهلاك والبلية ؛ ولاتسعموا كلام المفسدين ، ولاتطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون فى الأرض ولايصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين ، لتكونوا فى أوطانكم سالمين ، وعلى عيالكم وأموالكم آمنين مطمئنين ، لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابرته ، اتفق معنا على أنه لاينازع أحد فى دين الإسلام ، ولايعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم ؛ فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم بيك ومراد ، وارجعوا إلى مولاكم مالك الملك ، وخالق العباد ، فقد قال نبيه ورسوله الأكرم : « الفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها بين الأمم » ، عليه أفضل/ /٤٦ب الصلاة والسلام ، ختام » .

وفى ثالث عشره[2] ، قتلوا شخصين عند باب زويلة أحدهما يهودى لم يتحقق السبب فى قتلهما .

وفيه [3] ، أخرجوا من بيت نسيب إبراهيم كتخدا منّاو ، ودائع لبنت إبراهيم بيك وزوجها صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوانى ذهب وفضة ، وأمتعة وملابس ، وأشياء كثيرة جدًا .

وفى خامس عشره [4] ، مرّ جماعة من عسكر الإفرنج بباب زويلة ليلاً ، وفتحوا بعض دكاكين السكرية ، ونهبوا ما بها من السكر ، وضاع على أصحابه .

---

(١) الموسقو : روسيا .

(٢) ١٣ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٣) ١٣ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٤) ١٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٧٩٨ م .

وفيه [1] ، دَلُّوا على إنسان عنده صندوقان وديعــة لآيوب بيك الدفتردار ، فطلبوه وأمروه بإحضارهما فأحضرهمــا بعد الإنكــار والجحد عدة مــرار ، فوجدوا ضمــنها أسلحة جواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة وغير ذلك .

وفــى عشرينه[2] ، كَتَــبُوا عدة أوراق مطبوعة وألْصَقُوهَا بالأسواق ، مضمونها : « أن يوم الجمعة حادى عشرينه [3] ، قصدنا نُطَيِّرُ مركبًا ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية » ، فكثر لغط الناس فى ذلك كعادتهم .

فلما كان ذلك اليوم قبل العصر [4] ، تجمع الناس والكثير من الإفرنج ليروا تلك العجيبة ، وكُنْتُ بجمــلتهم ، فرأيت قماشًا على هيئة الأوية عــلى عمود قائم ، وهو ملون : أبــيض وأحمر وأزرق ، وعــمودها مركــب على مثــل دائرة الغربــال ، وفى وسطه سكرجة[5] ، بها فتــيلة مغموســة ببعض الأدهان ، وتلــك السكرجة مصــلوبة بسلوك حديد منــها إلى الدائرة ، وهى مشدودة ببكر وأحبــال وأطراف الأحبال بأيدى أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها ؛ فلما كان بعد العصر بنحو ساعة ، أوقدوا تلك الفتــيلة فصعد دخانها إلى ذلــك القماش ، / وملأه فانتفخ وصــار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود إلى مركزه فلم يجد منفذًا ، فجذبها معه إلى العلو ، فجذبوها بتلك الأحبال حتــى ارتفعت عن الأرض ، فقطعوا تلك الحبــال ، فصعدت إلى الجوّ مع الهواء ، ومــشت معه هنيهة لــطيفة ، ثم سقطت طــارتها بالفتيلــة ، وسقط أيضًا ذلك القماش ، فانــكسف طبعهم لسقوطــها ، ولم يتبين صحة ما قالــوه من أنها على هيئة مركب يجلس بــها أنفار مــن الناس ، ويسافــرون فيها إلى الــبلاد البعيدة لكشف الأخبار ، وغير ذلك من التمويهات الكاذبة ، بل ظــهر أنها مثل الطيارات التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

٤٧ أ/

وفــى تلك الليلــة عنــد العشاء [6] ، عملــوا حراقةً ونفوطًا وبــارودًا وسواريخ بالأزبكــية ، وكان ذلك اليوم والــليلة من أعيــادهم، لأن صارى عسكر دعــا الأعيان وأكابر التجار ولبسوا ثيابًا جددًا .

(١) ١٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٢) ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٣) ٢١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٤) ٢١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٥) سكرجة : وعاء صغير يشبه الشمعدان .
(٦) ٢١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .

وفى تلك الليلة [١] ، كثر مرورهم بالأسواق فكانت الكلاب تعضهم فأطعموها خبزًا مسمومًا فأكلوه فمات جملة كبيرة من الكلاب ؛ فلما طلع النهار [٢] ، وجدوا الناس الكلاب مرمية بالأسواق وهى ميتة ، فاستأجروا لها من جرّها إلى الكيمان .

وفى خامس عشرينه [٣] ، سافر عدة عساكر إلى جهة مراد بيك ، وكذلك إلى ناحية كرداسة[٤] بسبب العرب ، وكذلك إلى السويس [٥] ، وإلى الصالحية[٦] ، وأخذوا جمال السقايين بروايـاها وحميرهم حتى شح الماء وغلا ، وبلغ ثمن القربة عشرة أنصاف فضة إن وجدت .

وفيه [٧] ، ظفروا بعدة ودائع وخبايا بعدة أماكن ، بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأوانى صينى ، وأوانى نحاس قناطير ، وغير ذلك .

وانقضى هذا الشهر [٨] ، وما تجدد به من الحوادث الكلية ، / والجزئية التى لايمكن ضبطها لكثرتها . /٤٧ ب

فمنها : أنهم أحدثوا بغيط النوبى [٩] المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة ، يَجْتَمِعُ بها النساء والرجال للهو والخلاعة فى أوقات مخصوصة ؛ وجعلوا على كل من يدخل إليه قدرًا مخصوصًا يدفعه أو يكون مأذونًا وبيده ورقة .

ومنها : أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة ، وهدموا جامع أبى هريرة

(١) ٢١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٢) ٢٢ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٣) ٢٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٤) كرداسة : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ٣ ، ص ٦٢ .

(٥) السويس : ميناء مصر ، تقع عند النهاية الشمالية لخليج السويس ، وهى مدينة كليسما التى سماها العرب « مدينة القلزم » ، وهى الآن قاعدة محافظة السويس . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٧ .

(٦) الصالحية : أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤ هـ / ٤٦ - ١٢٤٧ م ، بأرض السايح فى أول الرمل بين مصر والشام ، لتكون منزلة للعساكر عند ذهابهم للشام ، وعند عودتهم ، وهى إحدى مدن مركز فاقوس ، محافظة الشرقية . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٧) ٢٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٨) جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٠ نوفمبر - ٨ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٩) غيط النوبى : كان هذا الغيط فى ذلك الوقت مجاورًا لبركة الأزبكية .

بالجيزة[1] ، ومهدوا السبيل المجاور لقنطرة الليمون[2] ، وبنوا أعلاه طاحونًا تدور بالهواء ، وتطحن الأرادب من الدقيق ، وطاحونًا أخرى بالروضة فى مقابلة مصاطب النشاب ، وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة [3] ، وشرعوا فى ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدموا الأماكن المقابلة لبيت صارى عسكر حتى جعلوها رحبة متسعة ، وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى ، الجناين التى خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين ، مبتداه من حدّ بيت صارى عسكر إلى قنطرة المغربى المذكورة [4] .

ثم منها كذلك : جسر على الوضع والنسق ممتدًا إلى بولاق ممهدًا مستويًا على خط مستقيم ، وحفروا فى جانبيه من مبتداه إلى منتهاه خندقين ، وكذلك غرسوا جانبيه شجر السيسبان من الأول للآخر ، ويتصل ذلك الجسر بساحل النيل عند موردة التبن[5] ، وأحدثوا طريقًا أخرى فيما بين باب الحديد ، وباب العدوى[6] ، عند المكان المعروف بالشيخ شعيب ، حيث معمل الفواخير ، وردموا جسرًا ممهدًا مستطيلاً ممتدًا يبتدئ من الحدّ المذكور ، وينتهى إلى جهة المذبح خارج الحسينية ، فخرب بسبب ذلك أماكن كثيرة وغيطان عديدة ، وقطعوا / فى طريقهم جانبًا من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب[7] ، وردموا خليج بركة الرطلى[8] ، وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار ، المقابل لجسر بركة الرطلى ، وأشجار الجسر أيضًا ، والأبنية التى بين باب

/٤٨أ

---

(١) جامع أبى هريرة : أنظر ، ص ٧٦ ، حاشية رقم (٤) .

(٢) قنطرة الليمون : قنطرة على الخليج المصرى يتوصل منها إلى شاطئ الخليج الغربى .

(٣) قنطرة الدكة : أنظر ، ص ٥٢ ، حاشية رقم (٥) .

(٤) قنطرة المغربى : قنطرة كانت قائمة على الخليج بالقرب من باب الشعرية ، يتوصل منها إلى الشاطئ الغربى.

(٥) موردة التبن : أى الميناء الصغير الذى يصل إليه التبن المرسل إلى القاهرة .

(٦) باب العدوى : هو باب الشعرية الكبير ، وعرف بباب العدوى ، لوقوعه تجاه جامع العدوى . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٧) قنطرة الحاجب : أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ٧٢٥ هـ / ٣٤ - ١٣٣٥ م ، على الخليج الناصرى ، ويتوصل إليها من أرض الطبالة ، وكان عليها صفان من الحوانيت ، ومن تحتها يصب الخليج الناصرى فى الخليج الكبير . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٨) بركة الرطلى : هذه البركة من جملة أرض الطبالة ، عرفت ببركة الطوابين ، من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب ، كان فى شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد ، التى تزن بها الباعة ، فسماها الناس بركة الرطلى ، نسبة لصانع الأرطال . المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .

الحديد ، والرحبة التى بظاهر جامع المقس [1] ، وساووا الأعلى بالمنخفض ، بحيث صارت طريقًا ممتدة من الأزبكية إلى جهة قبة النصر[2] ، والعادلية[3] ، على خط مستقيم من الجهتين ، وجعلوا جامع الظاهر بيبرس ، خارج الحسينية قلعة ، وهدموا منارته وجعلوها برجًا ، ووضعوا فى أسواره مدافع ، وأسكنوه جماعة من العسكر ، وبنوا فى داخله عدة مساكن ، يسكنها العساكر المقيمون به .

ومنها : أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل العقارب بالناصرية كرانك[4] وأبراجًا، ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر . وهدموا عدة دور منها دور الأمراء وأخذوا أنقاضها ورخامها لأبنيتهم على التلول وغيرها . وأفردوا للمدبرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين[5] حارة الناصرية وما بها من البيوت ، من بيت قاسم بيك أمير الحاج سابقًا المعروف بأبى سيف ، وبيت حسن كاشف جركس الذى أنشأه وشيده وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة من مظالم العباد ، وعند إتمام بياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ففر مع الفَارِّينَ وتركه بما فيه ، وسكنته الجماعة المذكورة ووضعوا فيه جملة كبيرة من كتبهم ، وعليها خازن يحفظها ، ويحضرها للطلبة فيراجعوا فيها مرادهم ويردها إلى / مكانها ، وأكثرها يشتمل على الرياضيات /٤٨ب والتصويرات وتواريخ الأمم السالفة، وسموا ذلك البيت بالمدرسة [6]. وأفردوا مكانا للنجارين والحدادين والخراطين وأرباب الصنائع من الفرنسيس ، ومكانا للحكمة ، وبنوا فيه « كوانين » وتنانير[7] مهندمة ، وركبوا عليها آلات التقاطير واستخراج المياه والأدهان المختصة بالطب والحكمة وأرواح المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب ، وبه أوان وقوارير من الزجاج المختلف الأشكال والهيئات إلى غير ذلك .

---

(١) جامع المقس : أنظر ، ص ٧٦، حاشية رقم (١) .

(٢) قبة النصر : كانت زاوية يسكنها فقراء العجم ، وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر ، جددها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، كانت واقعة فى الفضاء الكائن شرقى خانقاة السلطان برقوق ، وقد اندثرت. زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) العادلية : أنظر ، ص ٣٥ ، حاشية رقم (١) .

(٤) كرانك : أى أمكنة للتدريب والحراسة والدفاع.

(٥) المنشين : كُتَّابُ الإنشاءِ

(٦) وهذه المدرسة هى التى عرفت بالمجمع العلمى

(٧) تنانير : أفران

وفيه [1] ، ورد الخبر بموت صالح بيك أمير الحاج بغزّة .

شهر ر . . [2]

استهل بيوم الأحد [3] .

وفى ثالثه [4] ، قتلوا شخصًا من الأجناد يقال له مصطفى كاشف ، من جماعة حسنين بيك المعروف بشفت ، وكان قد فرّ مع الفارين ، ثم حضر من غير استئذان ، وأقام أيامًا مستترًا ببيت الشيخ سليمان الفيومى ، فَسَلَّمَهُ لمصطفى أغا مستحفظان ، ليأخذ له أمانًا ، فأخبر الفرنسيس بشأنه وأغراهم عليه ، فأمروا بقتله ، فقتلوه وقطعوا رأسه ، وطافوا بها ينادون عليها ، بقولهم : « هذا جزاء من يدخل إلى مصر بغير إذن الفرنسيس » .

وفى يوم الخميس [5] ، حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليوب ، وصحبته سليمان الشواربى شيخ قليوب ، وكبير الناحية ، فلما حضر حبسوه بالقلعة ، قيل : إنهم عثروا معه على مكتوب ، أرسله وقت الفتنة السابقة إلى سرياقوس[6] ، ليستنهض أهل تلك النواحى فى القيام ، ويأمرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيس ؛ ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضًا .

/٤٩أ وفيه [7] ، أَحْدَثُوا مدفعًا يضربونه / كل يوم ، وقت الزوال ، لأن ذلك الوقت عندهم إبتداء اليوم .

وفى يوم الأربعاء عاشره[8] ، نادوا فى الأسواق بأن من أراد أن يشترى لفرس أو حمار فليحضر يوم الجمعة ثانى عشره[9] ، ببولاق ، ويشترى من الفرنساوية ما أحب من ذلك ، وكتبوا بذلك أوراقًا وألصقوها بالأسواق والأزقة ، وهى مطبوعة وعليها الصورة ، ونصها :

(١) ٢٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .
(٢) رجب ١٢١٣ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٩٨ - ٧ يناير ١٧٩٩ م .
(٣) ١ رجب ١٢١٣ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٩٨ م .
(٤) ٣ رجب ١٢١٣ هـ / ١١ ديسمبر ١٧٩٨ م .
(٥) ٥ رجب ١٢١٣ هـ / ١٣ ديسمبر ١٧٩٨ م .
(٦) سرياقوس : أنظر ، ص٧٥ ، حاشية رقم (٥) .
(٧) ٥ رجب ١٢١٣ هـ / ١٣ ديسمبر ١٧٩٨ م .
(٨) ١٠ رجب ١٢١٣ هـ / ١٨ ديسمبر ١٧٩٨ م .
(٩) ١٢ رجب ١٢١٣ هـ / ٢٠ ديسمبر ١٧٩٨ م .

« فلـيكن معـلومًا عند كـافة الرعايـا المصرية ، أن يـوم الجمعة إثـنى عشر شـهر رجب[1] ، الساعـة الثانيـة ، يباع فى بـولاق جملة خيـل من المشيـخة الفرنـساوية ، فلأجل هذا المشـترى ، كل من أراد يقتنى خـيلاً مَنَحْنَا له الإجازة أنه يقتنـى كما يريد ويشاء » . انتهى .

وفى يوم الإثنين سادس عشره [2] ، سافر كبير الفرنسيس بونابرته إلى السويس ، وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقى ، وإبراهـيم أفندى كاتب البهار ، وأخذ معه أيضًا بعـض المدبريـن والمهـندسين والمـصورين، وجـرجس الجوهـرى والطـون أبو طاقـية وغيرهم، وعدة عساكر من الخيالة والمـشاة ، وبعض مدافع وعربات وتختروانات[3] ، وعدة جمال تحمل الذخيرة والماء والقومانية [4] .

وفيه [5] ، شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفرًا ، منهم أربعة عشر ، يقال لهم الخصوصى ، وهم الذين يحضرون دائمًا ، ويقال لهم الديوان الخصوصى [6] ، والديوان الـدَّيْمُومِى ، والباقى بـحسب الاقتـضاء ، والأربعة عـشر فيهم مـــن المشايخ : الشرقاوى ، والمـهدى ، والصاوى ، والبكرى ، والـفيومى ، ومن التجار المحروقى ، وأحمد بن محمود محرم ، ومن النصارى القبطة ، لطف الله المصرى ، ومن الشـوام : / يوسف فرحات ، ومخائيـل كُحَيْل ، وواحد انجليزى ، وبوديف ومـوسـى كافـــو [7] الفرنـساويان ، ووكلاء ومبـاشرين[8] من الفرنـسيس وتراجمة .

/ ٤٩ب

---

(١) ١٢ رجب ١٢١٣ هـ / ٢٠ ديسمبر ١٧٩٨ م . (٢) ١٦ رجب ١٢١٣ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٣) تختروانات : جمع « تـختروان » ، فارسية « تخت » ، بمعنى السرير ، و « روان » ، الـسائر أو المتحرك ، وهو عبارة عن هودج أو محفة يحملها جملان أو حصانـان من أمام ، وجملان أو حصانان من خلف ، يركبه علية القوم من الرجال والنساء . سليمان ، أحمد السعيد السابق ، ص ٥٣ .

(٤) القومانية : يونانية ، دخلـت التركية ، وتعنى ذخيرة السفينة وميرة الجند عليها ومستودعها ، والدولاب فى قاع القارب ، والجبرتى يستعملها بمعنى الذخيرة والتموين بعامة . نفس المرجع ، ص ١٧٤ .

(٥) ١٦ رجب ١٢١٣ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٦) الديـوان الخصـــوصى : يتكون من أربعة عشر عضواً ، ينتخبهم أعـضاء الديوان العمومـى ، ويـصدق القائد العام ، على انـتخابهم . وهذا الديوان يجـتمع يوميا للنظر فـى مصالح الرعية ووضع الحلـول لها ، والأعضاء الذين تكــون منهم ، هم : الشيخ عـبدالله الشرقاوى ، الشيخ محـمد المهدى ، الشيخ مصـطفى الصاوى ، الشيخ خليل البكرى ، الشيخ سليمان الفيومى ، ومـن التجار : السيد أحمد المحروقى شاهبندر التجار ، السيد أحمد محرم . تاجـر البن والبهار . ومن الأقباط : المعلـم لطف الله المصرى ، المعلم إبراهيـم العايط . ومن السوريين : يوسف فرحات ، ميخائيل كحيل .

(٧) كافوا : Cafe

(٨) المباشـرون : هم المشرفـون على محصـلى الضرائب سـواء أكانت ضرائـب شرعية أم غيـر شرعية وقـد لعب المباشرون دورًا كبـيرًا فى الإدارة فى العصر العـثمانى فى المدينة والريـف ، وتمتعوا بنفوذ واسع ، مـستمد من =

وأما العمومى[1] : فغالبه مشايخ حرف ، وكتبوا بذلك طومارًا [2] كبيرًا بصموا منه نسخًا كثيرة ، وأرسلوا منها نسخًا للأعيان وألصقوا منها بالأسواق على العادة ، وأرسلوا للذين عينوا بالديوان أوراقًا بأسمائهم .

وصورة صَدْرِ ذلك الطومار المكتتب فى شأن ذلك .

وقد أوردت ذلك ، وإن كان فيه بعض الطول ، للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول ، والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التحيلات التى تنادى على بطلانها بديهة العقل فضلا عن النظر ، وهو مقول على لسان بونابرته كبير الفرنسيس ، ورئيسهم ذلك التعيس ، ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية ، خطابًا إلى كافة أهل مصر الخاص والعام ، نعلمكم أن بعض الناس ضالين العقول خالين من المعرفة وإدراك العواقب ، سابقًا أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر ، فأهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة ، والبارى سبحانه وتعالى أمرنى بالشفقة والرحمة للعباد ، فامتثلت أمره وصرت رحيما بكم ، شفوقًا عليكم ، ولكن كان حصل عندى غيظ وغم شديد ، بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم ، ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد وصلاح أحوالكم ، من مدة شهرين ، والآن توجه خاطرنا إلى ترتيب الديوان كما كان ، لأنَّ حسن أحوالكم ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسانا ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التى وقعت / سابقًا . ٥٠ أ/

أيها العلماء والأشراف : أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذى يعادينى

* وظيفتهم ، والمبشر نفوذه يمتد إلى جميع العاملين فى جمع الضرائب وتسجيلها من الصيارفة والكتبة والمساحين ، ورئيس المبشرين يطلق عليه لقب « كبير المبشرين » .

(١) الديوان العمومى : يتكون من ستين عضوا على النحو التالى : ١٤ من العلماء ، ٢٦ من التجار والصناع ، ١١ من رجال العسكرية ، ٢ من مشايخ الأخطاط ، ٤ من الأقباط ، ٣ من الأجانب ، ويجتمع بناء على دعوة من حاكم القاهرة ، وينتخب الأعضاء من بينهم الرئيس ، وينظر فى الموضوعات التى تعرض عليه ، وله سكرتيران .

(٢) طومار : أنظر ، ص ٦٣ ، حاشية رقم (٨) .

ويخاصمنى إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره ، فلا يجد ملجأ ومخلصًا ينجيه منى فى هذا العالم، ولاينجو من بين يدى الله، لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى ، والعاقل يعرف أن ما فعلنا بتقدير الله تعالى وارادته وقضائه ، ومن يشك فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة ؛ وَأَعْلِمُوا أيضًا أمتكم أنَّ اللهَ قَدَّر فى الأزل هلاك أعداء الإسلام وتكسير الصلبان على يدى ، وقدر فى الأزل بعد ذلك أن أجئ من المغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، وإجراء الأمر الذى أمرت به ، ولايشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضائه .

وأَعْلِمُوا أيضًا أمتكم أن القرآن العظيم ، صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل، وأشار فى آيات أخرى إلى أمور تقع فى المستقبل ، وكلام الله فى كتابه صدق وحق لايختلف ، إذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات فى آذانكم ، فلترجع أمتكم جميعًا إلى صفاء النية وإخلاص الطوية ، فإن منهم من يمتنع عن لعنى وإظهار عدواتى من خوف سلاحى وشدة سطوتى ، ولم يعلم أن الله مطلع على السرائر ، يعلم خافية الأعين وما تخفى الصدور ؛ والذى يفعل ذلك يكون معارضًا لأحكام الله ومنافقًا ، وعليه اللعنة والنقمة من الله علاَّم الغيوب .

واعلموا أيضًا أنِّى أقدر على إظهار ما فى نفس كل أحد منكم ، لأننى أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه ، وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده ، ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أننى كلما فعلته ، وحكمت به / فهو حكم إلهى لايرد ، وأن اجتهاد الإنسان بغاية جهده ما يمنعنى عن قضاء الله الذى قدره وأجراه على يدى ، فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم معى مع صفاء النية وإخلاص السريرة والسلام » ، ورتبوا لأرباب الديوان الديمومى شهرية تدفع إليهم ، نظير تَقَيُّدِهِم بمصالح العامة والدعاوى ، وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين .

/ ٥٠ب

وفى ثامن عشره[1] ، طافوا على الطواحين ، واختاروا من كل طاحون فرسًا أخذوها ، ومن الطحانين من صالحهم ودفع لهم دراهم وتركوه ، وذلك أنهم لما باعوا الخيول ببولاق ، فاشترى منهم الطحانون جملة ، فكان كل من باع حصانه شرط فى أذنه شرطًا ليكون له علامة ، وبعد ذلك طافوا بالطواحين وأخذوا عوض خيولهم مما استحسنوه وَلاَقَ بخاطرهم .

---

(١) ١٨ رجب ١٢١٣ هـ / ٢٦ ديسمبر ١٧٩٨ م .

وفى أربع عشرينه [١]، حضر السيد أحمد المحروقى، وكاتب البهار من السويس، وكان صارى عسكر ذهب إلى ناحية بـلبيس[٢] ، فأستـأذنوه فى ذهابهم إلـى مصر ، فأذن لهم وأرسل معهم خمسين عسكريًا ليوصلوهم إلى مصر .

ولما حضروا حكُوا أنَّ أَهْلَ السويس لما بلغهم مجئ الفرنساوية ، هـربوا وأخلوا البلد وذهبوا إلى الطور ، وذهب البعض إلى العـرب فى البادية ، فنهب الفرنسيس ما وجدوه بالـبندر من الـبن والمتاجر والأمـتعة وغيـر ذلك ، وهدموا الـدور ، وكسروا الأخشاب وخوابى[٣] الماء ، فلـما حضر كبـيرهم وكان متـأخرًا عنهم ، كَلَّمَه الـتجار الذاهبون معـه ، وأعلموه أن هذا الفعل غيـر صالح ، فاسترد من العسـكر البعض ، وواعدهم باسترجاع البـاقى أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قائمـة بالمنهوبات ، وهذا نوع / من الكذب والتحيل ، فإنه لما ارتحل من هناك أخذ العسكر ما كانوا استردوه ، وما كانوا تركوه أيضًا ، وأنَّه وجد مركبين حضرا إلى قريب من السويس بها جانب بن ومتاجر ، فقربت إحداهما فنزلت طائفة من الفرنسيس فى مراكب صغار ، وذهبوا لها فى الغاطس ، وأخرجوها بآلات رَكَّبُوهَا واصطنعوها .

٥١ أ/

وفى مدة إقامته بالسويس ، صار يركب ويتأمل فى النواحى وجهات ساحل البحر والبر ليـلاً ونهارًا ، وكان معه من الأدم فى هـذه السَفرة ثلاث طيور دجاج مـحمرين ملفوفين فى ورق ، وليس معه طباخ ولا فراش ولا فِراش ولاخيمة .

وفى يوم الـسبت [٤] ، حضر عـدة من العسكـر الفرنساوى مـن ناحية بلـبيس ، ومعهم عدة مـن العربان نحو الثلاثـين نفرًا موثوقين بالحبـال ، وأسروا أيضًا عدة من أولادهم ذكورًا وإناسًا ، ودخلـوا بهم إلى مصر يزفونـهم بالطبول أمامهـم ، ومعهم أيضًا ثلاثة حمول من حمول التجار ، وبعـض جِمَالٍ مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحجّ .

وفى ليلة الإثنين غايته[٥] ، حضر صارى عسكر من ناحية بلبيس ليلاً إلى مصر ، وأحضر معه عدة عربان وعـبد الرحمن أباظا أخو سليمان أباظا شـيخ العيايدة وخلافه رهائن ، وضربوا أبو زعبل[٦] والمنير[٧] ونهبوهم، وأخذوا بهائمهم ومالهم من المواشى

---

(١) ٢٤ رجب ١٢١٣ هـ / ١ يناير ١٧٩٨ م .
(٢) بلبيس . أنظر ، ص ١٢، حاشية رقم (٢) .
(٣) خوابى الماء : صهاريج أو خزانات الماء .
(٤) ٢٨ رجب ١٢١٣ هـ / ٥ يناير ١٧٩٨ م
(٥) غاية رجب ١٢١٣ هـ / ٥ يناير ١٧٩٨ م .
(٦) أبو زعبل : أنظر ، ص ٤٤ ، حاشية رقم (٣)
(٧) المنير : كـانت من توابع زفيـتة مشتول ، ثم فـصلت عنها فـى تاريخ ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م ، وردت فى خـريطة الحملـة الفرنسية ، وفـى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وهى إحدى قـرى مركز بلبيـس ، محافظة الشـرقية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٠٧ .

والأموال ، وحضروا بهم إلى القاهرة وخلفهم أصحابهم رجالاً ونساءً وصغاراً .

وفى ذلك اليوم [١] ، قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى شيخ قليوب[٢] ومعه أيضًا ثلاثة رجال ، يقال : إنهم من عرب الشرقية ، فأنزلوهم من القلعة / إلى الرميلة على يد الأغا ، وقطعوا رؤوسهم ، وحملوا جثة الشواربى مع رأسه فى تابوت، وأخذوه أتباعه وذهبوا به إلى بلدة قليوب ليدفن هناك . ‏/ ٥١ ب

وانقضى هذا الشهر [٣] ، وما تجدد به أيضًا من الحوادث الكلية والجزئية .

فمنها : تسلق أنفار من عسكر الفرنسيس على بعض الدور ليلاً وسرقتهم أمتعة وقتل أنفس بالدور والأزقة ذهبت هدرًا ؛ ووقع أن فى ليلة السابع والعشرين منه[٤] ، أتت جماعة إلى دار الشيخ محمد بن الجوهرى الكائن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء ، فخلعوا الشباك المطل على البركة ودخلوا منه ، وصعدوا إلى أعلى الدار ، وكان بها ثلاثة من النساء الخَدَّامَاتِ وابنة خَدَّامَة أيضًا ، وبَوَّابِ الدَّارِ ، ولم يكن ربّ الدار بها ولا الحريم ، بل كانوا قد انتقلوا لدار أخرى ، لما سكن معظم العسكر بالأزبكية ، فاستيقظ النساء وصرخن فضربهن العسكر وقتلوهن واختفت البنت فى جهة ، وعاثوا فى الدار وأخذوا متاعًا ومصاغًا ونزلوا ؛ واستيقظ البواب فاختفى خوفًا منهم ، فلما طلع النهار ، وشاع الخبر ، وكان صارى عسكر غائبًا فلم يقع كلام فى شأن ذلك ، فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان إليه وأخبروه ، فأظهر الغمّ من ذلك والمذمة لما فيه من العار ، الذى يلحقه لكون العسكر وقع منهم ذلك فى غيابه ، ثم اهتمّ فى التفحص عمن فعل ذلك ، وقتل من اتهم منهم .

ومنها : كثرة تعدى القلقات وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة ، وإذا مروا فى الليل ووجدوا قنديلاً أطفأه الهواء أو فرغ زيته ، سمروا الحانوت أو الدار التى هو عليها ، ولايقلعون المسمار / حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبوا من الدراهم ، وربما تَعَمَّدوا كسر القناديل لأجل ذلك ؛ واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير ‏/ ٥٢ أ

---

(١) غاية رجب ١٢١٣ هـ / ٧ يناير ١٧٩٨ م .

(٢) قليوب : قرية من القرى القديمة ، كانت قاعدة للقليوبية حتى ١٨٥٠ م ، حيث نقل منها ديوان المديرية والمصالح الأخرى إلى بنها ، فأصبحت قاعدة قسم قليوب ، ثم قاعدة مركز قليوب من ١٨٧١ م . محافظة القليوبية . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) رجب ١٢١٣ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٩٨ - ٧ يناير ١٧٩٩ م .

(٤) ٢٧ رجب ١٢١٣ هـ / ٤ يناير ١٧٩٨ م .

الجيوش[1] ، بسبب كونها فى ظروف من الــورق والجريد ، فابتل الورق ، وسال الماء فأطفأ القناديل ، فسمروا حوانيت السوق ، وأصبح أهلها فصالحوا عليها ، ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة ، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة كبيرة من الدراهم وأمثال ذلك، حتى فى الأزقة والعطف غَيْر [2] النافذة ، حتى كأَنَّ الناس ليس لهم شغل إلا القناديل وتفقد حالها ، وخصوصًا فى ليل الشتاء الطويل ، والحكم لله الواحد القهار .

شهر شعبان [3]

استهل بيوم الثلاثاء[4] ، وفيه[5] قتلوا ثلاثة أنفار من الفـرنسيس بالبندق الرصاص بالميدان تحت القلعة ، قيل : إنهم من المتسلقين على الدور .

وفيه [6] ، أخبر السُّفَّارُ بأن مراد بـيك ومن معه ترفعوا إلى قبـلى ، ووصلوا إلى عقبة الهو[7] ، وكلـما قرب مـنهم الـفرنسيـس انتقـلوا وَقَبَّلُوا ، ولقـد داخلهـم من الفرنسيس شدة الخوف والرعب ، ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال .

وفيه [8] ، قدمت رباعة تحـمل البن الذى حضر من السويـس بالمركب الداو[9] ، بصحبته جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق .

وفى يـوم الأحد سـادسه [10] ، نادى القـبطـان الفـرنسـاوى الـساكـن بالـمشهد الحسينى ، على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق ، لأجل مولد الحسين الـشهرى، وشدد فى ذلـك وأوعد من أغلق حـانوته بتسـميره وتغريـمة عشرة ريالات فرانسة.

وكان السبب فى ذلك والأصل فيه ، أن هذا المولـد ابتدعه السيد بدوى القبانى ،

---

(١) سوق أمير الجيوش : هـو السوق المعروف بسوق مرجوش ، وكان سـوقًا عامرًا بمختلف السلع مـثل : الأقمشة والبن وغير ذلك طوال العصر العثمانى ، وموضعه تحت الربع بالقرب من مديرية أمن القاهرة .

(٢) بالأصل ، « الغير النافذة » صوبت.

(٣) شعبان ١٢١٣ هـ / ٨ يناير - ٥ فبراير ١٧٩٩ م .

(٤) ١ شعبان ١٢١٣ هـ / ٨ يناير ١٧٩٩ م .

(٥) ١ شعبان ١٢١٣ هـ / ٨ يناير ١٧٩٩ م .

(٦) ١ شعبان ١٢١٣ هـ / ٨ يناير ١٧٩٩ م .

(٧) عقبة الهو : هى مدينة هِو ، من المدن المصرية الـقديمة ، وهى إحدى مدن نجع حمادى ، محافظة قنا . رمزى، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٩٩ .

(٨) ١ شعبان ١٢١٣ هـ / ٨ يناير ١٧٩٩ م .

(٩) الداو : نوع من السفن كـان مـستعملا فى الخليج العربى والـبحر الأحمر ، يستعمل هذا النـوع فى نقل السلع التجارية من ميناء إلى اخر ، ويستعمل فى أغراض كثيرة غير نقل السلع .

(١٠) ٦ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٣ يناير ١٧٩٩ م .

/ ٥٢ ب مباشر وقف جامع سيدنا الحسين ، كان قد / اعتراه مرض الحب الإفرنجى [١] ، فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى ، فحصلت له بعض إفاقة ، فابتدأ به ، وأوقد فى القبة والمسجد قناديل وبعض شموع ، ورتب فقهاء يقرءون القرآن بالنهار مدارسة ، وآخرين بالمسجد يقرءون بالليل « دلائل الخيرات » للجزولى ، ثم زاد الحال ، وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفى ، والسمان ، والعربى والعيساوية ، فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها ، وينشد لهم المنشدون القصائد والمواليات ، ومنهم من يقول أبياتًا من بردة الأبى صيرى ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى ﷺ .

وأما العيساوية : فهم جماعة من المغاربة وما دخل فيهم من أهل الأهواء ، ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى ، وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ، ويقولون كلامًا معوجًا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها ، على قدر النغم ضربًا شديدًا ، مع ارتفاع أصواتهم ، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض ، بحيث لايخرج واحد عن الآخر ويلتوون وينتصبون ، ويرتفعون ، وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة ، بحيث لايقوم هذا المقام إلا مَنْ عُرِفَ بالقوة ، وهذه الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعات الفقراء ، كل أحد له طريقة وكيفية تباين الآخر ، / ٥٣ أ هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد / للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك والتلفت إلى حسان الغلمان ، الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم، والافتتان بهم، ورمى قشور اللب والمسكرات والمأكولات فى المسجد ، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء ، فيصير الجامع بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ملتحقًا بالأسواق الممتهنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم زاد الحال عن ذلك بقدوم جماعة الأشاير [٢] من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناور القناديل والشموع والطبول والزمور ، ويتكلمون

(١) مرض الحب الإفرنجى : مرض يصيب الوجه ، وتظهر فى الوجه حبوب ، ويعرف بحب الشباب .

(٢) جماعة الأشاير : أنظر ، ص ٣٠ ، حاشية رقم (٤) .

بكلام محرف ، يظنون أنه ذِكْرًا وتوسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم إلى الاعتزال والخروج والزندقة ، وغالبهم من السُّوَقَةِ وأَهْلِ الحِرف السافلة ، ومن لايملك قوت ليلته ، فتجد أحدهم يجتهد فى قوة سعيه ، ويبيع متاعه، أو يستدين الجملة من الدراهم ، ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة ، وأكلٌ ، يجمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش [1] ، ثم يقطع ليلته تلك سهرانًا ، ويصبح دايخًا كسلانًا ، ويظن أنه بات يتعبد ، ويذكر ويتهجد ؛ واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين ، ولم يزدد الناذر لذلك إلا مرضًا ومقتًا ، واستجلب خَدَمَةُ الضَّرِيحِ ما لاح لهم من خساف العقول مثل : الشمع والدراهم ، واتخذوا ذلك حيالة لأكل أموال الناس بالباطل .

فلما حدثت هذه الحادثة لمصر ، تُرِكَ هذا المولد فى جملة المتروكات .

ثم حصلت الفتنة التى حصلت ، وسكن هذا القلق الفرنساوى فى خط المشهد ، لضبط تلك الجهة وفيه / خبث ومداهنة ، فصار ينافق المسلمين ، ويظهر لهم المحبة والتملق ، ويدخل بيوت الجيران ، ويقبل شفاعات المتشفعين ، وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم فى غير هذه الجهة ، وكذلك ترك ما يفعله غيره من القلقات من أنواع التشديد على الناس ، فاطمأن به الناس لذلك ، وتراجعوا للبكور إلى الصلاة فى المساجد ، بعد تخوفهم من العسكر الذى رتب معه وتركهم التبكير ، فلما أنسوا به، وعرفوا أخلاقه، رجعوا لعادتهم، ومشوا بالليل أيضًا بدون فزع وخوف، وترجمانه على مثل طريقته، وهو رجل شريف من أهل حلب [2] كان أسيرًا بمالطة ، فاستخلصه الفرنسيس فى جملة من استخلصوه من أسرى مالطة ، وقدم معهم مصر، فلما رتب هذا القلق فى الخط كان ترجمانه يهوديًا ، فاحتال بعض أعيان أهل الخط ، ورتب الشريف المذكور ترجمانًا عند القلق ، لتكون فيه راحة للناس ، وقد فتح ذلك الترجمان قهوة بالخط بقرب دار القلق ، وجمع الناس للجلوس فيها والسهر حصة من الليل ، وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقدارًا من الليل كعادتهم القديمة ، فاستأنسوا بالاجتماعات والتغنى والخلاعات ، وَعَمَّ ذلك جهات تلك الخطة ؛ ووافق ذلك هوى العامة ، لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة ، وتلك هى طبيعة الفرنسيس ؛ فصاروا يجتمعون عنده للسهر والحديث، ويجلس معه ذلك القلق الفرنساوى، فانساق

٥٣ب/

(١) الحرافيش : جمع «حرفوش» ، الأشخاص الذين لايحوذون احترام الناس ويقومون ببعض الأعمال المخالفة.
(٢) حلب : مدينة سورية ، تقع فى شمال الجمهورية السورية .

الحديث لذكر هذا المولد الشهرى ، وما يقع فى ليلته من المهرجان وَحَسَّنُوا له إعادته ، فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل وشدد فى ذلك .

وفى يوم الأربعاء [١] ، كتبوا أوراقًا بتطيير طيارة / ببركة الأزبكية مثل التى سبق ذكرها وفسدت ، فاجتمع الناس لذلك وقت الظهر وَطَيَّرُوهَا ، وصعدت إلى الأعلى، ومرت إلى أن وصلت تلال البرقية وسقطت ، ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة . وقالوا : « إنها سافرت إلى البلاد البعيدة بِزَعْمِهم » . / ٥٤ أ

وفيه [٢] ، سافر مجلون اللعين إلى الصعيد، واليًا على دجرجا ، لتحرير البلاد ، وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحى للغز .

وفيه [٣] ، سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ، ومواهى ونساء إفرنجيات وصناديق قيل : إنهم أرسلوها إلى الطور وصحبتهم عدة من العسكر .

وفى يوم الخميس عاشره [٤] ، حضر طائفة من عسكر الفرنساوية إلى وكالة زين الفقار بالجمالية ، ففتحوا طبقة كانت لكتخدا على باشا الطرابلسى ، وأخذوا ما وجدوه بها من الأمتعة ، وختموا عدة حواصل وأطباق بذلك الخان [٥] وبالوكالة الجديدة ، وغيرها للمسافرين والهاربين والغليونجية وضبطوا ما بها ، وقبضوا على جماعة من الأتراك والغليونجية التجار ، وسجنوهم بالقلعة ، وصاروا يُفَتِّشُونَ على من بقى منهم بالقاهرة وبولاق ، خصوصًا الجردلية[٦] ، الذين كانوا عسكرا لمراد بيك ، وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والغليونجية الذين كانوا مع مراد بيك ، وبعضهم كان بمصر ، فأدخلوهم فى عسكرهم وَزَيَّوهُم بِزِيِّهِم وَأَعْطُوهُم أَسْلَحَةً وانتظموا فى سلكهم.

وفيه [٧] ، تواترت الأخبار بأن على باشا ، ونصوح باشا ، فارقا مراد بيك ، وَمَرَّا من خلف الجبل على الهجن ، وذهبا إلى جهة الشام ، وصحبتهم جماعة إبراهيم بيك الذين كانوا تخلفوا / مع مراد بيك مثل : رجوان بيك وكان ذهابهم فى أواخر رجب [٨] . / ٥٤ب

---

(١) ٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٦ يناير ١٧٧٩ م . (٢) ٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٦ يناير ١٧٧٩ م .

(٣) ٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٦ يناير ١٧٧٩ م . (٤) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٧٩ م .

(٥) خان ووكالة زين الفقار : خان ووكالة بالجمالية، وقد كان لهما شهرة واسعة فى التجارة فى القاهرة آنذاك .

(٦) الجردلية : وتعنى الكريتلية نسبة إلى جزيرة كريت ، حيث كان هناك عدد ممن ينتسمون إلى هذه الجزيرة يعملون كجند مع مراد بيك .

(٧) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٧٩ م . (٨) أخر رجب ١٢١٣ هـ / ٧ يناير ١٧٧٩ م .

وفيه [١] ، نادوا بإبطال القناديل التى توقد فى الليل على البيوت والدكاكين ، وأن يوقد عوضها فى وسط السوق مجامع ، فى كل مجمع أربعة [٢] قناديل ، بين كل مجمع وأخر ثلاثون ذراعًا ، ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء ، ولا علاقة للقلقات فى ذلك ، ففرح بذلك فقراء الناس وانفرجت عنهم هذه الكربة .

وفيه [٣] ، نادوا أيضًا بأن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة فليذهب إلى العلماء والقاضى .

وفيه [٤] ، ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل [٥] ، ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والأوز والحمير وغير ذلك .

وفيه [٦] ، حضر رجل من ناحية غزة[٧] ، يطلب أمانًا للست فاطمة زوجة مراد بيك ولابنة الشيخ البكرى وزوجها الأمير زين الفقار وخشداشينه[٨] ، والخطاب للشيخ البكرى ، فعرض الشيخ البكرى ذلك ، وترجى عند صارى عسكر بحجة ابنة عمه ، فكتب له أمانًا بحضورهم وأرسل لهم نفقة ، وكان ذلك حيلة منهم لتخلص النفقة ، وأخبر ذلك الرسول أن عبدالله باشا ابن العظم بغزة ، وإبراهيم بيك ومن معه خارج البلد ، وهم فى ضيق وحصر ، وحريمهم داخل البلد .

وفيه [٩] ، ذهب عدة من العسكر الفرنساوية كثيرة إلى قطيا [١٠] ، وشرعوا فى بناء متاريس هناك ، وأشيع سفر كبير الفرنسيس إلى جهة الشام والإغارة عليها .

وفى ليلة الأحد ثالث عشره [١١] ، كان انتقال الشمس لبرج الدلو [١٢] ، وهو أول شهر من شهورهم ، فعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ كما هى عادتهم عند كل انتقال .

(١) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٧٩ م . (٢) بالأصل « أربع » صويت .
(٣) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٧٩ م . (٤) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٧٩ م .
(٥) عرب الكوامل : بطن من قبيلة العبايدة فى بر الجيزة الشرقى ، شرقى النيل فى الحاجر ، تسكن عشائرهم من حلوان حتى أطفيح ، الطيب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٣٠ - ٧٣٤ .
(٦) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٧٩ م . (٧) غزة : أنظر ، ص ٤٧ ، حاشية رقم (٨) .
(٨) خشداشه : أنظر ، ص ٣٠ ، حاشية رقم (١٠) .
(٩) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٩٩ م . (١٠) قطيا : أنظر ، ص٤٥ ، حاشية رقم (٤) .
(١١) ١٣ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٠ يناير ١٧٩٩ م .
(١٢) برج الدلو : انظر ، ص ١ ، حاشية رقم (٢) .

وفى يوم / الإثنين رابع عشره [1] ، نادى المحتسب [2] على اللحم الضانى بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية ، واللحم الجاموسى بخمسة وكان بستة . / ٥٥ آ

وفيه [3] ، ذهبت طائفة من العسكر وضربوا عرب العائد[4] نواحى الخانكة[5] وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنسيس وأسلحتهم جملة ، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه ، وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة .

وفيه [6] ، ذهب عدة من العسكر إلى صنافير[7] وأجهور الورد[8] وقرنفيل[9] وكفر منصور[10] وبلاد أخرى للتفتيش على العرب ، فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها ، والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضًا ، ونهبوا جمالاً وَبَهَائِمَ وغيرهَا ، والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضًا ، ونهبوا جمالا وبهائم ممن لم يعص أيضًا ، ودخلوا بذلك المدينة ، فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة ، والنعجة وابنها بريال ، فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

وفى يوم السبتْ [11] ، قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفرًا ، وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين فى البلاد ، والذين عَسّ[12] عليهم اللعين الأغا ، وبرطلمين ، ووجدوهم مختفين فى البيوت .

---

(١) ١٤ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢١ يناير ١٧٩٩ م . (٢) المحتسب : أنظر ، ص ٣٩، حاشية رقم (٣) .

(٣) ١٤ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢١ يناير ١٧٩٩ م .

(٤) عرب العائد : أصلهم من جُذام ، ومقرهم فى الشرقية ، وقد تحضرت العائد فى القرى ، ولهم باسمهم كفور العائد فى الشرقية ، ومن أشهر عائلات العائد : الأباظية . الطيب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، جـ ١، ص ٥٢٤ .

(٥) الخانكة : أنظر ، ص ٤٤ ، حاشية رقم (٢) . (٦) ١٤ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢١ يناير ١٧٩٩ م .

(٧) صنافير : قرية قديمة من قرى مركز قليوب ، محافظة القليوبية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

(٨) أجهور الورد : هى أجهور الكبرى ، وتعرف بأجهور الورد لكثرة ما كان يزرع فيها من أشجار الورد . إحدى قرى مركز قليوب ، محافظة القليوبية . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٥٣ .

(٩) قرنفيل : قرية قديمة من قرى مركز قليوب ، محافظة القليوبية . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

(١٠) كفر منصور : من القرى القديمة ، مركز طوخ ، محافظة القليوبية . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٤٧ .

(١١) ١٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٦ يناير ١٧٩٩ م .

(١٢) عَسَّ : تَجَسَّسَ .

وفيه [١] ، قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين ، وألقوا الجميع فى بحر النيل .

وفيه [٢] ، نادوا بأن كل من اشترى شيئًا من منهوبات العرب التى نهبها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر .

وفيه [٣] ، كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس إلى جهة الشام ، وطلبوا وهيئوا جملة من الهجن ، وأحضروا جمال عرب الترابين [٤] ، ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط ، ثم رسموا على الوالى بإحضار / عدة كبيرة من الحمير ، يقال : إنها ألف حمار ، وكذلك عدة من البغال ، فطلب شيخ الحمّارة وأمره بجمع ذلك ، وكذلك الركبدارية[٥] ، أمرهم بجمع البغال ، فاختفى غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم ، وامتنع خروج السقائين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير ، وسقائى الجمال والبراسمية [٦] ، فحصل للناس ضيق بسبب ذلك . ٥٥ب/

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه [٧] ، فيه كتبوا أوراقًا ولصقوها بالأسواق على العادة ، ونصها :

«الحمد لله وحده، هذا خطاب إلى جميع أهل مصر من خاص وعام، من محفل الديوان الخصوصى من عقلاء الأنام ، علماء الإسلام ، والوجاقات ، والتجار الفخام ، نعلمكم معاشر أهل مصر أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية ، صفح الصفح الكلى ، عن كامل الناس والرعية ، بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية [٨] من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ،

(١) ١٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٦ يناير ١٧٩٩ م .	(٢) ١٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٦ يناير ١٧٩٩ م .

(٣) ١٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٦ يناير ١٧٩٩ م .

(٤) عرب الترابين : يعود نسبهم إلى البقوم من الأزد القحطانية ، والترابين ذات بأس ونخوة وجسارة فى القتال، وأشهر عشائرهم فى سيناء : الحررة والحسابلة والشبيتات . الطيب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٩ .

(٥) الركبدارية : الذين يعملون بيت الركائب الذى تحفظ فيه السروج واللجم ، وهم يحملون الغاشية (سرج من جلد مخروز بالذهب) . دهمان : محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٨٣ .

(٦) البراسمية : الذين يأتون بالبرسيم على ظهور الجمال ، بالأصل « سقائن » ، صوبت .

(٧) ٢١ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٨ يناير ١٧٩٩ م .

(٨) الجعيدية : مفردها جعيدى ، وهم فئة كانت تثير الفتنة والشغب .

وعفا عفو شاملا ، وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قائد أغا بالأزبكية ، ورتبه من أربعة عشر شخصًا أصحاب معرفة واتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلاً ، كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل قضاء حوائج الرعايًا ، وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام ، وتنظيمها على أكمل نظام وأحكام ، كل ذلك من كمال عقله، وحسن تدبيره ، وفريد حبه لمصر ، وشفقته على سكانها من صغير القوم قبل كبيره، رتَّبهم بالمنزل المذكور كل يوم ، لأجل خلاص المظلوم من الظالم ، وقد اقْتَصَّ من عسكره الذين أساءوا وظلموا بمنزل الشيخ الجوْهرى ، وقتل منهم اثنين/ بقراميدان [١] ، وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالى إلى أدنى مقام ، لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيس ، خصوصًا مع النساء الأرامل ، فإن ذلك قبيح عندهم لايفعله إلا كل خسيس ، ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكَّاس ، لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة على الناس ، ففعل ذلك بحسن تدبيره ، ليمتنع غيره من الظلم ، ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ، ويفحت الخليج الموصل من بحر النيل إلى بحر السويس ، لتخف أجرة الحمل من مصر إلى قُطْرِ الحِجَازِ الأَفْخَمْ ، وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند ، واليمن ، وكل فج عميق ، فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم، واتركوا الفتنة والشرور ، ولاتطيعوا شيطانكم وهواكم ، وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الإستقامة ، لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة ، رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ، ومن كان له حاجة فليأت إلى الديوان بقلب سليم ، إلا من كان له دعوة شرعية فليتوجه إلى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية[٢] ، والسلام على أفضل الرسل على الدوام ».

/ ٥٦ أ

وفيه [٣] ، أرسلوا للوالى لينبه على السقائين بنقل الماء ، وعدم التعرض لهم ولحميرهم .

وفى ليلة الأربعاء ثالث عشرينه [٤] ، فيه خرج عدة كثيرة من العسكر وطلب كبير الفرنسيس أن يأخذ صحبته مصطفى بيك كتخدا الباشا أمير الحاج ، ويأخذ أيضًا

(١) قراميدان : هو الميدان الممتد أسفل سور القلعة ، فى الناحية الشمالية الغربية ، ومكانه الحالى ، منطقة المنشية ، وميدان صلاح الدين بقسم الخليفة .

(٢) خط السكرية : عطفة السكرية ، تقع على يمين المار بدرب الجنينة بشارع درب القبيلة الذى يبتدئ من أخر شارع درب رياش ، وينتهى لشارع قنطرة الدكة . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٩١ .

(٣) ٢١ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٨ يناير ١٧٩٩ م .

(٤) ٢٣ شعبان ١٢١٣ هـ / ٣٠ يناير ١٧٩٩ م .

قاضى العسكر بجمقشى زادة ، وأربعة أنفار من أهل العلم ، وهم : الفيومى ، والصاوى ، والعريشى ، وابن الدواخلى ، وعدة أيضًا من التجار / والوجاقلية ، ونصارى القبط والشوام .

٥٦ب/

وفى سادس عشرينه [١] ، نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا فى رمضان حكم المعتاد .

وفيه [٢] ، انتقل قائم مقام من بيته المطلّ على بركة الفيل ، وهو بيت إبراهيم بيك الوالى ، وسكن ببيت أيوب بيك الكبير المطلّ على بركة الأزبكية ، وكذلك من كان ساكنًا منهم على بركة الفيل انتقلوا بأجمعهم إلى الأزبكية .

وفيه [٣] ، عرض حسن أغا محرم المحتسب ، لصارى عسكر أمر ركوبه المعتاد، لإثبات رؤية هلال رمضان ، فرسم له بذلك على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زائدًا ، وعمل وليمة عظيمة فى بيته أربعة أيام ، أولها السبت وآخرها الثلاثاء ، دَعَا فى أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوجاقات وغيرهم . وفى ثانى يوم التجار والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ورابع يوم ، ودعا بعضًا من أكابر الفرنسيس وأصاغرهم ، وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة ، وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ، فشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومرّ على قائم مقام ، وعلى أمير الحاج ، وصارى عسكر الفرنسيس بونابرته ، ثم رجع بعد الغروب إلى بيت القاضى بين القصرين ، فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعاء ، ثم ركب من هناك بالموكب ، وأمامَهُ المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم ، وخلفه عدة خيالة من الفرنسيس بشعور مصنوعة على كوافى يلبسونها برؤوسهم وشعورها مرخية على أقفيتهم بشكل قبيح بشع مهول .

وانقضى شهر شعبان [٤] وحوادثه :

٥٧ أ/

فمنها : أن أهل مصر جروا على عادتهم / فى بدعهم التى كانوا عليها ، وانكمشوا عن بعضها ، واحتشموها خوفًا من الفرنسيس ، فلما تدرجوا فيها ، وأطلق لهم الفرنسيس القيد ورخصوا لهم ، وسايروهم مشوا عليها ، وانهمكوا فى عمل مواليد الأضرحة التى يرون فرضيتها ، وأنَّهَا قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك ،

(١) ٢٦ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢ فبراير ١٧٩٩ م . (٢) ٢٦ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢ فبراير ١٧٩٩ م .
(٣) ٢٦ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢ فبراير ١٧٩٩ م . (٤) شعبان ١٢١٣ هـ / ٨ يناير - ٥ فبراير ١٧٩٩ م .

وتقربهم إلى ربهم زلفى فى المسالك ؛ فرمحوا فـى غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسر وتعـطل الأسباب ، ووقـف الحال ، وكساد الـصنائـع ، وغلو البـضائع ، وانقـطاع الأخبار، ومـنع الجالب برًا وبحـرًا ، ووقوف الإنجليز واسـتمرارهم بالبـحر ، وشدة حجرهم علـى الصادر والوارد ، حتى غلت جـميع الأصناف المجلوبة ، وانـقطع أثر كثير مـنها ، بحيث لم يبـق له وجود ببر مصر ، وبطـل جملة من الصنائـع ، وافتقر أهلـها واحتـاجوا إلى التـكسب بـالحرف الدَّنِيَّة ، كـقلى الـسمك ، وبيـع الفطـير ، والأشربة المسـكرة للعسكر ، وإحداث عـدة قهاوى ، وطبخ الأطعمـة والمأكولات فى الدكاكين ، وكـان أكثر أهل الحرف التـى بطلت : عمل حَمَّارًا مَكَّارِيًا ، حـتى صارت الأزقة خصوصًا جهات العسكر مزدحمة بـالحمير التى تُكْرَى للتردد فى شوارع مصر ، فإن للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ، ومغالاة فى الأجرة ، بحيث أن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجـة ، سوى أنه يجرى به مسرعًا فى الشوارع ، وكذلك تجتمـع الجماعة منهم ويركبون الحـمير ، ويجهدونها فى المـشى والأسراع بهم فى الشوارع ، وهـم يـغنون ويضحكون ويصيـحون ويتمسخرون ، كما أن لـهم عناية أشد من ذلك فى بذل الأموال فى الخمور ، والتـردد إلى حانات الراح ، والتغالى فى شراء الفواكه ، والبـواطى ، والأقداح ، / حتى قال صاحبنا المشار إلـيه سابقًا هذين البيتين عند توجههم للشام : /٥٧ ب

إنَّ الفَرَنْسِيسَ قَدْ ضَاعَت دَرَاهِمَهُم ... فِى مِصْرَ مَا بَيْنَ حَمَّارٍ وَخَمَّارِ

وَعَنْ قَرِيبٍ لَهُم فِى الـشَّامِ مَهْلَكَةٌ ... يَضِيـعُ فِيـهَا لَهُم آجـالُ أَعْمَارِ

وقد تحقق ما تفاءلَ به عـليهم من الهلكة ، والتردّى فى حبالـة كل مهلكة ، كما سَتطَّلعُ على شرحه .

ومنها : تـرفع أسافل النصارى مـن القبطة ، والشـوام ، والأروام ، واليهود ، وركـوبهـم الخيـول ، وتقلـدهم بالسيوف ، بـسبب خدمتهم لـلفرنسيس، ومـشيهم الخيلاء ، وتجـاهـرهم بفاحـش القـول ، واستـذلالهم للمـسلمين ، وعدم مبـالاتهم بالدين ، إلى غير ذلك مما لايحيط بـه الحساب ، ولايسطر فى كتاب ، كل ذلك جزاء بما كسبت أيديهم ، وما ربك بظلام لِلْعَبِيدِ ، والحال هو الحال ، والمركوز فى الطبع ما زال ؛ والبعض استهوته الشياطين ، ومرق والعياذ بالله من الدين ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومنها : تواتر الأخبـار من ابتداء شهر رجب[1] بأن رجلاً مغربـيًا عالمًا يقال له : الشيخ الكيلانى كان مجاورًا بمكة والمدينة والطائف ، فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز ، وأنهم ملـكوا الديار المصرية ، انزعج أهل الحجاز لـذلك وضجوا بالحرم ، وجردوا الكعبة ، وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ، ويحرضهم على نصرة الحق والديـن ، وقرأ بالحرم كتابًا فى معنى ذلك مؤلفًا ، فـاتعظ جملة من الناس ، وبذلوا أموالهـم وأنفسهم ، واجتمع نحو الستمائـة من المجاهدين ، وركبوا البحر إلى القصير [2] ، مع ما انضم إليهم من أهل ينبع [3] .

فـورد الخبر فـى أواخـره[4] ، أنه انضم إليـهم جملة من أهل الصـعيد ، وبعض أتراك ،/ ومغاربة ، ممن كان خرج مع غز مصر عنـد وقعة إنبابة ، وركـب الغزّ معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيس ، فلم يثبت الغز كـعادتهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد ، والمتجمعة من القرى ، وثبت الحجاريون ، ثم انكفوا لقلتهم وذلك بناحية جرجا[5] ، وهرب الغز والمماليـك إلى ناحية إسنا[6] ، وصحبتهم حسـن بيك الجدّاوى ، وعثمان بيك حسن تابعـه ، ووقع بين الحجازيين والفرنسيس بعض حـروب غير هذه المرة بعدة مواضع ، ولم تقع نكاية فى العدو ، بل ينفصل الفريقان بدون طائل . ٥٨ أ/

ومنها : أن الفرنسيس عـملوا كرنتيلة [7] بجزيرة بولاق ، فيحـجزون بها القادمين من السُّفَّارِ أيامًا معدودة ، كل جِهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها .

ومنها : أن السيد مـصطفى الدمنهورى ، مَرَّ وهو راكب بغلـته بخط الموسكى [8]

(١) ١ رجب ١٢١٣ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٢) القصير : من الثغور المصرية القديمة ، تقع بالقـرب من عيذاب ، وهى اليوم فرضة ، أى ميناء واقعة على البحر الأحمر ، للتجارة الواردة إلى مصر عن طريق مـدينة قوص ، وهى تابعة لمحافظة الغردقة . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٧١ .

(٣) ينبع : ميناء سعودى على الساحل الشرقى للبحر الأحمر .

(٤) أخر شعبان ١٢١٣ هـ / ٥ فبراير ١٧٩٩ م .

(٥) جرجا : قاعـدة مركز جرجا ، من البـلاد القديمة ، إسمها الأصلـى دجرجا ، وهى إحدى مراكز ، مـحافظة سوهاج . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٦) إسنا : من المدن القديمة ، إسمها القبطى Sèni أو San أو Esni ، وهى قاعدة مركز إسنا ، محافظة قنا .

(٧) كرنتيلة : من الإيطالية «Quarantina» بمعنى أربعين ، وكان الواردون إلى مصر من الخارج يحجزون فى الحجر الصحى أربعين يوما ، عند الإشتباه فى مرضهم ، وقد استعمل الفرّنسيون فى مصر نظام الكرنتيلة ، لمنع انتشار الأمراض . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٨) خط الموسكى : أنظر ، ص ٤٠ ، حاشية رقم (١) .

فقابله خيال فرنساوى يحح فرسه ، فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور وألقته من على ظهرها إلى الأرض، وصادف حافر فرس الفرنساوى أذنه فرض صماخه ، فلم يتحرك ولم ينطق ، فرفعوه فى تابوت إلى منزله ، ومات من ليلته إلى رحمة الله تعالى .

شهر رمضان [١]

استهل بيوم الأربعاء [٢] ، كما ذكر ، فيه أَخَذَ كَبِيرُ الفرنسيس فى الاهتمام بالسفر إلى جهة الشام ، وجهزوا طلبًا كثيرًا ، وصاروا فى كل يوم تخرج طائفة بعد طائفة .

وفى يوم السبت [٣] ، عمل صارى عسكر ديوانًا ، وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا المماليك الفارّين بالصعيد ، وأجلوا باقيهم إلى أقصى الصعيد ، وأنهم متوجهون إلى الفرقة الأخرى بناحية غزة فيقطعونهم ، / ويمهدون البلاد الشامية ، لأجل سلوك الطريق ، ومشى القوافل والتجارات براً وبحراً ، لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وأننا نغيب عنكم شهراً ثم نعود ، وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرائع وغير ذلك ، فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ، ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات ، كل كبير يضبط طائفته، خوفًا من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر ؛ فالتزموا له بذلك ، وكتبوا أوراقًا مبصومة على العادة فى معنى ذلك وألصقوها بالطرق . ٥٨/ ب

وفى ذلك اليوم [٤] ، خرج القاضى ومصطفى بيك كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر إلى جهة العادلية ، وخرج أيضًا عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة ، حتى الأسرَّة والفرش والحصر ، وعدة مواهى [٥] ، ومحفات [٦] للنساء والجوارى البيض والسود والحبوش الَّلاتى أخذوهن[٧] من بيوت الأمراء ، وتَزَيَّى أكثرهم بِزِىٍّ نسائهم الإفرنجيات وغير ذلك .

وفى يوم الأحد خامسه [٨] ، ركب صارى عسكر الفرنسيس ، وخرج أيضًا إلى

(١) رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير – ٧ مارس ١٧٩٩ م . (٢) ١ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير ١٧٩٩ م .
(٣) ٤ رمضان ١٢١٣ هـ / ٩ فبراير ١٧٩٩ م . (٤) ٤ رمضان ١٢١٣ هـ / ٩ فبراير ١٧٩٩ م .
(٥) مواهى : أوعية من سعف النخيل ، لها أسماء أخرى مثل : الشنيف ، والخرج أحيانا ، حيث يوضع زوج منها على الحمار معلقتان بقطعة من الخشب .
(٦) محفات : نَقَّالاتٌ . (٧) بالأصل « اخذوهم » صوبت .
(٨) ٥ رمضان ١٢١٣ هـ / ١٠ فبراير ١٧٩٩ م .

العادليــة ، وذلك فـى الساعة الرابعة ، والـطالع الحمل [1] ، وفيه القمـر فى تربيع زحل [2] ، وصاحبه فى الثانـى ، وأبقى بمصر عدة من العسكر بالـقلعة والأبراج التى بنوها على التلول وقائم مقام وبوسليك [3] ، وصارى عسكر دزة[4] بحملة من العسكر فى الصــعيد ، وكذلك صــوارى عسكر الأقالـيم كل واحد معــه عسكر فى جــهة من الجهات ، وأخذ معه المـدبرين ، وأصحاب المشورة ، والتراجمـين ، وأرباب الصنائع منهم : كالحدادين ، والنـجارين ، ومهندسى[5] الحروب ، وكبيرهــم أبو خشبة [6] ، وأبقى أيضًا بعــض أكابرهم بمصر ، ثم تراســل المتخلفون فى الخروج كــل يوم تخرج منهم جماعة .

٥٩أ / وفى يوم الثلاثاء سابعه[7] انتدب للنميمة / ثلاثة من النصارى الشوام ، وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه[8] ، فأرسل قائم مقام خلف المهدى والأغا ، فأحضرهم وذكر لهم ذلك ، فقالوا لهم : « هذا كذب لا أصل له » ، وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة مـنهم فى المسلمين » ، ففحص عمن اختلــق ذلك ، فوجدوهم ثلاثـة من النصارى الـشوام ؛ فقبضــوا عليهم وسجـنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس ، فلم يظهر صحة ما نقلوه فأبقاهم فى الاعتقال ، ثم إن نصارى الشــوام ، رجعوا إلى عادتهم فــى لبس العمائم الســود والزرق ، وتركوا لبس العمائم البيض والشالات الكشميـرى الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك ، ونبهوا أيـضًا بالمناداة فى أوائل رمضان [9] ، بأن نصارى البلد يمشون علــى عادتهــم مع المســلمين أولا ، ولايـتجــاهرون بالأكــل والشرب فــى الأسواق ، ولايشربــون الدخـــان ولا شـيئًا من ذلــك تمردًا منهم ، كــل ذلك استجــلابًا لخواطر الرعية ، حتــى إن بعض الفقهاء مرّ على بــعض النصارى وهو يشرب الدخــان فانتهره فرد علــيه ردًا شنيعًا ، فنــزل ذلك المتعمم فـضرب النصرانـىّ واجتمع عليــه الناس ، وحضــر القلق المحــافظ لتــلك الجهــة فرفعهــا إلى قائــم مقام ، فــسأل من النــصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك، فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه إذا استهل رمضان

---

(١) برج الحمل : انظر : ، ص ١ ، حاشية رقم (٢) .

(٢) زحل : انظر : ، ص ١ ، حاشية رقم (٢) .

(٣) بوسليك : Poussielgue مدير الشئون المالية للحملة .

(٤) ديزيه : "Desaix" ، قائد حملة الصعيد .

(٥) بالأصل « مهندسين » ، صوبت .

(٦) أبو خشبة : هو « كافاريلى Caffarili » .

(٧) ٧ رمضان ١٢١٣ هـ / ١٢ فبراير ١٧٩٩ م .

(٨) ٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ١٤ فبراير ١٧٩٩ م .

(٩) ١ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير ١٧٩٩ م .

لايأكلون ولايشربون فى الأسواق ، ولا بمرأى من المسلمين أبدًا ، فضرب النصرانى وترك المتعمم لسبيله .

وفى تاسع عشره [1] ، أحضر أغاة الانكشارية رجلاً إلى سوق الأشرفية [2] وضرب عنقه قيل : إنه سَارِقٌ .

وفى رابع عشرينه[3] أحضروا مراد أغا تابع سليمان بيك الأغا من قبلى ومعه آخر من الأجناد / فأصعدوهما إلى القلعة ، قيل : بَنْدَقُوا عليهما وقتلوهما . /٥٩ ب

وفى خامس عشرينه [4] ، ورد الخبر بأن الفرنسيس ملكوا قلعة العريش [5] ، وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق ، أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش ، وأسروا عدة من المماليك ، وفى غد [6] يعملون شنكًا ويضربون مدافع فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا .

فلما أصبح يوم الأحد [7] ، حضر المماليك المذكورون[8] وهم ثمانية عشر مملوكًا، وأربعة من الكشاف ، وهم راكبون الحمير ، ومتقلدون بأسلحتهم ، ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس ، فحزن المسلمون لذلك وانقبضت نفوسهم ، وصاروا بين مصدّق ومكذّب ، وخرج بعض الناس فشاهدهم .

ولما وصلوا إلى خارج القاهرة ، حيث الجامع الظاهرى [9] ، خرج اللعين برطلمين ، وكذلك الخاسر الأغا ، كل بطائفته لانتظارهم ومعهم طبول وبيارق ، فمشوا معهم إلى الأزبكية من الطريق التى استحدثوها ، ودخلوا بهم إلى بيت قائم مقام ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم فذهبوا إلى بيوتهم ، وفيهم : أحمد كاشف تابع عثمان بيك الأشقر ، وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار ، وكاشفان آخران ، وهم : يوسف كاشف الرومى ، وإسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور .

وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش ، وصحبتهم نحو ألف

(١) ١٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢٤ فبراير ١٧٩٩ م .
(٢) سوق الأشرفية : السوق الذى كان قائمًا بمنطقة المدرسة الأشرفية بشارع الأشرفية .
(٣) ٢٤ رمضان ١٢١٣ هـ / ١ مارس ١٧٩٩ م . (٤) ٢٥ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢ مارس ١٧٩٩ م .
(٥) قلعة العريش : قلعة كانت قائمة آنذاك بمدينة العريش المصرية بشمال سيناء .
(٦) ٢٥ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢ مارس ١٧٩٩ م . (٧) ٢٦ رمضان ١٢١٣ هـ / ٣ مارس ١٧٩٩ م .
(٨) بالأصل « المذكورة » ، صوبت .
(٩) الجامع الظاهرى : أنشاه الملك الظاهر بيبرس البندقدارى العلائى ، خارج القاهرة بالحسينية ، بالموضع الذى كان يعرف بميدان قراقوش وكملت عمارته ٦٦٧ هـ / ٦٨ - ١٢٦٩ م . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ٥ ، ص ١٠١ .

عسكرى مغاربة وأرناءوط ، فحضر إليهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان [1] ، وأحاطوا بالقلعة ، فحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ، ثم حضر إليهم كبير الفرنسيس بمجموعة بعد أيام ، وألَحُّوا فى حصارهم ، فأرسل من بالعريش إلى غزة وطلب نجدة ، فأرسلوا إليهم نحو السبعمائة ، وعليهم قاسم بك أمين البحرين ، فلم يتمكنوا / من الوصول إلى القلعة لتحلق الفرنسيس بها ، وإحاطتهم عليها ، فنزلوا قريبًا من القلعة ، فكَبَسَهُم عسكر الفرنسيس بالليل ، فاستشهد قاسم بيك وَغَيْرَهُ ، وانهزم الباقون ؛ ولم يزل أهل القلعة يحاربون وينالون من عدوهم ما ينالون، حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة، فطلبوا عند ذلك الأمان فَأَمَّنُوهم ، ومن القلعة أنزلوهم ، وذلك بعد أربعة عشر يومًا ، فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم إلى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم وهؤلاء هم الجماعة القادمون .

٦٠ أ /

وأما العسكر الذين كانوا معهم ، فبعضهم انضاف إليهم وأعطوهم جامكية [2] وعلوفة[3] وأجلسوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس ، والبعض لم يرض بذلك ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم إلى حال سبيلهم ، وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة .

وفى ذلك اليوم [4] بعد الظهر ، عملوا الشنك الموعود به ، وضربوا عدة مدافع من القلعة والأزبكية ؛ فعظم الهاجس ، وتزايدت الوساوس ، وأظهر النصارى الفرح والسرور ، فى الأسواق والدور ، وأولموا فى بيوتهم الولائم ، وغيروا الملابس والعمائم ، وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا فى الشناعة .

وفى يوم الأربعاء [5] توفى أحمد كاشف بقهره فجأة .

وفى عصر ذلك اليوم [6] ، حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة والعشرين وهم راكبون الهجن وعلى رؤوسهم عمائم بيض ولابسون برانس بيض على أكتافهم، فذهبوا إلى بيت قائم مقام بالأزبكية .

فلما أصبح يوم الخميس[7] عملوا الديوان وقرءوا المكاتبة التى حضرت مع

(١) أخر شعبان ١٢١٣ هـ / ٥ فبراير ١٧٩٩ م .

(٢) جامكية : من الفارسية « جامه » ، بمعنى اللباس ، والجامكية فى الإصطلاح العثمانى الجراية الشهرية ، تعطى من غلة الأوقاف ، فهى من ناحية أجر ، ومن ناحية منحة . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٣) علوفة : أنظر ، ص ١٥ ، حاشية رقم (٨) .

(٤) ٢٦ رمضان ١٢١٣ هـ / ٣ مارس ١٧٩٩ م .

(٥) ٢٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ مارس ١٧٩٩ م .

(٦) ٢٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ مارس ١٧٩٩ م .

(٧) ٣٠ رمضان ١٢١٣ هـ / ٧ مارس ١٧٩٩ م .

الهجانة ، حاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزّة ، وخان يونس[1] ، وأخبروا بروايات مختلفة : منها : أنهم وجدوا إبراهيم بيك / ومن معه ارتحلوا من هناك ، وكانوا / ٦٠ ب أرسلوا حريمهم وأثقالهم إلى جبل نابلس[2] ، وقيل بل تحاربوا معهم وهزموا .

وفى ذلك اليوم [3] ، بعد العصر بنحو عشرين درجة ، حضر عدة من الفرنسيس ومعهم كبير منهم ، وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة ، وفيهم جماعة لابسون عمائم بيض وجماعة أيضًا برانيط ، ومعهم نفير ينفخ فيه ، وبيدهم بيارق وهى التى كانت على قلعة العريش[4] ، إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر ، فاصطفوا رجالاً وركبانًا بباب الجامع ، وطلبوا الشيخ الشرقاوى ، فسلموه تلك البيارق وأمروه برفعها ونصبها على منارات الجامع الأزهر ، فنصبوا بيرقين ملوّنين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقًا ، وعلى منارة أخرى بيرقًا ثالثًا ، وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسرورًا ، وكان ذلك ليلة عيد الفطر [5] ، فكان من أشنع ليالى الأعياد على المسلمين .

فلما كان عند الغروب ، ضربوا عدة مدافع أيضًا إعلامًا بالعيد ، وبعد العشاء الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ، ونادوا بالأمان وبخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين ، والاجتماع لصلاة العيد ، وأن يلبسوا أحسن ثيابهم ، ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقًا وأرسلوها إلى البلاد ونصها : فرمان عام موجه من حضرة أمير الجيوش إلى أهالى بر الشام قاطبة .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

« من طرف بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية إلى حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالى نواحى غزّة والرملة[6] ويافا[7] حفظهم الله تعالى ، بعد السلام عليكم ، نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور لكيما نعلمكم أننا حضرنا فى هذا الطرف / لقصدنا طرد / ٦١ أ المماليك وعسكر الجزار عنكم ، وإلى أى سبب حضور عساكر الجند وتعدوا على بلاد يافا والرملة وغزّة التى ما كانت من حكمه ، وإلى أى سبب أيضًا أرسل عساكره إلى قلعة العريش ، بذلك هجم على أراضى مصر ، فبلا شك كان مراده إجراء الحرب معنا فإحنا حضرنا لنحاربه ، فأما أنتم يا أهالى الأطراف المشار إليها لم نقصد لكم

(١) خان يونس : مدينة فلسطينية .
(٢) نابلس : مدينة فلسطينية .
(٣) ٣٠ رمضان ١٢١٣ هـ / ٧ مارس ١٧٩٩ م .
(٤) قلعة العريش : أنظر ، ص١٠٥ ، حاشية رقم (٥) .
(٥) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .
(٦) الرملة : مدينة فلسطينية .
(٧) نابلس : مدينة فلسطينية .

أذية ولا أدنى ضـرر ، فأنتم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين ،
وأخبروا من كان خارجًا عن محله ووطنه أنْ يَرْجعَ ويقيم فى محله ووطنه ، ومن
قبلنا عليكم الأمان ، ثم عليهم الأمان الكافى والحماية التامة ، ولا أحد يتعرض لكم
فى مالكم وما تملكه يدكم ، وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما
كانوا عليه ، وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزًا ومعتبرًا ، والجوامع
عامرة بالصلوات وزيارات المؤمنين ، إذ أن كل خيرٍ يأتىَ من الله سبحانه وتعالى ،
وهو يعطى النصر لمن يشاء ، ولايخفاكم أن جميع ما تتواتر به الناس ضدنا ، فيغدوا
باطلا ، ولا نفع لهم به ، لأن كل ما نضع به يدنا لابدّ عن تمامه بالخير ، والذى
يتظاهر لنا بالحب يفلح ، والذى يتظاهر بالعناد يهلك ، ومن كل ما حصل تفهمون
جيدًا أننا نقهر أعداءنا ونعضد من يحبنا ، وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة
والإشفاق على الفقراء والمساكين » .

ولما أخذوا غزة أرسلوا طومارًا بصورة الواقعة ، وبصموه نسخًا ، وقرئ
بالديوان ، وألصقوا تلك النسخ بالأسواق ، ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، نخبر أهل مصر
وأقاليمها ، أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال / اسكندر برتيه[١] ٦١ب/
خطابًا إلى حضرة صارى عسكر دوجا [٢] وكيل أمير الجيوش بمصر ، يخبره فيه بأن
العساكر الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان [٣] فى خان يونس؛ وفى فجر
تلك الليلة توجهوا سائرين إلى ناحية غزّة ، فكشفوه قبيل الظهر بساعة ، عسكر
المماليك وعسكر الجزار جالسين تجاه غزة فتوجه إليهم الجنرال مرلان [٤] مع عساكر
الفرنساوية من خيالة ومشاة مراده اغتيال عسكر المماليك وعسكر الجزار ، فلما انتبهوا
له فروا هاربين ، ووقع بينه وبين أطراف عساكرهم بعض مضاربة يسيرة ، لم ينجرح
فيها إلا شخصان من الفرنساوية ، ومات عسكرى واحد ، ومات من عسكر المملوك
والجزار ناس قلائل ، وحين تشاغل صارى عسكر مرلان بالمضاربة والمقاتلة ، دخل
حضرة صارى عسكر كلهبر [٥] الذى كان حاكمًا بالإسكندرية ، وكان ساكنًا

(١) إسكندر برتيه Alxandar Berthier : رئيس أركان حرب قوات الحملة الفرنسية .
(٢) دوجا Dugua عينه بونابرت قائدا للجيوش ووكيلا عنه أثناء غيابه فى حملته على الشام .
(٣) ١٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢٤ فبراير ١٧٩٩ م .
(٤) مرلا : صحة الإسم « مرلان Merlin » ، كان ياورا لبونابرت أرسله مع ضابط أخر إلى القسطنطينية للتفاوض حول الأسرى الأتراك اللذين كان من بينهم مصطفى باشا قائد الجيش العثمانى .
(٥) كلهبر . هو كليبر «Kléber» ، قائد الحملة بعد بونابرت ، قتل على يد سليمان الحلبى .

بالأزبكية ، إلى بندر غزّة وملكها من غير معارض له ، ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخاير من : بقسماط ، وشعير ، وأربعمائة قنطار بارود ، واثنى عشر مدفعًا ، وحاصلا كبيرًا ملآنًا بالخيام الكثيرة ، وجللاً ، وبنبات مهيآت محضرات كصنعة الإفرنج ، هذا ما وقع لملكهم بغزّة ، وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقًا ، فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضاء الله ، وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسوّاكم والسلام ختام » .

وانقضى شهر رمضان [1] ، ووقع به قبل ورود هذه الأخبار المؤلمة بمصر من السكون والطمأنينة ، بسبب سفرهم ، وخلوا الطرقات منهم ، وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر ، واختفائهم بالليل جملة كافية ، وانفتاح الأسواق والدكاكين ، والذهاب والمجئ ليلاً ، وزيارة الإخوان ، / والمشى على العادة بالفوانيس ودونها ، واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ، ووقود المساجد وصلاة التراويح ، وطواف المسحراتى ، والتسلى بالرواية والنقول [2] ، وترجى المأمول ، وانحلال الأسعار ، فيما عدا المجلوبات من الأقطار .

/ ٦٢ أ

شهر شوال [3]

استهل بيوم الجمعة [4] .

وفى صبح ذلك اليوم[5] ، ضربوا عدة مدافع لشنك العيد، واجتمع الناس لصلاة العيد فى المساجد والأزهر ، واتفق أن إمام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة فى الركعة الثانية ، فلما سلم أعاد الصلاة بعد ما شنع عليه الجماعة ، وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور ، فانتبذ بعض الحرافيش نواحى تربة باب النصر ، وأسرع فى مشيه ، وهو يقول : « نزلت عليكم العرب يا ناس » ، فهاجت الناس ، وانزعجت النساء ، ورمحت الجعيدية والحرافيش ، وخطفوا ثياب النساء وأزرهن وما صادفوه من عمائم الرجال وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة المجاورين ، وباب الوزير [6] ، والقرافة حتى

(١) رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير - ٧ مارس ١٧٩٩ م .

(٢) أى التسلى بالحديث وأكل الياميش ، مثل : البندق والجوز واللوز والفستق والمشمش والتين المجففين .

(٣) شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس - ٥ أبريل ١٧٩٩ م .

(٤) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .

(٥) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .

(٦) باب الوزير : أحد أبواب القاهرة الخارجية فى سورها الشرقى ، أنشأه صلاح الدين فى المسافة الواقعة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل . زكى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .

أن بعض النساء مات تحت الأرجل ، ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وإنما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم بذلك .

وفيه [1] ، ركب أكابر الفرنسيس ، وطافوا على أعيان البلد ، وَهَنَّؤهم بالعيد ، فجاملهم الناس بالمداراة .

وفى أوائله [2] ، وردت الأخبار ، أن الغز القبليين[3] ، تفرقوا من بعضهم فذهب مراد بيك وآخرون إلى نواحى أبريم[4] ، ومنهم من ذهب إلى ناحية أسوان[5] ، والألفى عدى بجماعته إلى البر الشرقى .

وفى خامسه [6] ، حضر إبن الدواخلى من ناحية القرين [7] متمرضًا ، وكان بِصُحبَتِهِ الصاوى والفيومى متخلفين بالقرين ، وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية أرسل إلى كتخدا الباشا والقاضى ، / واجماعة الذين بصحبتهم ، يأمرهم بالحضور إلى الصالحية ، لأنهم كانوا يتأخرون عنه مرحلة ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب فى الطريق ، فخافوا من المرور ، فذهبوا إلى القرين فأقاموا هناك ، وأخذ عسكر الفرنسيس جمالهم ، فأقاموا بمكانهم ، فتقلق هؤلاء الثلاثة وخافوا سوء العاقبة ، ففارقوهم وذهبوا للقرين ، وتخلف عنهم الفيومى ، فأقام مع كتخدا الباشا والقاضى ، فحصل للشيخ محمد الدواخلى توعك فحضر إلى مصر وبقى رفيقاه فى حيرة .

٦٢ب/

وفى سابعه [8] ، أحضر الأغا رجلاً وَرَمَى رَقَبَتَهُ عند باب زويلة ، وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب، والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة[9]، وجهة الركبية ، ويسمى دلوى ، أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم

---

(١) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م . (٢) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .

(٣) الغز القبليين : أى المماليك الذين كانوا بالوجه القبلى .

(٤) أبريم : قرية قديمة ، إسمها المصرى «Piromi» والقبطى «Brimias» إحدى قرى مركز عنيبة ، محافظة أسوان . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٥) أسوان : من المدن المصرية القديمة ، إسمها المصرى «Soun» أو «Sounou» والقبطى «Souan» ، وهى قاعدة محافظة أسوان . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٦) ٥ شوال ١٢١٣ هـ / ١٢ مارس ١٧٩٩ م . (٧) القرين : أنظر ، ص ٤٣ ، حاشية رقم (٧) .

(٨) ٧ شوال ١٢١٣ هـ / ١٤ مارس ١٧٩٩ م .

(٩) خط الخليفة : شارع الخليفة الواقع بالقرب من القلعة بعد ميدان صلاح الدين والمنشية .

من دفع معتاد الوالى ، فاجتمعوا وذهبوا إلى كبير الفرنسيس الذى يقال له شيخ البلد وشكوا إليه ، وكان الأمير زين الفقار حاضراً ، وهو يسكن تلك الجهة فساعدهم ، وعرّف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد إلى دلوى وانتهره وأمره بردّ ما أخذ ، فأخبره أتباعه أن زين الفقار هو الذى عضدهم وأنهى شكواهم إلى كبيرهم ، فقام دلوى المذكور ، ودخل على زين الفقار فى بيته وسبه وشتمه بلغته وفزع عليه ليضربه ، فلما خرج من عنده قام وذهب إلى كبيرهم وأخبره بفعل دلوى معه ، فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة ، ثم أخبر شيخ البلد بعض الناس أن الذى وقع من دلوى من تعرّضه لبياعين الغلة إنما هو بإغراء خادمه ، وعرّف كبيرهم أن خادمه المذكور مولع بأمرأة رقاصة من الرميلة تأتيه بأشْكَالِهَا ومن على طريقتها ، ويجتمع هو وأضرابه ، وترقص تلك المرأة له فى القهوة التى بخطهم / ليلاً ونهاراً ، وتبيت معهم فى البيت، ويصبحون على حالتهم . /٦٣ أ

فلما حبس أميرهم اختفوا ، فدلوا على الرجل والمرأة فقبضوا عليهم وفعلوا بهم ما ذكر ولا بأس بما حصل .

وفى ثامنه يوم الجمعة [1] ، نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قراميدان ، والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب .

فلما أصبح يوم السبت[2] ، اجتمع الناس بالأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة، فمرّوا بذلك وأمامهم الوالى والمحتسب ، وعليهم القفاطين والبيلشانات[3] ، وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ، ثم برطلمين الكافر ، كتخدا مستحفظان ، وأمامه نفر الإنكشارية من المسلمين نحو المائتين أو أكثر ، وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع ، وهو لابس فروة عظيمة ، ثم مواكب القلقات، ثم موكب ناظر الكسوة وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا، وخلفة النوبة التركية[4] ، فكانت هذه الركبة من أعظم المواكب ، وأعجب العجائب ، لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال ، وتنوع الأمثال ، واجتماع الملل ، وارتفاع السفل ، وكثرة الحشرات، وعجائب المخلوقات؛ واجتماع الأضداد، ومخالفة الوضع المعتاد ؛

(١) ٨ شوال ١٢١٣ هـ / ١٥ مارس ١٧٩٩ م . (٢) ٩ شوال ١٢١٣ هـ / ١٦ مارس ١٧٩٩ م .

(٣) البيلشانات : مفردها « بيلشانة » أو « بيرشانة » ، فارسية دخلت التركية بلفظها ومعناها ، وهى تعنى : نوع من العمامة اسمه الكامل فى اللغة العثمانية « بريشان دستارلى قاووق » أى القاووق ذو العمامة المنتشرة . سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٤) النوبة التركى : أى الجماعة التى تضرب الموسيقى التركى .

وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخـدا المذكور ، وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره [1] ، حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهـم عدة بيارق وأعلام بعد الـظهر ، وأخبروا أن الكفرة الـفرنسيس ملكـوا قلعة يافا[2] ، وبيدهم مكاتبة من صارى عسكرهم بالأخبار عما وقع .

٦٣ب/ / فلما كان يـوم الخميس [3] ، واجتمع أرباب الديوان بالـديوان ، فقرأوا عليهم تلك المراسـلة بعد تقريـرها وترصيفهـا على هذه الكيـفية ، وهى على لـسان رؤساء الديوان إلى الكافة ، وذلك بإلزامهم وأمرهم بذلك ، وصورتها :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« سبحان مالك الملـك ، يفعل فى ملكه ما يريد ، سبحان الحـكم العدل الفاعل المختار ، ذو البطـش الشديد ؛ هذه صورة تمليك سبـحانه وتعالى جمهور الـفرنساوية لبنـدر يافا من الأقطـار الشاميـة ، نعرّف أهل مصـر وأقاليمهـا من سائر الـبرية ، أن العساكر الفرنـساوية انتقلوا من غزّة ثالث عشـرين من شهر رمضان[4] ، ووصلوا إلى الرملة فى الخامس والـعشرين منه [5] ، فى أمن واطمـئنان ، فشاهدوا عسـكر أحمد باشا الجـزار هاربين بسـرعة قائلين: «الـفرار الفرار» ؛ ثم إن الـفرنساويـة وجدوا فى الرملة[6] ، ومدينة اللدّ[7] ، مقدارا كبيرا[8] من مخازن البقسماط[9] والشعير ، ورأوا فيها ألف وخمسمائة قربة مجهزين ، جَهَّزَهَا الجزار ، ليسير بها إلى إقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ، ومراده يتوجه إليها بأشرار العربان من سفح الجبل ، ولكن تقادير الله تفسـد المكر والحيل ، قـاصدًا سفك دماء الـناس مثل عـوايده الشاميـة ، وتجبره وظلمه مشهور ، لأنه تربية المماليـك الظلمة المصرية ، ولـم يعلم من خَشَانَة[10] عقله وسوء تدبيره ، أن الأمر لله ، كل شىء بقضائه وتدبيره .

(١) ١٣ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٠ مارس ١٧٩٩ م .
(٢) قلعة يافا : مدينة فلسطينية ، وكان بها قلعة حصينة ، قاومت قوات بونابرت ، ولما استسلمت له غدر بحاميتها .
(٣) ١٤ شوال ١٢١٣ هـ / ٢١ مارس ١٧٩٩ م . (٤) ٢٣ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢٨ فبراير ١٧٩٩ م .
(٥) ٢٥ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢ مارس ١٧٩٩ م .
(٦) الرَّمْلَة : مدينة فلسطينية .
(٧) اللد : بلدة فلسطينية على بعد ٢٠ كم من يافا ، و ٦٨ كم من القدس .
(٨) بالأصل « مقدار كبير » ، صوبت .
(٩) البقسماط : الخبز المجفف .
(١٠) بنسخة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ١٧٨ « ثخانة » ، والمعنى واحد .

وفى سادس عشرين شهر رمضان [1] ، وصلت مقدمات الفرنساوية إلى بندر يافا من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا إلى حاكمها وكيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل بهم وبعسكرهم الدمار / ، فمن خسافة[2] رأيه وسوء تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جَوَابًا ، وخالف قانون الحرب والصواب ، وفى آخر ذلك اليوم السادس والعشرين [3] ، تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين ، وانقسموا على ثلاثة طوابير ، الطابور الأول : توجه على طريق عكة بعيدا عن يافا بأربع ساعات . / ٦٤ أ

وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور [4] ، أمر حضرة صارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور ، لأجل أن يَعْمَلُوا متاريس أمينة ، وحصارات متقنة حصينة ، لأنه وجد سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة ، ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة .

وفى تاسع عشرين الشهر [5] ، لما قرب فحت الخندق إلى السور مقدار مائة وخمسين خطوة ، أمر حضرة صارى عسكر المشار إليه أن ينصب المدافع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان القنبر بإحكام وتأسيس ، وأمر بنصب مدافع أخر بجانب البحر ، لمنع الخارجين إليهم من مراكب الميناء ، لأنه وجد فى الميناء بعض مراكب أعَدّهَا عسكر الجزار للهروب ، ولاينفع الهروب من المقدر المكتوب .

ولما رأت عساكر الجزار الكائنين بالقلعة المحاصرين ، أن عسكر الفرنساوية قلائل فى رأى العين للناظرين ، لمداراة الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس غرّهم الطمع، فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين ، وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية ، فهجم عليهم الفرنسيس ، وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الوقعة ، وألزموهم وألجأوهم للدخول ثانيًا فى القلعة .

وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان [6] ، حصل عند صارى عسكر شفقة قلبية / وخاف على أهل يافا من عسكره ، إذا دخلوا بالقهر والإكراه ، فأرسل إليهم مكتوبًا مع رسول مضمونه : « لا إله إلا وحده لاشريك له » . / ٦٤ ب

(١) ٢٦ رمضان ١٢١٣ هـ / ٣ مارس ١٧٩٩ م .

(٢) بالأصل « خشانة » ، صوبت من الجزء الثالث من « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » .

(٣) ٢٦ رمضان ١٢١٣ هـ / ٣ مارس ١٧٩٩ م .
(٤) ٢٧ رمضان ١٢١٣ هـ / ٤ مارس ١٧٩٩ م .

(٥) ٢٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ مارس ١٧٩٩ م .
(٦) غاية رمضان ١٢١٣ هـ / ٧ مارس ١٧٩٩ م .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

« من حضرة صارى عسكر إسكندر برتييه [١] كتخدا العسكر الفرنساوى ، إلى حضرة حاكم يافا ، نخبركم أن حضرة صارى عسكر الكبير بونابرته ، أمرنا فى هذا الكتاب نعرفك أنَّ سَبَبَ حُضُورِهِ إلى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة ، لأنه تعدى بإرسال عسكره إلى العريش ومرابطته فيها ، والحال أنَّهَا من إقليم مصر التى أنعم الله بها علينا ، فلا يناسبه الإقامة بالعريش ، لأنها ليست من أرضه ، فقد تعدّى على ملك غيره ، ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته، وربطناه بأنواع الحرب وبالات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر ، وفى مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم . ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار إليه ، لمزيد رحمته وشفقته خصوصًا بالضعفاء من الرعية ، خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين ، إذا دخلوا لكم بالقهر أهلكوكم أجمعين ، فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب أمانًا كافيًا لأهل البلد والأغراب ، ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة ، عنَّكم ساعة فلكية واحدة ، وإنى لكم لمن الناصحين » ، وهذا آخر جواب بالكتاب ، فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين القوانين الحربية ، والشريعة المطهرة المحمدية ، وحالا فى الوقت والساعة هَيَّجَ صارى عسكر ، واشتد غضبه على الجماعة ، وأمر بابتداء ضرب المدافع والقنبر الموجب للتدمّير ، وبعد مضى زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار فى وبال / وتنكيس ؛ وفى وقت الظهر من هذا اليوم [٢] ، انحرق سور [٣] يافا ، وارتج له القوم ، ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار ، ولا راد لقضاء الله ولا مدافع ؛ وفى الحال أمر صارى عسكر بالهجوم عليهم ، وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ، ودار السيف فى المحاربين ، واشتد بحر الحرب وهاج ، وَحَصَلَ النَّهْبُ فيها تلك الليلة . ٦٥ أ/

وفى يوم الجمعة غرة شوال [٤] ، وَقَعَ الصَّفْحُ الجَمِيلُ من حضرة صارى عسكر الكبير ، وَرَقَّ قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا فى يافا وأعطاهم الأمان ، وأمر برجوعهم إلى بلادهم مكرمين ، وكذلك أمر أهل دمشق [٥] وحلب[٦]

(١) برتييه : «Berthier» ، عمل وكيلا لبونابرت فى قيادة جيش حملة الشام .

(٢) غاية رمضان ١٢١٣ هـ / ٧ مارس ١٧٩٩ م .　　(٣) بالأصل « صور » ، صوبت .

(٤) غرة شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .

(٥) دمشق : مدينة سورية قديمة ، وهى قاعدة الجمهورية السورية .

(٦) حلب : أنظر ، ص ٩٣ ، حاشية رقم (٣) .

برجوعهم إلى أوطانهم سالمين ، لأجل أنْ يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته ، يعفو عند المقدرة ، ويصفح وقت المعذرة ، مع تمكنه ومزيد إتقانه وتحصنه ، وفى هذه الوقعة ، قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق ، لما وقع منهم من الانحراف .

وأما الفرنساوية : فلم يقتل منهم إلا القليل ، والمجروحين منهم ليسوا بكثير ، وسبب ذلك سلوكهم إلى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون ، وأخذوا ذخائر كثيرة ، وأموال غزيرة ، ومسكوا المراكب التى فى المينا ، واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة ، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفعًا ، ولم يعلموا مع مقادير الله أن آلات الحرب لاتنفع ، فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضاء الله ، ولاتعترضوا على أحكام الله ، وعليكم بتقوى الله ، واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء ، واسلام عليكم ورحمة الله » .

فلما تحقق الناس صحة هذا الخبر ، / نزل عليهم من الكآبة والهم والحزن ما لايوصف ، فإنهم كانوا يظنون ، بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصًا فى المدة القليلة ولكن المقضى كائن . / ٦٥ب

وفى يوم الجمعة خامس عشره [١] ، شق جماعة من أتباع الشرطة فى الأسواق والحمامات والقهاوى ، ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام ، واللفظ فى حق الفرنسيس ، ويقولون لهم : « من كان يؤمن بالله ورسوله فلينته ، ويترك الكلام فى ذلك ، فإن ذلك مما يهيج العداوة » ، وعرّفوهم أنه إن بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم فى ذلك عوقب أو قتل ، فلم ينتهوا ، وربما قبضوا على البعض وعاقبوه بالضرب والتغريم .

وفى ذلك اليوم [٢] ، كان التحويل الربيعى وانتقال الشمس لبرج الحمل [٣] ، وهو أول شهر من شهورهم ، فعملوا ليلة السبت [٤] شنكًا وَحُرَّاقةً وَسَوَارِيخَ وتجمعوا بدارِ الخلاعة رجالا ونساء ، وتراقصوا وتسابقوا وأَوْقَدُوا سروجًا وشموعًا وغير ذلك ، وأظهر النصارى القبطة والشوام الفرح والسرور .

وفى يوم السبت المذكور [٥] ، أرسلوا الأعلام والبيارق التى أحضروها من قلعة

(١) ١٥ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٢ مارس ١٧٩٩ م . (٢) ١٥ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٢ مارس ١٧٩٩ م .
(٣) برجل الحمل : انظر ، ص ١ ، حاشية رقم (٢) .
(٤) ١٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٣ مارس ١٧٩٩ م . (٥) ١٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٣ مارس ١٧٩٩ م .

يَافًا ، وعدتهم ثلاثة عشر علمًا ، وفيهم من له طلائع فضة كبار إلى الجامع الأزهر ، وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات ، وأرسلوا بدلهم أعلام يافا ، وعملوا لهم موكبًا بطائفة من العسكر يقدمهم طبلهم ، وخلفهم اللعين الأغا بجماعته وطائفته ، والمحتسب ، ومدبرو الديوان ، وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بإنزعاج شديد ، ووراء ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطائفة الأولى ، وبعد هؤلاء عدة من العسكر على رؤوسهم عمائم بيض يحملون الأعلام والبيارق المذكورة ، وخلفهم جماعة خَيَّالَةٌ من كبار العساكر ، وآخرون راكبون على حمير المَكَّارِيَّةِ ، فلما / وصلوا إلى باب الجامع الأزهر ، رفعوا تلك الأعلام ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب ، وبعضها على الباب الآخر بالقرب من حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية [1] ، ولم يرفعوها على المنارات كما صنعوا فى أعلام العريش، والسر فى ذلك التبكيت والإرغام، ولله عاقبة الأمور.

٦٦أ /

وفى يوم الأحد سابع عشره [2] ، رتبوا أوامر وكتبوها فى أوراق مبصومة وألصقوها بالأسواق ، أحدها : بسبب مرض الطاعون ، وآخر : بسبب الضيوف الأغراب .

ومضمون الأول بِتَقَاسِيمِهِ ومقالاته : « خطابًا لأهل مصر ، وبولاق ، ومصر القديمة ونواحيها ، إنكم تمتثلون[3] هذه الأوامر وتحافظون عليها ولا تخالفوها ، وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم ، والقصاص العظيم ، وهى المحافظة من تشويش [4] الكبة ، وكُلُّ مَنَ ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك ، فى محل من المحلات ، أو بيت ، أو وكالة ، أو ربع ، يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة [5] ، ويجب قفل ذلك المكان ، ويكون شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك ، أن يخبر حالا قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلد قائم مقام مصر ، ويكون ذلك فورًا ، وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها ، والأطباء إذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض ، يتوجه كل طبيب إلى قائم مقام، ويخبره، ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من هذا التشويش، وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط، أو مشايخ الحارات، وقلقات الجهات، ولم يخبر

(١) حارة كتامة : حارة تقع بجوار الجامع الأزهر بالقرب من باب الجامع الكبير ، وعرفت بعد ذلك بالعينية ، وَسُمِّيت كتامة نسبة لقبيلة كُتامة التى قدمت مع القائد جوهر ، والعينية نسبة للشيخ العينى .

(٢) ١٧ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٤ مارس ١٧٩٩ م .

(٣) بالأصل « تمتثلوا » صوبت .

(٤) تشويش : انتشار العدوى .

(٥) كرنتيلة : أنظر ، ص١٠٢ ، حاشية رقم (٧) .

بهذا المرض ، يعاقب بما يراه قائم مقام ، ويـقاصص مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء التقصـير ، وملزوم أيضًا من / أصـابه هذا التشويش ، أو حـصل فى بيته لـغيره من /٦٦ب عائلته أو عشيـرته ، وانتقل من بيته إلى آخر كان قصاصـه الموت ، وهو الجانى على نفسه ، بسبب انتـقاله ، وكل رئيس ملة فى خط إذا لم يخبر بالكـبة الواقعة فى خطه أو بمن مات بها أيضًا فـوريًا ، كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصـه الموت ، والمغسل إن كان رجلاً أو إمرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة أو شك فى موته بها ، ولم يخبر قبل مضى أربعة وعشـرين ساعة ، كان جزاؤه وقصاصه الموت ؛ وهـذه الأوامر الضرورية يلزم أغاة الإنـكشـارية ، وحـكام الـبلـد الفرنسـاوية ، والإسلامية ، تنبيـه الرعية ، واستيقاظهم لها ، فإنها أمور مخفيـة ، وكل من خالف ، يحصل له مزيد الانتقام من قائم مقام ، وعلـى القلقات البحث والتفـتيش عن هذه العلة الردية ، لأجـل الصيانة والحفظ لأهل البلد ، والحذر من المخالفة ، والسلام » .

ومضمون الـثانى : « الخطاب السابق مـن صارى عسكر دوجا الوكـيل ، وحاكم البلد دستين [1] قائم مقام ، يـلزم المدبرين بالديوان أن يشـهروا الأوامر ، وَيَتَنَبَّهُوا لها وَيُنَبِّهُوا عليهـا ، ويأمروا كامل الرعيـة بالمحافظة علـيها ، وكل من خالف يـحصل له مزيد الانـتقام ، وهو أنه يتـحتم ويلزم كـل صاحب خمارة ، أو وكالـة ، أو بيت ، الذى يدخل فى محله ضيف أو مسافـر أو قادم من بلدة ، أو إقليم ، يلزمه أن يُعَرِّفَ عنه حالاً حاكم البـلد ، وَلاَ يتأخر عن الإخبار إلا مدة أربعة وعشـرين ساعة ، يعرِّفه عن مكانه الذى قدم منه ، وعن سبب قدومه ، ومدة سفره ، ومن أى طائفة ، (إن كان)[2] ضيفًا أو تاجرًا أو زائـرًا أو غريمًا مخاصمًا ، لابد لصاحب المـكان من إيضاح البيان والحذر ، ثم / الحذر ، من التلبيس والخيانة، وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما /٦٧ أ ذكر فى شأن القادم بعد الأربعة وعشرين سـاعة ، بإظهار اسمه وبلده وسبب قدومه، يكون صاحـب المكان متعديًا ومذنـبًا وخائنًا وموالسًا مع المـماليك . ونخبركـم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكايل ، أن تكونوا مـلزمين بغرامة عشرين ريال فرانسة فى المرة الأولى ، وأما فى المرة الثانية : فإن الغـرامة تضاعف ثلاث مرات ، ونخبركم أن الأمر بهـذه الأحكام مشتـرك بينكم وبـين الفرنسيـس ، الفاتحين للـخمامير والـبيوت والوكائل والسلام » .

وفيه [3] ، اجتمعوا بالديوان وتفاوضوا فى شأن مصطفى بك كتخدا الباشا المُوَلَّى

(١) دستين : وصحة الإسـم « دستنج Destaing » عينه بونابرت قـائد لحامية القاهرة ، وحاكما علـيها عند خروجه على رأس حملة الشام .

(٢) بالأصل « أو » ، والإضافة من نسخة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٣) ١٧ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٤ مارس ١٧٩٩ م .

أمير الحاج ، وهو أنـه لما ارتحل مع كبير الفرنسـيس وصحبته القاضى والمـشايخ الذين عينوا للسفر ، والوجاقلية ، والتجار ، وافترق منهم عند بلبيس [1] ،وتقدمهم هو إلى الصالحية[2] ، ثم إنهم انتقـلوا إلى العَرين[3] ، فحضر جـماعة من العسكر المـسافرين فاحتاجـوا إلى الجمال ، فأخذوا جمـالهم ، فلما وصل إلـى قطيا [4] ، أرسل إليـهم يستدعيهـم إلى الحضور ، فلم يجدوا ما يحمـلون عليه متاعهم ، وبلـغهم أن الطريق مخوفة من العرب فلم يمكنهم اللحـاق به ، فأقاموا بالعَرين عدة أيام ، وأهمل أمرهم صارى عسكر .

ثم أن الصاوى ، والعـريشى ، وابن الدواخلى ، وآخرون ، خافـوا عاقبة الأمر ففارقوهم وذهبوا إلـى القرين ، واَعْتَلَّ ابن الدواخلى بالتشويـش ، وحضر إلى مصر كما تـقدم ذكر ذلك ، وانتقـل مصطفى بـك المذكور والقاضـى ، وصحبتهم الـشيخ سليمان الفـيومى ، وآخرون من التجار ، والوجاقلـية ، إلى كفور / نجم[5] وأقاموا هناك أيامًا ، واتـفق أن الصاوى أرسل إلى داره مـكتوبًا ، وذكر فى ضمـنه أن سبب افتراقهم من الجماعـة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أمورًا غير لائقـة ، فلما حضر ذلك المكتوب طـلبه جماعة الفـرنسيس المقيمون بمـصر ، وقرءوه وبحثوا عن مـعنى الأمور الغير لائقة ، فَأَوَّلَهَا بعض المشايخ بأنه قصر فـى حقهم والاعتناء بشأنهم ، فسكتوا ، وأخذوا فى التفحـص ، فظهـر لهـم أنه خامـر عليهم واجتمع عليه الجبالى ، وبعض العرب الـعصاة، وأكرمهـم وخلع عليـهم ، وانتقـل بصحبتـهم إلى منيـة غمر [6] ، ودقدوس[7] ، وبلاد الوقف ، وجعل يقبض منهـم الأموال ، وحين كانوا على البحر مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق إلى الفرنسيس بدمياط ، فقاطعوا عليهم . وأخذوا ما معـهـم قهرًا ، وأحضـروا المراكبية بـالديـوان ، فحكـوا على ما وقع لهـم معه ، فأثبتوا خيانة مصطفى بك المذكور وعـصيانه ، وأرسلوا هجانًا بإعلام صارى عسكرهم

٦٧ب/

(١) بلبيس : أنظر ، ص ١٢ ، حاشية رقم (٢) . (٢) الصالحية : أنظر ، ص ٨٣ ، حاشية رقم (٦) .
(٣) العرين : أنظر ، ص ٤٣ ، حاشية رقم (٧) . (٤) قطيا : أنظر ، ص ٤٥ ، حاشية رقم (٤) .
(٥) كفـور نجم : من القرى القديمـة ، وردت فى تاريخ ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م بهذا الإسم ، وهى إحـدى قرى مركز كفر صقر ، محافظة الشرقية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٢٩ .
(٦) منيـة غمر : من الـقرى القديمة ، وردت فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، بإسـم « ميت غمر » ، أصبحت قاعدة قسم مـيت غمر ١٨٢٦ م ، ثـم قاعدة مركز ميت غـمر منذ ١٨٧١ م ، محافظة الدقـهلية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ .
(٧) دقدوس : من القرى القديمة ، إسمها الرومى «Athokotas» والقبطى «Takados» ، وهى قرية كبيرة ، إحدى قرى مركز ميت غمر محافظة الدقهلية . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ .

بذلك ، فرجع إليهم بالجواب بأن يرسلوا إليه عسكرًا ويقبضون عليه ، ويختمون على داره ويحبسون جماعته .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه [1] ، عَيَّنُوا عليه عسكرًا ، وأرسلوا إلى داره جماعة ومعهم وكلاء ، فقبضوا على كتخدائه الذى كان ناظرًا على الكسوة ، وابن أخيه ومن معهم ، وأودعوهم السجن بالجيزة ، وضبطوا موجوداته ، وما تركه مخدومه بكر باشا بقائمة ، واودعوا ذلك بمكان بالقلعة ، فوجدوا غَالِبَ أمتعة الباشا ويرقه وملابسه وعبىّ الخيل والأمتعة وغيرها شيئًا كثيرًا ، ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضًا ، فانقبض خواطر الناس لذلك ، فإنهم كانوا مستأنسين / بوجوده ، /٦٨ أ ووجود القاضى ، ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيس وكلمتهما عندهم مقبولة ، وأوامرهما مسموعة ، ثم إنهم أرسلوا أمانًا للمشايخ والوجاقلية والتجار بالحضور إلى مصر مكرمين ولا بأس عليهم .

وفيه [2] ، ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، حضر إلى دمياط، وصحبته جماعة أفندية وغيرهم ، وذكر أنهم كانوا بقلعة يافا ، فلما حاصرهم الفرنسيس وملكوا القلعة ، والبلد ، وجرى ما سُطِّرَ ، أحضروهم بين يدى كبير الفرنسيس فى أسوأ حال ، فأمَّنهم وأنزلهم فى مركب وأرسلهم إلى دمياط من البحر.

وفى يوم الإثنين [3]، نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد والأغراب، بأن يحضروا إلى بيت الوكيل ، ويأخذون لهم أوراقًا بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم ، ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك ، يستاهل الذى يجرى عليه ، وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم إلى مصر خفية بصفة الفلاحين .

وفى يوم الثلاثاء[4] ، نادوا فى الأسواق والشوارع بأنَّ مَنْ أَرَادَ الحج فليحج ، فى البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة ، وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك، وكله كذب لا أصل له .

وفيه [5] ، حضر إمام كتخدا الباشا ، ومعه مكتوب منه مضمونه : الثناء على الفرنسيس وشكر صنيعهم ، باعتنائهم وعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم ، وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ، ويطلب منهم الإجازة بالحضور إلى مصر ليسافر

(١) ٢٤ شوال ١٢١٣ هـ / ٣١ مارس ١٧٩٩ م . (٢) ٢٤ شوال ١٢١٣ هـ / ٣١ مارس ١٧٩٩ م .
(٣) ٢٥ شوال ١٢١٣ هـ / ١ أبريل ١٧٩٩ م . (٤) ٢٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢ أبريل ١٧٩٩ م .
(٥) ٢٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢ أبريل ١٧٩٩ م .

بصحبة الكسوة والحجاج فإن الوقت ضاق ، ودخل أوان السفر للحج ، وفى آخر المكتوب : « وإن بَلَّغَكُم المُنَافِقِينَ شىء فهو كذب ونميمة ، فلا تصدقوه » / ، فقرئ كتابه بالديوان ، فلما أفهموه للفرنسيس كذّبوه ، ولم يصغوا إليه ، وقالوا : « إن خيانته ثبتت عندنا فلا ينفعه هذا الاعتذار » ، ثم كتبوا له جوابًا ، وأرسلوه صحبة إمامه، مضمونه : إنْ كان صادقًا فى مقالته فليذهب إلى جهة صارى عسكر بالشام، وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب إليه ، وإن تأخر زيادة عليها كان كاذبًا فى مقالته » ، وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه .

٦٩ ب/

وفيه [١] ، كتبوا أوراقًا ونادوا بها فى الشوارع ، وهى : « يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحج بسبب ما حصل منه ، وأنَّ أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا ، لم يخالطوه فى هذا الأمر ، ولم ينسب لهم شىء ، فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة . وهم حاضرون ، سالمين غانمين ما عليهم سوّء ، ومن كان مراده الحج يشهل روحه ويسافر مع الصرة والكسوة فى البحر ، المراكب حاضرة وَالْمُعَيَّنُونَ المحَافِظُون من أهل مصر صحبة الحجاج حاضرون ، يكون فى علمكم تكونوا مطمئنين ، واتركوا كلام الحشاشين » .

وفى يوم السبت غايته [٢] ، حضر المشايخ والوجاقات والتجار ما خلا قاضى العسكر فإنه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا .

شهر ذى ا ة[٣]

استهل بيوم الأحد [٤] .

فى سادسه يوم الجمعة [٥] ، حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة ، مضمونها : « أنهم أخذوا حيفا وبعدها ركبوا على عكا ، وضربوا عليها وهدموا جانبًا من سورها ، وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونهَا ، وَأَنَّهُم استعجلوا فى إرسال هذه الهجانة ، لطول المدة والانتظار ، لئلا يحصل لأصحابهم القلق فتكونوا مطمئنين ، وبعد سبعة أيام نحضر إلى عندكم ، والسلام » / وقد كذبوا .

٦٩ أ/

وفيه [٦] ، حضرت مغاربة حجاج إلى بر الجيزة ، فتحدث الناس وكثر لغطهم ،

(١) ٢٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢ أبريل ١٧٩٩ م .
(٢) غاية شوال ١٢١٣ هـ / ٥ أبريل ١٧٩٩ م .
(٣) القعدة ١٢١٣ هـ / ٦ أبريل - ٥ مايو ١٧٩٩ م .
(٤) ١ القعدة ١٢١٣ هـ / ٦ مارس ١٧٩٩ م .
(٥) ٦ القعدة ١٢١٣ هـ / ١١ مارس ١٧٩٩ م .
(٦) ٦ القعدة ١٢١٣ هـ / ١١ مارس ١٧٩٩ م .

وَتَقَوَّلُوا : بأنهم عشرون ألفًا ، حضروا يستنقذون مصر من الفرنسيس، فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم ، فوجدوهم طائفة من خلايا وقرى فاس مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم ، فحضر شخص منهم إلى الفرنسيس ، ووشى إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلاً وسلاحًا ، وقصدهم إثارة فتنة ، فأرسل الفرنسيس إليهم جماعة ينظرون فى أمرهم ، فذهبوا إليهم ، وتكلموا معهم ومع كبيرهم ، وعن الذى نقل عنهم ، فقالوا : « إنما جئنا بقصد الحج لا لغيره » ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة ، فعملوا الديوان فى صبحها وأحضروه ، وكذلك أحضروا الرجل الذى وشى عليهم ، فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه ، فقال : « إننا لم نأت إلا بقصد الحج » ، فقيل له : « ولأى شيء تشترون الأسلحة والخيول ؟ » ، فقال : « نعم ، لازم لنا ذلك لأننا مسافرون فى البر ، ونحتاج إلى ذلك ضرورة » ، فقيل له : « إنه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية ، وتقولون : « الجهاد أفضل من الحج » ، فقال : « هذا كلام لا أصل له » ، فقيل له : « إن الناقل لذلك رجل منكم » ، فقال : « هذا رجل حرامى مسكناه بالسرقة ، وضربناه ، فحمله الحقد على ذلك ، وإن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا ، حتى نقاتل عليها ، ولايصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة ، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود » ، ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدّوا جماعته ، ويسافروا ، ويلحقهم بعد يومين بالسلاح ، فأجابهم إلى / ذلك ، فحمدوه وأهدوا له هدية . /٦٩ب

فلما كان يوم السبت [١] ، خرجت عدة من العسكر إلى بولاق ، ومعهم مدفعان ليقفوا للمغاربة حتى يعدّوا البحر ، ويمشوا معهم إلى العادلية[٢] ، فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ، ورمحوا كعادتهم فى كرشاتهم وصياحهم ، وقالوا وأشاعوا : « أن الفرنج خرجت لقتال المغاربة » ، وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين ، وأمثال ذلك من تخيلاتهم ، فلم يعدّوا المغاربة ذلك اليوم ، وعدّوا فى ثانى يوم [٣] ، ومشى معهم عسكر الفرنسيس إلى العادلية ، وهم يضربون الطبول الحربية وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر .

وفى يوم الثلاثاء عاشره[٤] ، سافر عدة من عسكر الفرنسيس إلى عرب الجزيرة ،

(١) ٧ القعدة ١٢١٣ هـ / ٢ أبريل ١٧٩٩ م .　　(٢) العادلية : انظر ، ص ٣٥ ، حاشية رقم (١) .
(٣) ٨ القعدة ١٢١٣ هـ / ١٣ أبريل ١٧٩٩ م .　　(٤) ١٠ القعدة ١٢١٣ هـ / ١٥ أبريل ١٧٩٩ م .

فإن مصطفى بيك كتخدا الباشا ذهب إليهم ، والتجأ إليهم ، فعينوا عليهم ذلك العسكر .

وفى يوم الأربعاء [١]، أفرجوا عن جماعة من الغليونجية[٢] ، وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة ، وفيهم المعلم نقولا النصرانى الأرمنى ، الذى كان رئيس مراكب مراد بيك الحربية التى أنشأها بالجيزة، وأسكنوه فى بيت حسن كتخدا بباب الشعرية .

وفيه [٣] ، حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات [٤] بأمان ، وكان عاصيًا فأعطوه الأمان ، وخلعوا عليه ، وَسَفَّرُوا معه قافلة دقيق وبقسماط ، للعسكر بالشام .

وفى يوم السبت حادى عشرينه [٥] ، حضر مجلون [٦] من الناحية القبلية ، وصحبته أموال البلاد ، والغنائم من بهائم وخلافها .

وفيه [٧] ، عملوا كرنتيلة عند العادلية ، لمن يأتى من بَرِّ الشام أو غيره ، وكتبوا بذلك أوراقًا .

وفيه [٨] ، سافر عدة من العسكر إلى ناحية شرق أطفيح[٩] بسبب محمد بيك الألفى .

٧٠ أ/ وفيه [١٠] ، حضر الذين / كانوا ذهبوا إلى عرب الجزيرة[١١] فضربوهم ، ونالوا منهم بعض النيل ، وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال ، قيل : إنه ذهب إلى الشام .

وفى خامس عشرينه [١٢] ، وصلت مراسلة من المذكور ، خطابًا للمشايخ ، مضمونها : « أنهم يُعَرِّفُون أكابر الفرنسيس أنه متوجه إلى صارى عسكرهم بالشام ، ويرجون الإفراج عن قريبه وكتخدائه ، ويحتفظون على الأمتعة التى أخذوها فإنها من

---

(١) ١١ القعدة ١٢١٣ هـ / ١٦ أبريل ١٧٩٩ م . (٢) الغليونجية : أنظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (٢) .

(٣) ١١ القعدة ١٢١٣ هـ / ١٦ أبريل ١٧٩٩ م .

(٤) عرب الحويطات : قبيلة تنتمى إلى أشراف الحجاز ، وتوجد تجمعات من الحويطات فى مصر فى : سيناء، والسويس ، والإسماعيلية ، والشرقية ، والقليوبية ، وحلوان ، وحول القاهرة ، وقرى غمازة مركز الصف بالجيزة، وقرى محافظة السويس ، الطيب ، محمد سليمان ، جـ ١ ، ص ٤٦ - ٩٨ .

(٥) ٢١ القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٦ أبريل ١٧٩٩ م . (٦) مجلون : Magallon.

(٧) ٢١ القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٦ أبريل ١٧٩٩ م . (٨) ٢١ القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٦ أبريل ١٧٩٩ م .

(٩) شرق أطفيح : من أقدم المدن المصرية ، وهى إحدى قرى مركز الصف ، محافظة الجيزة . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(١٠) ٢١ القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٦ أبريل ١٧٩٩ م .

(١١) عرب الجزيرة : عربان كانوا يتخذون من المناطق القريبة من الجيزة ديرة لهم .

(١٢) ٢٥ القعدة ١٢١٣ هـ / ٣٠ أبريل ١٧٩٩ م .

متعلقات الدولة ؛ فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة ، قالوا : « لايمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى صارى عسكر ، ويأتينا منه خطاب فى شأنه ، فإنه من الجائز أنه يكذب فى قوله » .

وفيه [1] ، ثبت أن محمد بيك الألفى مرَّ من خلف الجبل ، وذهب لعرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة ، وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغزّ والمماليك المشرّدين بتلك النواحى ، وقدم له العربان التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر.

وفى سابع عشرينه [2] ، لخص الفرنسيس طومارا قرئ بالديوان ، وطبع منه عدة نسخ ، وألصقت بالأسواق على العادة ، وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا ، والروايات عمن بالصعيد ، والكيلانى والأشراف الذين معه وغير ذلك ، ونصّها من محفل الديوان الكبير بمصر.

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« ولا عدوان إلا على الظالمين، نخبر أهل مصر أجمعين ، أنه حضر جواب من عكا من حضرة صارى عسكر الكبير ، خطابًا إلى حضرة صارى عسكر الوكيل بثغر دمياط ، تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه [3] ، يخبر فيه أننا / أرسلنا لكم نقيرتين[4] / ٧١ب لدمياط ، الأولى أرسلناها فى خمسة وعشرين شوال[5]، والثانية فى ثمانية وعشرين منه[6]، أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا، إرسال جانب جلل وذخائر إلى عساكرنا المحافظين فى غزة ويافا، لأجل زيادة المحافظة والصيانة، وأما من قبل العرضى فإن الجلل عندنا كثيرة، والذخائر والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة، حتى إنها زادت عندنا الجلل بكثرة جمعناها مما يرميه الأعداء، فكَأَنَّ أعداءنا أعانونا، ونخبركم أننا عملنا لغمًا مقدار عمقه ثلاثون قدمًا، وسرنا به حتى قربناه إلى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانية عشر قدمًا ، وقد هربت عساكرنا من الجهة التى نحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمانية وأربعون قدمًا، بمشيئة الله عند وصول كتابنا إليكم، وقبل تمام قراءته عليكم، نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين، فإننا تهيأنا إلى دخولها، يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب، وأما بقية إقليم الشام، ومايلى عكا من البلاد، فإنهم لنا طائعون ، وبالاعتناء ومزيد المحبة فينا راغبون ، يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون

(١) ٢٥ القعدة ١٢١٣ هـ / ٣٠ أبريل ١٧٩٩ م .
(٢) ٢٧ القعدة ١٢١٣ هـ / ٢ مايو ١٧٩٩ م .
(٣) ٩ القعدة ١٢١٣ هـ / ١٤ أبريل ١٧٩٩ م .
(٤) نقيرتان : أنظر ، ص ٤٨ ، حاشية رقم (٥) .
(٥) ٢٥ شوال ١٢١٣ هـ / ١ أبريل ١٧٩٩ م .
(٦) ٢٨ القعدة ١٢١٣ هـ / ٤ أبريل ١٧٩٩ م .

لنا أفواجًا أفـواجًا بالهدايا الكـثيرة ، والحب الجسيم مـن القلب السلـيم ، وهذا من فضل الله علينا ، ومن شدة بغضهم لجزار باشا ، ونخبركم أيضًا أن الجنرال يونوت [1] انتصر على أربعة آلاف مـقاتل ، حضروا من الشام خيالة ومشاة ، فقابـلهم بثلاثمائة عسكرى مشـاة من عساكرنا ، فكسروا التـجريدة المذكورة ، وأوقع منهم نحـو ستمائة نفس ما بين مقتول ومجروح ، وأخذ منهم خمسة بيارق ، وهذا أمر عجيب ، لم يقع نظيـره فى الحروب ، أن ثلاثـمائة نفـس تهزم نحـو أربعة آلاف/ نفـس ، فعلمـنا أن النصرة من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة » .

٧١ أ/

هذا آخر كتـاب صارى عسكر الكـبير إلى وكيله بـدمياط ، وأرسل إلينـا بالديوان حضرة الـوكيل صارى عـسكر دوجا الـوكيل بمصـر المحروسة ، يخـبرنا بصـورة هذا المكـتوب ، ويـأمرنا أنـنا نلـزم الرعـايا من أهـل مصر، والأريـاف أن يلـزموا الأدب والإنصاف ، ويـتركوا الكـذب والخراف ، فإن كلام الحـشاشين يوقـع الضرر للـناس المعتـبرين ، فإن حـضرة صارى عسكـر دوجا الوكيل ، بـلغه أن أهل مـصر ، وأهل الأرياف يتكـلمون بكلام لا أصل لـه من قبل الأشراف ، والحال أن الأشـراف الذين تذكرونهم وتكذبون عليهم، جاءت أخبـارهم من حضرة صارى عسكر الصعيد دزه[2]، يخبر الوكـيل دوجا : « بأن الأشراف المذكورين ، الـذين صحبة الكيلانـى تمزقوا كل ممزق، وانهـزموا وتفرقـوا ، ولم يكن الآن فـى بلاد الصعـيد شىء يخـالف المراد ، ويسلم من الفتن والعناد ، فأنتم يا أهل مصر ، ويا أهل الأرياف ، اتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف ، وامسكوا أدبكـم قبل أن يحل بكم الدمار ، ويلحقكم الندم والعار ، والأولى للعاقل اشتغاله بـأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب ، وأن يسلم لأحكام الله وقضـاه ، فإن العاقل يقرأ العـواقب ، وعلى نفسه يحـاسب : هذا شأن أهل الكمال ، يتركـون القيل والقال ، ويشتغلون بإصـلاح الأحوال ، ويرجعون إلى الكبير المتعال ، والسلام » .

وفى هذا الشهر [3] ، كتبوا أوراقًا بأوامر ، وصورتها .

« مـن مـحفـل الـديوان العمومـى إلى جميع سـكان مصر ، وبـولاق ، ومصر القديمة ، أنـنا قد تأملنا ومـيزنا أن الواسطة الأقـرب والأيمن لتلطيف أو لمـنع الخطر/ الضرورى ، وهو تـشويش الطاعون ، عدم المخـالطة مع النســاء المشهورات [4] لأنهن الواسطة الأقرب للتشويش المذكور ، فلأجل ذلك حـتمنا ورتبنا ومنعنا إلى مدة ثلاثين

٧١ ب/

(١) يونوت : وصحة الإسم « جونو Junot » ، عيّنه بونابرت قائدًا لحامية « قطيا » .

(٢) دزه : صحة الإسم « ديزيه » ، Desaix.

(٣) القعدة ١٢١٣ هـ / ٦ أبريل - ٥ مايو ١٧٩٩ م .

(٤) بالأصل « المشهورين » صوبت .

يومًا من تاريخه أعلاه ، لجميع الناس إن كـان فرنساويًا أو مسلمًا أو نصرانيًا أو يهوديًا من أى ملـة كان ، كل من أدخـل إلى مصر ، أو بـولاق ، أو مصر القـديمة ، من النساء المشهورات [١] إن كان فـى بيوت الـعسكـر ، أو كل من كـان داخل المديـنة ، فيكون قصاصـه بالموت ، كذلك من قبل النساء والـبنات المشهورات [٢] بالعسكر ، إن دخلن من أنفسهن أيضًا يقاصصن بالموت » .

ومن حوادث هذا الشهر : أنه حضر إلى القلزم مركبان انكليزيان ، وقيل أربعة ، ووقفوا قبـالة السويس وضربـوا مدافع ، ففر أناس مـن سكان السويس إلـى مصر ، وأخبروا بـذلك ، وأنهم صادفـوا بعض داوات[٣] تحمل الـبن والتجارة ، فحـجزوها ومنعوها من الدخول إلى السويس .

ومنها : أن طائفة من عرب البحيرة وقيل يصحبهم طائفة يقال لهم عرب الغزّ[٤] ، وجاءوا ، وضربوا دمنهور[٥] ، وقتلوا عدة مـن الفرنسيس ، وعاثوا فـى نواحى تلك البلاد حـتى وصلوا إلى رشـيد ، والرحمانـية [وهم][٦] يقتلون الفرنـسيس وغيرهم وينهبون البلاد والزروعات .

ومنها : أنَّ الكيلانى المذكور آنفًا ، توفى إلـى رحمة الله تعالى ، وتفرقت طائفته فى البلاد ، حتى أنه حضر منهم جملة إلـى مصر ، وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعـيد فيوهمونـهم معاونتهـم ، وعند الحرب يتخـلون عنهم ، وبعـض البلاد يُضَيِّفَهُم ، ويسلط عليهم الفرنسيس ، فيقبضون عليهم .

ومنهـا : أنه حضر إلى مصـر الأكثر مـن عسـكر الفرنسـيس الذين كانوا بـالجهة القبلية ، وضربوا فـى حال رجوعهم بنى عدى[٧] بلدة من / بلاد الصـعيد مشهورة ، / ٧٢ أ وكان أهلها ممتنعـين عليهم فى دفع المال والكلف ، ويرون فى أنفـسهم الكثرة والقوة والمنعة ، فـخرجوا عليهم وقاتـلوهم ، فملك عليـهم الفرنسيس تلاً عـاليًا ، وضربوا

(١ ، ٢) بالأصل « المشهورين » صوبت . (٣) داوات : أنظر ، ص٩٢ ، حاشية رقم (٩) .

(٤) عرب الغز : أى العرب الذين يغزون ، ولايخافون العواقب .

(٥) دمنهور : من المـدن المصرية القديمة ، إسمـها المصرى «Demin Hor» ، والقبطى «Ermoukaton» ، وهى مدينة كبيرة ، وهـى قاعـدة محافظة البحيرة . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٦) الإضافة لتوضيح المعنى .

(٧) بنى عَدِى : إحدى قرى مركز منـفلوط ، قسمت إلى ثلاث نواحى ، ويقال لها بنى عـديات ، مركز منفلوط ، محافظة أسيوط .رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

عليهم بالمدافع فأتلفوهم ، وأحرقوا جرونهم [1] ، ثم كبسوا عليهم وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم ، وأخذوا أشياء كثيرة وأموالا عظيمة ، وودائع جسيمة لـلغز وغيرهم ، من مساتير أهل البلاد القبلية لظن منعتهم ، وكذلك فعلوا بالميمون [2] .

شهر ذى الحجة [3]

استهل بيوم الثلاثاء[4] .

فى ثانيه [5] خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية ، لتجمع العرب والمماليك على الألفى ، وكذلك تَجَمَّعَ الكَثِيرُ من الفرنسيس ، وذهبوا إلى جهة دمنهور، وفعلوا بها كما فعلوا فى بنى عدّى، من القتل والنهب ، وكان أشيع بمصر وتناقله الناس ، وثبت وجوده فى الخارج بعد ذلك ، أنه حضر إلى دمنهور رجل مغربى « يدعى المـهْدَوِيَّة » وصحبته نحو الثمانين نفرًا ، فكاتب أهل البلاد ، وَدَعَا النَّاسَ إلى الجهاد ، فاجتمع عليه أهل البحيرة ، وغيرهم ، وحضروا إلى دمنهور ، وقاتلوا من بها من الفرنسيس ، واستمر أيامًا كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق ، ويغرِّب هو تارة ويشرِّق .

وفيه [6] أشيع أن الألفى حضر إلى بلاد الشرقية ، وقاتل من بها من الفرنسيس ، ثم ارتحل إلى الجزيرة .

وفى سابعه [7] ، حضر جماعة من فرنسيس الشام إلى الكرنتيلة بالعادلية ، وفيهم مجاريح ، وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا ، وأن مهندس حروبهم المعروف بأبى خشبة عند العامة ، واسمه كفرلى[8] ، مات ، وحزنوا لموته لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم ، / وكان له معرفة بتدبير الحروب ، ومكايد القتال ، وإقدام عند المصاف مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية ، وكيفية وضعها ، وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها . ٧٢ب/

(١) الجرن : جمعها « جرون » .
(٢) الميمون : قرية قديمة ، تقع غرب النيل ، وهى إحدى قرى مركز الواسطى ، محافظة بنى سويف . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
(٣) الحجة ١٢١٣ هـ / ٦ مايو - ٤ يونية ١٧٩٩ م .
(٤) ١ الحجة ١٢١٣ هـ / ٦ مايو ١٧٩٩ م .
(٥) ٢ الحجة ١٢١٣ هـ / ٧ مايو ١٧٩٩ م .
(٦) ٢ الحجة ١٢١٣ هـ / ٧ مايو ١٧٩٩ م .
(٧) ٧ الحجة ١٢١٣ هـ / ١٢ مايو ١٧٩٩ م .
(٩) كفرلى : أنظر ، ص ٧٩ ، حاشية رقم (١) .

وفى يوم الأربعاء[1] ، كان عيد النحر ، وكان حقه يوم الخميس ، وعند الغُروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة إعلامًا بالعيد ، وكذلك عند الشروق ، ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة ، لعدم الأنعام ، وكونها محجوزة بالكرنتيلة ، والناس فى حُزْنٍ وَغَمٍّ .

ومن الحوادث فى ذلك اليوم [2] ، أن رجلا روميًا من باعة الرقيق ، عنده غلام مملوك ، ساكن فى طبقة بوكالة زين الفقار بالجمالية ، خرج لصلاة العيد ، ورجع إلى طبقته ، فوجد ذلك الغلام متقلدًا بسلاح ومتزييًا بمثل ملابس الغليونجية ، فقال له : « مِنْ أين لك هذا السلاح واللباس ؟ » ، فقال : « من عند جارنا فلان العسكرى »، فأمره بنزع ذلك فلم يستمع له ، ولم ينزعها ، فشتمه ولطمه على وجهه ، وخرج من الطبقة ، وحدثته نفسه بقتل سيده ، ورجع يزيد ذلك ، فوجد عند سيده ضيفًا ، فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف ، فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينه الغدر ، فلما قام ذلك الضيف قام معه ، وخرج وأغلق الباب على الغلام ، فصعد إلى السطح ، وتسلق إلى سطح آخر ، ثم تدلى بحبل إلى أسفل الخان ، وخرج إلى السوق ، وسيفه مسلول بيده ، ويقول : « الجهاد يا مسلمين اذبحوا الفرنسيس ونحو ذلك من الكلام » ، ومرّ إلى جهة الغورية ، فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس ، فقتل منهم شخصًا ، وهرب الاثنان ، ورجع على أثره ، والناس يَعْدُونَ خلفه من بَعِيدٍ إلى أن / وصل إلى درب بالجمالية غير نافذ ، فدخله وعبر إلى دار وجدها مفتوحة ، وربها واقف على بابها ، والفرنسيس تجمع منهم طائفة وظنوا ظنًا آخر ، وبادروا إلى القلاع ، وحضر منهم طائفة مع القلق ، يسألون عن ذلك المملوك ، وهاجت العامة ، ورمحت الصغار ، وأغلق بعض من كان فاتحًا فى هذا اليوم حانوته ، ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن المملوك ، والناس يقولون : « ذهب من هنا » ، حتى وصلوا إلى ذلك الدرب ، فدخلوه فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببئر، فى تلك الدار، فَدَخَلُوا الدَّارَ وأخرجوه من البئر وأخذوه ، وسكنت الفتنة، فسألوه عن أمره ، وما السبب فى فعله ، فقال : « إنَّه يوم الأضحية فأحببت أن أضحى على الفرنسيس»، وسألوه عن السلاح، فقال: « إنَّه سلاحى » ، فحبسوه لينظروا فى أمره، وطلبوا سيده فوجدوه عند الشيخ المهدى ، فأخذوا بعض جماعة من أهل الخان[3] ، ثم أطلقوهم بدون ضرر ، وأخذوا سيده من عند الشيخ

/ ٧٣ أ

(١) ٩ الحجة ١٢١٣ هـ / ١٤ مايو ١٧٩٩ م . (٢) ٩ الحجة ١٢١٣ هـ / ١٤ مايو ١٧٩٩ م .

(٣) الخان : أنظر ، ص ٦٨ ، حاشية رقم (٢) .

المهدى وحبسوه ، وحضر الأغا وبرطلمين إلى الخان بعد العشاء ، وطلبوا البواب والخانجى [1] والجيران ، وصعدوا إلى الطباق وفتشوا على السلاح ، وقلعوا البلاط فلم يجدوا شيئًا ، وأرادوا فتح الحواصل ليتوصلوا لنهبها فمنعهم أحمد بن محمود محرم التاجر ، فخرجوا وأخذوا معهم الخانجى وجيران الطبقة ، تتمة سبعة أنفار ، وحبسوهم أيضًا، وقتلوا المملوك فى ثانى يوم [2] ، واستمر الجماعة فى الحبس إلى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة .

٧٢ ب/ وفى ذلك اليوم [3] ، أيضًا مَرَّ نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى / ، وهو راكب على حمار ، فرآه ترجمان قلق الخطة ، ويسمى السيد عبدالله ، فأمره بالنزول إجلالاً للمشهد على العادة ، فامتنع فانتهره وضربه وألقاه إلى الأرض ، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس ، وشكا إليهم من السيد عبدالله المذكور ، فأحضروه وحبسوه فشفع فيه مخدومه ، فلم يطلقوه ، وادعى النصرانى أنه كان بعيدًا عن المشهد ، وأحضر من شهد له بذلك ، وأنه ضاع له وقت ضربه إياه دراهم [4] كانت فى جيبه ، واستمر الترجمان محبوسًا عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم ، وهى ستة آلاف درهم .

وفيه [5] ، أرسل فرنسيس مصر إلى فرنسيس الشام ميرة على جمال العرب نحو الثلاثمائة[6] حمل ، وذهب صحبتها برطلمين ، وطائفة من العسكر ، فأوصلوها إلى بلبيس ، ورجعوا بعد يومين .

وفيه [7] ، حضر إلى السويس تسع داوات بها بُنٌ وَبِهَارٌ وبضائع تجارة ، وفيها لشريف مكة خمسمائة فرق ، وكانت الإنجليز منعتهم عن الحضور ، فكاتبهم الشريف، فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أيامًا مسافة التنقيل والشحنة ، وأخذوا منهم عشورًا ، وسامح الفرنسيس ابن الشريف مِنَ العشور ، لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك ، وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس ، بنحو عشرين يومًا ، وطبعوا صورتها فى أوراق وألصقوها بالأسواق ، وهى خطاب لبوسليك [8] ، وصورته .

« من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة إلى عين أعيانه وعمدة إخوانه بوسليك ، مدبر أمور جمهور الفرنساوية ، ممهد بنيان السياسة ، بسداد همته الوفية ،

(١) خانجى : أى صاحب الخان أو المشرف عليه . (٢) ١٠ الحجة ١٢١٣ هـ / ١٥ مايو ١٧٩٩ م .

(٣) ١٠ الحجة ١٢١٣ هـ / ١٥ مايو ١٧٩٩ م .

(٤) دراهم : وتعنى هنا معنًا عامًا أى مجموعة من النقود التى كانت سائدة .

(٥) ١٠ الحجة ١٢١٣ هـ / ١٥ مايو ١٧٩٩ م .

(٦) بنسخة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ١٩٦ « ثمانمائة » .

(٧) ١٠ الحجة ١٢١٣ هـ / ١٥ مايو ١٧٩٩ م .

(٨) بوسليك : Boussielgue ، مدير الشئون المالية .

وبعد ، فإنه وصل إلينا كتابك وفهمنا كامل ما حواه خطابك / مما ذكرت من وصول قنجتنا ، وأنَّك أرسلت هجانًا برفع العشور عن البن ، وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاذ بيعه ، وتأملنا فى كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد ، عن تموه غياهب الشك فى كل المراد ، ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة ، وَشَهَّلْنَا[1] الآن إلى طرفكم خمسة مراكب مشحونة ، من نفس بندرنا جدة[2] المعمورة فى هذه الأوان ، ولا أمكن لنا خروج هذا المقدار ، إلا بأشد علاج ، مع سلب اطمئنان التجار ، لأن كثرة أكاذيب الأخبار ، أوجبت لهم مزيد الارتياب والأعذار ، بحيث ما بيننا وبينكم إلا العربان المختلفة رواياتهم على مَرِّ الأزمان . /٧٤ أ

وأما نحن فقد جاءتنا منكم قبل هذا المكاتيب التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب ، فخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم ، لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم ، والمطلوب فى حال وصول كتابنا إليكم إرسال عسكر من لديكم إلى بندر السويس، لأجل حفظ أموال الناس ، وليصلوا بالأَبْنَان[3] إلى مصر ، ويبيع التجار ، ويزول وقف الأسباب والباس ، وأن تهتموا فى رجوعهم كذلك قبل بأوان ، ليكون ذلك سببًا فى كثرة وفود الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر إلى السويس كذلك ، تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ، ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق ، لأن هذه المرة ما أرسل إليكم هذا المقدار إلا تجربة واستخبارًا من أعيان التجار ، وعند مشاهدة الإكرام / والاحتفال بهم فى كل حال ، يرسلون إليكم نفائس أموالهم ، ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم ، ونرجو الله بهمتنا تسليك الطرقات ، وتنجيح المطالب ، وتحصيل الميراث ، بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما سبق فى غابر الأزمان ، ويكثر بحول الله الوارد إليكم من الأسباب الحجارية ، وكذلك لنا بُنٌّ فى المراكب ، فمأمولنا منكم إلقاء النظر على خدامنا ، وبذل الهمة على ما هو من طرفنا، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الإكرام فى كل مرام ، ولايخفاكِ أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوى محبنا بونابرته ، فما كان لنا منها فتأملناه ، وصار إليه الجواب توصله إليه ، وما كان منها معولا فى إرساله علينا إلى نواحى الهند ، وابن حيدر ، وإمام مسكت ، ووكيلكم الذى فى المخا ، فجميعًا صدرناها مع من نعتمده إلى أربابها ، وإن شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب ، والسلام » . /٧٤ ب

(١) بنسخة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ١٩٦ ، « وأَنْفَذْنَا » .
(٢) جدة : ثغر سعودى على البحر الأحمر . (٣) الأبنان : تعنى « البن » .

تحريرًا فى ثمانية عشر شهر ذى القعدة سنة ١٢١٣ »[١] .

وفى آخره ، وقد وصل هذا الجواب لمصر فى ١٦ شهر الحجة [٢] ، فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة إلى مصر ثمانية وعشرين يومًا .

وانقضى هذا الشهر [٣] ، ولم يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام ، وما جرى لهم أو عليهم إلا روايات لايوثق بها ، ولايصح بالتواتر منها ، إلا تكرر هجوم الأفرنج على حصن عكا ، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئًا إلا فعلوه ، ولم ينالوا غرضًا منها، ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ، وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث التى من أعظمها امتناع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة ، وذلك من أشنع الحوادث التى لم / يتفق نظيرها فى دولة آل عثمان أبدًا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

٧٥ أ/

ثم دخلت [illegible] أر[illegible] عشرة ومائتين وألف [٤]

استهل المحرم بيوم الأربعاء [٥] .

فيه [٦] ، حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية ، فضربوا خمسة مدافع لقدومهم واختلفت الأخبار .

فلما طلع نهار الخميس [٧] ، عملوا الديوان ، وأبرزوا مكتوبًا مترجمًا ، ونصه :

« صورة جواب من العرضى [٨] ، قدام عكا فى ٢٧ شهر « فريبال » الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ١٢١٣ [٩] ، بونابرته صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية إلى محفل ديوان مصر ، نخبركم عن سفره من بر الشام إلى مصر ، فإنى بغاية العجلة بحضورى لطرفكم ، نسافر بعد ثلاثة أيام من تاريخه ، ونصل إلى عندكم بعد خمسة عشر يومًا ، وجايب معى جملة محابيس بكثرة وبيارق ، ومحقت سراية الجزار وسور [١٠] عكا ، وبالقنبر هدمت البلد ، وما أبقيت فيها حجرًا على حجر ، وجميع سكانها انهزموا من البلد إلى[١١] طريق البحر .

(١) ١٨ القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٣ أبريل ١٧٩٩ م .
(٢) ١٦ الحجة ١٢١٣ هـ / ٢١ مايو ١٧٩٩ م .
(٣) الحجة ١٢١٣ هـ / ٦ مايو - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .
(٤) ١٢١٤ هـ / ٥ يونية ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م .
(٥) ١ محرم ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ م .
(٦) ١ محرم ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ م .
(٧) ٢ محرم ١٢١٤ هـ / ٦ يونيه ١٧٩٩ م .
(٨) العرضى : أنظر ، ص ٢٣ ، حاشية رقم (١) .
(٩) ١١ الحجة ١٢١٣ هـ / ١٦ مايو ١٧٩٩ م .
(١٠) بالأصل « صور » ، صوبت .
(١١) بالأصل « فى » ، والصواب ما أثبتناه .

والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر ، وجرحه بليغ لخطر الموت . ومن جملة ثلاثين مركبا موثوقه عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ، ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا ، وأخذنا منها أربعة موثوقين ، مدافع ، والذى أخذ هذه الأربعة فرقاطة [1] من بتوعنا ، والباقى تلفوا واتبهدلوا والغالب منهم عدم ، وإنى بغاية الشوق إلى مشاهدتكم ، لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم ، لكن جملة فلاتية دايرين بالفتنة ، لأجل ما يحركون الشر فى وقت دخولى ، كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس / ومنتورة [2] مات من تشويش ، هذا الرجل صعب علينا جداً ، والسلام » .

/ ٧٥ب

ومنتورة هذا ترجمان « صارى عسكر » وكان لعينًا محركًا متملقًا ، ويعرف اللغات التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى .

وفى يوم الثلاثاء سابعه [3] ، حضر جماعة أيضًا من العسكر بأثقالهم ، وحضرت مكاتبة من كبير الفرنسيس أنه وصل إلى الصالحية ، وأرسل دوجا الوكيل ، ونَبَّهَ على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك .

فلما كان ليلة الجمعة عاشره [4] ، أرسلوا إلى المشايخ والوجاقات وغيرهم ، فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ، ودقت الطبول وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطبول وزمور ونَوْبَات تركية ، وطبول شامية ، وملازمين وجاويشية وغير ذلك ، وحضر الوكيل ، وقائم مقام وأكابر عساكرهم ، وركبوا جميعًا بالترتيب من الأزبكية إلى أن خرجوا إلى العادلية ، فقابلوا كبير الفرنسيس هناك [5] ، وسلموا عليه ، ودخل معهم إلى مصر من باب النصر ، بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وعرباتهم ونسائهم وأطفالهم ، فى نحو خمس ساعات من النهار ، إلى أن وصل إلى داره بالأزبكية ، وانفض الجمع ، وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة ، وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين ، واصفرت أبدانهم ، وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب ، ولم يظفروا بمقصودهم من أحمد باشا ولله الحمد ، ورجعوا من غير طائل ، وأقاموا

(١) فرقاطة : الجمع فراقط ، وفرقاطات ، نوع من السفن الحربية الخفيفة ، المتوسطة الحجم ، استعملت فى البحر الأبيض المتوسط ، والبحر الأسود منذ أوائل القرن السابع عشر . النحيلى ، درويش ، المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٢) منتورة ، وصحة الاسم « فانتور Venture » ، مستشار بونابرت فى كل ما يتعلق بالشرق ، وهو من أكبر أعضاء المجمع العلمى سنًا ، وكبير تراجمة الحملة .

(٣) ٧ محرم ١٢١٤ هـ / ١١ يونيه ١٧٩٩ م .

(٤) ١٠ محرم ١٢١٤ هـ / ١٤ يونيه ١٧٩٩ م .

(٥) المعنى أنهم قابلوا « بونابرت » بالعادلية .

على حصار عكا أربعة وستين يومًا حربًا مستديمة ليلا ونهارًا ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنًا ، وقد نظم ذلك فى قصيدة الأديب اللبيب ، والفاضل النجيب ، السيد على الصيرفى الرشيدى ، نزيل عكا المحروسة ، فقال من بحر الخفيف/ : ٧٦ أ/

كم لربِّى عَلَى الورَى منْ أيَادِى ... دون إحْصَا بالحدِّ والتَعْدَاد
كَمْ أتَتْنَا ألْطَافَهُ تَتوالَى ... بَاهرَات بنُورهَا الوَقَّاد
ووَقَانَا خطُوبَ دَهْرٍ تَعَامَى ... وَحَمَانَا منْ الكُروب الشِّدَاد
وكَفَانَا شُرُورَ مَنْ آذَانَا ... وأَذَاقَ العدوّ شراب البعاد
حينَ جَاءَت جُمُوعُ شِرْكٍ فرنْجٍ ... ثُمَّ جَالُوا فِى مصْرَ بالإفْسَاد
أخَذُوهَا والمسلمُونَ نيَامٌ ... لَيْسَ فيهم مُسْتَيقظٌ منْ رُقَاد
صَارَ كَلْب اللِّئَامِ يَلْعَبُ فيهم ... مَا رأَوا زَاجرًا لَهُم عَن عناد
واسْتَطَالُوا عَلَى الورَى بفُجُورٍ ... وَطَغُوا مثْلَ مَا طَغَت قَومُ عَاد
عَمَّهُ عَمَّهُم بطُغْيَان كُفْرٍ ... وَالعَمَى قَدْ رَمَاهُم فِى المَصَاد
ولهم زَيَّنَ اللعينُ فعَالاً ... رَكبُوهَا حتَى بَغَوا للنِّكَاد
وأرَاهُم قَبيحَهُم حُسْنَ قَصْدٍ ... نَحو عكَّا ذَات السُّعُود البادى .
فاستَعَدُّوا لَهَا بآلات حَربٍ ... ورجَالٌ كَثيرةٌ كَالجَرَاد
خَيَّمُوا حَولَهـا بجيشٍ وَجَيْشٍ ... ومتَاريسَ ضَاقَ منْهَا الوَادى
أشبَهُوا قَومَ صالحٍ فِى فعَالٍ ... يَنْحَتُونَ الجِبَالَ لاستعْدَاد
فِى حُصُونٍ منَ التُّرَابِ تَرَاهُم ... شَيَّدُوهَا بقوةٍ وَعِمَاد
فَكَأَنَّ الجِنَّ وَالشياطينِ فيهم ... يُسْرعُونَ الأعْمَال عندَ التَنَادى
حَاصَرُوهَا وَشَدَّدُوا فِى حصارٍ ... واستَمَدُّوا بكُلِّ نَوعٍ مراد
وأتُوهَا والجُندُ فيهَا قَليلٌ ... غَيْرَ أنَّ الكَرِيمَ ذُو أمْدَاد
فاذْكُرُوا كَمْ منْ فئةٍ واقرؤُوهَا ... فهى نَصٌّ لَنَا صَريحُ المُفَاد
ثُمَّ دَارت رَحَى الحروبِ لَدَيْنَا ... بضُرُوب مُدَامة التَّرْدَاد
كل يوم ولَيْلةٍ فِى رُعُودٍ ... وبُرُوق منْ غَيْمِ ذَاكَ العَادى
كَمْ نَهَارٍ أضْحَى كَليلُ بَهِمٍ ... منْ دُخَان الوَغَى غَدَا فِى ازْديَاد
كَمْ نَحرْنَا أيَّام نَحْرٍ رقَابًا ... منْ فَرَحٍ أتَتْ بلاَ ميعَاد
وَسَقَيْنَا منَ الدِّمَاء سُيُوفًا ... فَتَروَّى منْ سَيْلهَا كُلُّ صَادى
وَمَعَالى بروجنا عَرَفات ... كَمْ وَقَفْنَا بهَا عَلَى المرْصَاد
وَمَطَافُ الأسْوَار فيه طوا ... لجيُوش بمَبْدأ ومعَاد

كَمْ تُلَبِّي تِلْكَ الجُيُوشُ لِدَاعٍ   مُسْرِعِينَ الجِهَادَ بِالاجْتِهَادِ / ٧٦ب /

وَرِجَالُ الإِسْلاَمِ تُنْصَرُ دَوْمًا   وَالرَّدَى لاَحِقٌ لِتِلْكَ العَوَادِي

وَتَطِيرُ الرُّؤُوس مِنْ أَهْلِ شِرك   وَتَسِيلُ الدِّمَاءُ مِلءَ الوَادِي

وَكَرَامَات أولِيَاء تَبَدَّتْ   شَاهَدَتْهَا أَهْلُ الضِّيَا والسَّوَادِ

وَرِجَالاً قَدْ عَايَنُوهَا طِوَالاً   قَاتَلُوهُم بِحَضْرةٍ وَبَوادِي

مَا سَمِعْنَا ولاَ رَأَيْنَا كَهَذَا   فِي عُصُورٍ تَقَدَّمَتَ أَوْ بِلادِ

خَرَّ مِنْ هَيْبَةِ الجَلاَلِ جِبَالُ   مِنْ بُرُوجٍ رَفِيعَةَ الإِنْجَادِ

سِيَّمَا مَا عَلاَ بِبرج عَلَى   مِنْ حُرُورِ الحروبِ والايقادِ

وَتَدَاعَت أَسْوَارُنَا لانْخفَاضٍ   واكتست رُقْعَةً بِقوم جِيادِ

خَرَّبوهَا وإِنَّمَا خَرَّبُوا أَعْمَـ   ـارَهم ممَّا قَدْ جَنُوا بالأَيَادِي

قَطَعُوا الأَشْجَارَ فكَانَ جزَاهُمْ   قَطع أَعْنَاقهم بِسيفِ الحصادِ

وإِذَا مَا احْتَالُوا بِمكرٍ وكَيْدٍ   عَاد حَقًّا عَلَيْهِم بالفسادِ

حَفَرُوا حفرةً فَصَارت قبوراً   لجسُومٍ لَهم ذَوِي أَبْعَادِ

وَرَأُوا مِنْ حُرُوب عكَّا كُرُوبًا   دَمَّرَتْهم وَعُلِّقت فِي الجيادِ

بلدةٌ حَصَّنَهَا التَّوكُّل والتو   حيد فيها فَكَيْفَ ظَفَرَ الأعادي

دَخَلُوهَا لأَجْلِ آجالهم إِذْ   حَلَّ فيهم سُيوفُ أَهْلِ الجهادِ

كَيْفَ يَسْطُو العِدَا عَلَيْهَا بِأَخْذ   وَهَوَ أَقْسَى مِنْ خَرطهم للقتادِ

جَزَّ فِيهَا الجَزَّار أعنَاق كُفْرٍ   أَحْمَدُ الفعلِ عَارِفٌ بالسدادِ[١]

ذُو اهتمام بحِفْظ دِينٍ وَعَرَضٍ   ذُو أَيَادِي سَرِيعَةَ للمنادي

عَنْتَرُ القومِ يَا فَتَى لَوْ رَآهَ   لَتَوارَى كالذِّئبِ مِنْ أَسَادِ

مستمداً من الإله انتصاراً   مستديمًا عَلَى العُلاَ باعتمادِ

قَوَّمَ الدينَ بَعْدَ مَا اعوَجَّ مِنَا   وَأَقَامَ المنقضَّ مِنْ أَوْتَادِ

فَهوَ ذَاكَ المبعُوثُ فِي رَأْسِ قَرنٍ   طِبْقَ مَا أَخْبَرَ الشَّفيعُ الهادي

لَوْ تَرَى صَبْرَهُ بمدة حَصْرٍ   قُلْتُ هَذَا أَقوى مِنَ الأطوادِ

أَحْسَنُ الصَّبْرِ والثَّبَاتِ يَقِينًا   فَهُو أَلْفُ وَالغَيْر كالآحادِ

كَمْ تَفرُّ الأَبْطالُ مِن كَربِ حربٍ   وَهوَ بالسيفِ سَابِق الأجنادِ

وَيُنَادِي أَيَّا رِجالٌ عَلَيْهم   لاَ تَخَافُوا مِنْ نَار ذَاكَ النادي

فَيُبِيدُ الكُفَّار قَتْلاً وأسراً   وَيَعُودُونَ بالرَّدَى كالرمادِ / ٧٧ أ /

خَابَ مَسْعَاهُم بِبرٍ وبَحْرٍ   وَشَاقَهُم أَتَى يقطَع المدادِ

(١) سقط من طبعة وزارة التربية والتعليم ، من هذه القصيدة ، ثمانية عشر بيتا قبل هذا البيت .

فَأَقَامُوا مِنْ ثَالِث عَشْرِ … فَدَخَلَت مِنْ شَوَّالِنَا بِالنفاد[1]؟

واسْتَدَامُوا لسادسٍ بَعْدَ عشر … مِنْ خِتَامِ الشهور[2] بَعدَ الحادى

عَدَّ مَدَّ قد دَامَ حَرْبٌ وحَصْرٌ … ثُمَّ جَادَ الكريمُ رَبُّ العباد

وأَتَى النَّصْرُ مِنْ قَرِيبٍ مُجِيبًا … مُسْرِعًا بالسرورِ والإسْعَاد

أَعْجَبُ الناسِ مِنْ غَرَائِبِ نَصْرٍ … لَمْ يَكُنْ فِى ظُنُونِهم مُتَبَادِى

بَيْنَمَا ليلةَ الثلاثِ سُهَارَى … إِذْ أَتَانَا أَخْبَارِ ذِى الإلحاد

هَرَبُوا خِفْيَةً بِلَيْلٍ وَقَامُوا … مُسْرِعِينَ الهروبِ بالإنكاد

بقلوبٍ مَمْلُوءَةٌ كُلَّ رَعْبِ … وَعُيُون بيضٌ بِغَيْرِ سواد

وتَخَلَّوْا عَنِ السلاح وَمَا يثـ … ـقلهم خيفَةَ مِنَ الإِجْهَاد

والمجَارِيحُ مِنْهُم ثُمَّ قَتْلاَ … هم لَقَدْ فَاقت جُمْلةَ الأعداد

فَعَدُّونَا وَقَدْ رَأَيْنَا عجَابًا … مِنْ قَبِيحِ الإِصْدَارِ والإيراد

وانجلت ظلمةُ الشرورِ وَجَاءَت … بَهْجَةَ النورِ والهُدَى والرَّشَاد

زَهَقَ البَاطِلُ الذى ارتكبوهُ … حِينَ جَاءَ الحَقُّ القَوِىُّ باعتقاد

وَيْحَ أَرْضٍ تَدَنَّسَت بِلُحُومِ … مِنْ فَرَنْسَا وَبَيْنَ أَهْلِ العناد

لَمْ يَنَالُوا مِنَ المدينَة إِلَّا … كَسْبَهم عَارَهم مَدَى الآماد

وَكَفَى اللهُ المؤمنينَ قِتَالاً … وَهَدَانَا فنعم مَوْلَى هاد

بُرْجُ عكَّا نَصَّ الحديثُ عليه … أَنَّ فيه ملاحمًا باشتداد

وَهِىَ كُبْرَى وَمَنْ مَنَاقِبِ فَرْدٍ … قَائِمٌ بالجماعةِ الأفراد

فَحَمَدْنَا إِلَهَنَا عَزَّ شأنًا … وَشَكَرْنَا لفضله المتمادى

وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُتِمَّ نصرًا … بفتوحٍ لمِصْرَ ذَاتِ المهاد

ويعين المسعودِ بالسَّعْدِ فيها … وَيَعِزُّ الإسلامَ مِنْ ذَا الجواد

بنَبِى مَحَا الضلالةَ بحقٍ … وَحَمَاهُ الإلهُ مِنْ حُسَّاد

فَعَلَيْه الصلاةُ ثُمَّ سَلامٌ … وَعَلَى الآل سادة أَمْجَاد

سَعْدُ عكَّا نَادَى لَهَا أَرِّخُوهَا … فيكَ سِرٌّ وَنُصْرَةٌ للبلاد

قال صاحبنا المشار إليه ؛ وكان هذا الناظم ممن ينظم بسليقته لا بمعرفته فى العروض وَدُرْبَته ، / فقد استعمل فى بحره الذى نظم عليه من الممتنعات عند

٧٧ ب/

(١) ١٣ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٠ مارس ١٧٩٩ م . (٢) ١٦ الحجة ١٢١٣ هـ / ٢١ مايو ١٧٩٩ م .

العروضيــين ما كدر صفوه ، ووضع الـقوافى فى غير مواضـعها ، مما جعل لـها مزيد النفار والنبوة .

وها أنا ذا منـبه على ما ارتكبه مـن الممتنع عند العـروضيين : فمنها أنه اسـتعمل التشـعيث في العـروضة فى غيـر ما موضع من الـقصيدة ، وهذه الـعلة إنما تـقع فى الضرب أو العروضة فى حالة التصريع .

ومنها أنه استعمل غير مرة « مسـتفع لن » « المفروق الوتد » ، فأدخل فيه زحاف الطـى فنقـل إلى مفتعلـن ، والحال أن الذى من مواضع الطى هـو مجموع الوتد لا مفروقه ، لما يلزم من دخول الزحـاف فى الأوتاد ، ومواضع الزحاف هو الأسباب ليس إلا ؛ فـهذا مما لم يقل بـه أحد من العروضيـين ، ولم يقع فى شعـر العرب ولا المولدين من المتقـدمين والمتأخرين إلى وقتنا هذا ، إلا فى شعـر غير عارف بالموازين ؛ وأما استعمـاله القوافى فى غير مـوضعها فهو جلى لـكل فطن عنده أدنى إلمام بـاللغة والصرف ، ولو أردت انتقـاده لطال الكلام ، وفوت عنا الغرض فـى هذا المقام ؛ ثم هو قد مدح مخدومه أحـمد باشا الجزار ، وهو بهذا المدح حقيق ، لـكونه جاهد فى الدين حـق الجهاد ، فأرغم العـدو وأسر الصديق ؛ ومـن الواجب علىَّ ، والمتـحتم لدىَّ ، أن أمدح مولانـا الوزير أبقاه الله شكرًا علـى نعمة فتوح مصر الـتى أجراها الله على يديه ، واختاره لهذه المنقبة الشريفة الرفيعة الذكر فى الدنيا ، والمضاعفة والثواب فى الأخرى لديه ، واستنقاذنا من أسر أولئك الـكفرة اللئام ، ورد شمل المسلمين بعد الصدع إلـى الانتظام والالتـئام ؛ وسأذكر فى موضـعه بعد هذا الـكتاب مجاريـا لهذه القصيدة فى وزنها ورويها ، ليظهر الفرق بين أرباب الألباب .

/ ٧٧ أ

وفيه [١] ، قبضوا / على إسماعيل القلق الخربطلى ، وهو المتولى كتخدا العزب ، وكان ساكنًا بخط الجمالية [٢] ، وأخذوا سلاحه وأصـعدوه إلى القلعـة ، وحبسوه ، والسبب فى ذلك أنه عـمل فى تلك الليلة وليمة ودعا أصدقـاءه وأحبابه وآلات اللهو والطرب ، وبات سهرانًا بطول الليل ، فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا إلـى ضحوة النهار ، وتـأخر عن حضور ملاقاة الـفرنسيس ، فلـما أفاق ركب ولاقاهم عـند باب النصر ، فـنقموا علـيه ذلك وحبســوه كما ذكر ، ولما وصل كـبير الفرنـسيس إلى داره بـالأزبكية تجمـع هناك أرباب المـلاهى ، والبطـالات ، وطوائف الرميـلاتية ، ورعاع الـعالم من الحرافـيش ، وأكلة الحشـيش ، وملاعبـين القرود ،

(١) ١٠ محرم ١٢١٤ هـ / ١٤ يونيه ١٧٩٩ م . (٢) خط الجمالية : انظر ، ص ٤٦ ، حاشية رقم (٦) .

والحواة ، والنساء الرقاصات ، والخلابيص[1] والمراجيح وأمثال ذلك ، كتجمعهم أيام الأعياد والمواسم ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ، وفى كل يوم تعمل الفرنسيس شنكا ومدافع وحراقة وسواريخ ونفوطا ، ثم انصرفوا بعد ما أعطاهم دراهم .

وفى يوم الأحد [2] ، عزلوا دستان [3] قائم مقام ، وتولى عوضه دوجا الذى كان وكيلا عن صارى عسكر ، وتهيأ المعزول للسفر إلى جهة بحرى ، وأصبح مسافراً وصحبته نحو الألف من العسكر ، وسافر أيضًا منهم طائفة إلى البحيرة .

وفيه [4] ، طلبوا من طوائف النصارى دراهم سلفة مقدار مائة وعشرين ألف ريال .

وفى خامس عشره [5] ، أرسلوا إلى زوجات حسن بيك الجداوى ، وختموا على دورهن ومتاعهن وطلبوهن بالمال ، وذلك بسبب أن حسن بيك التف على مراد بيك ، وصار يقاتل الفرنسيس معه ، وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بيك وأمنته وأقرته / على ما بيده من البلاد ، وأن لايخالف ويقاتل مع الأخصام ، فلم يقبل منهم ذلك ، فلما وقع للنساء ذلك ذهبن إلى المهدى ووقعن عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف ريال فرانسة .

٧٨ ب/

وفى تاسع عشره [6] ، هلك ميخائيل كحيل النصرانى الشامى ، وهو من رجال الديوان الخصوصى فجأة ، وذلك لقهره وغمه ، ومنشأ ذلك أنه وزع عليه فى سلفة الفرنسيس ستة آلاف ريال فرانسة ، وشرع فى تحصيلها ، ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار ، قبض على شريكه بالشام ، وأخذ ماله جميعه ، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع إخوانه حصة من الليل فخرجت روحه فجأة .

وفيه [7] ، كتبوا أوراقًا وطبعوها وألصقوها بالأسواق كعادتهم ، وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا ، فَنمَّقُوا ذلك بترصيف بعض الفصحاء ، ونصها :

« من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر ، خطابًا لأقاليم الشرقية ، والغربية ، والمنوفية ، والقليوبية ، والجيزة، والبحيرة ، النصيحة من الإيمان ، قال

(١) الخلابيص : جمع « خلبوص » ، وهو الشخص الذى يقوم بحركات فيها خفة .

(٢) ١٢ محرم ١٢١٤ هـ / ١٦ يونيه ١٧٩٩ م . سقط من الأصل « يوم الأحد » ، أكملت من طبعة ووزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ .

(٣) دستان : هو : « دستنج Destaing » .

(٤) ١٠ محرم ١٢١٤ هـ / ١٤ يونيه ١٧٩٩ م .

(٥) ١٥ محرم ١٢١٤ هـ / ١٩ يونيه ١٧٩٩ م .

(٦) ١٩ محرم ١٢١٤ هـ / ١٣ يونيه ١٧٩٩ م .

(٧) ١٩ محرم ١٢١٤ هـ / ١٣ يونيه ١٧٩٩ م .

تعالى فى محكم القرآن ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [2] . فعلى العاقل أن يتدبر الأمور ، قبل أن يقع فى المحذور ، نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين ، فتصبحوا على فعلتم نادمين ، وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية ، أمير الجيوش الفرنساوية ، حضرة بونابرته محب الملة المحمدية ، ونزل بعسكره فى العادلية سليمًا من العطب والأسقام ، ودخل إلى مصر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب عظيم ، وشنك فخيم ، وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية ، وأرباب / الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية ، وكان يومًا عظيمًا مشهودًا ، وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه ، شرح الله صدره للإسلام ، والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة ، والغز الهاربة ، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية ، وتدمير أهل الملة الإسلامية ، وتعطيل الأموال الديوانية لايحبون راحة العبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾[3] وقد بلغنا أن الألفى توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى [4] والعيايدة [5] الفجرة المفسدين ، يسعون فى الأرض بالفساد ، وينهبون أموال المسلمين ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[6] وَيُزَوِّرُونَ على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة ، والحال أنها ليست بحاضرة ، فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر ، وإنما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر ، مثل ما كان يفعل إبراهيم بيك فى غزّة حين كان ، ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان ، وَيَدَّعِى أنها من طرف السلطان ، ويصدقوه أهل الأرياف خسفاء العقول ولا يقرءون العواقب ، فيقعون فى المصائب ؛ وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفًا على أنفسهم ، وهلاك عيالهم وأولادهم ، فإن المجرم يؤخذ مع الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة ، ونعوذ بالله من غضب الدَّيَّانِ ، فكانوا أهل الصعيد أحسن عقلا من أهل بحرى ،

/ ٧٩ أ

(١) سورة : البقرة ، رقم (٢) ، آية رقم (١٦٨) . (٢) سورة : الشعراء ، رقم (٢٦) ، آية رقم (١٥١) .

(٣) سورة : البروج ، رقم (٨٥) ، آية رقم (١٢) .

(٤) عربان بلى : توجد فروع لبلى فى: سيناء، والإسماعيلية ، والشرقية ، والقليوبية ، هم : المقابلة ، والأحامدة ، والمطارقة، والعرادات ، وبعض من عائلات : وابصة والزبالة والمعاقلة.- الطيب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٢ .

(٥) عربان العيايدة : قبيلة قحطانية ، وبلاد العيايدة تمتد من ضواحى القنطرة إلى حبوة ، ومحافظة الشرقية ، والسويس والقليوبية ، وعين شمس الغربية ، وقرب الخانكة . الطيب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٢١ - ٧٢٥ .

(٦) سورة : الفجر ، رقم (٨٩) ، آية رقم (١٤) .

بسبب هذا الرأى السديد ، ونخبركم أن أحـمد باشا الجزار ، سمّوه بهذا الاسم لكثرة قتلـه الأنفس / ولا يفرق بين الأخـيار والأشرار ، وقد جمـع الطموش الكثـيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة ، وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها ، وأحبوا اجتماعهــم عليه لأخذ أموالها وهتك حريمها ، ولـكن لم تساعده الأقدار والله يفعل ما يشاء ويختار ، وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ، ومراده أن يصل إلى قطيا [1] ، فتوجه حضرة صارى عسكر أميـر الجيوش الفرنساوية ، وكسر عسكر الجزار الذى كانــوا فى العريش ، ونادوا الفرار الفرار بعد ما حـصل بعسكرهم من القتـل والدمار ، وكانوا نحو ثلاثـة آلاف ، وملك قلعة العـريش ، وأخذ غزّة ، وهرب من كـان فيها وَفَرُّوا ، ولـما دخل غزّة نادى فِى رَعِيَّتِهَا بـالأمان ، وأمر بإقـامة الشعائـر الإسلامية ، وأكرم العـلماء والتجار والأعـيان ، ثم انتقل إلـى الرملة [2] ، وأخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشـعير ، وقـرب أكثر من ألفين قربة عظام كبار ، كان جهزها الجزار لذهابـه إلى مصر ، ثم توجه إلى يافا وحاصرهـا ثلاثة أيام ، ثم أخذها وأخذ ما فيهـا من ذخائر الجزار بالتمام ، ومن نـحوسات أهلها أنهم لم يـرضوا بأمانه ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه ، فدور فيهم السيف من شدة غيظة وقوة سلطانه ، وقتل منـهم أربعة آلاف أو يزيدون ، بعد مـا هدم سورها وأكرم من كان بـها من أهل مصر ، وأطعمــهم وكساهم وجهزهم فى المـركب إلى مصر ، وغفرهم بـعسكره خوفًا من العربـان ، وأجزل عطاياهم ، وكان فى يـافا نحو خمسة آلاف من عـسكر الجزار هلكوا جميعًا ، وبعضهم ما نجاه إلا الفـرار ، ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس [3] ، / فكسـر من كان فيهـا من العساكـر بمكان يقـال له قَاقُوم ، وحرق خمسـة بلاد من بلادهـــم ، وما قُدِّرَ كَانَ ، ثـم أخـرب سُورَ عكَّا ، وهـدم قلـعة الجزار الـتى كـانت حصينة، لم يبق فيها حجر على حجر ، حتى أنه يقال كان هناك مدينة ، وقد كان بنى حِصَارَهَا وَشَيَّدَ بُنْيَانَهَا فى نـحو عشريـن من السـنين ، وظلـم فى بنيـانها عـباد الله ، وهكذا عاقبة بنـيان الظالمين ، ولما توجه أهل بلاد الجزار من كل ناحـية كسرهم كسرة شنيعة ، فهل ترى لـهم من باقية ، نزل عليهم كصاعقة مـن السماء ، ثم توجه راجعًا إلى مصر المحروسة لأجل شيئين :

٧٩ ب/ ‏— ٨٠ أ/

الأول : أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر والوعد عند الحُرِّ دَيْنٌ .

والسبب الثانى : أنه بلغه أن بعض المفسـدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه

(١) قطيا : أنظر ، ص ٤٥ ، حاشية رقم (٤) . (٢) الرملة : أنظر ، ص ١١٢ ، حاشية رقم (٦) .
(٣) نابلس : أنظر ، ص ١٠٧ ، حاشية رقم (٢) .

الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان ، فلما حضر سكنت الفتنة ، وزالت الأشرار ، والفجرة من الرعية ، وحبه لمصر وإقليمها شىء عجيب ، ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدبيره المصيب ، ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة .

ولما حضر من الشام ، أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام ، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعداء والأخصام، فالويل كل الويل لمن عاداه، والخير كل الخير لمن وآلاهُ ، فسلموا يَاعِبَادِ الله ، وارْضُوا بتَقْدِيرِ الله ، وامْتَثِلواْ لأحكامِ الله ، ولا تَسْعُوا فى سفك دمائكم ، وهتك عيالكم ، ولاتَتَسَبَّبوا فى نهب أموالكم ، وَلاَ تسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين ، ولاتقولوا : إن فى الفتنة إعلاء كلمة الدين ، حاشا لله لم يكن فيها إلا الخذلان ، وقتل الأنفس ، وذلّ أمة النبى عليه / السلام ، والغز والعربان يطمعونكم ويغرونكم[1] لأجل أن يضروكم فينهبوكم ، وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم ، كأنهم جند إبليس ، ولما حضر صارى عسكر إلى مصر أخبر أهل الديوان من خاص وعام ، أنه يحب دين الإسلام ، ويعظم النبى عليه السلام ، ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان ، وأمر بإقامة شعائر المساجد الإسلامية ، وإجراء خيرات الأوقاف السلطانية ، وأعطى عوائد الوجاقلية [2] ، وسعى فى حصول أقوات الرعية ، فانظروا هذه الألطاف والمزّية ، ببركة نبينا أشرف البرية ، وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجداً عظيمًا بمصر ، لانظير له فى الأقطار ، وأنه يدخل فى دين النبى المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، انتهى » .

/ ٨٠ب

وفى ثانى عشرينه [3] ، أرسل كبير الفرنسيس جماعة من العسكر وقبضوا على ملا زاده ابن قاضى العسكر ، ونهبوا بعضًا من ثيابه وكتبه ، وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه ، فانزعج عياله وحريمه ووالدته انزعاجًا شديدًا .

وفى صبحها [4] ، اجتمع أرباب الديوان بالديوان ، وحضرت إليهم ورقة من كبير الفرنسيس قرئت عليهم ، مضمونها : « أن صارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله ، وأنه وَجَّهَ إليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخًا من العلماء ، ويكون من أهل مصر ، ومولودًا بها يتقلد القضاء ، ويقضى بالأحكام الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء ، برأى العلماء للعلماء ، فأجاب الحاضرون بقولهم : « إننا

(١) بالأصل « يطعموكم ويغروكم » صوبت .

(٢) عوائد الوجاقلية : أى العوائد التى كانت مرتبة لرجال الأوجاقات أو الحامية العثمانية بمصر ، من جريات وعلوفات وغيرها .

(٣) ٢٢ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٩ م .

(٤) ٢٣ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٧ يونيه ١٧٩٩ م .

العثمنلى من مصر » ، هذا من أطماع النفس فى ضروب من محال الآمال ، وتشبثها بأذيال الأمانى التى ضربت دون الوصول إليها أعناق الرجال ، واسترسالاً لخبايث نفوسهم فى مراتع الغواية والضلال ، وفساد فكر عن طرق الرشد عقيم ، بمعارضة ظلمة الوهم وفساد الخيال ، لقد تبجح هذا اللعين الكافر ، وتفوّه بما لايصل إليه سائر الملوك ، الأول منهم والآخر ؛ ولقد كانت هذه اللفظة عليه وَبَالا ، وخيبة أوجبت له من أقبح الشرور فألا ، فإنه من حين دخول مصر لم يتفوّه / بأمثالها ، ولا تُمنِّيه نفسه بأن يكون من أبناء مصر ورجالها ، فلما انفسحت له المدة ، وخفت عنه الشدة ، وعدم المعارض ، وصار جواد فساده بأرض مصر راكض ، أظهر العداوة للدولة العلية أبقاها الله بعد كتمانها ، وأظهر أنه ممن يحب تلك الدولة ، ويكون من أتباعها وأعوانها ، ثم لما طال أمده ، وأبى عليه طول الاكتتام عداوته وحسده ، استدرجته أمانى نفسه ، فقال ما دونه حلوله برمسه ، ومن خزيه ونكاله ، وتبين ضلاله ومحاله ، أنه بعد أن قال ما قيل ، لم يلبث بمصر إلا القليل ، وذهب إلى حيث ألقت ، وقد كانت على جيشه وجنوده كلمة العذاب حقت ، فخلت منهم بعد ذلك الديار ، وعجل الله بأرواحهم إلى النار ، وبئس القرار » . ٨٢ب/

وفى تلك الليلة قتلوا شخصين أحدهما على جاويش رئيس الريالة الذى كان بالإسكندرية عند حضور الفرنسيس ، والثانى قبطان آخر ، فلم يَزَالا بمصر يحبسونهما أيامًا ، ثم يطلقونهما ، فَحَبَسُوهُمَا آخرًا فلم يطلقوهما وقتلوهما ، رحمهما الله .

وفى صبيحة ذلك اليوم[1] ، قتلوا شخصين أيضًا من الأتراك بالرميلة .

وفيه[2] ، أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوى .

وفى ثالث عشرينه [3] ، جمعوا الوجاقلية [4] وكتبوا أسماءهم .

وفى سادس عشرينه[5] ، قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهما يسمى : حسن كاشف من أتباع أيوب بيك الكبير ، وآخر يسمى : أبو كلس ، والثالث : تاجر من تجار خان الخليلى ، يسمى حسين ، مملوك الدالى إبراهيم ، فسجنوهم بالقلعة ، فتشفع الشيخ السادات فى حسين التاجر فأطلقوه ، على خمسة آلاف فرانسة .

(١) ٢٥ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٩ يونيه ١٧٩٩ م . (٢) ٢٤ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٨ يونيه ١٧٩٩ م .
(٣) ٢٣ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٧ يونيه ١٧٩٩ م .
(٤) الوجاقلية : أفراد الحامية العثمانية وكانت تجرى عليهم الرواتب .
(٥) ٢٦ محرم ١٢١٤ هـ / ٣٠ يونيه ١٧٩٩ م .

شهر صفر الخير[1]

استهل بيوم الجمعة [2] .

فيه [3] ، أفرجوا على بعض قرابة كتخدا / الباشا ، وكان مَحْبُوسًا بالجيزة ، ثم نقل إلى القلعة مع كتخدا قَرِيبَهُ فأطلق وبقى الآخر . /٨٣ أ

وفى يوم الأحد ثالثه [4] ، حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقًا مِنْ دمياط إلى مصر ، وكان مقيمًا هناك من بعد واقعة يَافَا ، ونزل مع الذين أَنْزَلُوهُم من يَافَا إلى البحر ، وفيهم عثمان أفندى العباسىّ ، وحسن أفندى كاتب الشهر ، وأخوه قاسم أفندى ، وأحمد أفندى عرفة ، ويوسف أفندى ، وقاسم المصلى وغيرهم ، فمنهم من عُوِّقَ بالكرنتيلة ، ومنهم من حضر من البر خِفْيَةً ، فحضر بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر ، وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية على بيك التى بساحل بولاق ، حتى وصل إلى داره ، وتوجه فى صبح ثانى [5] ، يوم ، مع المهدى ، وقابل كبير الفرنسيس فبش له ووعده بخير ، ورد إليه بعض تعلقاته ، واستمر مقيما بداره ، والناس تغدو وتروح إليه على العادة .

وفى رابعه [6] ، حضر أيضًا حسن كتخدا الجربان بأمان ، وكان بصحبته عثمان بيك الشرقاوى .

وفيه[7] ، أشيع أن مراد بيك ذهب إلى ناحية البحيرة ، فرارًا من الفرنسيس الذين بالصعيد .

وفى خامسه [8] ، قَتَلُوا عَبْدَالله أَغَا أَميرَ يَافَا ، وكان أُخِذَ أسيرًا وحبس ثم قتل.

وفيه [9] ، قتل أيضًا يوسف جربجى أبو كلس ورفيقه حسن كاشف .

« وفى يوم الأربعاء سادسه [10] ، عمل الشيخ محمد المهدى، وليمة عرس لزواج أحد أولاده ، وَدَعَا صارى عسكر ، وأعيان الفرنساوية ، فتعشوا عنده وذهبوا »[11].

وفيه [12] ، أحضروا أربعة عشر مملوكًا أسرى ، وأصعدوهم إلى القلعة ، قيل :

(١) صفر ١٢١٤ هـ / ٥ يوليه - ٢ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٢) ١ صفر ١٢١٤ هـ / ٥ يوليه ١٧٩٩ م .
(٣) ١ صفر ١٢١٤ هـ / ٥ يوليه ١٧٩٩ م .
(٤) ٣ صفر ١٢١٤ هـ / ٧ يوليه ١٧٩٩ م .
(٥) ٤ صفر ١٢١٤ هـ / ٨ يوليه ١٧٩٩ م .
(٦) ٤ صفر ١٢١٤ هـ / ٨ يوليه ١٧٩٩ م .
(٧) ٤ صفر ١٢١٤ هـ / ٨ يوليه ١٧٩٩ م .
(٨) ٥ صفر ١٢١٤ هـ / ٩ يوليه ١٧٩٩ م .
(٩) ٥ صفر ١٢١٤ هـ / ٩ يوليه ١٧٩٩ م .
(١٠) ٦ صفر ١٢١٤ هـ / ١٠ يوليه ١٧٩٩ م .
(١١) سقط من الأصل ، هذه الفقرة ، أضيفت من طبعة وزارة التربية والتعليم ، جـ ١ ، ص ٢١٤ .
(١٢) ٥ صفر ١٢١٤ هـ / ٩ يوليه ١٧٩٩ م .

إنهم كانوا لاحقين بمراد بك بالبحيرة ، فأووا إلى قبة يستظلون بها ، وتركوا خيولهم مع السواس ، فنزلت / عليهم طائفة من العرب ، فأخذت الخيول فمروا مشاة ، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم ، وقيل : إنهم أووا إلى بلدة ، وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم ، فلم يرضوا بدون ما طلبوا ، فوعدوهم بالدفع من الغد ، وكانوا أكثر من ذلك ، وفيهم : كاشف من جماعة الطنبرجى ، فذهب الفلاحون إلى الفرنسيس ، وأعلموهم بمكانهم ، فحضروا لهم ليلا ، وقتلوا من قتلوه ، وأسروا الباقى، وأما الكاشف فيسمى عثمان كاشف ، التجأ إلى كبير الفرنسيس فحماه وأخذه عنده، وأحضروا الأسرى إلى مصر، وعليهم ثياب زرق وزعابيط، وعلى رؤوسهم طواقى من لباد وغيرها ، وأصعدوهم إلى القلعة ، فلما كان فى ثانى يوم قتلوا منهم عشرة .

٨١ ب/

وفى تاسعه[١] ، أحضروا أيضًا ستة أشخاص من المماليك وأصعدوهم إلى القلعة.

وفى ذلك اليوم [٢] ، قتلوا أيضًا منهم نحو العشرة واستمروا فى كل يوم يقتلون أناسًا من الأسرى والمحابيس .

وفى يوم الأحد عاشره [٣] ، ركب فى عصريته كبير الفرنسيس ، وعدى إلى الجيزة ، وتبعته العساكر ، ولم يعلم سبب ذلك .

وفيه [٤] ، عدى إلى الجيزة وضرب العسكر نجع البطران [٥] ، ودهشور[٦] ، بسبب نزول مراد بيك عندهم .

وفيه [٧] ، ظهر أن مراد بيك رجع ثانيًا إلى الصعيد .

وشاع الخبر أيضًا أن عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان أغا الوالى ، وآخرون ، مروا من خلف الجبل وذهبوا إلى ناحية الشرق ، فخرج إليهم جماعة من العسكر ، وبرطلمين ، وينى الخمار النصرانى الرومى ، الذى كان فى أول أمره مستوليًا على

(١) ٩ صفر ١٢١٤ هـ / ١٣ يوليه ١٧٩٩ م . (٢) ٩ صفر ١٢١٤ هـ / ١٣ يوليه ١٧٩٩ م .
(٣) ١٠ صفر ١٢١٤ هـ / ١٤ يوليه ١٧٩٩ م . (٤) ١٠ صفر ١٢١٤ هـ / ١٤ يوليه ١٧٩٩ م .
(٥) نجع البطران : المقصود بها نزلة البطران التى تكونت فى تاريخ ١٢٧١ هـ / ١٨٥٥ م ، بفصلها من زمام الحرانية، ومنذ ١٩٣٠ م ، ناحية قائمة بذاتها من الوجهتين الإدارية والمالية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ،ص ٢٤ .
(٦) دهشور : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز العياط ، محافظة الجيزة . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٤٣ - ٤٤ .
(٧) ١٠ صفر ١٢١٤ هـ / ١٤ يوليه ١٧٩٩ م .

خمارات مصر ، ثم صار عسكريًا على طائفة من نصارى ؛ الأروام ،/ ومعهم عدة من المسلمين المنضمة إلى برطلمين ، ونصارى أروام المنضمة إلى ينى ، فأدركوهم قريبًا من بلبيس ، وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة ، وكان عثمان بيك يغتسل ، فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركوب الخيل ، وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه ، وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم ، وحملتهم ، وقدور الطعام على النار ، ولم يمت منهم إلا مملوكان ، وأسروا منهم إثنين ، ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من إبراهيم بيك ، يدعوهم إلى الحضور إليه بالشام . / ٨٤ أ

وفى ليلة الإثنين حادى عشره[1] ، وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الإسكندرية ، وبوقير [2] ، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عساكر عثمانية إلى بوقير ، فتبين أن حركة الفرنسيس وتعديتهم إلى البر الغربى بسبب ذلك ، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهرى ، وأصبحوا فى ثانى يوم [3] ، عدى الكثير من العسكر أيضًا ، واهتم حنا بِينُو المتولى على بحر بولاق بجمع المراكب ، وشحنها بالبقسماط والعدس والأرز والقومانية[4] ، وداخل الفرنسيس من ذلك وهم عظيم ، ولما عدّى كبيرهم إلى بر الجيزة ، أقام يوم الإثنين[5] عند الأهرام حتى تجمعت العساكر ، وبعث بالمقدمة، وركب هو فى يوم الثلاثاء ثانى عشره[6] ، وأرسل مكتوبًا إلى أرباب الديوان بالسلام عليهم، والوصية بالحفظ وضبط البلد والرعية، كما فعلوا فى غيبته السابقة .

وفى سادس عشره [7] ، ورد الخبر بأن عثمان خُجًّا وصل إلى قلعة / أبو قير صحبة السيد مصطفى باشا ، فضربوا على القلعة ، وَقَاتَلُوا[8] من بها من الفرنسيس ، وعثمان خُجًّا هذا هو الذى كان متولى إمارة رشيد من طرف صالح بيك ، وحج معه ، ورجع صحبته إلى الشام ، فلما توفى صالح بيك سافر إلى الديار الرومية ، وحضر صحبة السيد مصطفى باشا المذكور ، فلما تحققت هذه الأخبار ، كثر اللغط فى الناس ، وأظهروا البشر ، وتجاهروا بلعن النصارى ، واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة[9] مع بعض نصارى الشوام ، فقال المسلم للنصرانى . / ٨٤ ب

(١) ١١ صفر ١٢١٤ هـ / ١٥ يوليه ١٧٩٩ م .

(٢) أبو قير : ظهرت فى القرن الثالث الميلادى ، تنسب إلى القديس قير «Saint Cyr» يوجد بجانبها أطلال مدينة قديمة ، كانت تسمى كانوب ، وهى إحدى مدن مركز كفر الدوار ، محافظة البحيرة .رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ .

(٣) ١٢ صفر ١٢١٤ هـ / ١٦ يوليه ١٧٩٩ م .

(٤) القومانية : أنظر ، ص ٨٧ ، حاشية رقم (٤) .

(٥) ١٢ صفر ١٢١٤ هـ / ١٦ يوليه ١٧٩٩ م .

(٦) ١٢ صفر ١٢١٤ هـ / ١٦ يوليه ١٧٩٩ م .

(٧) ١٦ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٩ م .

(٨) بالأصل « وأسروا » ، صوبت من عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، طبعة لجنة البيان العربى ، جـ ٥ ، ص ٧٦ .

(٩) حارة البرابرة : حارة تقع فى شارع الموسكى .

« إن شاء الله بعد أربعة أيام نشتفى منكم » ، وكلام من هذا المعنى ، فذهب النصرانى إلى الفرنسيس مع عصبة من جنسه ، وأخبروهم بالقصة وزادوا وحرّفوا ، وَعَرَّفُوهُم أن قصد المسلمين إثارة فتنة » ، فأرسل قائم مقام إلى الشيخ المهدى ، وتكلم معه فى شأن ذلك وحاججه ، وأصبحوا فاجتمعوا بالديوان ، فقام المهدى خطيبًا وتكلم كثيرًا ، ونفى الريبة وكذب أقوال الأخصام ، وَتَشَدَّدَ فى تبرئة المسلمين عما نسب إليهم ، وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى ، وكان هذا المقام من مقاماته المحمودة ، ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم .

وفيه [1] ، حضرت مكاتبة من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع العسكر السلطانى بجهة أبو قير ، وصورتها :

« لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

« نخبركم محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس ، وأكملهم بالعقل والتدبير ، عليهم سلامُ الله ورحمته وبركاته .

« بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم ، نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب ، أننا / وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة[2] ، ‏٨٥ أ/ وبعد ذلك سرنا إلى إقليم البحيرة ، لأجل ما نريد رَدَّ راحة الرعايا المساكين ، ونقاصص أعداءنا المحاربين ، وقد وصلنا بالسلامة إلى الرحمانية [3] ، وعفونا عفواً عموميًا عن كامل أهل البحيرة ، حتى صار أهل الإقليم فى راحة تامة ونعمة عامة .

وفى هذا التاريخ [4] ، نخبركم أنه وصل ثمانون مركبًا صغاراً وكباراً ، حتى ظهروا بثغر الإسكندرية ، وقصدوا أن يدخلوها ، فلم يمكنهم الدخول من كثرة البنب وجلل المدافع النازلة عليهم ، فرحلوا عنها ، وتوجهوا يرسون بناحية أبو قير ، وابتدأوا ينزلون فى البر ، وأنا الآن تاركهم ، وقصدى أن يتكامل[5] الجميع فى البر ، وأنزل عليهم أقتل من لايطيع ، وأُخَلِّى بالحياة الطائعين ، وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف ، لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر ، والسبب فى مجئ

(١) ١٦ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٩ م .

(٢) الطرانة : قرية قديمة ، إسمها المصرى «Per Rann out» ، والقبطى «Ternour» ، وهى إحدى قرى مركز كوم حمادة ، محافظة البحيرة . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٣) الرحمانية : أنظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (٧) .

(٤) ١٦ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٩ م .

(٥) بالأصل « يتكاملوا » صوبت .

هذه العمارة إلى هذا الطرف ، العشم بالاجتماع على المماليك والعربان ، لأجل نهب البلاد ، وخراب الإقليم المصرى ، وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقو[1] الإفرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان موحد الله ، وعدواتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله ، يكرهون الإسلام ، ولايحترمون القرآن ، وهم نظراً لكفرهم فى معتقدهم يجعلون الآلهة ثلاثة ، وأن الله ثالث تلك الثلاثة[2] ، تعالى الله عن الشركاء .

« ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لاتعطى القوة ، وأنَّ كثرة الآلهة لا تنفع لأنه باطل ، بل إن الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده ، هو الرحمن الرحيم، المساعد المعين المقوى للعادلين / الموحدين ، الماحق رأى الفاسدين المشركين، / ٨٥ب وقد سبق فى علمه القديم وقضائه العظيم ، أنه أعطانى هذا الإقليم العظيم ، وقدَّر وحكم بحضورى إلى مصر، لأجل تغيير الأمور الفاسدة وأنواع الظلم ، وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم ، وبرهان قدرته العظيمة ، ووحدانيته المستقيمة ، أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ، قوة مثل قوتنا ، لأنهم ما قدروا أن يعملوا الذى عملناه، ونحن المعتقدون بوحدانية الله، ونعرف أنه العزيز القادر القوى، القاهر ، المدبر الكائنات ، والمحيط علمه بالأرضين والسموات ، والقائم بأمر المخلوقات ، هذا ما فى الآيات ، والكتب المنزلات ، ونخبركم بالمسلمين إن كانوا بصحبتهم يكونون من المغضوب عليهم ، لمخالفتهم لوصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، بسبب اتفاقهم مع الخارجين الكفرة اللئام ، لأن أعداء الإسلام لاينصرون الإسلام ، ويَا وَيْلَ من كانت نصرته بأعداء الله ، وحاشا الله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيداً، أو يكون مسلماً، ساقهم التقدير للهلاك والتدمير مع السفالة والرذالة، وكيف للمسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب، فيسمع فى حق الواحد الأحد، الفرد الصمد، من الكفار كل يوم تخريف واحتقار، ولا شك أن هذا المسلم فى هذا الحال، أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال . نريد منكم يا أهل الديوان ، أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمْصار ، لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية، فى سائر الأقاليم والبلاد، لأن البلد الذى يحصل فيها الشر، يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص، انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك، خوفاً عليهم/ أن يفعل / ٨٦ أ فيهم مثل ما فعلنا فى أهل دمنهور [3] وغيرها ، من بلاد الشرور ، بسبب سلوكهم

(١) الموسقو : الروس . (٢) يشير إلى عقيدة التثليث فى المسيحية .
(٣) دمنهو : أنظر ، ص ١٢٥ ، حاشية رقم (٥) .

المسالك القبيحة قاصصناهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تحريرًا فى الرحمانية يوم الأحد ١٥ صفر سنة ١٢١٤ [١] ، وبصموا من ذلك نسخًا وألصقوها بالأسواق ، وفرقوا منها على الأعيان ، انتهى » .

وفى ثامن عشره [٢] ، وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار ، وكلها على نسق واحد ، بأن المسلمين ملكوا الإسكندرية فى ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر [٣] ، وفرح الناس ، وهنأ بعضهم بعضًا ، ثم ظهر عدم صحة ذلك ، ولعل ذلك من المكائد .

وفى ليلة الثلاثاء عشرينه [٤] ، أشيع أن الفرنسيس انتصروا على المسلمين ، وأخذوا قلعة أبو قير ، وأخذ السيد مصطفى باشا أسيرًا ، وعثمان خُجًّا ، وعدة من المسلمين ، وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم .

ولما طلع النهار [٥] ، ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل ، وأبراج التلول ، وجامع الظاهر[٦] ، وبَاقِى القلاع المحيطة، وبصحن الأزبكية ، فانزعج الناس ، ونزل بهم من الغم والكآبة ما لا مزيد عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وفى ليلتها أعنى ليلة الأربعاء [٧] ، عملوا حراقة بالأزبكية وسواريخ ونفوط .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه [٨] ، وصلت عدة مراكب ، وبها أسرى وعساكر جرحى ، وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه [٩] ، حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحال التى وقعت لم أقف على صورتها .

شهر ربيع الأول [١٠]

استهل بيوم السبت [١١] .

فى ثانيه [١٢] ، وصلت مراكب من بحرى ، وفيها جرحى من الفرنسيس .

(١) ١٥ صفر ١٢١٤ هـ / ١٩ يوليه ١٧٩٩ م .

(٢) ١٨ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٢ يوليه ١٧٩٩ م .

(٣) ١٦ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٩ م .

(٤) ٢٠ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٤ يوليه ١٧٩٩ م .

(٥) ٢٠ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٤ يوليه ١٧٩٩ م .

(٦) جامع الظاهر : أنظر ، ص ١٠٥ ، حاشية رقم (٨) .

(٧) ٢١ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٥ يوليه ١٧٩٩ م .

(٨) ٢٢ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٦ يوليه ١٧٩٩ م .

(٩) ٢٩ صفر ١٢١٤ هـ / ٢ اغسطس ١٧٩٩ م .

(١٠) ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣ أغسطس - ١ سبتمبر ١٧٩٩ م .

(١١) ١ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣ أغسطس ١٧٩٩ م .

(١٢) ٢ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٤ اغسطس ١٧٩٩ م .

وفيه [1] ، قبضوا على مصطفى البشتيلى / من أهل بولاق ، وحبسوه ببيت قائم مقام ، والسبب فى ذلك أن جماعة من جيرانه وَشُوا به ، بأن فى داخل الحاصل الذى فى وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود ، فكبسوا على الحاصل ، فوجدوا به ذلك ، كما أخبر الواشى فأخذوها ، وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ، ثم نقلوه إلى القلعة . / ٨٦ ب

وفى سادسه [2] ، حضر أيضًا جملة من العسكر ، وكثر لغط الناس كعادتهم فى روايات الأخبار .

وفى ليلة الأحد تاسعه[3] ، حضر كبير الفرنسيس ، وأدخل إلى داره بالأزبكية ، وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين ، وشاع الخبر بحضوره ، فذهب كثير من الناس إلى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته ، فشاهدوا الأسرى ، وهم وقوف بوسط البركة ، ليراهم الناس فكفكف الناس دموعهم ، وكظموا غيظهم ، وطووا قلوبهم على حرقة الأسى ومرارة الأسف ، وأظهروا التجلد للعدو ، وقد طار من القلب الراحة والهدوء .

وَتَجَلُّدِى لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ   أَنِّى لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

ثم إنهم صرفوا الأسرى بعد حصة من النهار ، فأرسلوا بعضهم إلى جامع الظاهر خارج الحسينية ، وأصعدوا باقيهم إلى القلعة .

وأما السيد مصطفى باشا ، فإنهم لم يقدموا به لمصر ، بل أرسلوه إلى الجيزة مكرمًا ، وأبقوا عثمان خُجًا بالإسكندرية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العَلِىِّ العظيم .

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا   وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

وما زالت الأيام تأخذ وتعطى ، والسهام تصيب وتخطى .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ كبير الفرنسيس بمنزله ، ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان ، وسلموا عليه ، فلما استقر بهم المجلس ، قال لهم على لسان الترجمان : « إن صارى / عسكر يقول لكم إنه لما سافر إلى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه ، وأما فى هذه فليست كذلك ، لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لايرجعون بل يموتون عن آخرهم ، فكنتم فرحانين ومستبشرين ، وكنتم تعارضون الأغا فى أحكامه ، وأن المهدى والصاوى ما هم « بُونُو : أى ليسوا طيبين » ، ونحو ذلك ، وسبب كلامه هذا ، الحكاية المتقدمة / ٨٧ أ

(١) ٢ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٤ اغسطس ١٧٩٩ م . (٢) ٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٨ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٣) ٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١١ اغسطس ١٧٩٩ م .

التى حبسوا بسببها مشايخ الحارات ، فكان الأغا الخبيث يريد أن يقتل كل يوم أناسًا بأدنى سبب ، فكان المهدى والصاوى يعارضانه ، ويتكلمان معه بالديوان ، ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة ، فيرسل إلى كبير الفرنسيس فيطالعه بالأخبار ، ويشكو منهما ، فلما حضر عاتبهم فى شأن ذلك ، فلاطفوه حتى انجلى خاطره ، وأخذ يحدثهم على ما وقع له مع العساكر بأبو قير والنصر عليهم وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره[1] ، عمل المولد النبوى بالأزبكية ، ودعى الشيخ البكرى كبير الفرنسيس مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده ، وضربوا ببركة الأزبكية مدافع ، وعملوا حراقة وسواريخ ، ونادوا فى ذلك اليوم بفتح الأسواق والدكاكين ليلا ، وإسراج قناديل واصطناع زينة .

وورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان خُجًّا ، ونقلوه من الاسكندرية إلى رشيد ، فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس حافى القدمين ، وطافروا به البلد يزفونه بطبولهم ، ثم قطعوا رأسه تحت داره ، ثم رفعوا الرأس وَعَلَّقُوهُ من شباك فى داره يراها من يمر بالسوق ، رحمه الله .

٨١ ب/ وفى ثالث عشره [2] ، أشيع بسفر كبير الفرنسيس بونابرته / إلى جهة بحرى ، ولم يعلم أى جهة يريد ، وسئل بعض أكابرهم ، فأخبر أن صارى عسكر المنوفية ، دعاه لضيافته بمنوف[3] ، حين كان مسافرًا جهة أبو قير ، فوعده بالعود إليه بعد وصوله إلى مصر ، وراج ذلك على الناس وظنوا صدقه .

ولما كان يوم الأحد سادس عشره [4] ، خرج مسافرًا من آخر الليل ، وخفى أمره عن الناس وانقطع أثره .

وفى يوم الخميس رابع عشرينه الموافق لتاسع مسرى القبطى [5] ، كان وفاء النيل المبارك ، فنودى بوفائه على العادة ، وخرج النصارى البلدية من : القبطة ، والشوام ، والأروام ، وتأهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو ، وذهبوا تلك

(١) ١١ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١٣ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٢) ١٣ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١٥ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٣) منوف : من المدن القديمة ، إسمها القبطى «Banoufris» ، كانت قاعدة لإقليم المنوفية من العهد العربى إلى ١٨٢٦ م ، حيث أصبحت قاعدة قسم منوف ، ومن ١٨٧١ م ، قاعدة لمركز منوف ، محافظة المنوفية . رمزى، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٤) ١٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١٨ أغسطس ١٧٩٩ م

(٥) ٢٤ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٦ أغسطس ١٧٩٩ م .

الليلة إلى : بولاق ، ومصر العتيقة ، والروضة ، واكثروا المراكب ، ونزلوا فيها ، وصحبتهم الآلات والمغانى ، وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ، ورفضوا الحشمة ، وسلكوا مسلك الأمراء سابقًا من النزول فى المراكب الكثيرة المقاديف ، وصحبتهم نساؤهم وَقُحَّابُهُم وَشَرَابُهُم وَخُمُورُهُم ، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ، ومحاكاة المسلمين ، وبعضهم تسلح ، وتزيى بزى أمراء مصر على سبيل الاستهزاء ، وتشبه بهم ، وحاكى ألفاظهم وغير ذلك ؛ وأجرى الفرنسيس المراكب المزينة وعليها البيارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير فى البحر ، وقد وقع فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى ، ما لايكيف ولايوصف، وسلك بعض غوغاء العامة ، وأسافل العالم ورعاعهم ، مسالك متسفل الخلاعة ، ورذالة الرقاعة ، بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم ، بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه ، وما يخطر بباله ، وإن لم يكن من أمثاله / : /٨٨ أ

إذَا كَانَ رَبُّ الدَّارِ بالدُّفِ ضَارِبًا فَشِيمَةُ أَهْلُ الدَّارِ كُلُّهُم الرَّقْصُ

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل ، وباتوا يضربون أنواع الطبول والزمامير ؛ وفى الصباح ركب دوجا قائم مقام ، وصحبته أكابر الفرنسيس ، وأكابر أهل مصر ، وحضروا إلى قصر السد ، وجلسوا به ، واصطفت العساكر بين الروضة وبين مصر العتيقة بأسلحتهم وطبولهم وبعضهم فى المراكب ، لضرب المدافع المتتالية إلى أنْ انكسر السد ، وجرى الماء فى الخليج ؛ فانصرفوا .

وفى خامس عشرينه [1] ، طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسًا .

وفى سادس عشرينه [2] ، كتبوا أوراقًا وألصقوها بالأسواق مضمونها : « أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين [3] ، ليحضروا سوق الخيل ، ويشتروا ما أحبوا من الخيل » .

وفيه [4] ، ألصقوا أوراقًا أيضًا مضمونها : « بأن مَنْ كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ، ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يومًا ، عوقب بما يليق به ، ونادوا بموجب ذلك فى الأسواق » .

(١) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٧ اغسطس ١٧٩٩ م .
(٢) ٢٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٨ اغسطس ١٧٩٩ م .
(٣) ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣١ اغسطس ١٧٩٩ م .
(٤) ٢٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٨ اغسطس ١٧٩٩ م .

وفى سابع عشرينه [1] ، كتبوا أوراقًا أيضًا مضمونها : انقضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس ، وأن من أراد استئجار شيء من ذلك فليحضر بالديوان ويأخذ مَا يُرِيدُه بالمزاد.

وفيه [2] ، أفرج عن الأنفار التى قدم بها الفرنسيس من غزة ، وحبست بالقلعة على مصالحة خمسة وسبعين كيسًا دفعوا بعضها ، وضمنهم أهل وكالة الصابون[3] ، فى البعض الباقى ، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق ، بشرط ألا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه .

وفى ثامن عشرينه[4] ، تشفع أرباب الديوان فى أهل يافا المسجونين بالقلعة ، فوقع/ التوافق على الإفراج عنهم بمصالحة مائة كيس ، فاجتمع الرؤساء والتجار ، وترووا واشتوروا فى مجلس خاص بينهم ، فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها فى كل عشرين يومًا خمسة وعشرين كيسًا ، فدفع التجار خمسة وعشرين كيسًا ، وأفرج عنهم من القلعة ، وأُجِّل الباقى على الشرح المذكور .

٨٨ ب/

وفيه [5] ، ورد من بونابرته صارى عسكر كتاب من الإسكندرية خطابًا ، لأهل مصر وسكانها ، فأحضر قائم مقام دوجا الرؤساء المصرية ، وقرأ عليهم الكتاب ، مضمونه : « أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين الشهر المذكور [6] إلى بلاد الفرنساوية ، لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر ، فيغيب نحو ثلاثة أشهر ، ويقدم مع عساكره ، فإنه بلغه خروج عمارتهم ليصفو له ملك مصر ، ويقطع دَابِرَ المفسدين، وَأَنَّ المُوَلَّى على أهل مصر وعلى الفرنسيس كلهم كلهبر[7] صارى عسكر دمياط » ، فوقع الناس فى لغط وهرج ، وتحيروا فى كيفية سفره مع وجود مراكب الإنجليز على الثغر ، وذهبوا كل مذهب .

فلما كان يوم السبت تاسع عشرين الشهر [8] ، قدم كلهبر صبيحة ذلك اليوم ، فضربوا لقدومه المدافع من جميع الجهات ، وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم ، وَذَهَبَ إلى بيت بونابرته الذى كان ساكنًا به بالأزبكية ، وسكن مكانه .

(١) ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٩ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٢) ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٩ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٣) وكالة الصابون : وكالة كانت قائمة بالجمالية ومعظم تجارها من الشوام .
(٤) ٢٨ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣٠ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٥) ٢٨ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣٠ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٦) ٢١ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٣ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٧) كلهبر : Kléber .
(٨) ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩٩ م .

وفى ذلك اليوم [١] ، قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية ، وصحبتهم منهوبات كثيرة ، من بلد عَصَت عليهم فضربوها ونهبوها ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النساء ، وهم موثوقون بالحبال ، فسجنوهم بالقلعة .

/ ٨٩ أ

وفيه [٢] ، ذهب أكابر البلد من مشايخ وأعيان لمقابلة / كبير الفرنسيس الجديد والسلام عليه ، فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ، ووعدوا إلى الغد ، فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم [٣] ، واجتمعوا به ، فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه ، مثل اللعين الأول ، فإنه كان عنده مداهنة وطلاقة .

شهر ربيع ا نى [٤]

فى أوائله [٥] ، ابتدءوا بعمل مولد سيدنا الحسين ، وقهروا الناس ، وكرروا المناداة بفتح الحوانيت ، والسهر ، ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة الأربعاء ثانى عشره[٦] .

وفيه [٧] ، طلب كبير الفرنسيس من النصارى القبطة ، مائة وخمسين ألف ريال فرانسة فى مقابلة بواقى سنة ألف ومائتين واثنى عشر ، وشرعوا فى تحصيلها .

وفى يوم الجمعة سادسه [٨] ، ركب صارى عسكر الجديد من الأزبكية ، ومشى من وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد إلى القلعة ، وكان أمامه نحو الخمسمائة قواس وبأيديهم النبابيت ، وهم يأمرون الناس بالقيام ، والوقوف على الأقدام لمروره ، وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الإفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة ، والوالى والأغا وبرطلمين بمواكبهم ، وكذلك القلقات والوجاقلية ، وكل من كان مولى من جهتهم ومنضما إليهم ، ما عدا رؤساء الديوان من الفقهاء ، فلم يطلبوهم لحضور ذلك الموكب ، ولما صعد إلى القلعة ضربوا له عدة مدافع ، وتفرج على القلعة ، ثم نزل بذلك الموكب إلى داره .

(١) ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٢) ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٣) ٣٠ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٤) ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢ سبتمبر - ٣٠ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٥) ١ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٦) ١٢ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ١٣ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٧) ١ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٨) ٦ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٧ سبتمبر ١٧٩٩ م .

وفى يوم السبت سابعه[1] ، ركب أغاة الانكشارية فى أُبَّهَة عظيمة وجبروت ، وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس ، وأمامه المنادى يقول / : « حكم ما رسم صارى عسكر خطابًا للأغا : أنَّ جميع الدعاوى والقضايا لاتعمل إلا ببيت الأغا ، وكل من تعدّى من الرعايا ، أو وقع منه قلة أدب يسفك دمه .

٨٩ ب/

وفيه [2] ، ركب صارى عسكر الفرنسيس فى موكب دون الأول ، وذهب إلى بيت الشيخ الشرقاوى ، ثم رجع إلى داره .

وفى يوم الأحد ثامنه [3] ، عمل صارى عسكر الفرنسيس وليمة فى بيته ، ودعا الأعيان والتجار والمشايخ ، وتعشوا عنده ، وانصرفوا إلى دورهم .

وفى يوم الثلاثاء عاشره [4] ، كان آخر المولد الحسينى ، وحضر كبير الفرنسيس مع أعيانهم إلى بيت الشيخ السادات بعد العصر ، فى موكب عظيم ، وأمامه الأغا والوالى والمحتسب ، وعدة كبيرة من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة ، فتعشوا هناك ، ورَكِبُوا بعد الغروب وشاهدوا وقود القناديل .

وفى سادس عشره [5] ، نودى بنشر الحوائج وكتبوا بذلك أوراقًا وألصقوها بالأسواق ، وشدّدوا فى ذلك بالتفتيش والنظر ، وأخذوا دراهم على ذلك ، وزاد عليهم فى هذا العام عسكرى فرنساوى ، يطوف مع المقيدين بذلك ، وهم جماعة من طرف مشايخ الحارات نساءً ورجالًا .

وفى عشرينه [6] ، نودى بعمل مولد السيد على البكرى المدفون بجامع الشرايبى[7] بالأزبكية بالقرب من الرويعى ، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات ، وأذنوا لهم بالذهاب والمجئ ليلا ونهارًا ، ولا حرج عليهم فى ذلك ، والسيد على البكرى هذا كان رجلا مِنَ البَلَه ، وكان يمشى بالأسواق عريانًا مكشوف الرأس والسوأتين غالبا ، وله أخٌ صاحب دهاء ومكر لايلتئم به ، / واستمر على ذلك مدة سنين ، ثُمَّ بَدَا لأخيه أمر فيه ، لما رأى من ميل الناس لأخيه ، ومحبتهم له ، واعتقادهم فيه ، كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله ، فحجر عيه ، ومنعه من

٩٠ أ/

(١) ٧ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٨ سبتمبر ١٧٩٩ م . (٢) ٧ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٨ سبتمبر ١٧٩٩ م

(٣) ٨ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٩ سبتمبر ١٧٩٩ م . (٤) ١٠ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ١١ سبتمبر ١٧٩٩ م .

(٥) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ١٧ سبتمبر ١٧٩٩ م .

(٦) ٢٠ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢١ سبتمبر ١٧٩٩ م .

(٧) جامع الشرايبى : جامع أنشأه قاسم بن محمد الدادة الشرايبى سنة ١١٤٥ هـ / ٣٢ - ١٧٣٣ م ، بشارع بركة الأزبكية بالقرب من الرويعى . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٧٦ .

الخروج من البيت ، وألبسه ثيابًا ، وأظهر للناس أنه أذنَ له بذلك ، وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك ، فأقبلت النساء والرجال على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه ، وأخذ أخوه المذكور يرغبهم فى ذلك ، ويحكى لهم عن كراماته ، وأنه يَطَّلِعُ على المغيبات وينطق بما فى النفوس ، ويعلم خطرات القلوب ، فانهمكوا على التردد إليه ، وقلد بعضهم بعضًا ، وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة من كل شىء وخصوصًا من نساء الأمراء ، فاجتمع عند أخيه أشياء كثيرة من هذه الأمور ، وراج حاله ، واتسعت أمواله ، ونفقت سلعته ، وسمن أخوه من كثرة الأكل والفراغ والراحة ، وعدم المشى ، حتى صار مثل البوّ العظيم ، فلم يزل على ذلك إلى أن مات ، فدفنه أخوه فى هذا المسجد ، وعمل عليه مقصورة ومقامًا ، وواظب عنده بالمقرئين وأرباب الأشاير والمداح ، يذكر كراماته ومكاشفاته ، ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه .

شعر

وَقَالُوا سكِرْنَا بِحُبِّ الإلهِ وَمَا أَسْكَرَ القَوْمَ إِلَّا القَصْعُ

فهرعت لزيارة قَبْرِهِ النساء والرجال بالنذور ، وأنواع المأكولات ، وشموع الوقود ، وصار ذلك المسجد مجمعًا وموعدًا ، فلما حضر الفرنسيس إلى مصر تشاغل عنه الناس وأهمل شأنه فى جملة / المهملات ، وترك مع جملة المتروكات ، فلما فتح أمر الموالد ، ورخص الفرنسيس ذلك للناس ، لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع ، واتباع الشهوات ، واجتماع النساء والتلاهى ، وفعل المحرمات ، أعيد هذا المولد مع جملة من أعيد . / ٩٠ب

شهر جمادى الأولى [١]

استهل بيوم السبت [٢] .

فيه [٣] ، اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد ، وهو عند الاعتدال الخريفى ، وانتقال الشمس لبرج الميزان ، فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل ، وَشَدَّدُوا فى ذلك ، وعملوا عزائم وولائم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الإثنين[٤] ، ولم يعملوه على هيئة العام الماضى من الاجتماع بالأزبكية عند الصارى المنتصب ،

(١) جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ١ أكتوبر - ٣٠ أكتوبر ١٧٩٩ م .
(٢) ١ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ١ أكتوبر ١٧٩٩ م (٣) ١ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ١ أكتوبر ١٧٩٩ م .
(٤) ٣ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ٣ أكتوبر ١٧٩٩ م .

والكيفية المذكورة ، لأن ذلك الصارى سقط ، وامتلأت البركة بالماء .

فلما كـان يوم الأحد [١] ، نبهـوا على الكبـراء والأعيان بالبـكور إلى بيت كـبير الفرنسيس ، فاجتمع الجميع فى صبح يوم الإثنين [١] ، فركب صارى عسكر معهم فى موكب كـبير ، وذهبوا إلـى قصر العـينى ، فمكـثوا هناك حصـة ، وعرضت علـيهم العساكر جميعًا عـلى اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة ، وهم بأسلـحتهم وزينتهم ، ولعـبوا لعـبهـم فى ميـدان الحرب ، وأخلـع كبيـرهم : علـى الشـيخ الشـرقاوى ، والقاضى، وأغاة الانكـشارية ، كل واحد فرو سمّور ، ثم رجعوا إلـى منازلهم ، ثم نودى فى الأسواق كلها بـوقود أربع قناديل على كل دكان فى تلـك الليلة ، ومن لم يفعل ذلك عوقب ، ثم عملوا حراقة بالأزبـكية بمدافع وسواريخ ونفوط ، ولعبوا فى المراكب طول ليْلتهم.

٩٢ أ/ وفى سـابعه [١] ، بعد الصليب / نقص النيل ، وكان من أول زيادته قاصرًا على العادة ، وزيادته شحيحة ، فضج الناس ، وانـكبوا على شراء الغلة ، وازدحموا فى الرقع والسواحل ، وطلب باعة القمح الزيادة فى السعر ، فجمع الفرنسيس كل من له مدخل فى تجارة الغـلال وزجروهم وخوّفوهم ، وقالوا لهم : « هـذه الغلة الموجودة الآن إنما هـى زراعة العـام الماضى ، أمـا هذا النـيل فـلا تخرج زراعـته إلا فى الـعام المستقبل » ، فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر وقد كاد يقع الغلاء العظيم ، لولا ألطاف الله حفت ، ونعمه العميمة الشاملة حصلت .

وفيه [١] ، أرسلوا جملة عساكر من الفرنسـيس إلى مراد بيك بناحية الفيوم [١] ، فحصروه وأخذوا حملة عثمان بيك التنبرجى ، ووقعت بينهم وبين مراد بيك أمور لم أتحقق تفصيلهـا ، ثم تردّدت بينه وبين كبير الفرنسيس بالـصعيد الرسل والمراسلات ، ووقعت الهدنة والمهاداة ، واصطلح مـعهم على شروط لَمْ تُعْرَفْ ، وانكف كلّ فريق عن الآخر .

وفى هذا الشـهر ، كثرت الإشاعة باجـتماع عساكر سلـطانية جهة الشـام ، فكثر اهتمام الفرنسيس بإخراج الجبخانات[١] والمدافع وآلات الحرب، والقومانية، والعساكر، وتحصين : الصالحية ، والقرين ، وبلبيس .

(١) ٧ جمادى الأولى هـ / ٧ أكتوبر ١٧٩٩ م .

(٢) الفيوم : مدينة مصريـة قديمة ، إسمها المدنى « Chedit أو Chdat » ، واسمها الـدينى «Per sebek» أسماها الرومان «Crocodilpolis» أى مدينة التمساح ، ثـم سماها القبط «Piom» ومعناها قـاعدة بلاد البُحَيْرَة . ثم عرفت فيما بعد باسم الفيوم ، وأطلق الاسم عـلى الإقليم ، وهى قاعدة محافظة الفيوم . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٩٦ .

(٣) جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ١ أكتوبر - ٣٠ أكتوبر ١٧٩٩ م .

(٤) الجبخانات : أنظر ، ص ٢٩ ، حاشية رقم (٧) .

شهر . . [1]

استهل بيوم الجمعة[2] .

فيه[3] كثرت الأقوال ، وتواترت الأخبار ، بوصول حضرة الوزير الأعظم ، والصدر المشار إليه الأفخم ، يوسف باشا إلى الديار الشامية ، وصحبته حضرة نصوح باشا ، وعثمان أغا كتخدا حضرة الدولة العلية ، وحسين أغا نزله أمين / ومصطفى أفندى الدفتردار ، وباقى رجال الدولة ، واستمر الأمر على الانتظار ، وترجى حصول الفرج آناء الليل وأطراف النهار .

/ ٩١ ب

فلما كان فى منتصفه[4] ، وصلت الأخبار بوصولهم إلى غزة والعريش ، فحاصروا قلعة العريش ، وقاتلوا من بها من عسكر الفرنسيس حتى ملكوها فى تاسع عشره[5] ، وأخذوا الباقى بعد القتل أسرى ، واحتووا على ما كان فيها مما أعده الفرنسيس من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب ، وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة بالحرب مع جملة من العسكر ، وبعض من غُزِّ مصر ، وضربت النوبة ، وحصل الفرح العظيم ، بمبدأ هذا الفتح ، فاتفق لقضاء المقدور ، أن وقعت نار على البارود المخزون بالقلعة ، وكان شيئًا كثيرًا فانهدمت ، ومات معظم من فيها ، ومصطفى باشا أيضًا ، ومات من كان خارجًا عنها ، وبَقُرْبِهَا من الحجارة المتطايرة ، بسبب البارود ، ولما تحقق الفرنسيس أخذ العريش ، وأن العساكر زاحفة إلى جهة الصالحية ، تهيأ كبير الفرنسيس للسفر ، وخرج بعساكره وجنوده حتى وصل إلى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل الفرنساوية إلى سميث[6] كبير الإنجليز ، ليتوسط معهم فى أمر الصلح ، وورد فرمان من حضرة الصدر الأعظم قبل وصوله لجهة العريش ، خطابًا إلى جمهور الفرنساوية ، باستدعاء رجلين من عقلائهم ورؤسائهم ، لينعقد الصلح بين الفريقين على ما سيشترطونه ، فوجهوا من طرفهم بوسليك[7] ، رئيس الكتاب . ودزه[8] صارى عسكر الصعيد ، فنزلوا فى البحر على دمياط ، وطالت مدة غيابهم ، / وبعث كليبر رسلاً من طرفه لاستفسار الأخبار .

/ ٩٢ أ

(١) رجب ١٢١٤ هـ / ٢٩ نوفمبر - ٢٨ ديسمبر ١٧٩٩ م .

(٢) ١ رجب ١٢١٤ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٩ م .

(٣) ١ رجب ١٢١٤ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٩ م .

(٤) ١٥ رجب ١٢١٤ هـ / ١٣ ديسمبر ١٧٩٩ م .

(٥) ١٩ رجب ١٢١٤ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٧٩٩ م

(٦) سميث : هو : «السير سيدنى سميث Sir Sidney Smith» قائد الأسطول الإنجليزى ، الذى حَطَّم الأسطول الفرنسى فى معركة «أبو قير» البحرية ، وظل يحاصر الشواطىء المصرية طوال فترة وجود الحملة الفرنسية بها، لعزل الحملة عن الإتصال بفرنسا .

(٧) بوسليك "Poussielgue" .

(٧) ديزيه : "Desaix" .

واستهل شهر شعبان[1]

فورد الخبر بقدومهما فى اثنين وعشرين فيه[2] ، إلى الصالحية ، فأرسلوا لهما الخيول وما يحتاجان إليه ، وحضرا[3] إلى مصر ، وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف الصدر الأعظم : رئيس الكتاب ، ودفتردار أفندى ، لتقرير الصلح ، وجنح كل من الفريقين إلى ذلك ، لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء ، وأظهر الفرنسيس بمكرهم الانخداع والخضوع ، حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطًا ، رسمت فى طومار كبير ، وورد الخبر بذلك إلى مصر ، وفرح الناس الناس فرحًا شديدًا ، وأرسل كبير الفرنسيس مكاتيب بصورة الواقعة إلى دوجا[4] قائم مقام ، فجمع أهل الديوان ، وقرأ عليهم ذلك .

ولما ورد ذلك القرطاس[8] المتضمن لعقد الصلح والشروط ، عرّبوه وبصموه فى طومار كبير ، ورسموا منه نسخًا كثيرة ، فُرّقت على الأعيان ولصقت بالأسواق .

وصورته بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ما عدا ترجمة الأسطر التى باللغة الفرنساوية ، وهذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر ما بين حضرة الجنرال دزه[6] متفرقة ، وحضرة بسليج مدبر الحدود العام ، نواب سرى العسكر العام كلهبر المفوضين بكامل السطان ، وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، ومصطفى راسيسه أفندى رئيس الكتاب الوكلاء المفوضين بكامل السلطان ، عن جناب حضرة الوزير سامى المقام ، أن للجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء ، ويرى نهاية الخصام المضرّ الذى قد حصل / ما بين المشيخة الفرنساوية والباب الأعلى ، فقد ارتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصرى ، بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها ، يأمل أنَّ بِهَذَا التسليم ، يمكن أن يتجه ذلك إلى الصلح العام فى بلاد المغرب قاطبة .

٩٢ ب/

الشرط الأول

إن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال والأمتعة إلى الإسكندرية ورشيد وأبو قير ، لأجل أن تتوجه وتُنْقَلُ بالمراكب إلى فرنسا ، إن كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم ، أم فى تلك التى يقتضى للباب الأعلى ، أن يقدمها لهم بقدر

(١) شعبان ١٢١٤ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٧٧٩ - ٢٦ يناير ١٨٠٠ م

(٢) ٢٢ شعبان ١٢١٤ هـ / ١٩ يناير ١٨٠٠ م . (٣) بالأصل «وحضروا» ، صوبت .

(٤) دوجا : "Dugua" . (٥) القرطاس : الورقة . (٦) ديزيه : "Desaix" .

الكفاية ، ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال ، فقد وقع الاتفاق أن من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط ، يتوجه إلى قلعة إسكندرية نائب من قبل الباب الأعلى ، وصحبته خمسون نفراً .

الشرط الثانى

فلابد عن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصرى ، وذلك من عهد إمضاء شروط الاتفاق هذه ، وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة من ذى قبل ، أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب الأعلى تحضر جاهزة ، فالمهلة المذكورة تقتضى مطاولتها ، إلى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال ؛ ولَكِمنَ الواضح أنه لابد عن إصراف الوسائط الممكنة من قبل الفريقين ، لكيلا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس، إن كان ذلك للجيش أم لأهل البلاد ، إذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم .

الشرط الثالث

فرحيل الجيش الفرنساوى ، يقتضى تدبيره بيد الوكلاء المقامين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى ، وسرى العسكر كلهبر ، وإذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين/ /٩٣ أ وقت الرحيل فى هذا الصدد ، فينتخب من قبل حضرة سيدنى شميث رجل لينهى المخاصمات المذكورة، بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الإنجليز .

الشرط الرا

قطيا ، والصالحية، لابد من خلوهما عن الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم[١] ، وأعظمه ما يكون فى عاشر يوم[٢] من إمضاء شروط الاتفاق هذه، ومدينة المنصورة[٣] ، يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوماً[٤] ، وأما دمياط ، وبلبيس ، من بعد عشرين يوماً[٥] ، وأما السويس ، فيكون خلوه ستة[٦] أيام قبل مدينة مصر ، وأما المحلات الكائنة فى الجهة الشرقية من بحر النيل ، فيكون خلوها فى اليوم العاشر ، والدلتا أى الأقاليم البحرية ، يكون خلوها خمسة عشر يوماً من بعد خلو مصر ، والجهة الغربية وما يتعلق بها ، تستمر بيد الفرنساوية إلى حد خلو مدينة مصر ، ولكن من حيث

---

(١) ٣١ يناير ١٨٠٠ م .
(٢) ٢ فبراير ١٨٠٠ م .
(٣) المنصورة : أنظر ، ص ١٤ حاشية رقم (١) .
(٤) ٨ فبراير ١٨٠٠ م .
(٥) ١٣ فبراير ١٨٠٠ م .
(٦) بالأصل « سبعة » ، والتصويب من « عجائب الآثار » ، ونسخة وزارة التربية والتعليم ، جـ ٢ ، ص ٩ .

أنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية، إلى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد ، فجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر ، لممكن أنه لا يتيسر خلوها إلا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين، إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد ، والمحلات التى تترك من الجيش ، فتسلم إلى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس

ثم إن مدينة مصر إن أمكن ذلك ، يكون خلوها بعد أربعين يومًا ، وأكثر ما يكون بمدة خمسة وأربعين يومًا ، من وقت إمضاء الشروط المذكورة .

الشرط السادس

إنه لقد وقع الاتفاق صريحًا ، على أن الباب الأعلى يصرف كل إعتنائه فى أن الجيش / الفرنساوى ، الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل ، عندما يقصد التنحى بكامل ماله من السلاح والعزال لنحو معسكرهم ، لا تصير عليه مشقة ، ولا أحد يشوش عليه، إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم، أم بأمتعته أو بكرامته، وذلك إما من أهالى البلاد ، وإما من جهة العسكر السلطانى العثمنلى .

٩٣ ب/

الشرط السا[بع]

وحفظًا لإتمام الشروط المذكورة أعلاه ، وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة ، فلابد عن استعمال الوسائط فى أن عسكر الإسلام ، يكون دائمًا متباعدًا عن العسكر الفرنساوى .

الشرط الثامن

فمن بعد تقرير وإمضاء هذه الشروط ، فكل من كان من الإسلام أم من باقى الطوائف من رعايا الباب الأعلى بدون تميز الأشخاص ، أولئك الواقع عليها الضبط ، أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرانسا ، أو تحت أمر الفرنساوية بمصر ، يعطى لهم الإطلاق والعتق ، وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل البلدان والأساكل[1] من مملكة العثمنلى ، وكذلك كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت ، أولئك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لابد عن انعتاقهم .

(١) الأساكل : تركية ، جمع «أسكلة» ، وتعنى الموانىء .

الشرط التاسع

فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ، أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها ، فيكون الشروع به حالاً من بعد خلو مصر ، والتدبير فى ذلك يكون بيد الوكلاء فى إسلامبول، المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد.

الشرط ا   شر

فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصرى / من أية ملة كانت ، وذلك لا فى أشخاصهم ولا فى أموالهم ، نظراً إلى ما يمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية بِزَمَنِ إقامتهم بأرض مصر . / ٩٤ أ

الشرط ا   دى عشر

ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى ، إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطتين معه . أعنى بها مملكة انكليزية ومملكة موسكوية[١] فرمانات[٢] الإذن، وأوراق المحافظة بالطريق ، وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان إلى بلاد فرنسا .

الشرط الثانى عشر

وعند نزول الجيش الفرنساوى المذكور الكائن بمصر الآن ، فالباب الأعلى ، وباقى الممالك المتحدة معه ، يعاهدون بأجمعهم أنهم من وقت ينزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضى فرنسا ، لا يحصلّ عليهم شىء قط مما يكدرهم ، وبنظير ذلك لحضرة الجنرال كلهبر[٣] سرى العسكر العام ، يعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوى الكائن بمصر ، بأنه لا يصدر منهم ما يؤول إلى المعاداة على الإطلاق ، ما دامت المدة المذكورة ، وذلك لا ضد العمارة ، ولا ضد بلدة من بُلْدَان الباب الأعلى وباقى الممالك المرتبطة معه ، وكذلك فإنَّ السفن التى يسافر بِهَا الجيش المشار إليه ، ليس لها أن ترى فى حد من الحدود إلا بتلك التى تختص بأراضى فرنسا ، ما لم يكن ذلك فى حادث ما ضرورى .

---

(١) موسكوية : روسيا .

(٢) فرمانات : جمع فرمان ، أنظر ، ص ٦٣ ، حاشية رقم (٧) .

(٣) كلهبر : كليبر "Kléber" .

الشرط الثالث عشر

ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه ، بما يلاحظ خلو الإقليم المصرى ، فالجهات الواقع بينها هذا الاشتراط ، قد اتفقوا / على أنه إذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرنسا ، بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة، ودخل بميناء إسكندرية ، فلازم عن سفره حالاً ، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم ، ويرجع إلى فرنسا ، وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة . وإذا صادف الأمر أن مركبًا من هذه المراكب تحتاج إلى الترقيع[1] ، فهذه لا غير يباح لها الإقامة إلى أن ينتهى إصلاحها المذكور ، وفى الحال ، من ثم تتوجه إلى بلاد فرنسا نظير الذى قد تقدم القول عليها عن أول ريح يوافقها .

٩٤ ب/

الشرط الرابع عشر

وقد يستطيع حضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ، أن يرسل خبرًا إلى أرباب الأحكام الفرنساوية فى الحال ، وَمَنْ يصحب هذا الخبر لابد أن يعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضى ، ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر إلى أصحاب الحكم بفرنسا .

الشرط الخامس عشر

وإذ قد اتضح أن الجيش الفرنساوى يحتاج إلى المعاش اليومى ، مادامت الثلاثة الأشهر المعينة لخلو الإقليم المصرى ، وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التى يكون مبتداها من يوم نزولهم بالمراكب ، فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم لهم مقدار ما يلزمهم من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القائمة التى تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوى ، إن كان ذلك مما يخص إقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم ، والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شئونه ، وذلك من بعد إمضاء هذه الشروط ، فينخصم مما قد ألزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر /

٩٥ أ/

ثم إن الجيش الفرنساوى من ابتداء وقوع إمضاء هذه الشروط المذكورة ، ليس له أن يفرض على البلاد فرده[2] ما من الفرائد قطعًا بالإقليم المصرى ، لا بل وبالعكس

(١) الترقيع : أى الترميم . (٢) فردة : أنظر ، ص ٤٩ ، حاشية رقم (٤) .

فإنه يخلى للباب الأعلى كامل فرض المال وغيره ، مما يمكن توجيه قبضه ، وذلك إلى حين سفرهم ، ويمثل ذلك ، الجمال ، والهجن ، والجبخانة ، والمدافع وغير ذلك ، مما يتعلق بهم ، ولا يريدون أن يحملوه معهم ، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال ، وأخيراً مخازن الخرج ، فهذه كلها لابد عن الفحص عنها ، وتسعيرها من أناس وكلاء موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ، ومن أمير البحر الإنكليزى، وبرفقة الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهبر[1] سرى العسكر ، وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلاء الباب الأعلى المتقدم ذكرهم ، بموجب ما وقع عليه السعر ، إلى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس ، التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور، لسهولة انتقاله عاجلاً ، ونزوله بالمراكب ، وإذا كانت الأسعار فى هذه الأمتعة المذكورة ، لا توازى المبلغ المرقوم أعلاه ، فالخسس والنقص فى ذلك لابد عن دفعه بالتمام ، من قبل الباب الأعلى على جهة السلفة ، تلك التى يلتزم بوفائها أرباب الأحكام الفرنساوية ، بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهبر[2] سرى العسكرى العام ، لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السا عشر

ثم إنه إذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوّهم مصر ، فلابد أن يقبض ، وذلك من بعد تقرير صك الشروط المذكورة القدر المحدد / أعلاه بالوجه الآتى ذكره ، أعنى فمن بعد مضى خمسة عشر يوماً خمسمائة كيس ، وفى غلاق الثلاثين يوماً خمسمائة كيس أخرى ، وبتمام الأربعين يومًا ثلثمائة كيس أخرى ، وعند كمال الخمسين يومًا ثلاثمائة كيس شرحه ، وفى الستين يومًا ثلثمائة كيس أيضًا، وفى السبعين يومًا ثلثمائة كيس أخرى ، وعند تمام الثمانين يومًا ثلثمائة كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يومًا خمسمائة كيس أخرى ، وكل هذه الأكياس المذكورة ، هى عن كل كيس خمسمائة قرش عثمنلى ، ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينيين لهذه الغاية ، من قبل الباب الأعلى ، ولكى يسهل إجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضاء على النسختين من الفريقين ، يوجه حالاً الوكلاء إلى مدينة مصر ، وفى بقية البلاد المستمر بها الجيش الفرنساوى .

/ ٩٥ب

(١) كلهبر : كليبر "Kléber" .
(٢) كلهبر : كليبر "Kléber" .

الشرط الثامن عشر

ثم إن فرض المال الذى يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة ، وقبل أنه يكون قد اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالإقليم المصرى، فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر

ثم إنه لكى يسهل خلو المحلات سريعًا ، فالنزول فى المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة والموجودة فى المين بالإقليم المصرى ، مباح به ، ما دامت الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة . وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الإسكندرية ، ومن إسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط .

الشرط العشرون

فمن حيث أنه للطمان الكلى فى جهات البلاد الغربية ، يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوباء الطاعونى عن أن يتصل هناك ، / فلا يباح ولا لشخص من المرضى ، أو من أولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء الطاعونى أن ينزل بالمراكب ، بل إن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى ، أينما كانت تلك التى بسببها ، لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق ، يستمرون ببمارستان المرضى ، حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن ، ويعالجونهم الأطباء من الفرنساوية أولئك الذين يجاورونهم بالقرب منهم ، إلى أن يتم شفاؤهم فيسمح لهم بالرحيل ، الشيء الذى لابد عن اقتضاء الاستعجال به بأسرع ما يمكن ، ويحصل لهم ، ويبدأ نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر ، والثانى عشر ، من هذا الاتفاق ، نظير ما يجرى على باقى الجيش ، ثم إن أمير الجيش الفرنساوى ، يبذل جهده فى إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العسكر النازلة بالمراكب ، بألا يسمحوا لهم بالنزول بمينا ، خلاف المين التى تتعين لهم من رؤساء الأطباء ، تلك المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة ، بحيث أنها من مجرى العادة ولابد عنها .

٩٦ أ /

الشرط ا دى والعشرون

فكل ما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ، ولم يمكن الإطلاع عليها

فى هذه الشـروط ، فلابد عن لجازها بـوجه الاستحباب مـا بين الوكلاء المعيّنـين لهذا القصـد من قبل جنـاب الوزير الأعظم عـالى الشأن ، وحضـرة الجنرال كلهـبر سرى العسكر العام بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلوْ .

الشرط الثانى والعشرون

وهذه الشـروط لا تعد صحيحـة إلا من بعد إقرار الفـريقين ، وتبديل الـنسخ ، وذلك بمدة ثمانية أيام ، ومن بعد / حـصول هذا الإقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما ، صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر ، حيث وقـعت المداولة بحـد العريش فى شـهر بلويوز سـنة ثمانيـة من إقامة المشـيخة الـفرنساويـة . وفى ٢٤ شهـر كانون الثانـى عربى من سـنة ١٨٠٠ ، الواقـع فى ٢٨ شعبان هلالية سنة ١٢١٤ هجرية[1] الممضيين ، الجنـرال متفرقة «دزه»[2] ، البلدى ، و«بسيليج»، المفوضين بكامل سلطان الجنرال «كلهبر» ، وجناب سامى مقام «مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، و«مصطفى راسيشه أفـندى» ، رئيس الكتاب المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم ، عالى الشأن ، منـقولة عن النسخة الأصلية ، الموافقة لتلك الموجـهة بالفرنساوى إلى الـوكلاء العثمنلى ، بـدلاً من التى قد وجهوها بـاللغة التركية ، ممضى دزه[3] وبسليج ، تقرير الجنرال سرى الـعسكر العام ، محرر فى آخر النسخة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم ، إننى أنا الواضع إسمى أدناه، الجنرال سرى الـعسكر العام أمـير الجيش الفرنسـاوى بالإقليم المصـرى ، أثبت وأقرر شروط الإتفاق المـذكور أعلاه ، للحصول علـى إجرائه بالعمل بالـنوع والصورة ، إذ كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشريـن شرطاً المشروحة إلى الآن ، هى موافقة على التدقيـق للترجمة باللغة الفـرنساوية ، الممضى عليها مـن الوكلاء أصحاب ولاية الأمير الأعظـم، والمقررة من جناب عـالى الشأن ، الترجـمة التى لابد عن الاعـتماد بإجرائها كل مرة إن كان لسبب أم لآخـر ، يمكن حصول بعض الاختلافات ؛ وَمَنْ ثَمَّ فتقلد بـعض المشاكل، صح ، وجرى بمحل المعسكر العـام / بالصالحية ، فى ٨ شهر بلويوز سنة ٨ من المشـيخة ، ممضى كلهبر عن نسخة صحيـحة الجنرال متفرقة دَامَاس صاحب ختام فى الجيش الفرنساوى ، ممضى داماس »[4] ، انتهى بحروفه وما فيه من خطأ أو تحريف ، فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية» .

/ ٩٦ب

/ ٩٧ أ

(١) ٢٨ شعبان ١٢١٤ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠٠ م .
(٢) دزه : ديزيه Desaix .
(٣) دزه : ديزيه Desaix .
(٤) دماس Damas ، أحد قادة الحملة الفرنسية .

شهر رمضان المعظم[1]

استهل بيوم الأحد[2] .

فى ثانيه[3] ، حضر كبيـر الفرنسيس إلى جهـة العادلية ، وصحبتـه أغا من رجال الدولة العليـة ، يسمى محمد أغا ، فأرسل كـبير الفرنسيس إلى حسـن أغا المحتسب، يأمره بأن يـتلقاه ، وينزله فـى بيته ، ويكرمه إكـرامًا زائدًا ، فلما كان بعـد العشاء ، دخل ذلك الأغا إلى مصر فى موكب ، فازدحَم النـاس على مشاهدته ، وحصل لهم ضجة عـظيمة، وارتفـعت أصواتهم ، وعـلا ضجيجهـم عند قدومه ، وزاد فـرحهم وسرورهم ، وهنـأ بعضهم بعـضًا برؤية رجال الدولية الـعلية ، ولم يزل سـائرًا حتى وصل إلى بيت المحتسب بسويقة اللالا[4] ، فنزل هناك ، وحضر النـاس للسلام عليه فى المشاعل والفوانيس تلك الليلة .

ولما أصبـح النهار عمـل ديوانًا ، وجمع العلـماء والوجاقلـية وأعيان المسـلمين ، وكبار النصارى من الأقباط والشوام ، وأبرز لـهم فرمانًا من حضرة الصدر الأعظم ، قرىء عـليهـم بالمجلـس ، دل مضمـونه على تـصرف محـمد أغا المـذكور علـى أمر الدواوين والجـمارك ، وجمع الـذخيرة اللازمـة للنفـقة بالشـراء ، بمعونة حـسن أغا المحتسب ، وحفظ ذلـك بالمخازن ، وأبرز فرماناً آخر ، بإقامة حـضرة الصدر الأعظم السـيد مصطـفـى باشـا قائم مـقام ، ووكيـلاً عن حضرة الـصدر الأعظم إلـى حين حضوره ، وأن السيد أحمد / المحـروقى كبير التجار ملزوم ومقيد ، بتـحصيل الثلاثة آلاف كيس السلفة المعينة لترحيل الفرنـساوية ، وحضر السيد مصطفى باشا من الجيزة وسكن ببيت عبد الـرحمن كتخدا بحارة عابدين ، واجتهد الـسيد أحمد المحروقى فى توزيع القـدر المذكور على التـجار ، وجمعه فى أيام قـليلة ، وقد كان كـل من توجه عليه مقدار من ذلـك ، أخرجه عن طيب قلب ، وإنشراح خاطر ، لـعلمهم أن ذلك معونة لـترحيل الفرنسـيس ، وخلو أرض مصر مـنهم ، وإذا توجه على واحـد منهم الطلب ، أظهر الفرح والسرور ، وبادر فى تحصيل المطلوب منه ، وهو يقول : «هذه سنة مـباركة ، ويوم سعـيد بذهاب الكلاب الـكفرة» ، كل ذلك بمـشاهدة الفرنـسيس ومسمعهم ، وهم يحقدون ذلك على أهل مصر ، ويضمرون فى نفوسهم .

٩٧ ب/

---

(١) رمضان ١٢١٤ هـ / ٢٧ يناير - ٢٥ فبراير ١٨٠٠ م .

(٢) ١ رمضان ١٢١٤ هـ / ٢٧ يناير ١٨٠٠ م .

(٣) ٢ رمضان ١٢١٤ هـ / ٢٨ يناير ١٨٠٠ م .

(٤) سويقة اللالا : شارع يبتدىء من أخر شارع الحنفى بجـوار درب الهياتم ، وينتهى لشارع الدرب الجديد ، وطوله مائتان وسعبون متراً . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٤١ .

وأما الرعايا من أهل مصر ، فإنهم نظروا للفرنسيس بعين الذلة والاحتقار ، وأنزلوهم عن درجة الاعتبار ، وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية ، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ، ولم يملكوا لأنفسهم صبرًا حتى ينقضى أمر عدوهم ويرتحل عنهم ، على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعدواة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس ، وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس ، وقد قيل : «قاتل بجد وإلا فَدَع» ، وقال الشعبى من جملة كلامه : «وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء» .

ومن أمثال العامة : «اصبر على الجار السوء فإما أن يرحل أو يموت» . وفى بعض الآثار : « إنا لَنَبِشُّ فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم » .

وأخذ الفرنسيس فى أهبة الرحيل ، وشرعوا فى بيع أمتعتهم ، وما فضل عن سلاحهم ودوابهم ، وسلموا غالب الثغور والقلاع ، ما عدا قلعة مصر والأبراج التى بنوها المحيطة / بها . /٩٨ أ

وورد الخبر بوصول حضرة الصدر الأعظم إلى بلبيس، وصحبته الأمراء المصرية، وأرسلوا إلى مراد بيبك وأكدوا على حضوره ، فاستأذن الفرنسيس سرًّا ، فأذن له فى المقابلة ، وسفيره المتولى نفاق الطرفين عثمان بيك البرديسى ، فحضر المذكور ، وقابل حضرة المشار إليه ، بصحبة إبراهيم بيك وأخلع عليهمًا ، ورجع مراد بيك فأقام بجهة العادلية .

وحضر حسن أغا نزله أمين ، ودخل مصر ، وحضر أيضًا غالب الفارين عند حلول مصر الفرنسيس ، من الأعيان والوجاقلية والأفندية والكتبة ، وأخلى الفرنساوية قلاع مصر ونزلوا منها ، وأهمل شأنها اتكالاً على تمام أمر الصلح ، وعدم خيانة الفرنسيس ، وأرسل إبراهيم بيك إلى السيد أحمد المحروقى يطلب كساوى وثياب وسراويل للمماليك ولخاصة نفسه ، فأرسل إليه مطلوبه ، وأخرجت لهم الخيام، والتراتيب والنظام ، وهيأت نساء الأمراء والأجناد ترتيباتهم وعاداتهم ونظامهم، ولازمت الفراشون الغدو والرواح إلى عرضى أسيادهم ، وهم راكبون البغال والرهوانات ، وفى حجورهم بقج القماش والثياب المزركشة بالذهب والفضة ، وكذلك الخدم يحملون طبالى الأطبخة والأطعمة المغطاة بالثياب الملونة ، وهم يغنّون برفع أصواتهم ، ويتجاوبون بكلام وسخريات ، ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس ، بمرأى منهم ومسمع إلى غير ذلك ، مما يحرك الحفيظة ، ويوغر صدر العدو .

٩٨ ب/ فلمـا استقر ركـاب حضرة المشار إلـيه بمدينـة بلبيس ، وقـد كان أذن / للعسـاكر والمجاهديـن والمتطوعـين عند تام عقـد الصلح بـالرجوع إلى بـلادهم ، وهو إذ ذاك بالعريـش ، وترك الأثقال والمدافع والجبخـانة ، ولم يصحب معه إلا الـلوازم التى لا غنى عنهـا ، وحضر إلى بلبيس فـى الثانى والعشرين مـن شهر رمضان[١] ، واستأذن العلماء والـتجار والأعيان المصرية ، السيـد مصطفى باشا فى التـوجه لأجل السلام ، فاستأذن ، ثـم أذن لهم فذهبوا أيضًا إلـى كليبر كبير الـفرنسيس واستأذنـوه فأذن لهم أيضًا، فذهبوا عـند ذلك للسلام ، فوصلوا لـنصوح باشا وإلى مصر ، وسلـموا عليه وباتوا بوطـاقه ، ثم استأذن لهـم حضرة المشار إليه فـأذن لهم ، فلما وصـلوا إليه ، واستقر بهم الجلوس ، استفسر عن أسمـائهم ، وكذلك التجار وأكابر النصارى ، ثم أخلع عليهـم خلعًا سنية ، ورجعـــوا إلى المدينة ، بعد أن سلموا عـلى أكابر الدولة بالعرضى ، وعلى إبراهـيم بيك وباقى الأمراء المصرية ، ودخلوا المدينـة وعليهم تلك الخلع ، وصحبتهـم قاضى عسكر ، ووصل نصوح باشا والأمراء إلـى جهة الخانكة[٢] ثم إلى المطرية[٣] .

وفيه[٤] ، حضر درويش باشا والى الصعيد إلى خـارج القاهرة جهة الشيخ قمر ، فمكث أيامًا ، ثم توجه إلى قبلى ، وصحبتـه نحو المائة نفر ، وكذلك توجهت طائفة من العساكر الإسلامية، للسويس، ودمياط ، والمنصورة ، وانبث العسكر فى البلاد ، ودخلت مصر شيئًا فشيئًا .

واستهل شهر شوال[٥]

فى سابعه[٦] ، وقعت حادثة ، وَهُوَ أَنَّ جماعةً من العسـاكرِ العثمانية ، تشاجروا ٩٩ أ / مع جماعة من عسكر الفرنساوية ، وقتل بينهم / شخص فرنساوى ، ووقع فى الناس زعجة وكرشة ، وأغلقوا الحوانيت وتترس العسـكر العثمنلى بالمتاريس ، ونَصَبُهَا بخط الجمالـية وما والاهَا ، واجتـمعوا هناك ، فـوقعت المنـاوشة فى الحرب ، وقـتل من الفرنسيس أشخاص ، وباتوا ليلتهم مزمعين على الحرب ثانى يوم[٧] ، فتوسطت كبراء العسكر فى الصلح، وأَزَالُو المتاريس ، وانكف كل فريق عن صاحبه، ثم بحث السيد مصطفى باشا عـمن أثار الفتنة ، وهم ستة أنفار فـقتلهم ، وَطَيَّبَ خَاطِرَ الفَرَنْسِيسِ ،

(١) ٢٢ رمضان ١٢١٤ هـ / ١٧ فبراير ١٨٠٠ م .
(٢) الخانكة : أنظر ، ص ٤٤ ، حاشية رقم (٢) .
(٣) المطرية : أنظر ، ص ٣٨ ، حاشية رقم (١) .
(٤) ٢٢ رمضان ١٢١٤ هـ / ١٧ فبراير ١٨٠٠ م .
(٥) شوال ١٢١٤ هـ / ٢٦ فبراير - ٢٦ مارس ١٨٠٠ م .
(٦) ٧ شوال ١٢١٤ هـ / ٣ مارس ١٨٠٠ م .
(٧) ٨ شوال ١٢١٤ هـ / ٤ مارس ١٨٠٠ م .

وأمر بخروج العساكر العثمانية من مصر إلى حيث العرضى ، وإذا دخلوا المدينة فلا يدخلونها بسلاح مطلقًا ، ووكلوا جماعة من الفرنسيس بذلك خارج البلد .

وفى منتصفه[1] ، توجه جماعة من كبار الفرنسيس إلى الإسكندرية بمتاعهم وأثقالهم ، وفيهم دوجا قائم مقام ، وديزيه صارى عسكر الصعيد ، وبسليج رئيس الكتاب[2] ، ومدبر الحدود ، ونزل جماعة منهم إلى البحر يريدون السفر إلى بلادهم، فيقال : « إنه تعرض لهم الإنكليز ومنعوهم » ، فأرسلوا إلى كبيرهم بمصر ، وعرفوه الحال، فأرسل بذلك إلى حضرة الوزير فسوفه ، فكان ذلك من أسباب نقض الصلح، وانتقل عرضى همايون من بلبيس إلى جهة سطح الخانكة قريباً من مصر ، وتقدم أمامه عرضى نصوح باشا والأمراء المصرية ، وجملة من العسكر العثمانية ، فنصبوا وطاقهم بالبلد المسماة بالمطرية ، وكان ذلك آخر أيام المهلة ، وطلب الفرنسيس أجلة ثمانية أيام أخرى ، فأجيبوا إلى ذلك ، فجعلوها ظرفًا لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد / القبلية والبحرية ، ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلاً بأطراف مصر ، وردوا ذخائرهم إلى القلاع كما كانت ، واجتهدوا فى ترجيع آلات الحرب بعد أن كان سافر معظمها ، والبارود على الجمال والعربات ليلاً ونهارًا ، والناس يتعجبون من ذلك ، ومصطفى باشا قائم مقام والعساكر العثمانية يشاهدون ذلك فلا يقولون شيئًا ، والبعض يقول : «إنهم أمروا برد ذلك إلى القلاع» ، فلما قضوا أشغالهم من أمر القلاع وتحصينها ، وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم، واستوثقوا من ذلك ، خرجوا بأجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر[3] ، وانتشروا فى تلك النواحى ، ولم يبق بداخل المدينة منهم إلا من كان بالقلاع ، وجملة ببيت الألفى ، وبعض ببيوت الأزبكية ، وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل .

/ ٩٩ب

وفى العشرين منه[4] ، طلبوا مصطفى باشا وحسن أغا نزله أمين ، فلما حضرا إليهم ، أرسلوهما إلى الجيزة .

فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوال[5] ، ركب كبير الفرنسيس كلهبر[6] قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب ، وقَسَّمَ عَسَاكِرَهُ طوابير ، منهم من توجه إلى عرضى همايون[7] ، ومنهم مَنْ مَالَ عَلَى مَنْ بِجِهَةِ المطرية ، فدهموهم على حين غفلة من غير أن يكون للمسلمين استعداد للقتال ، لأنهم كانوا مطمئنين ،

(١) ١٥ شوال ١٢١٤ هـ / ١١ مارس ١٨٠٠ م .
(٢) بوسليك : "Poussielgue" .
(٣) قبة النصر : أنظر ، ص ٨٥ ، حاشية رقم (٢) .
(٤) ٢٠ شوال ١٢١٤ هـ / ١٦ مارس ١٨٠٠ م .
(٥) ٢٣ شوال ١٢١٤ هـ / ١٩ مارس ١٨٠٠ م .
(٦) كلهبر : كليبر : "Kléber" .
(٧) عرضى همايون : أى الجيش السلطانى .

لم يخطر ببالهم خيانة الخائنين ، وغالب عساكرهم بالمدينة والقرى ، لتشهيل الكلف واللوازم ، فضربوا عليهم بالبنادق والمدافع ، فركب القوم وناوشوهم القتال ، ثم تركوا خيامهم ووطاقهم ومدافعهم فتركه العسكر الفرنساوى على ما هو عليه ، غير أنه / سد قَالِيَّةَ المدافع بالمسامير ، والتحق ذلك الطابور بالطوابير الزاحفة لجهة عرضى همايون ، فلما بلغ حضرة المشار إليه ذلك ، وسمع ضرب المدافع ، وتحقق الخيانة ، أمر بالرحيل والرجوع إلى جهة الصالحية ، حرصًا على هيبة الدولة وحرمة السلطنة ، ولئلا ينسب إليه نقض الصلح والخيانة ، ومقابلتهم من جنس فعلهم ، ولقلة تعبية العساكر والاستعداد للحرب ، ولكون أكثر العسكر قد كان رجع لبلاده ، لما تقرر أمر الصلح ومهمات آلات الحرب ، تركت بالعريش اتكالاً على ذلك ، وكثير من العساكر أيضاً كان مفرقًا فى القرى والبلاد ، لأغراض ولوازم ، فكان الانتقال بالعرضى من حسن السياسة والتدابير ، ولقد قال أرباب الحروب العارفون بها : «إن أمير الجيوش ينبغى أن يكون كالتاجر الكيّس إن رأى ربحًا تقدم وحارب ، وإن رأى غير ذلك ، وَفَّر نفسه وجيشه ، ورجع لإعمال حيلة غير الحرب ، وهذا كله مندرج تحت : الحرب خدعة» . ١٠٠ أ/

وأما عرضى المطرية من نصوح باشا ومن كان معه ، فإنهم تنحوا عن جهة الفرنسيس وانحازوا لجهة مَا ، فلما لحق الطابور الذى ناوشهم القتال ببقية الطوابير كما تقدم ، قصد نصوح باشا ومن بصحبته جهة مصر ، وتركوا عسكر الفرنسيس وراءهم.

وأما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع ، كثر فيهم اللغط والقيل والقال، ولم يدركوا حقيقة الحال ، فهاجوا ورمحوا إلى أطارف البلد ، وقتلوا أشخاصًا من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ، ليذهبوا إلى أصحابهم ، وذهبت / شرذمة من عامة أهل مصر ، فانتهبت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره ، حيث كان عرضى الفرنسيس ، وخرج السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، والسيد أحمد المحروقى ، وانضم إليهما غزخان الخليلى[1] ، والمغاربة الذين بمصر ، وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بيك الصغير ، وتبعهم كثير من عامة أهل مصر ، وتجمعوا على التلول خارج باب النصر ، وبأيدى الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح، وكذلك تحزب طوائف كثيرة من العامة ، ومشوا بأزقة المدينة ، وخرج كثير إلى أطراف البلد ، وقامت الناس كلهم على ساق وقدم ، فلما تضحى النهار ، ١٠٠ب/

(١) غزخان الخليلى : أى المماليك الذين كانوا بخان الخليلى .

حضر بعض الأجناد من المصريين ، ودخلوا مصر ، وفيهم بعض مجاريح ، فصار الناس يسألونهم ، فلم يخبروهم بشىء لجهلهم أيضًا حقيقة الحال ، ثم لم يزل الحال كذلك إلى أن دخل وقت العصر ، فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلد، ولهم صياح وجلبة وخلفهم إبراهيم بيك ثم آخر ، وخلفهم سليمان أغا ، ثم آخر كذلك ، وخلفهم عثمان كتخدا الدولة ، ثم نصوح باشا ، ومعه عدة وافرة من العساكر السلطانية ، وصحبتهم السيد عمر نقيب الأشراف ، والسيد أحمد المحروقى، وحسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك الشرقاوى، وعثمان أغا الخازندار ، وإبراهيم كتخدا مراد بيك السنارى ، وصحبتهم مماليكهم وأتباعهم ، فدخلوا من باب النصر ، وباب الفتوح ، ومروا على الجمالية ، حتى / وصلوا إلى وكالة ذي الفقار[1] ، فقال نصوح باشا : «قاتلوا النصارى وجاهدوا فيهم» ، فلما سمعت العامة منه هذا القول هاجوا ورفعوا أصواتهم ، ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم ، فذهبت طائفة إلى حارات النصارى وبيوتهم التى بناحية بين السورين ، وباب الشعرية[2] ، وجهة الموسكى[3] ، فصاروا يكبسون الدور ، ويقتلون من يصادفونه من الرجال أو النساء أو الصبيان ، وينهبون ويأسرون ، حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، فتحزبت أيضًا النصارى ، واحترسوا ، وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنساوى والأروام ، وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر ، فوقع الحرب بين الفريقين ، وصارت النصارى تقاتل وترمى بالبندق والقرابين من طبقات الدور على المتجمعين بالأزقه من العامة والعسكر ، والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور ، وبات نصوح باشا ، وكتخدا الدولة ، وإبراهيم بيك ، وبعض من سناجق مصر والكشاف والأتباع ، وطوائف من العساكر بخط الجمالية .

/ ١٠١أ

فلما أصبح الصباح[4] ، أرسلوا إلى المطرية ، وأحضروا منها ثلاثة مدافع ، فوجدوها مسدودة الفالية ، فعالجوها حتى فتحوها وركّبوها بالأزبكية ، وضربوا بها على بيت الألفى ، وكان به جملة من عساكر الفرنساوية ، فضربوا أيضًا بالمدافع والبنادق ، واستمر الحرب بين الفريقين إلى آخر النهار فسكن الحرب .

وفى هذا اليوم[5] ، شرع العسكر السلطانى وأهل مصر فى صنع متاريس بالأطراف كلها / ، وبجهة الأزبكية ، وشروع فى بناء بعض جهات السور ،

/ ١٠١ب

---

(١) وكالة ذى الفقار : وكالة كانت قامة بخط الجمالية . (٢) باب الشعرية : أنظر ، ص٦٩ ، حاشية رقم (٩) .
(٣) الموسكى : أنظر ، ص ٤٠ ، حاشية رقم (١) . (٤) ٢٤ شوال ١٢١٤ هـ / ٢٠ مارس ١٨٠٠ م .
(٥) ٢٤ شوال ١٢١٤ هـ / ٢٠ مارس ١٨٠٠ م .

واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة ، وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس ، فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ، ووالوا الضرب بالخصوص على خطة الجمالية ، لكون معظم رؤساء العساكر الإسلامية بها وأكثر العسكر فيها .

وفى هذه الليلة[1] ، أجمع رأى كبراء العسكر على الخروج من البلد ، لعدم آلات الحرب والبارود ، وعزت الأقوات وأَنَّ القلاعَ بيدِ الفرنساوية ، ومصر لا يمكن محاصرتها لإتساعها وكثرة أهلها ، وليس لها سور يحيط بها ، وغالب قوت أهلها يجلب كل يوم من قراها ، فلما أحس كبراء العساكر بأن الحال يطول فى الحرب ، أجمعوا على الخروج بالليل ، وتسامع الناس بذلك ، فتجهز المعظم للخروج أيضًا ، وغَصّت خطة الجمالية وما والاها من الأخطاط ، بإزدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة ، ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والإنزعاج والخوف ما لا يوصف ، وتسامع أهل خان الخليلى من الالضاشات[2] وبعض مغاربة الفحامين[3] ، والغورية[4] ذلك ، فجاءوا للجمالية ، وأكثروا التشنيع على من يريد الخروج ، وعضدهم طائفة عساكر الإنكشارية ، وَعَمَدُوا إلى خيول الأمراء فحبسوها ببيت القاضى وبقية الوكائل ، وأغلقوا باب النصر ، وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مصاطب الحوانيت ، وبعض الأعيان فى بيوت أصحابهم بالجمالية ، وفى أزقة الحارات أيضًا ، وكل متهيىء / للخروج .

١٠٢ أ/

وأصبح يوم السبت[5] ، فتهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ، ما عدا الضعيف الذى لا قوة له على الحركة ، تهيأ كل للحرب ، وذهب معظم الأمراء المصرية مع نصوح باشا، والأكثر من العساكر العثمانية إلى جهة الأزبكية ، لأن معظم الفرنسيس بها ، فجلس من ذكرنا فى البيوت التى ليس فيها عسكر ، والبعض وراء المتاريس ، وأخذوا مدافع زيادة على الثلاثة المتقدمة ، وجدت فى بعض بيوت مصر، واستمر عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار بالجمالية ، وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى أو فرنساوى ، أخذه وذهب به للجمالية ، حيث عثمان كتخدا ، ويأخذ منه بقشيشًا ، فالبعض من المأسورين يحبس حتى يظهر أمره ، وربما قتل البعض لريبة

(١) ٢٤ شوال ١٢١٤ هـ / ٢٠ مارس ١٨٠٠ م .   (٢) الألضاشات : أنظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (١) .

(٣) مغاربة الفحامين : المغاربة الذين كانوا بالفحامين ، حيث كان التجار المغاربة يتواجدون بكثرة فى سوق الفحامين .

(٤) مغاربة الغورية : أى المغاربة الذين كانوا يتاجرون بسوق الغورية .

(٥) ٢٥ شوال ١٢١٤ هـ / ٢١ مارس ١٨٠٠ م .

أو شبهة ، وكذلك كل من قطع رأسًا من رؤوس الفرنساوية يذهب بها ، إما لنصوح باشا بالأزبكية ، وإما لعثمان كتخدا بالجمالية ، فيأخذ فى مقابلة ذلك جملة من الدراهم والدنانير ، ثم بعد أيام أغلق باب النصر ، وباب البرقية[1] ، وباب القرافة، وسائر الأبواب التى فى أطراف البلد ، وزاد الناس فى اصطناع المتاريس ، وفى الاحتراس ، وجلس عثمان بيك الأشقر عند متاريس باب اللوق ، وناحية المدابغ[2]، وعثمان بيك طبل عند متاريس المحجر[3]، ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان[4] ، ومحمد كاشف أيوب، وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير عند الناصرية[5]، ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع[6] ، وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح[7] ، وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب / النصر ، مع طائفة من الانكشارية ، وباب الحديد ، وباب القرافة ، وألضاشات خان الخليلى والجمالية عند باب البرقية ، وبالجملة كل من كان فى حارة من أطراف البلد انظم إلى العسكر الذى بجهته ، بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار ، وبعض عساكر من العثمانية ، وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية ، إذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمر بطائفة من هؤلاء، وصار جميع أهل مصر ، إما بأزقة مصر ليلاً ونهارًا ، وهو من لا يمكنه القتال ، وإما بالأطراف وراء المتاريس ، وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب ، ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف ، وأنشأ عثمان كتخدا الدولة مَعْمَلَ بارود ببيت قائد أغا بخط الخرنفش[8] وأحضر القندقجية والعربجية والحدادين والسباكين ، لإنشاء مدافع وبنبات ، وتصليح بعض مدافع وجدت بمصر فى بيوت بعض الأمراء ، وعمل عجل للمدافع ، وجلل وغير ذلك من المهمات الحربية ،

/ ١٠٢ب

(١) باب البرقية : أنظر ، ص ٦٩ ، حاشية رقم (٧) .

(٢) المدابغ : حارة تقع فى جهة اليسار من شارع سوق العصر الذى يمتد من أخر شارع الحمزية إلى أخر شارع الحين . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣٩ .

(٣) المحجر : شارع يبتدىء من قبلى جامع أيتمش تجاه درب كحيل ، وأخره زاوية الشيخ حسن الرومى . نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٤) الشيخ ريحان : ضريح الشيخ ريحان يوجد بزاوية الشيخ ريحان الذى عرف الشارع الذى تقع فيه الزاوية باسمه، والشارع أوله من شارع البلاقسة . وأخره حارة السقائين وطوله مائتان وثمانون مترًا . مبارك، على: المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٠٣ .

(٥) الناصرية : أنظر ، ص ٣٨ ، حاشية رقم (١٠) .

(٦) قناطر السباع : قناطر كانت قائمة على الخليج فى المنطقة المعروفة بميدان السيدة زينت ، أنشأ هذه القناطر ، الظاهر بيبرس البندقدارى ، وجعل عليها شعاره السبع .

(٧) سوق السلاح : أنظر ، ص ٢٤ ، حاشية رقم (٣) .

(١١) خط الخرنفس : خط قديم ، يقع فيما بين حارة برجوان والكافورى ، وكان موضعه أيام الفاطميين ميدانا بجوار القصر الغربى . المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧ .

فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى ، والخان الذى بجانبه ، والرحبة الواسعة التى قدام باب بيت القاضى من جهة المشهد الحسينى ، واهتم فى ذلك اهتمامًا زائدًا ، وأعطى أجرًا وافرًا ، وفرق فى هذا المهم أموالاً واسعة، وترك الملاذ والرَّفَاهِيَةَ الملائمة لجنابه ، واجتهد فى حرب الكفار ، ونصرة الأبرار ، ورأت الناس منه حُلُمًا واسعًا وصدرًا رحبًا ، ويدًا بالعطاء مبسوطة ، ووجهًا طلقًا يعظم الكبير والصغير ، وكل من طلب منه أشياء أعطاه من بارود وسلاح ومال وغير ذلك ، فجزاه الله خيرًا .

وتترس حسن بيك الجداوى بناحية الرويعى[1] ، وربما فارق المتراس فى بعض الليالى ، لوقوع زحف من العسكر الفرنساوى على بعض الجهات ، فيذهب هو ومن معه لنصرة / من بتلك الجهة ، ورأى الناس من إقدامه على الحرب وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ليلاً ونهارًا، ما ينبيء عن فضيلة نفس، وقوة قلب، وسمو همة ، وقلّ أن وقع حرب فى جهة من الجهات إلا وهو مدير رحاتها ، ورئيس كماتها .
١٠٣ أ/

وحضر محمد بيك الألفى فى ثانى يوم[2] ، وتترس بجهات الأزبكية ، حيث إبراهيم بيك ونصوح باشا ، وبذل الهمة ، وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وإقدام ، وحضر أيضًا رجل مغربى يقال : إنه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقًا، والتف عليه جماعة من المغاربة البلدية ، وجماعة من أهل الحرمين ، ممن كان قدم من مكة والمدينة وما والاهما مع الشيخ الجيلانى الذى تقدم ذكره ، وفعل ذلك الرجل المغربى أمورًا تنكر عليه ، لكنه كان بعض الأوقات يجتهد فى الحرب ، إلا أنه ليس فى رتبة الجداوى ، ولا غيره من العساكر العثمانية ، وغالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله يكون صدوره عنه ، واتهم الشيخ البكرى بأنه يوالى الفرنسيس ويرسل إليهم الأطعمة ، فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه ، وأحضروه إلى الجمالية ، وهو ماش على أقدامه ، ورأسه مكشوف ، وحصلت له إهانة بالغة ، وسمع من العامة كلامًا مؤلمًا وتشمتًا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فلما رأى عثمان كتخدا ذلك ، هاله هذا الأمر ، واغتم له غمًا شديدًا ، ووعده بخير ، وطيّب خاطره ، إذ فى هذه الحالة لا يمكن تدارك ما فرط ، وأخذه أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه إلى داره، وأكرمهم وكساهم ، وأقاموا عِنْدَهُ حتى انقضت الحادثة .

١٠٣ ب/
وباشر / السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس ، الكلف والنفقات والمآكل والمشارب ، لما فى ذلك من المعونة للمجاهدين ، وكذلك جميع أهل مصر ،

(١) الرويعى : أنظر ، ص ٤٠ ، حاسية رقم (٩) . (٢) ٢٦ شوال ١٢١٤ هـ / ٢٢ مارس ١٨٠٠ م .

كل إنسان سمح بنفسه ، وبجميع مـا يملكه عن طيب قلب ، وإنشراح خاطر ، وأعان الناس بعضهم بعضًا ، وفعل كل إنسان ما فى وسعه وطاقته من المعونة .

وأما الفرنسيس ، فإنـهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلـد ، وببيت الألفى وما ولاه من البيوت الخاصة بـهم ، وبيوت القبطة المجاورين لهم ، واستـمر الناس بعد دخول العساكر الإسلامية فى مصر أيامًا قليلةً ، وهم يدخلون ويخرجون من المدينة والأبواب مفتـحة ، وأهل الأرياف القريـبةُ تأتى بالميـرة ، وما يحتاجه أهـل مصر ، يبيعـونه ثم يذهبون إلى بلادهم ، ولم يعلم أحد من أهل مصر ولا غيرهم حقيقة حال الفرنسيس المتوجهين مع كبيرهم للحرب ؛ واختلفت الروايات والأخبار .

وأما عرضـى همايون ، فإنـه ارتحل كما ذكر ورجع إلـى جهة الصالحـية ، وترك ببلبيس جملة من العسكر السلطانى .

وأما عثمان بيك حسن ، وسليم بيك أبو ديـاب ، ومن معهما ، فإنهما تقاتلا مع الفرنسيس ، ثم رجعا إلى بلبيس لقلة ما مـعهم من العسكر ، وقدمت الفرنسيس على بلبيس ، فحاصروا من بها من العسكر المتخـلف ، ولـم يكن العسكر المتخلف بها كثيراً ولا مستعداً بالآلات الحربية ، فحارب على قدر طاقته ، ثم نزل على أمان الفرنسيس، فأخذ سلاحه وتركه يذهب إلى حيث شاء .

ثم لـما لحق عثمـان بيك ومـن معه بالـعرضى ، أخذوا مـعهم عـدة من العسـكر ورجعوا يريدون ملاقاة الفرنسيس ، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين[1] ، على بعد من محط الفرنسيس ، فانفرد كبير الفرنسيس عند مقاربته القرين ، وصحبته نحو الأربعين من الخيالة ، / فخرج عليهم طائفة من أهل الـقرين بالنبابيت ، لكونهم رأوه فى قلة مـن عسـكره ، وعلمهم بـعسكر المسلمـين ، فتضاربوا معه وأصـيب كبير الفـرنسيس بنـبوت ، وقع عـلى سـرج فرسه فـكسره ، ووقـع ترجـمانه إلـى الأرض ، وأحس المسلمون بذلك، فأقـبلوا عليه وحاربوه ، واستصرخ الفرنسيس عـساكرهم ، فلحقوا بهم ، واستمر القتال زمنًا طويلاً بين الفـريقين ، وجلس كل فريق بمكان ، فلما دخل الليل واشتد الظلام ، أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين ، فأصبح المسلمون، وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب ، فركـبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدائرة بالحرب ، وسلم من سلم ، وعطب من عطب .

/ ١٠٤أ

وأمـــا مراد بيك ، فإنـه بمجرد ما عاين هـجوم الفرنسـيس على البـاشا والأمراء

(١) القرين : أنظر ، ص ٤٣ ، حاشية رقم (٧) .

بالمطرية ، وكان هو بناحية الجبل ، ركب من ساعته ، هو ومن معه ، ومروا فى سفح الجبل، وذهب إلى ناحية دير الطين[1] ، وينتظر ما يحصل ويتجدد من الأمور ، وأقام مطمئنًا آمنًا على نفسه ، هذا حاصل خبر الشرقيين ، ولما تحقق الباشا والأمراء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم ، وأشاعوا خلافه ، لئلا تنحل عزائم الناس عن القتال ، وتضعف نفوسهم عن ملاقاة العدو ، وأرسلوا جملة من المكاتبات للعرضى ، فى طلب النجدة والمعونة ، وَجَدُّوا فيما هم فيه ، وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربى والتركى ، بالجد فى الجهاد ، والتحريض على الصبر وملاقاة العدو ، ورجع طائفة من عسكر الفرنسيس من عرضى كبيرهم ، نجدة للعسكر الذى بمصر ، فتقوت بهم نفوس أصحابهم ، ووقفت منهم طائفة خارج باب النصر/ والحسينية ، ونهبوا زاوية الشيخ الدمرداش[2] وما حواليها كقبة الغورى ، والمنيل ، وحضر جماعة من عسكر الأرناءوط ، نحو الثلاثمائة كانوا ببعض القرى ، لجلب الذخيرة والكلف ، فعارضهم عسكر الفرنسيس الواقف على التلول الخارجة ، ووقعت محاربة يسيرة ، ودخلت الأرناءوط مصر على حمية ، ففرح الناس لقدومهم ، وضجت العامة لحضورهم ، وسئلوا فأخبروا أنهم حاضرون مددًا ، وسيأتى جماعة بعدهم .

١٠٤ ب/

وأما بولاق ، فإنها قامت على ساق وتهوّر فى ذلك ، وتشدد الحاج مصطفى البشتيلى ، وهيج العامة ، فأخذوا الأسلحة والعصى والنبابيت ، وذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر وعنده جماعة منهم للحرس ، فقتل من أدركه أهل بولاق منهم ، وَفَرَّ مَنْ فَرَّ ، ونهبوا ما فيه من الخيام وَالمتَاعِ وغيره ، وزحفوا[3] إلى البلد ، وفتحوا مخازن الغلال والودائع التى للفرنسيس وأخذوا ما أحبوا منها ، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس ، واستعدوا للحرب ، والجهاد ، واستطالوا على من كان ساكنًا ببولاق من نصارى القبط والشوام ، فأوقعوا بهم بعض نهب وربما قتل منهم أشخاص .

---

(١) دير الطين : قرية قديمة ، على شاطئ النيل الشرقى ، قرب الفسطاط متصلة ببركة الحبش ، ورد فى كشف الأسقفيات أن هذا الدير كان لرهبان الحبش الذين تنسب إليهم بركة الحبش ، والآن تابعة لقسم دار السلام ، محافظة القاهرة . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ٣ ، ص ١٤ .

(٢) زاوية الشيخ الدمرداش : هو الشيخ أبو عبد الله محمد الدمرداش ، ولد بمدينة تبريز بإيران ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م ، درس فى تبريز مبادىء التصوف على طريقة محيى الدين بن العربى ، جاء إلى مصر فى عهد السلطان الأشرف قايتباى ، وارتفع قدره عند السلطان قايتباى ، وظل يترقى حتى وصل إلى أمير مائة ، وكان مهيب الجانب ، قوى الشخصية ، قدوة حسنة لأصحابه ومريديه ، والزاوية سميت بإسمه .
ماهر ، سعاد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ ٥ ، ص ٦٧-٧١ .

(٣) بنسخة وزارة التربية والتعليم ، جـ ٢ ، ص ٤٠ ، « ورجعوا » .

وأما كبير الـفرنسيس ، فإنه لمّا تحقق عـود العرضى ، وبلغته الأخبـار عما حصل بمصر من دخول نصـوح باشا والأمراء إليها ، وقيام الرعيـة كَرّ راجعًا حتى وصل إلى داره بالأزبـكية ، وأحـاطت عساكـره بجميـع مصر وبولاق ، ومـنعوا الداخـل من الدخول ، والخارج من الخروج ، وذلـك بعد ثمانية أيام من ابتـداء الحركة ، وقطعوا الجالب عن البـلدين ، وأحاطوا بهما إحاطـة السوار بالمعصم ، فكانـت النصارى من القبـطة والشوام يهـربون بحريمهـم وأولادهم ، ويتسـلقون من الحيـطان والأسوار ، ويذهبون إما إلى الجيـزة / أو مصر العتيقة أو لعرضى الفرنـساوى ، وعند ذلك اشتد /١٠٥أ الحرب ، وعظم الكرب ، وأكثروا من الرمى المتتابع بالبنادق والمدافع ، وواصلوا وقع النيران والبنـبات مـن أعالى التلول والقـلعات ، خصوصًا البنبات الكـبار على الدوام والاستمرار ، آنـاء الليل وأطراف النهـار ، فى الغدو والبكور والأسـحار ، وعدمت الأقوات وغـلت أسعار المبيعـات ، وعزت المأكولات ، وفقدت الحـبوب والغلات ، وارتفـع وجود الخبز فـى الأسواق ، وامتنـع الطوافون بـه على الأطبـاق ، وصارت العسـاكر يخطـفون ما يجـدونه بأيدى الـناس من المآكـل والمشارب ، وغلا سـعر الماء المأخوذ من الأسبلة أو الآبار .

وأما البحر ، فلا يكـاد يصل إليه أحد ، وتكفل التجار ومسـاتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمة بالمتاريس المجاورة لهم .

وأما أكابر القبط مثل : جرجس الجوهرى ، وفـلتيوس ، وملطى ، فإنهم طلبوا الأمان من المـسلمين ، لـكونهم انـحصروا بدورهـم وهم بوسطـهم ، فأرسلـوا لهم الأمان، وحضروا فقابلوا الباش والكتخدا .

وأما يعـقوب اللعـين ، فإنه كرنـك فى داره بالدرب الـواسع ، جهة الـرويعى ، واستعد استعدادًا كبيرًا بالسلاح والعـسكر المحاربين فكان معظم حرب الجداوى معه ، هذا والمنـاداة فى كل وقت بـالعربى والـتركى علـى الناس بالجـهاد ، والمحافظـة على المتـاريس، ونقـل عن مصـطفى أغـا مستحـفظان ، بـأن عنده فـى داره جماعـة من الفرنسيس، فـقتلوا بعضهم ، وهرب البـاقون على حمية ، فقبضـوا على ذلك الأغا الخبيث ، وأحضروه بين يدى عـثمان أغا كتخدا ، ثم تسلمه الإنكشـارية وخنقوه ليلاً بالوكالة التى عند باب النصر ،/ ورموا جيفته خارج باب النصر ، وولوا مكانه شاهين /١٠٥ب كاشف الـساكن بالخرنـفش ، فاجتهد وشـدّد على الناس ، وكـرر المناداة ومنعـهم من مبيتهم بدورهم ، ومـن وجده داخل داره مقـته وضربه ، فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق ، حتى الأمراء والأعيان ، وهلكت البهائم من الجوع ، لعدم وجود العلف

من التبن والفول والشعير والدريس ، بحيث صار ينادى على الحمار أو البغل المعدود الذى قيمته ثلاثون ريالاً وأكثر بمائة نصف فضة ، ولا يوجد له مشتر ، وفى كل يوم يتضاعف الحال ، وتعظم الأهوال ، وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب ، وترامى الفريقان بالمدافع والنيران حتى احترق ما بينهم من الدور ، وهدمت تلك المباني والقصور ، التي كانت مطلة على البركة ، واحترقت جميع البيوت من عند بين المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا ، إلى رصيف الخشاب ، إلى خطة الساكت[1] ، إلى حد بيت كبير الفرنسيس ، وصارت كلها خرائب ، وكذلك خطة الرويعى بالسباطين الكبار ، وما فى ضمن ذلك من البيوت إلى حد حارة النصارى[2] ، وصارت كلها تلالاً وخرائب ، كأنها لم تكن مغنى صبابات ، ولا معاهد أنس ولذّات ، وفيها يقول صديقنا العلامة المنوه بذكره ، ونظمه ونثره : «وكنت كثيراً ما أجول بالزوارق فيها ، وأسرّح طرفى فى محاسن مبانيها وبنيها ، فأرى ما يدخل على النفس السرور، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور ؛ وطالما مضت لى بها أيام وليال ، هن فى عقد الدهر من يتيم اللآلى ، وأنا أنظر إلى انطباع صورة البدر فى وَجَنَاتِهَا ، وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها ؛ والنسيم / بأذيال أمواهمًا لعّاب، وقد سَلَّ علي الجسور من اضطراب الأمواج كل قرضاب ، وقام على منابر أدواحها من الحمائم كل خطيب فصيح ، عند معترك الندامى على إراقة دم العنقود ، ليصطلحوا على الوجه المليح ، وقال شعراً :

١٠٦ أ/

بالأُزْبَكيَّةِ طَابَت فى مَسَرَّات ... وَلَذَّ لى منْ بَديعِ الأُنْسِ أَوْقَاتُ

حيثُ المياهُ بهَا والفُلْكُ سابحةٌ ... كأنَّهَا الزَّهْرُ تَحْويهَا السمواتُ

وَقَدْ أَدَارَ بهَا دُوراً مُشَيَّدَةً ... كُوَّاتُهَا لبدور الحُسْنِ هَالاتُ

مُدَّتْ عَلَيْهَا الرَّوَابى خضرَ سُنْدُسِهَا ... وَغَرَّدَت فِى نواحيهَا حَمَامَاتُ

والماءُ حينَ سَرَى رَطْبَ النَّسِيم به ... وَحَلَّ فيه منَ الأرواحِ زَهَرَاتُ

كَسَابِغَاتِ دُرُوعٍ فَوْقَهَا نُقَطٌ ... منْ فضَّةٍ وإحْمِرَارِ الورد طَعَنَاتُ

مَرَاتِعَ الظِّبَاءِ الترك سَاحَتُهَا ... وللأُسود بهَا فيهنَّ غَيْضَاتُ

وللنَديمِ بِهَا عَيشُ تُجَدِّدُهُ ... أَيْدِى الزَّمَانِ وَلاَ تَخْشَى جِنَايَاتُ

(١) خطة الساكت : تقع بشارع كوم الشيخ سلامة ، حيث توجد زاوية بأعلاها ربع تابع لها ، وبداخلها ضريح الشيخ محمد الساكت ، ويُعمل له مولد كل سنة . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١٢ .

(٢) حارة النصارى : تقع بداخل حارة سوق مسكة ، على جهة اليمين بشارع خليل طينة الذى يبتدىء من أول شارع درب الجماميز . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٢٦-٣٣٧ .

يـــروحُ مِنْهَا صَرِيــعَ الـــعَقْلِ حِينَ رَأَى عَلَى مَحَاسِنِهَا دارُ الـــــزجـــنــاجـــــاتُ
ولـــــــــلـــــــــرفَاقِ بِهَا جَمْعٌ وَمُفْتَرَقٌ لَمَّا غَدَتِ وَهِي لـــــلـــنـــــدْمَانِ حَانَاتُ

قلت : قـد جنت علـيها أيدى الـزمان ، وطوارق الحدثـان ؛ حـتـى تبدلـــت محاسنها ، وأقفرت مساكنهـا ؛ وهكذا عقبى سوء ما عملوا : ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا** ﴾[1] .

وأرسلوا إلى مراد بيـك بالحضور ، أو يرسل الأمراء والأجناد الذيـن بصحبته ، ليساعدوا إخـوانهم ، فلم يجب إلى ذلك ، وإعـتذر أنه محافظ على الجـهة التى هو فيها ، وأنه أرسل هجانًا إلى جهة الشرق من مـدة عشرة أيام ، يستكشف خبر عرضى همايون وينتظر عوده، وأظهر هذا الجواب مع البرديسى وصحبته عثمان بيك الأشقر ، ثم رجع الأشقر ولا يعلم ما دار بينهما .

واستمـر الحـال عـلى ما هو عـليه مـــن اشتعـال نيران الحرب ، وشـدة البلاء والكرب ،/ ووقوع البنب على الدور والمساكن من القلاع والهدم والحرق ، وصراخ الناس مـن البيوت ، والصغـار من الخوف والجزع والهلـع مع القحط ، وفقـد المآكل والمشـارب ، وغلق الحوانـيت والطـوابين والمخابـز ، ووقوف حال النـاس من البيع والشراء ، وتـفليس الـناس ، وعدم ما ينـفقونه إن وجـدوا شيئًا ، واستـمرار ضرب المدافع والقنابر[2] والبنادق والنيران ليلاً ونهارًا ، حـتى كان الناس لا يهنأ لهم نوم ولا راحة ، ولا جلوس لحـظة لطيفة مـن الزمن ، يجد فيـه الشخص راحة ، ومقـامهم دائمًا بالأزقة والأسواق ، وكأنما على رؤوس الجميع الطير .

/١٠٦ ب

وأما النساء والصبـيان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقـودات تحت طباق الأبنية ، وصار مؤونة غالب الناس الأرز ، ويطبخون الأرز بالعسل وباللبن ، ويبيعون ذلك فى طشوت وأوانى بالأسـواق ، وطلب الكتخدا دراهم سـلفة دفع منها الشـيخ السادات عشرة أكياس ، ودفع الشيخ مصطفى الـصاوى جملة ، ووزع على بعض الناس باقى المبلغ المطلوب ، وفى كل ساعة تهجم الفـرنساوية على جهة من الجهات ، ويحاربون من بها من المقاتلين ، ويَمْلكُونَ منهم بعض المتاريس ، فتصيح المنادة ويتسامع الناس، ويصرخـون على بعضـهم البعـض ، ويقولون : «علـيكم بالجهـة الفلانيـة ، الحقوا إخوانكـم» ، فينفرون إلى تـلك الجهة والمتـراس ، حتى تنكـشف عنه الفرنـساوية ، وينتقلون إلى غـيرها فيفعلون كذلك ، هذا والأغا والوالـى يكررون المناداة ، وكذلك بعض أولاد العلماء كَسيدى محمد نجل الشـيخ الجوهرى ، وسيدى محمد نجل الشيخ

(١) سورة النمل رقم (٢٧) : آية رقم (٥٢) . (٢) القنابر : تعنى «القنابل» .

١٠٨ أ/ الأمير ، والسيد عمر نقيب الأشراف ، وبعض جوربجية / الانكشارية أيضًا ينادون بالتركى ، كل هؤلاء يمرون بجهات المدينة ليلاً ونهارًا ، ويحرضون الناس على الجهاد، وجرى على الناس ما لا يسطر فى كتاب ، ولم يكن لأحد فى حساب ، ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلاً عن جزئياته ، منها عدم النوم ليلاً ونهارًا ، وعدم الطمأنينة ، وغلو الأقوات ، وفقد الكثير منها خصوصًا الأدهان ، وتوقع الهلاك كل لحظة ، والتكليف بما لا يطاق ، ومغالبة الجهلاء على العقلاء ، وتطاول السفهاء على الرؤساء ، ولَغْط الحرافيش وتهور العامة ، وغير ذلك مما لا يمكن حصره ، ولم يزل الحال على هذا المنوال إلى نحو عشرة أيام ، وكل هذا والرسل من قبل كبير الفرنسيس وهم : عثمان بيك البرديسى تارة ، ومصطفى كاشف رستم تارة أخرى ، إلاَّ الإثنان من أتباع مراد بيك يترددون فى شأن الصلح ، وخروج العساكر العثمانية من مصر، والتهديد بحرقها وهدمها ، إذا لم يتم هذا الغرض ؛ ثم نصب الفرنج فى سوط البركة فسطاطًا لطيفًا ، وأقاموا عليه علمًا ، وأبطلوا الحرب تلك الليلة ، وأرسلوا رسلاً من قبلهم إلى الباشا والكتخدا والأمراء ، يطلبون المشايخ الذين كانوا مرتبين بالديوان يتكلمون معهم فى شأن هذا الأمر ، فأرسلوا الشيخ الشرقاوى ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ موسى السرسى ، فوصلوا إلى داماس من صوارى عسكر الفرنسيس وكان بالخيمة المنصوبة ، فجلسوا وخاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله ، أن كبير الفرنسيس قد أمّن أهل مصر أمانًا شافيًا ، وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من الأمراء المصرية ، يتوجهون بعساكرهم إلى عرضى حضرة

١٠٨ ب/ الوزير ، وعلى الفرنساوية القيام بما / يحتاجون إليه من الذخيرة والمئونة ، ومن أراد المقام بمصر من المماليك والأجناد الداخلة معهم فليقم ، ومن أراد الخروج فليخرج ، والجرحى من العثمانية، يجردون من سلاحهم ويتخلفون ، وتعالجهم أطباء الفرنساوية حتى يشفوا ، ومن أقام منهم بعد البرء فليقم ، وإن شاء فليلحق بهم ، وعلى مصر الأمان ، فإنهم رعيتهم ، وأمثال ذلك من الكلام والشروط التى عددوها .

فلما كان من الغد، وشاع أمر الصلح ، ورجع المشايخ بهذا الكلام ، وسمعه الناس، وقاموا عليهم وشتموهم وسبوهم وأسمعوهم قبيح الكلام ، وصاروا يقولون: «هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ، ومرادهم خذلان المسلمين ، وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس» ، وأكثر السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول، وتشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ، ونادى من عند نفسه بأن الصلح منقوض ، ووافق ذلك أغراض العامة ، لعدم إدراكهم لعواقب الأمور ،

فالتفوا عليه، وتعضد كل بالآخر ، وأن غرضه هو فى دوام الفتنة فإن بها يتوصل لما يريده ، من النهب والسلب ، والتصور بصورة الإمارة بإجتماع الأوزاع عليه ، وتكفّل الناس لَهُ بالمأكل والمشرب هو ومن انضم إليه ، واشتطاطه فى المآكل مع فقد الناس لأدْوَنِ ما يؤكل ، حتى إنه كان إذا نزل جهة من جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقدمون له الطعام فيقول : «لا آكل إلا الفراخ» ، ويظهر أنه صائم ، فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته ، فى هذه الشدة يطلب أفخر المأكولات ، وما هو مفقود ، ثم هو مع ذلك لا يغنى شيئًا ، بل إذا دهم العدو تلك الجهة التى هو فيها فارقها ، وانتقل لغيرها ، / وهكذا كان ديدنه وسبحه ، ثم هو ليس له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك ، بل كما قيل: «لا ناقتى فيها ولا جملى» ، فإذا قدّر والعياذ بالله أن العدو دخل البلد عنوة تخلص من حزبَهُ من بعض الجهات ، والتحق بالريف و وتخلّص ، وحينئذ يكون كآحاد الناس ، ويرجع لحالته الأولى ، وتبطل الهيبة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخًا منصوبًا ، ومخرق بها على سخاف العقول ، وأخفاء الأحلام ، وهكذا حال الفتن يكثر فيها الدجاجلة ، ولو أن نيته محضة لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نارٍ على علم ، أو اقتحم كغيره ممن شاهدناه من المخلصين فى الجهاد ، وفى بيع نفوسهم فى مرضاة رب العباد ، لظى الهيجاء ، ولم يتعنت على الفقراء ، ولم يجعل همته فى السلب مصروفة ، وحالة سلوكه عند الناس ليست معروفة ، شعر :

١٠٩ / أ

وَمَهْمَا تَكُن عِنـدَ امرىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وإنْ خَالَهَا تَخفَى عَلَىَ النَّاسِ تُعْلَمُ

وبالجملة ؛ فكان هذا الرجل سببًا فى تهدم أغلب منازل الأزبكية ، ومن جملة ما رميت به مصر من البلاء ، وكان مما نادى به حين أشيع أمر الصلح ، وتكلم به الأشياخ : «الصلح منقوض ، وعليكم بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه» ، وهذا منه افتيات فى حق السلطنة ، وفضول ودخول فيما لا يعنى ، حيث كان فى البلد مثل : نصوح باشا ، ومثل الهمام الأعظم ، والرئيس الأفخم ، عثمان كتخدا ، وغير هذين من الأمراء المصرية ، فما قَدرَ هذا الأهوج حتى يقضى صلحًا أو يبرمه ، وأى شىء يكون هو ، حتى ينادى أو يَتَرَأَّسُ بدون أن ينصّبه أحد لذلك ؟ ، لكنها الفتن يستنسر فيها البغاث / سيّما عند هيجان العامة ، وثوران الرعاع والغوغاء ، إذا كان ذلك مما يوافق أغراضهم : شِعْرٌ

١٠٩ / ب

وَذَنْبُ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَومٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَانِيهِ العَذَابُ

على أن المشايخ لم يأمروا بشيء ، ولم يذكروا صلحًا ولا غيره ، إنما بلّغوا صورة المجلس الذى طلبوا لأجله ، لحضرة الكتخدا ، فبمجرد ذلك قامت العامة هذا المقام ، وفعلوا مع المشايخ ما فعلوا ، وصاروا يقولون : « لولا أن الملاعين تبين لهم العجز والغلبة ما طلبوا المصالحة » ، وأخذوا فى ضرب البنادق والثوران فى الأزقة، والضجيج ، فأرسل الفرنسيس رسلاً يسألون عن رد الجواب الذى توجه به المشايخ ، فأرسل الباشا والكتخدا يقولان لهم : «إن العساكر لم يرضوا بذلك ، وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح» ، فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة ، ويقولون فى ضمنها : «وقد عجبنا من قولكم : إن العساكر لم يرضوا بالصلح ، وكيف يكون الأمير أميرًا على جيش لا ينفذ أمره فيهم ؟ » ، ونحو ذلك ، وأرسلوا أيضًا راشتوا إلى أهل بولاق بمثل ذلك ، فلم يرضوا فكرروا عليهم ذلك أربع مرار ، وفى الخامسة أرسلوا رجلاً من كبار الفرنساوية خيالاً وبيده ورقة ، وهو يقول : «أمان أمان سوا سوا» ، فأنزلوه من على فرسه وقتلوه ، واستمروا على كرنكتهم ، وتترسهم وتصميمهم على الحرب .

وحضر الألفى إلى عثمان كتخدا برأى ابتكره ، وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلامًا ، ويسرجون فى المنارات قناديل ، ليرى ذلك العسكر القادم ، فيعلمون بذلك ، أن البلد بيد المسلمين ، وكذلك صنع أهل بولاق .

واستمر الحرب بين الفريقين إلى يوم الخميس ثانى عشرينه[1] الموافق لعاشر برمودة القبطى ، وسادس نيسان الرومى ، / فاتفق أنه وقع غيم ورعد ومطر ، واشتد ذلك /١١٠أ بعد المغرب ، وتوحّلت السكك وحلاً كثيرًا ، وسالت المياه فى الجهات ، فاشتغل الناس بتجفيف الأرض وكسح الوحل والمياه ، فهجمت الفرنسيس بعد المغرب على أطراف البلد ، وجاء المعظم منهم من جهة باب النصر والعطوف والحسينية ، والوقت إذ ذاك مظلم، والغيم مطبق ، والمطر متكاثر ، فهرعت الناس المقاتلة لتلك الجهات ، ولبّخت الأمراء والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم فى الطّين والوحل ، وانزعج الناس من هذه الكبسة ما لم ينزعجوا فى غيرها ، وقد اعمل الفرنسيس للحريق فتايل مغموسة بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوية على أعناقهم ، معمولة بالنفط والأرواح المصنوعة المقطرة، التى تشتعل ويقوى لهبها بالماء، وواصلوا الضرب بالبنادق والبنبات ، وبذل المسلمون فى هذه الليلة جهدهم وطاقتهم ، وقاتلوا بشدة همة وقوة عزيمة ، وتحول الأغا وأكثر المقاتلة إلى الجهة التى زحف معظمهم عليها ، وهاجت العامة ، وصرخت النساء والصبيان ، ولاقى الناس فى تلك الليلة شدة عظيمة .

(١) ٢٢ القعدة ١٢١٤ هـ / ١٧ أبريل ١٨٠٠ م .

وأما بولاق : فإنهم كبسوا عليها فى وقت الفجر من ناحية البحر ، ومن ناحية بوابة أبى العلا بالمدافع وآلات الحريق ، وحصروا أهل البلد وأَشْعَلُوا الحريق فى معظم الجهات العامرة ، ووالوا ضرب المدافع المنجرة معهم فى طوابيرهم ، وتحصن جمع من المسلمين وتترسوا بجامع أبى العلا ، وقاتلوا من داخله وعلى منارته حتى قتلوا عن آخرهم ، وغاية الأمر ملكوا بولاق ، وفعلوا بأهلها ما تشيب من سماعه النواصى ، وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الأبنية والدور خصوصاً البيوت المطلة على النيل والرباع وكذلك الأطارف ، / وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة ، فنجوا بأنفسهم ، ثم بعد أن ملكوا البلد أحاطوا بها ، ومنعوا من يخرج منها ، واستولوا على الخانات والوكائل وما بها من الحواصل والطباق ، وأخذوا جميع ما فيها من الودائع التى للناس والمتاجر ، وأخذوا ما فى البيوت والحوانيت ، وأخذوا بعض نساء مأسورات ، واستولوا على جميع ما فى البلد من : غلال ، وسكر ، وكتان ، وقطن ، وأبازير وأرز وأدهان وأصناف عطرية ، وما لا تسعه السطور ، ومالا يحيط به كتاب ولا منشور ، والذى وجدوه منكفًا فى داره ولم يقاتل ولم يجدوا عنده سلاحًا ، نهبوا متاعه وعرّوه من ثيابه ، مضوا وتركوه حيًا ، وأصبح من بقى من ضعفاء أهل بولاق وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لا يملكون ما يستر عوراتهم ، وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه[1] ، واختفى الحاج مصطفى البشتيلى بالتكية ، فَدَلُّوا عليه ، وكذلك باقى رؤوساء أهل بولاق ، فحبسُوا البشتيلى بالتكية وباقيهم عند الفرنسيس ببيت الألفى ، وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول ، وفى اليوم الثالث[2] أطلقوهم وسلموهم البشتيلى، وأمروا عصبته بقتله، فطافوا به بولاق، ثم قتلوه بالنبابيت ، ورتبوا من أهل بولاق تسعة أشخاص ممن بقى من أعيانها فى ديوان، وألزموهم بقبض مائة ألف ريال فرانسة من أهل بولاق بعد الذى وقع لهم.

/ ١١٠ ب

وأما المدينة : فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم ذكره من الحرب والكرب والحرق والنهب والسلب إلى سادس عشرينه[3] ، حتى ضاق خناق الناس من استمرار الإنزعاج والحريق والسهر، وعدم الراحة لحظة من ليل أو نهار، مع ما هم فيه من عدم القوت، حتى هلكت الناس، وخصوصًا الفقراء والدواب وإيذاء العسكر للرعية، وأخذهم / ما يجدونه معهم ، والحال كل وقت فى إزدياد ، وأمر المسلمين فى ضعف لعدم الميرة والمدد ، والأعداء كل يوم يزحفون إلى قدام ، والمسلمون يتأخرون إلى

/ ١١١أ

(١) ٢٣ القعدة ١٢١٤ هـ / ١٨ أبريل ١٨٠٠ م .
(٢) ٢٥ القعدة ١٢١٤ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠٠ م .
(٣) ٢٦ القعدة ١٢١٤ هـ / ٢١ أبريل ١٨٠٠ م .

وراء ، فدخل الفرنسيس من باب الحديد ، وناحية كوم الريش[1] ، وقنطرة الحاجب[2]، وتلك النواحى وهم يحرقون بالقنابل والنيران على الشرح المتقدم ، ويملكون المتاريس إلى أن تجاوزوا باب العدوى[3] ، ومن ناحية باب الحديد ، وخطة المقس إلى قرب باب الشعرية ، وكان شاهين أغا متترسًا بكوم الريش فأصابته جراحة فقام من مكانه ، ورجع القهقرى ، فعند قيامه من متاريسه ورجوعه إلى خلف وقعت الهزيمة ، وداس الناس بعضهم البعض ؛ هذا والبرديسى والأشقر ومصطفى كاشف رستم ، يسعون في الصلح إلى أن تمموه على الموادعة وترك القتال ، وأن الفرنسيس يمهلون العساكر والأمراء ثلاثة أيام ، حتى يقضوا أشغالهم ، ويذهبوا حيث أتوا ، وجعلوا مجرى الخليج حدًا بين الفريقين ، لا يتعدى أحد من الفريقين بين ذلك الحد، وبطل الحرب وخمدت النار ، وأخذ العسكر والأمراء فى أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم ، وكان مما شرط فى الصلح ، تزويد الفرنساوية لهم ، وإعطاؤهم جمالاً وغير ذلك ، فوفى كبير الفرنسيس بذلك ، وكتبوا بعقد الصلح ورقة شرطوا فيها أنهم يتركون عند الفرنسيس البرديسى والأشقر ، ويرسلون ثلاثة أشخاص من أعيانهم، يكونون بصحبة العسكر عند رحيلهم مع عثمان كتخدا رهينة ، كما أن البرديسى والأشقر رهينة عند الفرنسيس ، وأن يذهب داماس بعساكر خلف العساكر العثمانية لحد الصالحية ، ومن أراد الخروج / من أهل مصر فليخرج خلا عثمان بيك الأشقر ، فإنه إذا رجع الثلاثة أنفار من الفرنسيس يذهب هو مع البرديسى إلى مراد بيك بالصعيد ، إلى آخر المضمون ، وأرسلوا الثلاثة المذكورين إلى خطة الجمالية ، ومعهم الألفى ماشى هو ومماليكه وأجناده ، وبأيديهم البندق ، والثلاثة الفرنسيس مشاة مع الألفى والمماليك محدقة بهم من جميع الجوانب مخافة من ثوران العامة عليهم ، فيقتلون واحدًا منهم ويهينونه ، فيختل أمر الصلح ، ويتسع الفساد ، وخيولهم تقاد بين أيديهم ، فلما وصلوا للجمالية ، ثارت العامة ، وصاحوا وصرخوا ، وقالوا : «الصلح منقوض ولا يكون إلا التقال» ، وأرادوا الفتك بالأنفار الثلاثة الرهائن ، فأصعدهم محمد بيك الألفى بجامع الجمالى[4] ، وأوقف حرسًا على بابه من مماليكه وبيدهم السلاح ، حتى بردت نار العامة ، وبطل صياحهم ،

١١١ ب/

---

(١) كوم الريش : موضع قريب من فم الخليج ، وتقع بالقرب من هذا الموضع عدة قناطر .

(٢) قنطرة الحاجب : سميت قنطرة الحاجب ، لأن الذى بَنَاهَا هو الأمير بكتمر الحاجب ، أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون .

(٣) باب العدوى : أنظر ، ص ٨٤ ، حاشية رقم (٦) .

(٤) جامع الجمالى : أنشأه جمال الدين الاستادار سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ - ١٤٠٨ م ، بشارع الجمالية ، ويعرف بالجامع المعلق . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ١١ .

فذهبوا بهم لبعض البيوت بالجمالية، واستمروا كذلك حتى سافروا مع عثمان كتخدا، وكذلك ثارت العامة فى هذا الوقت بعثمان كتخدا ، فأغلق دونهم باب خان ذى الفقار الذى كان جالسًا به ، وزجرهم العسكر ، وطردوهم ، وركب المغربى فذهب إلى الحسينية لإظهار أنه يريد محاربة الفرنسيس ، وأنه ينقض الصلح ، فحضر بعض عقلاء أهل الحسينية إلى عثمان كتخدا ، يأخذون منه إذنًا فى موافقة المغربى أو منعه فلم يأذن لهم ، وأمرهم بمنعه ، وركب المحروقى ، ومر بسوق الخشب[1] ، وأمامه شخص ينادى بلزوم المتاريس ، وأنه لا صلح ، فمنعه نزله أمينى ، وفتح باب الخان وخرج منه عسكر بأيديهم العصىّ ، فطردوا العامة ، ففروا وسكن الحال .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة[2]

فيه[3] ، خرج العثمانية / وعسكرهم ، وإبراهيم بيك وأمراؤه ، والألفى ، / ١١٢ أ والسيد عمر النقيب ، والسيد أحمد المحروقى ، وكثير من أهل مصر ركبانًا ومشاة ، وكَذَلِكَ حسن بيك الجداوى ، وأما عثمان بيك حسن ، فإنه استمر بعرضى همايون ، فكانت مدة الحرب والمحاصرة بما فيها من ثلاثة أيام الهدنة سبعة وثلاثين يومًا ، وقع بها من الحروب والكروب ، والإنزعاج والشتات ، والهياج وخراب الدور ، وعظيم الأمور ، وقتل الرجال ، ونهب الأموال ، وتسلط الأشرار ، وهتك الأحرار ، وخصوصًا ما أوقع الفرنساوية بالناس بعد ذلك ، مما سيتلى عليك بعضه ، وخرب فى هذه الواقعة معظم عماير مصر ، وعدة جهات من أخطاط مصر الجليله ، وخصوصًا بركة الأزبكية ، ذات المحاسن البهية .

وأما بركة الرطلى وما حولها من الدور والمتنزّهات والبساتين ، فإنها صارت كلها تلالاً وخرايب وكيمان أَتْرِبَةٍ ، وقد كانت هذه البركة من أجل متنزهات مصر قديمًا وحديثًا ، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك ، والسبربخ والجسر ، وكانت تعرف أيضًا ببركة الطوابين ، وبركة الحاجب[4] نسبة للأمير بكتمر الحاجب من أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، لأنه هو الذى احتفرها وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى ، وبنى القنطرة المنسوبة إليه ، وَعَمَّرَ عليها الدور والمناظر ، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورًا بهية ، وكان هذا الجسر من أجل المتنزهات ،

(١) سوق الخشب : سوق كان قائمًا بالقاهرة لبيع الخشب وأدوات النجارة .

(٢) الجمعة ١٢١٤ هـ / ٢٦ أبريل - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م . (٣) الجمعة ١٢١٤ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٠ م .

(٤) بركة الحاجب : هى بركة الرطلى ، وعرفت ببركة الحاجب نسبة للأمير بكتمر الحاجب ، أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون .

وقد خربت منازله فى القرن العاشر فى واقعة السلطان سليم خان مع طُومَان باى[1] ، وصار محله بستانًا عظيمًا قطع أشجاره ونخيله الفرنسيس ، وفيه يقول بعضهم من قصيدة :

١١٢ ب/

أَصَابَت الجِسرَ عَيْنُ الدَّهْرِ فانقَصَفَا ... وَلاحَ بَدْرُ التَّصَابِى فِيه مُنْخَسِفًا /

وأَعيُنِ البَحْرِ قَدْ فَاضَت مُعكَّرَةً ... تَبْكِى عَلَى زَمَنٍ قَدْ كَانَ فِيه صَفَا

ومنها :

أَيَا رعى اللهُ وَقْتًا مَرَّ حِينٌ حَلاَ ... بِطِيبِ عَيْشٍ لَنَا فِى الجِسْرِ قَدْ سَلَفَا

وكان للقاضى ابن الجيعان[2] عليها دور جليلة ومسجده المعروف به إلى الآن بشاطئها ، ومسجد الحريثى وعرفت ببركة الرطلى ، لأنه كان فى شرقها زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، يقال له الشيخ على الرطلى ، فنسبت إليه ؛ وفيها يقول بعضهم :

فِى أَرْضِ طَبَالَتِنَا بِركَةٌ ... مُدْهِشَةٌ لِلْعَيْنِ وَالعَقْلِ

تَرْجَحُ فِى مِيزَانِ عَقْلِى عَلَى ... كُلِّ بِحَارِ الأَرْضِ بِالرَّطْلِى

وقوله : «فى أرض طبالتنا بركة» ، يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة ، والطبالة امرأة مُغَنِّيَةٌ مَشْهُورَةٌ فِى أَخِرِ دَوْلَةِ الإِخْشِيدِ .

فلما حضر المعزّ بن معدّ الفاطمى[3] إلى مصر وكان يدعى الإمامة والخلافة دون بنى العباس ، فخرجت إليه بجوقتها ومشت أمامه تزفه بالدفوف ، وتقول :

يَا بَنِى العَبَّاسِ رُدُّوا ... مُلَكَ الأَمرَ معَدُّ

مُلْكُكُم مُلْكٌ مُعَارٌ ... وَالعَوَارِى تُسْتَرَدُّ

(١) بالأصل : « مع الغورى » ، والصواب أن تكون واقعة السلطان سليم مع طومان باى ، لأن واقعة السلطان سليم مع الغورى حدثت فى مرج دابق شمال بلاد الشام فى ٢٥ رجب ٩٢٢ هـ / ٢٤ أغسطس ١٥١٦ م .

(٢) ابن الجيعان : (توفى فى أواخر القرن الثامن الهجرى)، وهو مؤلف كتاب «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية» ، وذلك حتى عام ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م . فى أواخر عهد الملك الأشرف . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ١-٢ .

(٣) المعز الدين الله الفاطمى : هو المعز لدين الله أبو تميم معد ، أقيمت له الدعوة بالمغرب كله ، وديار مصر والشام والحرمين ، وبعض أعمال العراق ، ولما قدم مصر ساس الأمور ، ودبّر الأحوال ، وعند قدومه إلى مصر ، كان جوهر الصقلى ، قد رتب له الدواوين ، وموضع السكنى اللائقة بالخلافة . مبارك ، على ، المرجع السابق، جـ ١ ، ص ٤١ .

فأعجبه ذلك وأراد أن ينعم عليها ، فتمنت عليه أن يقطعها هذه الأرض ، فأقطعها إياها ، فعرفت بها .

وبهذه البركة بقعة يطلع بها البشنين[1] وهو اللينوفر يقوم على ساق ، يمتد ذلك الساق إلى أعلى ، على قدر عمق الماء ، بحيث تكون نوّارة كل ساق مساوية لسطح الماء ، ونواره أصفر ، وهو على هيئة الورد المتفتح ، ويحيط بالورق الأصفر ورق أخضر، وفي داخل الورق الأصفر عروق بيض ، يدور نواره مع الشمس حيث دارت ، وفيه يقول / بعضهم : /١١٣ أ

وَبِرْكَةٍ تَزْهُو بِلِـــــــيـــــــنُوفَرٍ	شَبَّهْتُهُ طِيبَةُ بِنَشْرِ الحَبِيبِ
مُفَتَّحُ الأَحْــــــدَاقِ فِي نَوْمِهِ	حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ دَنَتْ لِلْمَغِيبِ
أَطْبَقَ جِفْنَيْهِ عَلَـــــــى خَدِّهِ	وَغَاصَ فِي البِرْكَةِ خَوْفَ الرَّقِيبِ

ومما تخرب أيضًا حارة المقس من قبيل سوق الخشب ، إلى باب الحديد ، وجميع ما في ضمن ذلك من الحارات والدور ، وكذلك خطة العدوى[2] والطنبلى[3] ، والطرطوشى[4] ، وصارت كلها خرائب متهدمة محترقة ، تسكب عند مشاهدتها العبرات ، وتتقطع النفس من الحسرات .

ودخل الفرنسيس إلى المدينة يسعون ، وإلى الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان اصطنعه وأعده العساكر العثمانية ، من المدافع والقنابر والبارود والجلل وآلات الحرب جميعهًا ، وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم ، وذهبوا إلى كبير الفرنسيس ، فلما وصلوا إلى داره وجلسوا ساعة ، أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها : «النصرة لله ، الذى يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس ، وبناء على ذلك صارى عسكر العام يريد أن ينعنم بالعفو العام والخاص ، على أهل مصر وعلى أهل بر مصر، ولو كانوا يخالطون العثمنلى فى الحروب، وأن يشتغلوا بمعايشهم وصنايعهم» .

(١) البشنين : نبات ينمو فى مياه النيل ، ويعرف بعرائس النيل ، ويقف عل ساق تختلف فى الطول ، حسب عمق الماء ، وهو مثل اللينوفر فى جميع أحواله .

(٢) خطة العدوى : خطة تقع خارج باب الشعرية حيث يقع ميدان العدوى ، على رأس شارع سوق الجراية ، وشارع العدوى ، وسكة الفجالة ، وجامع الشيخ العدوى . زكى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٣) خطة الطنبلى : شارع يبتدىء من أول شارع باب الشعرية ، وينتهى لأول شارع الطواشى ، وبه عدة عطف وحارات . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ .

(٤) خطة الطرطوشى : وصحتها خطة « الدشطوطى » ، وهى خطة تقع على يمين المار من شارع الفجالة تجاه باب الشعرية، ويوجد بهذه الخطة جامع وضريح سيدى عبد القادر الدشطوطى . نفس المرجع، جـ ٣، ص ٢٦٣.

ثم نبه عليهم بحضورهم إلى قبة النصر ، بكرة تاريخه[1] ، قاموا من عنده ، وشقوا المدينة ، وطافوا بالأسواق ، وبين أيديهم المناداة للرعية بالأمان والاطمئنان .

فلما أصبح ذلك اليوم[2] ، خرجت المشايخ ، والوجاقلية ، والقلقات ، والنصارى القبط والشوام وغيرهم ، ودخل الموكب من باب النصر ، وقدامهم جماعة من القوّاسة يأمرون الناس بالقيام ، وبعض فرنساوية راكبين خيل بأيديهم سيوف مسلولة ، / ينهرون الناس ويأمرونهم بالقيام ، ومن تباطأ فى القيام أهانوه ، فاستمرت الناس وقوفًا من ابتداء سير الموكب إلى إنتهائه ، ثم تلا الطائفة الآمرة للناس بالوقوف، جمع كثير من الهجانة الفرنساوية بأيديهم سيوف مسلولة، وكلهم لابسون جوخًا أحمر وعلى رؤوسهم طراطير من الفراوى على غير هيئة خيّالتهم ومشاتهم، ثم تتالى بعد هؤلاء طوائف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم ، وإختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من: خيالة ورجّالة إلى أن قدم كبير الفرنسيس، وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى، وعثمان بيك الأشقر، ووراءهم طوائف من خيالة الفرنسيس .

١١٣ ب/

ولما انقضى أمر الموكب : نادوا بزينة البلد ثلاثة أيام آخرها الثلاثاء[3] مع السهر ووقود القناديل ، ثم دعاهم فى يوم الأربعاء[4] ، وَمَدَّ لهم سماطًا عظيمًا ، فيه أصناف المأكولات على طريقة أهل مصر ، وبعد انقضاء الوليمة والطعام خاطبهم على لسان الترجمان أن صارى عسكر يقول لكم : «إنكم تأتون إليه بعد غد يوم الجمعة[5] ، ويعمل لكم تدبيرًا ، ويرتب لكم الديوان ، لأجل تنظيم البلد وصلاح حالكم وحال الرعية » ، ولَبَّسُوا فى ذلك اليوم محمد أغا الطنانى أغاة مستحفظان ، ولَبَّسُوا البكرىّ فروة ، وأعطوه بيت البارودى عوضًا عن بيته بالأزبكية ، ثم انقضى المجلس ، وقاموا من عنده مستبشرين مغترين بالصورة الظاهرة ، وركب الأغا ، ونادى فى البلد بالأمن والأمان .

فلما كان يوم الخميس سابعه[6] ، ذهب كبير الفرنسيس وعظماؤهم وعساكرهم إلى جزيرة الذهب[7] ، باستدعاء مراد بيك لهم ، ومَوعد بينه وبينهم ، فصنع لهم أطعمة ومد لهم أسمطة عظيمة .

---

(١) ١ الحجة ١٢١٤ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٠ م . (٢) ٢ الحجة ١٢١٤ هـ / ٢٧ أبريل ١٨٠٠ م .
(٣) ٥ الحجة ١٢١٤ هـ / ٣٠ أبريل ١٨٠٠ م . (٤) ٦ الحجة ١٢١٤ هـ / ١ مايو ١٨٠٠ م .
(٥) ٨ الحجة ١٢١٤ هـ / ٣ مايو ١٨٠٠ م . (٦) ٧ الحجة ١٢١٤ هـ / ٢ مايو ١٨٠٠ م .
(٧) جزيرة الذهب : ناحية قديمة ، وردت بإسم جزيرة الطائر ، وتتكون أراضيها من قسمين ، قسم أرضه مرتفعة وثابتة ، وهو الساحل الغربى المتصل بأرض العلو ، وفيه مساكن قرية جزيرة الذهب ذاتها ، والقسم الثانى جزائر واقعة فى وسط النيل ، وهى التى يطلق جزيرة الطائر ، ويقال لها جزيرة الذهب . وهى إحدى نواحى قسم أول الجيزة - محافظة الجيزة . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١١ .

وانبسط معهم وافتخر افتخاراً زائداً ، وأهدى لهم الهدايا ، وَقَدَّمَ /. لهم التقادم / ١١٤أ العظيمة ، وأعطاهم ما كان جمعه درويش باشا من الصعيد ، وأرسله لمن بمصر من العساكر العثمانية من الميرة والأغنام وغيرها ، وكان قد حجزه مراد بيك عنده ، وهو مقيم بطرا[1] ، وكان شيئًا كثيراً فيه من الأغنام نحو أربعة آلاف .

وفى ذلك اليوم[2] ، ولَّوهُ إمارة الصعيدِ من دجرجا[3] إلى إسنا[4] .

فلما كان فى صبحها يوم الجمعة[5] ، بكروا فى الذهاب إلى بيت كبير الفرنسيس، ولما جلسوا بالديوان الخارج ، أُهمِلُوا حصة طويلة لم يؤذن لهم ولـم يخاطبوا ، ثم طُلِبُوا إلى المجلس الداخل ، وأهملوا كذلك حصة مثل الأولى ، ثم خرج عليهم كبير الفرنسيس وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم ، فوضع له كرسى بوسط المجلس، ووقف الترجمان وأصحابه حوله ، واصطف الوجاقلية والحكام ناحية ، وأعيان النصارى والتجار ناحية ، وحضر عثمان بيك الأشقر وعثمان بيك البرديسى ، فأخرج صارى عسكر ورقة من كمه وتكلم بما فيها ، وترجم عنه الترجمان ، فقال للحاضرين: «إن صارى عسكره ، يقول لكم : «إنه عفا عنكم مع استحقاقكم للعقوبة، وإنما يطلب منكم عشرة الاف ألف ريال فرنج ، وذلك مقدار ألفين ألف فرانسة ، منها ، على الشيخ السادات مائة وخمسون ألفًا ، والشيخ محمد بن الجوهرى ، خمسون ألفًا، وأخوه السيد عبد الفتاح مثلها ، والشيخ مصطفى الصاوى مثلها ، والشيخ العنانى خمسة عشر ألفًا ، ومائتان وخمسون ألفًا نقتطعها عنكم من المبلغ ، نظير نهب دور الفارّين مع العثمنلى ، /مثل : السيد عمر ، والمحروقى ، / ١١٤ب وحسين أغا شنن، وتدبروا رأيكم فى الباقى توزعوه على أهل البلد» .

وقام من فوره ودخل مع أصحابه إلى مكانه ، وأغلق بينه وبينهم الباب ، وَوَقَّفَ عسكراً على الباب الذى فيه الجماعة يمنعون من يخرج من الجالسين ، فبهت الجماعة وانتقعت وجوههم ، وتحيرت أفكارهم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وتراموا على يقعوب القبطى وأنظاره ، فدخل على كبير الفرنسيس وخرج ، وهو يقول : «إنه قال: يبقى منكم خمسة عشر شخصًا رهينة حتى يتغلق المطلوب » ، فقالوا : «وكيف نعمل ، من يقدر على هذا المقدار العظيم ، وإذا كنا محبوسين من يسعى فى ذلك» ،

(١) طرا : قرية قديمة ، اسمها المصرى «Taraou» ، وهى واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل ، وهى أحد أقسام القاهرة . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥ - ١٦ . .

(٢) ٧ الحجة ١٢١٤ هـ / ٣ مايو ١٨٠٠ م .

(٣) دجرجا : أنظر ، ص ١٠٢ ، حاشية رقم (٥) . (٤) إسنا : أنظر ، ص ١٠٢ ، حاشية رقم (٦) .

(٥) ٨ ذى الحجة ١٢١٤ هـ / ٣ مايو ١٨٠٠ م .

ولم يزالوا فى هذه الحيرة والتداخل على القبطة إلى قبيل العصر ، حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم شرشر من الشبابيك المطلة على البركة ، والشيخ محمد المهدى يتشاور مع يعقوب ، ومن له التكلم فى تدبير ذلك وتوزيعه وترتيبه ، وعملوا بذلك قوائم ، وشرعوا فى تحرير دفاتر حتى ضاق الوقت ، فاستأذنوا للجماعة ، فأذنوا لهم بالذهاب ، وركب الشيخ السادات فلزمه عشرة من العسكر ببنادقهم وَذَهَبُوا معه إلى داره ؛ وأما الشيخ الصاوى ، والسيد عبد الفتاح الجوهرى ، فحبسوهما ببيت قائم مقام، والشيخ العنانى لم يحضر تلك الجمعية بل هرب من قبل ، وكانت داره قد احترقت مدة الحرب بسوق الخشب ، ولما لم يجدوه أضافوا غرامته على باقى الغرامات ، وانفض المجلس على ذلك ، وركب كبير الفرنسيس من يومه ، وَعَدَّى إلى الجيزة ، وأقام بقصر مراد بيك ، وفوض أمر ذلك ليعقوب / القبطى يفعل فى المسلمين ما يشاء ، وأقام بمصر قائم مقام ، والخازندار لمرجع الأمور والمشورة والتدبير وقبض الأموال ، وشرعوا فى تفريد الغرامات وتوزيعها وتقسيمها ، على عموم الناس وخاصتهم من الملتزمين والتجار والمتسببين ، وجماعة الغورية ، وخان الخليلى ، والصاغة[1] ، والنحّاسين[2] ، والدلالين ، والقبانية ، حتى قضاة المحاكم ، وأهل الجمالية، وسائر الأخطاط بما تحوى من الوكائل ، والعطارين ، والزياتين ، والجزارين، والمزينين ، والحدادين ، وجميع الصنائع والحرف حتى الحواة[3] ، والمفزلكين[4] ، والمساخرين ، والقرداتية ، والأمور السافلة ، كل طائفة من هذه الطوائف ألزمت بمال له صورة مثل : ثلاثين ألف ريال فرانسة إلى ثلاثمائة فما فوق .

١١٥ أ/

وأما الشيخ السادات ، فإنه لما توجه إلى داره وصحبته العسكر ، جلس العسكر عند بابه ، فلما مضت حصة من الليل ، حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضًا ، فأركبوه وطلعوا به إلى القلعة، وحبسوه فى مكان، فأرسل إلى عثمان بيك البرديسى، فتكلم فى شأنه ، فقال كبير الفرنسيس : « أما القتل فلا نقتله ، وأما المال فلابد من دفعه»، ثم قبضوا على: مقدّمه، وفرّاشه، وحبسوهما أيضًا ، ثم أنزلوه إلى بيت قائم مقام ، فحبس به يومين ، ثم أصعدوه إلى القلعة ثانيًا ، وسجنوه فى حاصل مظلم ينام فيه من غير فراش ، فطلب ذو الفقار كتخدا ، فطلع إليه هو وبرطلمين ، فتوسطا

(١) الصاغة : سوق مشهور من أسواق العصر العثمانى ، ولا يزال قائمًا حتى الآن على مكانه بشارع الصاغة . الدمرداشى : أحمد : المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٢) النحاسين : سوق النحاسين ، من أسواق القاهرة المشهورة فى العصر العثمانى ، ولا تزال المنطقة تعرف بالنحاسين حتى يومنا هذا .

(٣) الحواة : هم طائفة تقوم بأعمال بهلوانية ، تشغل العامة الذين يعتبرونها ترفيها .

(٤) المفزلكين : هم الذين يقدمون أنواعا من التسلية للجمهور .

فى إنزاله إلى داره ليقضى أشغله ويسعى فى تحصيل المطلوب، فأنزلوه فجمع ما أمكنه من النقد ومـا وجده من المصاغ / والفراء والملابـس فقوّموه بأبخس الأثمـان ، فبلغ المدفوع نقدية ومقـوماته إحدى وعشرين ألف فرانسة ، كل هذا والمحـافظون عليه من العسكر ملازمون لـه لا يفارقونه ولا يتركونه يدخل إلى حـريمه ، وكان الحريم اختفى بمكان ، فلما فرغوا من تقويم الأعيان ، وقـبض الدراهم جاسوا خلال الديار يفتشون ويحفرون الأرض حتى فتحـوا الكنيفات ، فلم يجدوا شيئاً ، ثم نـقلوه إلى بيت قائم مقـام ، وشددوا عليـه بالحبـس والضرب ، وطلـبوا حريمـه وابنه فـلم يجدوهـما ، فأحضـروا ابن السندوبى تـابعه وقرّروه وهددّوه ، فـعرَّفهم بمكـانهما فأحضـروهما ، وحبسوا ابنه عند أغا الانكشارية ، وحبسـوا حريمه معه ، لترى وتشاهد ما هو فيه من الضيق والإهانة، فتقر بالدراهـم، ثم إن: الـشيخ الشرقـاوى، والمهدى، والفيومى، وذا الفقار كتخـدا ، تشفعوا فى نقلها إلـى مكان آخر ، فنقلوها إلى بـيت الفيومى ، وبقى الشيخ عـلى حاله، وأخذوا يقرّرون أتباعه عـلى ما يعلمونه وتغيّب أكـثر أتباعه واختفى .

/ ١١٥ ب

وقد وقعت المراجـعة والشفاعة فى غرامة الـشيخ الصاوى ، والشيخ عـبد الفتاح الجوهرى فأنقصوهما ، وتقرر على كل منهما خمسة عشر ألف فرانسة ، وردوا الباقى على الفردة العامة .

وأما الشيخ مـحمد إبن الشيخ الجوهرى : فـإنه اختفى فلم يجـدوه فنهبوا داره، ودار نسيبه وصـهره المعروف بالشويخ ، ثم إنـه توسل سرًا بالست نفـيسة زوجة مراد بيك ، فَأَرْسَلَت إلى مراد بيك ، وهو بالقرب من الفشن[1] ، فأرسل من طرفه كاشفًا وتشفع فـيه ، فقبلوا شفـاعته ورفعوها / عـنه ، وردوها أيضًا على الفـردة العامة ، وكان هذا شأنهم كلما وقعت المرافعة فـى شىء ردّوه على الباقى ، ولا ينقصون مما قد قدرّوه فى الأصل شيئًا .

/ ١١٦ أ

ثم إن يعقوب اللعين عمل ديوانًا لخاصة نـفسه ، ورتبه ببيت البارودى ، وأحضر المباشرين ومشايخ الحرف والأخطاط ، وكتب القوائم ، وقرر على الأماكن والعقارات والأوقاف أجرة سـنة ، وألزم كل كبـير فى خطه ، بـتحصيل مـا تقرر على جـهته ، وأعطوهم عسـكرًا من الفرنسيس يـستعينون بهم فـى التحصيل ، وعمل كـل كبير فى جهة له ديوانًا، واجتمع عنده كتبة مختصة به ، قبطة ومسلمون وأعوان ، وبعض من عسكر الفـرنسيس ، فطلبوا مـن الناس ضعف ما قدره يعـقوب ليكتسبوه لأنـفسهم ،

(١) الفشن : قرية قـديمة ، كانت قاعدة لولاية البهـنساوية فى العصر العثـمانى ، ثم أصبحت قاعدة لمديـرية الأقاليم الوسطى ، ثم قاعدة لمركز الفشن ، محافظة بنى سويف . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٨٨-١٨٩ .

وبثوا أعوانهم من القواسة وعسكر الفرنسيس فى طلب الناس وحبسهم وضربهم وعقابهم ، والمرجع فى ذلك كله إلى الديوان الكبير ، وهو ديوان يعقوب ، فدهى الناس بهذه الداهية التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها .

ومضى عيد النحر[1] ، ولم يشعر به أحد ، ونزل بهم من البلاء والذُّل ما لا يوصف ، فإن الواحد من الناس غنيًا كان أو فقيرًا لابد أن يكون من ذوى الصنائع أو الحرف ، فيلزمه شقص[2] ما وُزِّعَ عليه فى حرفته أو حرفتيه ، وأجرة داره أيضًا وحانوته سنة معجلة ، فكان يأتى على الشخص الواحد غرامتان أو ثلاثة أو أكثر ، إذ قد يتجر الإنسان فى بضائع متعددة ، وكل نوع من أنواع المتاجر ألزم أهله بغرامة ، وفرغت من الناس الدراهم ، واحتاج كل واحد إلى الاقتراض ، فلم يجد من يدفع له على / سبيل الاقتراض ، لاشتغال كل إنسان بغرامته ومصيبته ، فاضطروا لبيع المتاع فلم يجدوا من يشتريه أيضًا ، وإذا أعطوهم ذلك فلا يقبلونه ، فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه .

١١٦ ب/

ثم وقع الترجى فى قبول المصاغ والحلى ، وأوانى الذهب والفضة ، فإذا أحضر الإنسان ما عنده قُوِّم بأبخس الأثمان ، وأما أثاث البيوت من فرش ونحاس وملبس ، فلا يوجد من يأخذه ، وأمروا بجمع البغال ، ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقًا ، سوى خمسة أنفار ، وهم : الشرقاوى ، والمهدى ، والفيومى ، والأمير ، وأحمد بن محمود محرم ، والنصارى لا حرج عليهم فى ذلك .

وفى كل وقت وحين يشتد الطلب ، وينبث المعينون من القوّاسة والعسكر فى طلب الناس ، وهجم الدور وسحب الأشخاص بالكره والعنف ، حتى النساء من أكابر وأصاغر ، فيأتون بهم على أسوأ حال ويهينونهم ويحبسونهم ويضربونهم ، والذى لم يجدوه لفراره أو اختفائه يقبضون على ابنه أو زوجته أو قريبه ، أو ينهبون داره ، فإن لم يجدوا شيئاً ردوا غرامته على أبناء جنسه وأهل حرفته ، وإن كانت الغرامة من قبل الحرفة ، فإن كانت من قبل الحانوت أو المنزل ردوها على جيرانه ، وتطاولت النصارى البلدية على المسلمين بالضرب والإستهزاء والسخرية ، ونالوا منهم أغراضهم ، وطعنوا فى دين الإسلام ، وصرّحوا بإنقضائه ، وإذا ضربوا مسلمًا ، وتألّم واستغاث ، يقولون له : «وأين محمّدكم الذى تزعمون أنه يشفع لكم» . وأمثال هذا الكلام الذى يقشعرّ القلب من سماعه .

(١) ١٠ الحجة ١٢١٤ هـ / ٥ مايو ١٨٠٠ م .
(٢) شَقْصَ : دفع أو تسديد .

هذا والكتبة والمهندسون والبناءون ، / يطوفون ويحررّون أجر الأماكن والعقارات ، ويكتبون أسمآء أربابها وقيمتها ، وخرجت الناس من المدينة وهربوا إلى القرى والأرياف ، وكان ممن خرج من مصر صاحبنا المشار إليه فتوجه لجهة الصعيد ، وأقام بأسيوط[1] ، حتى لم يبق بمصر أحد من الفرنسيس رجع ، فكانت مدة غيبته نحو ثمانية عشر شهراً ، وكان كثيراً ما يراسلنى بالمكاتبة ، ويبالغ فى ذكر تشوقه إلى مصر، ومن جملة رسائله ، وقد أرسلت له كتابًا فأجاب ، بقوله : «قد وصل إلىّ أعزك الله كتابك الذى بـرّد بوروده لهيب الحشا ، وأودع من البلاغة ما نطق بأن الفضل بيد الله يؤتيه ما يشاء ، فهو كالبرد الموشّى ، والروض الذى هو بلالىء الزهور مغشّى ؛ جاء مفصحاً عن بلاغة وبراعة ، منبئًا عن قريحة لدى تحرير القول وتحبيره منقادة مطواعة :

فَفِى كُلِّ سَطْرٍ مِنْهُ شَطْرٌ مِنَ الْمُنَى ... وَفِى كُلِّ لَفْظٍ مِنْهُ عُقْدٌ مِنَ الدُّرِ

فلله هو من كتاب ، جمع محاسن الخطاب ، حرّك عندى ما كان كامنًا فى الفؤاد، وأضرم فى الأحشاء نار الهوى كورى الزناد ، وطالما قد كنت متشوقًا لأخبار، ومتشوقًا لاستعلام أحوال وآثار ، فجاء كتابك يا سيدى شافيًا عليل التذكر ، مبرّدًا غليل التشوق والتفكّر ؛ سرت حميًا ألفاظه فى فؤاد المشوق ، ووقعت عنده موقع لقاء العَاشِقِ المعشوق ؛ فلله من كتاب أخبر عن محاسن الأحبة ، قال له القلب حين مارجه وأحبّه : إيه ، أحاديث نعمان وساكنه ، / وهات حديث عن نجد وقاطنه ؛ / ١١٧ب تلك شئون طال بها العهد ، والجر عليها ذيل الحوادث وامتدّ ؛ وما كنت أوثر أن يمتد بى الزمان ، حتى أرى الأسفار تتلاعب بى كالكرة فى ميدان البلدان ، حصل لى القهر بخروجى من القاهرة ، وأغبرّ أخضر أيامى الزّاهرة ؛ ولقد ألجأتنى خطوب الأغراب، واضطرتنى شئون السفر الذى هو قطعة من العذاب ؛ إلى التقلب فى قوالب الاكتساب ، والتلبس بتلبّس الانتساب ؛ وإخفاء معالم المجىء والذهاب :

فَطَوْرًا شَيْخٌ زَاوِيَةٍ وَفَقْرٍ ... وَأُخْرَى كَاتِبٌ فِى بَابِ وَالِى

أسلك الوفاق مع الرفاق ، ولا أركب المشاق بجلب الشقاق :

طَوْرًا يَمَانٍ إِذَا لاَقَيْتُ ذا يُمَنٍ ... وإِنْ رَأَيْتُ مُعَدِّيًا فَعَدْنَانِى

(١) أسيوط : من المدن القديمة ، إسمها المصرى المقدس "Atf Khonti" واسمها المدنى "Saut" ، والقبطى "Siout" ، والعربى سيوط ، وهى إحدى المدن المصرية الكبرى ، وقاعدة محافظة أسيوط . رمزى ، محمد: المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٥-٢٦ .

وبهذا وأشباهه تم الدست ، وثبت حبل الحبالة آمنًا من السبت ؛ بأخذى بالتخلق بأخلاق مـن عاصرنا من أبـناء الدهر الذى حـلبوا أشطـره ، ومارسوا أخضر الـعيش وأغبره ، حتـى انطبعت فى مـرآة عقولهم حقائـق الأشياء ، ولاحت لهم أكـنَّتُهَا بغير خفـاء ؛ وغير خاف أن المـاء يمازح اللـبن والراح ، وكمـا يكون به الحـتف يكـون به الإرتياح :

لَئِنْ كَنَتَ فِى بَعْض المَواضِعِ عَـــالمًا   فَلَلْجَهْلِ فِــــى بَعْضِ المَواضِعِ أَحْوجُ

فصل

«وقد كدت من الـشوق الذى اجتلبه كتـابك أطير إليك بلا جـناح ، وأركب متن اليمّ آيبًا بالهلك أو بـالنجاح ؛ وكان من أقوى أسباب القدوم مشاهدة طـلعتكم المزرية بأزاهر النجوم ، ولقاء أحباب ينفتح بهم بـاب المسرّه ، ويفوح عبير الرياض التى بعدنا صارت مـغبّرة ؛ / فحـين عزمت عـلى السفـر وصمّمت ، وأخـذت فى الاستـعداد وتأهّبت؛ حدثـت عوائق فى الطريق ومـوانع ، ولا وزر بما قضى الله شافـع ؛ بسبب الكرنـتينات ، التى هـى من البلاء والآفات ؛ أقـيمت كالشـجا فى فم البر والـبحر ، بداعية أمر الطاعون الذى يتلى علينا من حديثه سورة الإنشقاق[1] والفجر[2] ؛ وحلوله بالـقاهرة وضـواحيها ، وانـتشاره فـى أرجائهـا ونواحيـها ؛ وكل هذا هيّنٌ بـالنسـبة للمتـوقّع ، التى كادت الأفئدة مـن أصغره السابق تـنقطع ؛ وبه كان فراقـى للوطن ، ونبوّى عن الأهـل والسكن ؛ فحينـئذ تحققت أن لا خلاص ، مـن هذه البلاد ولات حين مناص ؛ إذ لا يُلْدَغُ مسلم من جحر مرتين ، ولا يكـرّ العاقل على نفسه بالندامة كرتين ؛ فراجعت نفسى عما عزمت عليه من السفر ، وأشفقت عليها من ورود موارد الخطل والخطـر ؛ وخاطبت ما هجسَ فـى البال ، من السفـر والإرتحال ؛ الذى قوّاه مطالعة كتابك ، وأيقظه من رقدته سحر خطابك ، شعر :

١١٨ أ/

طَرَقَتْكَ صَـــائِدَةُ الــقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا   وَقْتِ الـــزِّيَارةِ فــــــارْجِعِى بِسَلامِ»

ثم أطال فـى أغراض أخر ، وجال فى أسـاليب الكـلام وفنونه ، ثم رجـع أكثر الفاريّـن لضيق القـرى ، وعدم ما يتعيشون به فيهـا ، واختلاف الأرياف وإنزعـاجها بقطّاع الطريق والعرب والمناسر[3] بالليل والنهار ، والقتل فـيما بينهم ؛ وتعدى القوى

(١) سورة الإنشقاق ، رقم (٨٤) .   (٢) سورة الفجر ، رقم (٨٩) .

(٣) المناسر : مفردها «منسر» ، وتعنى :

علـى الضعيـف ، واستمرت أسـواق المدينـة مُجْفِرَةٌ ، والطرق مُقْفِرَةٌ ؛ والحوانـيت مقفولة، والـعقول مخبولة ؛ والوكائل مـغلوقة ، والنفوس / مطبـوقة ، والغرامات هاطلـة، والأرزاق عاطلة ؛ والمـطالب عظـيمة ، والمصـايب عميـقة ؛ والعكـوسات مقصودة ، والشفاعات مردودة ؛ وإذا أراد الإنسان، أن يفر إلى أبعد مكان ، وينجو بنفسه، ويرضى بغـير أبناء جنسه ؛ لا يجد طريـقًا للذهاب ، وخصـوصًا من أشرار الأعراب ؛ الذيـن هم أقبح الأجـناس ، وأعظم بـلاء محيط بـالناس ؛ وبالجـملة ، فالأمر عظيم ؛ والخطب جسـيم ، ولا حـول ولا قـوة إلا بالله العلـى العظيم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد ﴾[1] .

/١١٨ ب

وفى عشـرينه ، انتـقلوا بديـوان الفردة من بيـت البارودى إلى بـيت القيـسر لى بالميدان، ووقع الـتشديد فى الطلب ، والانـتقام بأدنى سبب ؛ وانقـضى هذا العام ، وما جرى فيه من الحوادث العظام ، بإقليم مصر والشام ، والروم والبيت الحرام .

فمنهـا ، وهو أعظمها ، تـعطيل الثغور ، ومـنع المسافرين بـرًا وبحرًا ، ووقوف الإنكليز بثغـر الإسكندرية ودمياط ، يمنعون الصادر والوارد ، وتخـطوا بمراكبهم أيضًا إلى بحر القلزم[2] .

ومنها : إنقطاع الحجّ فى هذا العام أيضًا .

ومنـها : وقوف الـعرب وقـطّاع الطريـق بجمـيع الجهـات القبـلية والبحـرية ، والشرقية، والغـربية ، والمنوفية ، والدقهلـية ، وسائر النواحى ، فمنعـوا السبل ولو بالخَفَارَة ، وقطعوا طريق السفّار ، ونهبوا المارين مـن أبناء السبيل والتجار ، وتسلطوا على القـرى والفلاحين وأهل البـلاد بالعرى والخطف لـلمتاع ، والمواشى مـن البقر والغنـم والجمال والحميـر ، وإفساد المزارع ورعيـها حتى كـان أهل البلاد لا يمكـنهم الخروج بمواشيهم إلـى / المزارع للرعى أو للسقى لترصد الـعرب لذلك ؛ ووثب أهل القرى على بعضهـم ، وتلبسوا بأنواع الشرور ، واستعان بعضـهم على بعض بالعَرب فداخـلوهم وتطـاولوا عليـهم ، وضربوا عـليهـم الضرائب ، وتـقوّى القوىّ عـلى الضعـيف ، وطمعت الـعرب فى أهل البلاد ، وطـالبوهم بالـثارات والعوايد الـقديمة الكذابة ، وآن وقت حصاد الزروع فاضطروا لمسالمتهم .

/١١٩ أ

ولما انـقضت حروب الـفرنسيـس ، نزل عسكـرهم إلى البـلاد ، واحتجوا عـلى الفلاحين بمصادقتهم العرب ، فَضَرَبُوهُم وَسَبُّوهم وطالبوهم بالمغارم وَالْكُلَفِ الشاقة ،

(١) سورة هود ، رقم (١١) : آية رقم (١٠٢) .   (٢) القلزم : البحر الأحمر .

فـإذا انتقلوا عنـهم رجعت العرب على أثرهم ، فلا يمكن أهل الـبلاد منهم ، وهكذا استمر الحال.

ومنها ، أن النيل قـصر مدّه فى هذه السنة فشرقت البـلاد ، وارتحل أهل البحيرة إلى المنوفـية والغربية ، فانسـحبت أرجل عربان البحـيرة معهم ، وبقى لهـم كما قال العامة فى المثال بالحىّ نخيل .

ومنـها : أنـه لما حضـرت عسـاكر العـثمانـية ، وشـاع أمر الصـلح ، وخـضوع الفرنساوية ، نزل طائفة من الفرنسيس إلى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم، فلما مروا بالمحلة الكبيرة[1] ، تعصب أهلها واجتمعوا على قاضيها وخرجوا لحربهم ، فأكمن الفرنسيس لهم وضربوهم بالمدافع والبنادق ، فمات من أهل البلد نيف وستمائة إنسان ، وفيهم القاضى وغيره ، ولم يـنج منهم إلا من فَرَّ ، وكذلك أهل طنطا[2] ، عند حـضور الفرنـسيس إليهـم صادف أنه وصل إلـيهم رجل من الجـزارين المنتـسبين للعثمـانية من جهة الشرق ، يقـصد زيارة سيدى أحمد البـدوى ، وهو راكب على/ ١١٩ ب/ فرس، وحولـه نحو خمـسة أنفار ، وكـان بعض الفرنـسيس بداخـل البلدة يـقضون أشغالـهم ، فصاحـت السوقة والـباعة عنـد رؤية ذلك الرجـل بقولهـم : «نصر الله الإسلام»، وهاجـوا وماجوا وزغرطـت النساء والصـبيان ، وسخـروا بالفرنـسيس ، وتراموا بما على رؤوسهم وضربوهم وجرجروهـم وطردوهم ، فتسحبوا من عندهم ، فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا إليهم بجـمع من عسكرهم ومعهم آلات الحرب والمدافع . فاحتاطـوا بالبلدة وضربـوا عليها مدفعًا ، ثـم هجموا على الـبلد ودخلوها وبـأيديهم السيـوف مسلولة ، ويقـدمهم طبلـهم ، وطلبوا خـدمة الضريح الذى يـقال له أولاد الخادم، وهم ملـتزمو البلدة وأكابـرها ومتهمون بكـثرة المال ، وكانوا قبل ذلـك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإغراء نصـارى القبط ، وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب ، فـلما وصلوا إلى دورهم طلبوهم ، وأخذوهم خارج البلد وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام يـأخذون كل يوم من البلد كلفة وقدرها من الدراهم ستـمائة ريال ، ومن الأغنام والجـواميس والأقوات شيء كثيـر : ثم ارتحلوا

(١) المحلة الكبرى : مدينة مصـرية قديمة ، إسمها الأصلى "Dichouseya" والقبطى Dakala دقك ، وهى مدينة صناعية ، وقاعدة مركز المحلة الكبرى ، محافظة الغربية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٦-١٨ .

(٢) طنطا : مـدينة قديمة و إسمها الـقبطى "Tantatho" ، وردت فى بطـاركة الإسكندريـة باسم طانـيطاد ، زادت شهرتها بعـد أن دفن بها ولّى الله تعالى السـيد أحمد البدوى ، وهى قاعدة محافظة الغربية . نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٠٢-١٠٣ .

وأخذوا المذكورين صحبتهم إلى منوف[1] ، وحبسوهم أيامًا ، ثم نـقلوهم إلى الجيزة فى مدة الحرب بمصر ، فلما انقضت تلـك الأيام ومشت عساكرهم فى البلاد ، نزلت طائفة إلى طنطا وبصحبتهم الجـماعة المذكورون ، وقرروا عليهم واحدًا وخمسين ألف ريال فرانسـة ، وعلى أهل البلد مـائة ألف ، وأقاموا حول الـبلد محافظين عـليهم ، وأطلـقوا بعـضهم ، وحجـزوا المسمـى بمصطـفى الخادم ، لأنه صـاحب الأكثـر فى الوظيفة والإلتزام ، وطالبوه / بالمال ، وفى كـل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب / ١٢٠أ والضرب حتى عـلى كفوف يديه ورجليه ، ويـربطونه بالشمس فـى قوة الحر والوقت مصيف ، وهو رجل جسـيم كبير الكرش ، فخرجت له نفاخـات ، ثم أخذوا خليفة المقام ، وذهـبوا به إلى مـنوف ، ثم ردوه وولُّوه رئاسـه جمع الدراهـم المطلوبـة من البلد، فوزعت على الدور والحوانيت والمعـاصر وغير ذلك ، واستمر الحال على ذلك إلى آخر الـعام ، حتى أخـذوا الطلائع الذهـب التى علـى المقام ، وكانـت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال .

وأما المحلة الكـبرى ، فإنهم رجعوا عليهـا ، وجعلوا عليها نيـفًا ومائة ألف ريال فرانسة ، وأخذوا فى تحصيـلها وتوزيعها على الناس ، وهجموا علـيهم الدور وتتبعوا الأغنياء مـن أهلها . كل ذلك مع اسـتمرار طلب الكـلف الشاقة فى كل يـوم منها ، ومن طنطا ، والتعنت عليهم ، وتسلط طوائـف الكشوفية التابعين لهم الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس ، بل ومن العرب ، فإنهم معظم البلاء أيضًا ، لأنهم يعرفون دسائس الـبلاد وخفياتهـا ، ويتتبعون أحـوال أهلها ، ويتـجسسون على عـوراتهم ، ويغرون بهم ، واستمروا على ذلك أيضًا .

ومنهـا : أنها لما وقع الصـلح بين العثـمانية والفـرنساوية ، أرسل حضـرة الوزير فرمانات إلى الثغور بإطلاق الأساكيل[2] وحضور المراكب والتجار بالبضائع والتجارات إلى الثغور المصرية ، فحضر عدة مراكب إلى ثغر الإسكندرية ، وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية ، وسفن مشحونة بالذخيرة ، لحضرة الوزير ولوازم العسكر . فلما قربوا من الثغر أقامت أهل المـراكب البنديرات[3] / وضربوا مدافع للشنك فـطمَّعهم الفرنساوية / ١٢٠ب وأظهروا لهم المسالمة ، وأقـاموا لهم البنديرات العثمانية ، فـدخلوا إلى الميناء ، ورموا المراسى[4] ، ووقعوا فى فخ الفـرنسيس ، فاستولوا على الجميـع ، وأخذوا مدافعهم

(١) منوف : أنظر ، ص ١٠٥ ، حاشية رقم (٣) . (٢) الأساكيل : جمع أسكلة ، وهى المينا بالتركية .

(٣) البنديرات : مفردها بنديرة وتعنى «العلم» .

(٤) المراسى : مفردها «مرساة» ، وتعنى ما يعرف «بالهلب» اللذى يمسك السفينة بحائط الميناء .

وسلاحهم وحَبَسُوا القباطين[1] ، وأعيان التجارة ، وأخذوا المراكبية والغليونجية والمتسببن وأكثرهم نصارى أروام ، وتجرجية[2] ، وهم عدة وافرة ، وأعطوهم سلاحًا وتزيّى البعض بزِيِّهم وَأَضَافُوهُم إلى عسكرهم ، وأرسلوا منهم طائفة لمصر ، فكانوا أقبح حالاً من الفرنسيس فى تسلطهم بالإيذاء على المسلمين ، ثم أخرجوا شحنة المراكب من : بضائع ، ويميش ، وحازوه بأجمعه لأنفسهم ، وكان ذلك فى وسط شهر ذى القعدة[3] .

ومنها : أنه بعض نقض الصلح أرسل الفرنسيس عسكرًا إلى متسلّم السويس الذى كان تولاها من طرف حضرة الوزير ، فتعصّب معه أهل البندر وحاربوهم ، فتغلّب الفرنسيس ، وَقَتَلُوا جماعة ونهبوا البندر وما فيه من أنواع المتجر بحواصل التجار وغير ذلك .

ومنها : أن مراد بيك عند توجهه للصعيد بعد انقضاء الصلح ، أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد من أغنام وخيول وميرة ، وكان شيئًا كثيرًا ، فتسلم الجميع منه ، وعدى درويش باشا للجهة الشرقية متوجهًا إلى الشام ، وأرسل مراد بيك ما تسلّمه لكبير الفرنسيس بمصر .

ومنها : أنه بعد انقضاء المحاربة ، واستيلاء الفرنسيس على المخازن والغلال التى كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية ، وبعض البلاد الغربية وغيرها ، والشعير والتبن، طلب / الفرنساوية مثل ذلك ، وفرضوا على البلاد غلالاً وشعيرًا وفولاً وتبنًا وزادوا خيلاً وجمالاً . فوقع على كل إقليم ألف فرس وألف جمل ، سوى ما يدفع مصالحة على قبولها نحو ثمنها وَأَزْيَدُ، وكذلك التعنت فى نفض الغلال وغربلتها وغير ذلك ، وكل ذلك بإرشاد النصارى القبطة ، لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة ، وتقاسموا الأقاليم ، وإلتزموا لهم بجمع الأموال ، ونزل كل كبير منهم إلى إقليم ، وأقام أبهة نفسه ، وتمثل فى صورة أمير كبير ، ومعه عدة من العساكر الفرنساوية ، وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم ، والخيام والخدم والفراشون والطبّاخون والحجّاب ، وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهوانات والخيول المسومة والقواسة والمقدمون ، وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة ، والأسلحة الكاملة ، ويرسل إلى ولايات الأقاليم من جهته المستوفين من القبط أيضًا، بمنزلة الكشّاف، ومعهم العسكر من الفرنسيس، والطوائف، والجاويشية،

١٢١ أ/

(١) القباطين : مفردها «قبطان» ، قائد السفينة أو رئيسها .　　(٢) تجرجية : تعنى «التجار» .

(٣) ١٥ القعدة ١٢١٤ هـ / ١٠ أبريل ١٨٠٠ م .

والصيارف ، والمقدمون ، على الشرح ، فينزلون على البلاد والقرى ، ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ، ويضربون لهم أجلاً بالساعات ، فإن مضت ولم يوفوهم المطلوب ، حَلّ بهم مَا حَلّ من الحرق والنهب والسلب والسبى ، وخصوصًا إذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم ، وإلا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم ، وسحبوهم معهم فى الحبال ، وأذاقوهم العذاب والنكال ، وخاف الباقون / فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل[1] والرشوات ، وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين، وتقربوا إليهم بما يستميلون به قلوبهم، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم ، وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم ، وما يوجبه الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم . /١٢١ ب

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين وألف[2]

كان ابتداء المحرم فى يوم الأحد[3] .

فى خامسه[4] ، اصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة ، ومنعوه من الاجتماع بالناس وهى المرة الثالثة .

وفيه[5] ، أشيع حضور مراكب وغلايين سلطانية إلى ثغر اسكندرية ، وسافر كبير الفرنسيس وصحبته عساكر ، فغاب أيامًا ثم رجع ، ولم يظهر لهذا الخبر أثر .

وفى حادى عشرينه[6] ، أعادوا الشيخ أحمد العريشى إلى القضاء كَمَا كان ، وَعَمَلُوا له موكبًا ، وركب معه أعيان الفرنسيس وصوارى عسكرهم بطبولهم وزمورهم ، وبجانبه قائم مقام « عبد الله منو » الذى كان صارى عسكر برشيد[7] ، فلم يزالوا معه حتى وصل إلى المحكمة .

وفى ذلك اليوم[8] ، وقعت نادرة غريبة ، وهى أن كليبر كبير الفرنسيس ، كان مع كبير المهندسين من الفرنسيس ، يسيران بدهليز البستان الذى فى داره ، فدخل عليه شخص وقصده ، فأشار عليه بالرجوع ، وقال له : «مافيش» ، وكررها ، فلم يرجع ، وأوهمه أنه صاحب حاجة وهو ملهوف ، فلما دنا منه مد إليه يده اليسار ، فمد إليه الآخر يده ، فقبض عليها وضربه بخنجر ، كان أعده فى يده اليمنى ثلاث ضربات متوالية ، فسقط إلى الأرض صارخًا ، فصاح رفيقه فذهب إليه / وضربه /١٢٢ أ

(١) البراطيل : العطيا والبلص .
(٢) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .
(٣) ١ محرم ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ م .
(٤) ٥ محرم ١٢١٥ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠٠ م .
(٥) ٥ محرم ١٢١٥ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠٠ م .
(٦) ٢١ محرم ١٢١٥ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠٠ م .
(٧) سارى عسكر رشيد : أى قائد حامية رشيد .
(٨) ٢١ محرم ١٢١٥ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠٠ م .

أيضاً ضربات، وهرب ، فسمع العسكر صرخة المهندس ، فدخلوا مسرعين فوجدوا كبيرهم مطروحًا وبه بعض الرمق ، فانزعجوا وضربوا طبلهم ، وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل ، واجتمع العساكر ورؤساؤهم ، وهرعوا إلى الحصون والقلاع ، وظنوا أنها من فعل أهل مصر ، فاحتاطوا بالبلد ، وعمروا المدافع والبنبات ، وقالوا: «لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم» ، ووقعت هوجة عظيمة فى الناس وكرشة وشدة إنزعاج، وأكثرهم لا يدرى حقيقة الحال ، ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويًا فى البستان المجاور لبيت[1] صارى عسكر المعروف بغيط مصباح، بجانب حائط فيه متهدم ، فقبضوا عليه فوجدوه شاميًا ، فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده، فوجدوه حلبيًا ، واسمه سليمان ، فسألوه عن محل مأواه فأخبرهم أنه يأوى ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورفقائه ، وهل أخبر أحدًا بفعله ، وهل شاركه أحد فى رأيه ، وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك ، وكم له بمصر ؟ ، وعن صفته وملته، فأخبرهم أنه على ملة النبى ﷺ ، وعمره أربع وعشرون سنة ، وصنعته كاتب عربى ، وله فى مصر خمسة أشهر ، وأنه حضر إلى مصر سابقًا ، وسكن بها ثلاث سنوات ، فسألوه هل يعرف الوزير الأعظم ؟ ، فأخبر أنه لا يعرفه ، ولم يزالوا يسألونه عن مسائل ويدققون معه وهو يخلط لهم ويغالطهم ، فلما علموا منه المغالطة ، ضربوه وعاقبوه حتى / أقر لهم أنه حضر من غزة من نحو ثلاثين يومًا، ‎١٢٢ ب/
وحضر على هجين فى ستة أيام ، بقصد قتل صارى عسكر ، وأن الذى أرسله أغاة الإنكشارية ، وذلك بعد رجوع العثمانية من مصر إلى الشام ، فسألوه هل سَارَّ أحدًا من أهل مصر وأخبره بحقيقة حاله وكشف له سره ؟ ، فأخبرهم أنه أخبر السيد محمد العريشى ، والسيد أحمد الوالى ، والشيخ عبد الله المغربى ، والسيد عبد القادر المغربى ، وأشاروا إليه أن يرجع عن هذا الفعل فإنه لا يمكنه ويموت ، وأن أمس تاريخه قال لهم : «إن مراده يقضى غرضه فى غد ، ثم إنه ذهب إلى الجيزة ، واستخبر من نواتية القنجة[2] التى لصارى عسكر حتى علم بنزوله وتعديته إلى مصر ، فَلَمْ يزل يراصده حتى وصل إلى داره بالأزبكية، وقضى غرضه، ثم إنهم تركوا ما كانوا عزموا عليه من حرب البلد حين تبينت لهم حقيقة الحال، وأمروا بإحضار الشيخ عبد الله الشرقاوى، والشيخ أحمد العريشى، وأعلموهم بذلك، وعوقوهم إلى نصف الليل، وألزموهم بإحضار الجماعة الذين ذكرهم، فركبوا وصحبتهم الأغا، وحضروا إلى الجامع الأزهر وطلبوا الجماعة ، فوجدوا ثلاثة ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا

(١) يقع مكانه الآن على يمنة القادم من باب الحديد إلى العتبة ، مكان فندق شبرد القديم .
(٢) القنجة : نوع صغير من السفن كان يستعمل فى البحر الأبيض المتوسط . .

وحبسهم ببيت قائم مقام بالأزبكية ، ثم إنّهم رتبوا صورة محاكمة من رؤسائهم ومديريهم ، وعملوا صورة دعوى وشهود ، وتحاكموا فيما بينهم بعد إقامة الدعوى والتفحص ، فحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين ، لكونهم لما سمعوا منه / وأخبرهم ليلة أمس ، بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ، كان الواجب عليهم أن يخبروا الفرنسيس بذلك ، وكان من جملة من أخبر عنهم أنه عاشره واجتمع به مصطفى أفندى البرصلى الخطاط ، فأحضروه أيضًا وسألوه ونجاه الله منهم ، لكونه لم يخبر بقصده ، وأنه عاشره فى مدة إقامته السابقة بمصر ، وكان يتعلم منه تجويد الخط ، فحكموا ببراءته وأطلقوا سبيله .

/ ١٢٣ أ

وانفضت الحكومة وألفوا فى ذلك كتابًا فى حجم الثلاث كراريس ، ذكروا فيه صورة الواقعة وكيفيتها ، والفحص عن القاتل ، وإحضار الشهود وإقرارهم وترتيب المحكمة ، ومحاكمة القضاة وأسمائهم ، وتفصيل الدعوى ، وبصموا من ذلك جملة نسخ باللغات الثلاث ؛ العربية والفرنساوية والتركية ، ولما فرغوا من ذلك اشتغلوا بأمر صارى عسكرهم المقتول ، فنقلوه إلى بيت حسن كاشف جركس الذى بالنصارية، وصنعوا له صندوقًا من رصاص مسنم الغطاء ، وربما أخرجوا حشوته وطلوه بالأدهان الماسكة لأجزائه ، ووضعوه فى ذلك الصندوق ، ولحموا عليه الغطاء بمذاب الرصاص ، وكانت قتلته يوم السبت حادى عشرينه[1] ، وقضوا أشغالهم في يومين ، ونادوا ليلة الثالث[2] فى المدينة بالكنس والرش فى جهات عيّنها حكّام الشرطة .

فلما أصبحوا[3] وضعوا ذلك الصندوق فى عربة ، ووضعوا عليه برنيطته وسيفه والشيش الذى قتل به ، وهو مغموس بدمه ، وعملوا فى العربية أربع بيارق صغار فى أركانها معمولين بشعر ، وذهبوا بها إلى الأزبكية من طريق / المدابغ ، واجتمع أكابرهم وعساكرهم، وكذلك أحضروا أكابر المسلمين من المشايخ والوجاقلية والتجار، وخرجوا بموكب مشهده ركبانًا ومشاة ، ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة ، والعسكر بأيديهم البنادق وهى منكسة إلى أسفل ، وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقة حرير سوداء ، ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السوداء وعليها قصب مخيش ، ثم انجرت جنازته ، وَضَرَبُوا لها شنك مدافع وبنادق ، ومروا بها على باب الخرق[4]

/ ١٢٣ ب

(١) ٢١ محرم ١٢١٥ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠٥ م . (٢) ٢٣ محرم ١٢١٥ هـ / ١٦ يونيه ١٨٠٠ م .
(٣) ٢٢ محرم ١٢١٥ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٠ م .
(٤) باب الخرق : هو نفس باب سعادة ، انظر ، ص ٧٥ ، حاشيته رقم (١).

إلى درب الجماميز[1] إلى جهة الناصرية .

فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة التى بنوها هناك ، ضربوا عدة مدافع ، وكانوا أحضروا سليمان الحلبى القاتل والثلاثة أنفار المطلوبين ، فخوزقوا فى ذلك الوقت الشهيد سليمان ، وضربوا رقاب الثلاثة ، وحرقوا أبدانهم ورفعوا رؤوسهم على خوازيق بجانبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم ساروا بالجنازة إلى أن وَصَلُوا باب قصر العينى ، فرفعوا الصندوق الرصاص ، ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشيبة صنعوها ، وأعدوها لذلك ، وعملوا حولها درابزين ، وفوقه كيسًا أبيض ، وزرعوا حوله أعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ، ملازمان ليلاً ونهارًا ، يتناوبون الملازمة على الدوام ، وانقضى أمره، وذهب إلى لعنة الله ، وولوا عوضه قائم مقام الذى يسمى عبد الله جاك منو[2] ، وهو الذى كان متولى على رشيد عند أول قدومهم ، وقد كان أظهر أنه أسلم ، / وتسمى بعبد الله ، وتزوج بامرأة مسلمة كرهًا من أهلهَا ، وولوا قائم مقام عوضه بليار[3] .

١٢٤ أ/

فلما أصبح ثانى يوم[4] ، حضر قائم مقام والأغا إلى الأزهر ، ودخل إليه ، وشق فى جهاته وأروقته بحضرة المشايخ .

وفى ثانى يوم[5] ، أيضًا حضر كبيرهم وقائم مقام والأغا ، وطافوا به أيضًا ، وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك ، ثم ذهبوا ، فشرعت المجاورون به فى نقل أمتعتهم منه ، ونقل كتبهم وإخلاء الأورقة ، ونقل الكتب الموقوفة به إلى أماكن خارجة عن الجامع ، وكتبوا أسماء المجاورين فى ورقة ، وأمروهم ألا يبيت عندهم غريب ، ولا يأووا إليهم أفاقيا مطلقًا ، وأخرجوا منه المجاورين من طائفة الترك .

ثم إن : الشيخ الشرقاوى ، والمهدى ، والصاوى ، توجهوا فى عصريتها إلى

(١) درب الجماميز : يقع فى حى الصليبة ، يبتدئ من أخر غيط العدة ، وينتهى لأول شارع الصنافيرى . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ ، جـ ٢ ، ص ٣١٣ . .

(٢) منو : "Menou" ، أقدم قادة فرق الحملة ، وكان قد أعلن إسلامه ، وتسمى عبد الله ، وتزوج بسيدة رشيديه ، تدعى «زبيدة بنت السيد محمد البواب ، من أعيان رشيد ، وتاريخ وثيقة عقد الزواج كما هو مثبت بسجلات محكمة رشيد ٢٥ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢ مارس ١٧٩٩ م .

(٣) بليار : "Belliard" ، أحد قادة الحملة ، كان مع ديزيه Dasaix فى حملته على الصعيد لإخضاعه لنفوذ الحملة ، ومطاردة قوات مراد بيك .

(٤) ٢٢ محرم ١٢١٥ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٠ م . (٥) ٢٣ محرم ١٢١٥ هـ / ١٦ يونيه ١٨٠٠ م .

عند كبير الـفرنسيس منو ، وأستأذنوه فى قـفل الجامع وتسميره ، فقال بـعض القبطة الحاضرون للأشيـاخ : «هذا لا يصلح ولا يتفق» ، فـحنق عليه الشيـخ الشرقاوى ، وقال : «أكفونا شر دسائسكم يا قبطة» ، وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة بالكلية ، فإن الأزهر لسعته لا يمكن الإحاطة بما بداخله ، فربما دس العدو من يبيت به ، واحتج بذلك على إنجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقهاء ، و ولا يمكن الاحتراس من ذلك ، فأذن كبـير الفرنسيـس لما فيه من موافـقة غرضه باطنًا ، فـلما أصبحوا قـفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات .

وفى غايته[1] ، جمعوا الـوجاقلية وأمروهم بـإحضار ما عندهم مـن الأسلحة ، فأحضروا ما أحـضروه ، / فشددوا عليهم فـى ذلك ، فقالوا : «لم يكن عـندنا غير الذى أحضرناه» ، فقالـوا : «وأين الذى كنا نرى لمعانه عند متـاريسكم ؟» ، فقالوا : «تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية ، وقد سافروا بهم» .

/ ١٢٤ ب

شهر صفر[2]

استهل بيوم الثلاثاء[3] .

وفى أوائله[3] ، سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم إلى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم ، وبعضهم بعث حريمه وأقام هو ، فـسافر الشيخ محمد الحريرى ، وصحب معه حريم الشـيخ السحيمى ، وصهره الشـيخ المهدى ، فلما رآهم الناس عـزم الكثير منهـم على الرحلـة ، واكتروا المراكب والجـمال وغير ذلك ، فـلما أشيع ذلـك كتب الفرنسيس أوراقًا ، ونـادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ورجـوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يومًا نهبـت داره ، فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر ، إلا من أخذ له ورقة بالإذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر كَأَنْ يكُون فِى خَدْمَةٍ لهم أَوْ قَبْضِ خرَاجٍ مِنْ التزَامِهِ .

وفيه[5] ، قَرَّرُوا فردة أخـرى ، وَقَدْرُهَا أربع ملايـين ، وقدر المليـون مائة وسـتة وثمانـون ألف فرانسـة ، وكان الناس مـا صدقوا قرب إتمـام الفردة الأولى ، بـعد ما قاسوا من الشدائد مالا يوصف ، ومات أكثـرهم فى الحبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثـير منهم ، وخـرجوا على وجوهـهم فى البـلاد فدهوا بهذه الـداهية العظـيمة ،

(١) غاية محرم ١٢١٥ هـ / ٢٣ يونيه ١٨٠٠ م .
(٢) صفر ١٢١٥ هـ / ٢٤ يونيه - ٢٢ يوليه ١٨٠٠ م .
(٣) ١ صفر ١٢١٥ هـ / ٢٤ يونيه ١٨٠٠ م .
(٤) ١ صفر ١٢١٥ هـ / ٢٤ يونيه ١٨٠٠ م .
(٥) ١ صفر ١٢١٥ هـ / ٢٤ يونيه ١٨٠٠ م .

ففردوا علـى العقار والدور مائـتى ألف فرانسة ، وعلـى الملتزمين مائـة وستين ألفًا ، وعلى التجار مائتى ألف ، وعلى / أرباب الحرف المستورين ستين ألفًا ، وأسقطوا فى نظير المـنهوبات مائة ألف ، وقسـموا البلدة ثمانـية أخطاط ، وجعلوا علـى كل خطة خمسة وعشرين ألـفًا ، ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات ، والأميـر الساكن بتلك الخطة ، مثـل المحتسب : بجهـة الحنفى[1] ، وعمرشاه[2] ، وسويقة الـسباعين[3] ، ودرب الحجر[4] ، ومثل ذى الفقار[5] كتخدا : جهة المشهد الحسينى ، وخان الخليلى ، والغورية ، والصـنادقية[6] ، والأشرفـية[7] ، وحسـن كاشف : جهـة الصليـبة[8] ، والخليفة[9] ، وما فى ضـمن ذلك كل من الجـهات بالعطـف والبيوت ، فشـرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة ، وقسموها : عَالِيًا ، وأَوْسَط ، وأَدْنَى ، وَجَعَلُوا العَالِى : سـتين ريالاً ، والـوسط ، أربعـين ، والدون : عـشرين ، ويـدفع المستـأجر قدر ما يدفـع المالك ، والدار التـى يجدونها مـغلوقة وصاحـبها غائب عـنها يأخذون ما عليها من جيرانها .

١٢٥ أ/

وفى سادس عشرينه[9] ، أفرجوا عن الشيخ الـسادات ونزل إلى بيته بَعْدَ أَنْ غَلَّقَ الذى قرر عليه ، واستولوا على حصصه وإقطاعه ، وقطعوا مرتباته ، وكذلك جهات حريمه ، والحصص الموقوفة على زاوية أجداده ، وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وألا يركب بدون إذن منهم ، ويقتصد فى أموره ومعاشه ، ويقلل أتباعه .

---

(١) الحنفى : عطفة تتفرع من شارع الخليفة . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

(٢) قنطرة عمرشـاه : قنطرة أنشأها الأمير ركن الـدين عمرشاه ٧٤٥ هـ / ٤٤-١٣٤٥ م ، على الخليـج الكبير ، وموضعها أمام عمرشاه بحيِّ السيدة زينب . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) سويقة السباعين : شارع يـبتدىء من آخر شارع درب الحجر ، وينتهى لشارع الناصريـة ، وطوله مائتان وسبعون مترًا . مبارك ، على : المرجع السابق ، ـج ٣ ، ص ٢٨٨ .

(٤) درب الحجر : يبدأ أولـه من أخر قنطرة سنقر ، وأخـر درب الحمام ، وسويقة السبـاعين ، وبه ثلاث حارات . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٥) ذو الفقار : المقصود هنا وكالة ذو الفقار بالجمالية .

(٦) الصنادقـية : شارع يبتدىء مـن نهاية شارع الأشرف ، وأول شارع الـغورية ، ويمتد شرقًا إلـى الجامع الأزهر ، وطوله مائتان وثمان مترًا . مبارك ، على : المرجع السابق ، ـج ٣ ، ص ٢٤٤ .

(٧) الأشرفية : شارع يـبتدىء من أول شارع السكة الجديـدة ، وينتهى إلى أول شارع الغوريـة ، وبه وكالة الأشرف المعدة لبيع الأقمشة . نفس المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٠ .

(٨) الصلبية : أنظر ، ص ٥١ ، حاشية رقم (١) .

(٩) ٢٦ صفر ١٢١٥ هـ / ١٩ يوليه ١٨٠٠ م .

شهر ربيع الأول[1]

فيه[2] ، نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها ، بأن من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يومًا من وقت المناداة ، / نهبت داره وأحيط بموجوده ، وكان من المذنبين ، واشتد الأمر بالناس ، وضاقت صدورهم ، وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ، ولا شفيع تقبل شفاعته ، أو متكلم تسمع كلمته ، واحتجب كبير الفرنسيس عن الناس ، وامتنع من مقابلة المسلمين ، وكذلك قلده عظماؤهم ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين بزيادة عن أول ، واستوحشوا منهم ، ونزل بالرعية الذل والهوان، وتطاولت عليهم الفرنسيس بالإهانة ، حتى صاروا يأمرونهم بالقيام إليهم عند مرورهم ، ثم شددوا فى ذلك ، حتى كان إذا مر بعض عظمائهم بالشارع، ولم يقم إليه بعض الناس رجعت إليه الأعوان ، وقبضوا عليه ، وأصعدوه إلى الحبس بالقلعة، وضروبوه تأديبًا وزجرًا ، واستمر عدة أيام ، ثم يطلقونه بشفاعة بعض الأعيان .

/ ١٢٥ ب

وفيه[3] ، أنزلوا مصطفى باشا من الحبس ، وأهدوا إليه هدايا وأمتعة ، وأرسلوه إلى دمياط ، فأقام بها أيامًا ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، ولقد كان شجاعًا صارمًا ورئيسًا حازمًا ، اعترف له أعداؤه بإقدامه فى وقعة أبو قير ، وكان يبيدهم لولا ما دهمه من تزايد مددهم الكثير ، ومغالبتهم له بجمعهم الكبير ، ومع ذلك فلم يقع فى حبالتهم ، حتى أفنى الكثير من أبطالهم وحماتهم ، ، وصبر فى ذلك اليوم على المجالدة والحرب ، وأدار رحاة الهيجاء ، بالطعن والضرب ، ولم يأل جهدًا فى نكايتهم حتى أتاح له المقدور، ما هو فى اللوح قبل أن يخلق مقدر مسطور ، فاستسلم للقضاء ، وقبل المحتم بالرضا، وتمثل بقول من قال ، فى مثل/ هذا الحال :

/ ١٢٦ أ

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلاَقِى الحُرُوبَ   بِأَنْ لا يُصَابُ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا

شهر ربيع الثانى[4]

فيه[5] ، اشتد أمر المطالبة بالمال ، وَعُيِّنَ لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله ، فنزل بالناس منه ما لا يوصف ، فكان يدخل إلى دار أى شخص كان ،

(١) ربيع الأول ١٢١٥ هـ / ٢٣ يوليه – ٢١ أغسطس ١٨٠٠ م .
(٢) ربيع الأول ١٢١٥ هـ / ٢٣ يوليه – ٢١ أغسطس ١٨٠٠ م .
(٣) ربيع الأول ١٢١٥ هـ / ٢٣ يوليه – ٢١ أغسطس ١٨٠٠ م .
(٤) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس – ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٥) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس – ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .

لطلب المال وصحبته العسكر من الفرنسيس والفعلة ، وبأيديهم آلات الهدم ، فيأمرهم بهدم الدار إنْ لَمْ يدفعوا له المقرر وقت تاريخه مِنْ غَيرِ تأخير ، وخصوصًا ما فعله ببولاق ، فإنه كان يحبس الرجال مع النساء ، ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، وينوع عليهم العذاب ، ثم رجع إلى مصر يفعل ذلك .

وفيه[1] ، أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد ، وختموا على جميعها ، ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان والبن وغير ذلك ، خانًا بعد خان ، فإذا فتحوا حاصلاً من الحواصل ، قوموا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان ، وحسبوا غرامته ، فإن بقى لهم شىء أخذوه من حاصل جاره ، وإن زاد له شىء أحالوه على جاره كذلك ، وهكذا حتى أخلوا جميع الوكائل والخانات من سائر البضائع على الرجال والجمال ، والحمير والبغال ، وأصحابها تنظر وقلوبهم تَتَقَطَّعُ حسرة على نهب أموالهم ، وإذا فتحوا حاصلاً أو مخزنًا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم ، فيأخذون ما يجدونه من السودائع الخفيفة وصرر الدراهم والدنانير ويخفونها ، وصاحب المحل لا يقدر على الدنوّ منه / ولا يتكلم ، بل ربما هرب أو كان غائبًا . ١٢٦ ب/

وفيه[2] ، حرّروا دفاتر العشور ، وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ، وَرَتَّبُوهَا بدفاتر ، وجعلوها أقلامًا مفردة ، يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر ، وجعلوا جامع أزبك[3] الذى بالأزبكية سوقًا لمزاد ذلك ، بكيفية يطول شرحها ، وأقاموا على ذلك أيامًا كثيرة ، يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الإثنان فأكثر فى القلم الواحد وفى أقلام متعدّدة .

وفيه[4] ، كثر الهدم فى الدور ، وخصوصاً فى دور الأمراء ، ومن فر من الناس ، وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها ، وإنشاء قلاع فى عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء ، وحواصل الجبخانات ، واستمر الحال على هذا النسق .

واستهل شهر جمادى الأول[5]

والأمور من أنواع ما ذكر تتضاعف ؛ والظلمات تتكاثف ، وشرعوا فى هدم

(١) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٢) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٣) جامع أزبك : جامع أنشاه الأمير ازبك ، وظل قائمًا حتى وقت الحملة الفرنسية .
(٤) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٥) جمادى الأول ١٢١٥ هـ / ٢٠ سبتمبر - ١٩ أكتوبر ١٨٠٠ م .

أخطاط الحسينية ، وخارج باب الفتوح[1] ، وباب النصر من الحارات والدور والمساكن والمساجد والحمامات والحوانيت والأضرحة ، فكانوا إذا دهموا دارًا وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم ، ولا أخذ شيء من أنقاض دورهم ، فينهبونها ويهدمونها ، وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط إلى حيث عمارتهم وأبنيتهم ، وما بقى يبيعون منه ما أحبوا بأبخس الأثمان ، ولوقود النيران ، وما بقى من كسارات الخشب يجعله الفعلة حزمًا ، ويبيعونه على الناس بأغلى الأثمان ، لعدم حطب الوقود ، فانهدم للناس من الأملاك / والعقار مالا يقدر قدره ، وذلك مع مطالبتهم بما تقرر على أملاكهم ودررهم من الفردة ، فيجتمع على الشخص النهب والهدم والمطالبة فى آن واحد ، وبعد أن يدفع ما على داره ، وما صدق أنه غلق ما عليه دهموه بالهدم ، فيستغيث فلا يغاث ، فترى الناس حيارى وسكارى ، ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفردة . /١٢٧ أ

وذلك أنهم لما قسموا الأخطاط كما تقدم ، وتولى ذلك أمير الخطة ، وشيخ الحارة ، والكتبة والأعوان ، وزعوا ذلك برأيهم ومقتضى أغراضهم ، فأول ما يجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة فى كتابة التنابية[2] ، وهى أوراق صغار باسم الشخص والقدر المقرر عليه ، وعلى عقاره بحسب اجتهادهم ورأيهم ، وفى هامشها حَقّ طريق المعين ، ويعطون لكل واحد من أولئك القواسة عدة من تلك الأواق ، فقبل أن يفتح الإنسان عينيه ما يشعر إلا والمعين واقف على بابه ، وبيده ذلك التنبيه فيوعده حتى يسعى على حاله ، فلا يجد بدًا من دفع حق الطريق ، فما هو إلا أن يفارقه حتى يأتيه آخر بتنبيه مثله ، فيفعل معه مثل الأول ، وهكذا على عدد الساعات ، فإن لم يجد المعين المطلوب ، وقف ذلك القواس على داره ورفع صوته ، وتطاول على حريمه أو خادمه بالسبّ والشتم ، فيسعى الشخص جهده حتى يغلق ما تقرره عليه الحال بشفاعة ذى وجاهة أو نصرانى ، وما يظن أنه قد خلص إلا والطلب لاحقة أيضًا بمعين وتنبيه ، فيقول / : «ما هذا» ؟ ؛ فيقال له : «إن الفردة لم تكمل وبقى منها كذا وكذا ، وجعلنا على العشرة خمسة أو ثلاثة أو ما سولت لهم أنفسهم » ، فيرى الشخص أنه لابد من ذلك ، فما هو إلا أن خلص أيضًا إلا ويطالب بمنكسر آخر ، وهكذا كان الحال ، ومثل ذلك ما قرر على الملتزمين ، فكانت هذه الكسورات من أعظم الدواهى المغلقة ، ونكسات الحمّى المطبقة . /١٢٧ ب

(١) باب الفتوح : أنظر ، ص ٦٩ ، حاشية رقم (٥) .
(٢) التنابيه : قسيمة بالمبلغ المقرر على الشخص .

وفى خامسه[1] ، كان عيد الصليب ، وهو انتقال الشمس لبرج الميزان والاعتدال الخريفى ، وهو أول سنة الفرنسيس ، وهى السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ، ويسمى عندهم : «وندمبير»[2] ، وذلك يوم عيدهم السنوى ، فنادوا بالزينة بالنهار ، والوقدة بالليل ، وعملوا شنكات ومدافع وحرّاقات ، ووقدات بالأزبكية والقلاع ، وخرجوا صبح ذلك اليوم بمواكبهم وعساكرهم وطبولهم وزمورهم إلى خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم وملاعب حروبهم ، وخطب خطيبهم بعد إنقضاء مصافهم ، فقرأ عليهم كلامًا بلغتهم على عادتهم لا يدرى أَيْنَ هو ، وكأنه مواعظ حربية ، ثُمَّ رجعوا بعد الظهر .

واستهل شهر جمادى الثانية[3]

فيه[4] ، قرروا على مشايخ البلاد مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة ، أعلى ، وأدنى ، وأوسط ؛ الأعلى : وهى البلدة التى مجتمع طينها ألف فدان فأكثر ، خمسمائة ريال ، والأوسط : وهى ما كانت خمسمائة فدان فأزيد ، ثلاثمائة ريال ، والأدنى : مائة وخمسون ، وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلاً فى ذلك ، فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب / ذلك ، وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له بريزون[4] ، فلما شاع ذلك ضجت المشايخ لأن منهم من لا يملك عشاءه ، فاتفقوا على توزيع ذلك على الأطيان ، وزيدت فى الخراج ، واستَلَمُوا البلاد والكفور من القبطة ، فأملوها عليهم حتى الكفور التى خرجت من مدة سنين بل سموا أسماء من غير مسميات . ١٢٨ أ/

وفيه ، شرعوا فى ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار مُتَعَمِّمين أى علماء لا غير ، وليس فيهم قبطى ، ولا وجاقلى ، ولا شامى ، ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصى ولا عمومى على ما سبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مُرَكَّبٌ من تسعة أشخاص ، وكاتبين مسلمين ، وكاتب فرنساوى ، وترجمانين كبير وصغير ، والوكيل المسمى فوريه[5] ويقال له مدبّر سياسة الأحكام الشرعية ، وجعلوا لخدمة ذلك الديوان مقدّمًا ، وخمسة رجال قوّاسة .

---

(١) ٥ جمادى الأولى ١٢١٥ هـ / ٢٤ سبتمبر ١٨٠٠ م .

(٢) « وندمبير » وصحته « فندمير » «Vendemiaire» ، الشهر الأول من شهور تقويم الثورة الفرنسية .

(٣) جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ٢٠ أكتوبر - ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م .

(٤) جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ٢٠ أكتوبر - ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م .

(٥) بريزون : "Brizon" .   (٦) فورية : "Fourier" .

وفى خامس عشره[1] ، شرعوا فى جلسة ذلك الديوان .

وفى ثالث عشرينه[2] ، أمروا بجمع الشحّاذين أى السؤال بمكان ، وينفق عليهم نظار الأوقاف .

وفيه[3] ، أيضاً أمروا بضبط إيراد الأوقاف ، وجمعوا المباشرين لذلك ، وكذلك الرِّزَق الأحباسية ، والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك إلى حكّام البلاد والأقاليم .

وفى غايته[4] ، حضر رجل إلى الديوان يشكو ويستغيث بأن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قائم مقام ، وهو رجل زيَّات ؛ وسبب ذلك أن إمرأة جاءت لتشترى منه سمنًا ، فقال لها : «لم / يكن عندى سمن» ، فكررت عليه السؤال حتى حنق منها ، فقالت له : «كأنك تدخره حتى تبيعه على عَسْكَرِ العثمنلى» ، تريد بذلك السخرية . فقال لها : «نعم رغمًا عن أنفك وأنف الفرنسيس» ، فنقل مقالته غلام كان حاضرًا معهما حتى أنهوه إلى قائم مقام فأحضره وحبسه ، ويقول أبوه : «أخاف أن يقتلوه» ، فقال الوكيل : «لا يقتل بمجرد هذا القول ، وكن مطمئنًا فإن الفرنسيس لا يظلمون» ، فلما كان فى اليوم التالى[5] ، قتل ذلك الرجل ومعه أربعة لا يدرى ذنبهم ، وذهبوا إلى ، رحمة الله سبحانه وتعالى .

/١٢٨ ب

واستهل شهر ر . . [6]

والطلبُ والهدم والنهب والسلب مستمر ومتزايد ، وأبرزوا أوامر أيضًا بتقرير مليون على الصنائع والحرف ، يقومون بدفعه كل سنة ، وهو مائة ألف ريال فرانسة ، وستة وثمانون ألف فرانسة ، ويكون الدفع على ثلاث مرات ، كل أربعة أشهر يدفع من المقرر الثلث ، وهو إثنان وستون ألفًا ، فتحيرت أفكار الناس بِمَا دهاهم ، واختلطت أذهانهم ، وزادت وساوسهم ، وأشيع أن يعقوب القبطى ، هو الذى تكفل بقبض ذلك من المسلمين ، ويقلد أمر ذلك إلى شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى ، واختلطت الروايات ، فقيل : «إن قصده أن يجعلها على العقار والدور» ، وقيل : «بل قصده توزيعها بحسب الفردة السابقة» ، وذلك

---

(١) ١٥ جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ٣ نوفمبر ١٨٠٠ م

(٢) ٢٣ جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ١١ نوفمبر ١٨٠٠ م .

(٣) ٢٣ جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ١١ نوفمبر ١٨٠٠ م .

(٤) غاية جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م .

(٥) ١ رجب ١٢١٥ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨٠٠ م .

(٦) رجب ١٢١٥ هـ / ١٨ نوفمبر - ١٧ ديسمبر ١٨٠٠ م .

عشرها، لأنَّ الفردة كانت عشرة ملايين ، فالذى دفع عشرة فى الفردة السابقة ، يدفع

١٢٩ أ/ واحدًا فى فردة المليون ، وذلك على الدوام والاستمرار ، ثم قيدوا / لذلك شخصًا فرنساويًا ، يقال له دانويل ، وسموه مدبر الحرف ، فجمع العرفاء وفرد عليهم كل عشرة أربعة ، فمن دَفَعَ عشرة فى الفردة يدفع أربعة الآن ، فعورض فى ذلك ، وقيل له : «إن هذا غير المنقول » ، فقال : «هذا باعتبار من خرج من البلد» ، ومن لم يدخل فى هذه الفردة كالمشايخ والفقهاء والفارّين ، فإن الذى جعل عليهم أضيف على من بقى ، فاجتمع التجار ، وتشاوروا فيما بينهم من شأن ذلك ، فرأوا أن هذا شىء لا طاقة للناس به من وجوه : الأول : وقف الحال ، وكساد الصنائع ، وإنقطاع الأسفار ، وقلة ذات اليد، وذهاب البقية التى كانت فى أيدى الناس ، فى النوازل والفرد والدواهى المتتابعة ؛ الثانى : أن الموكلين بالفرد السابقة وزّعوا على التجار والمتسببّين ؛ وكل من كان له اسم فى الدفتر من مدة سنين ، ثم ذهب ما فى يده ، وافتقر حاله ، وخلا حانوته وكيسه ، فألزموه بَشَقَصٍ من ذلك ، وكلف به ، وكتب اسمه فى دفتر الدافعين ، ويلزمه ما يلزمهم وليس ذلك فى الإمكان ، الثالث : أن الحرفة التى دفعت مثلاً ثلاثين ألفًا يلزمها ثلاثة الاف فى السنة على الرأى الأول ، وعلى الثانى إثنى عشر ألفًا ، وقد قل عددهم ، وأغلقت أكثر حوانيتهم لِفَقْرِهِم وهجاجهم ، وخصوصًا إذا ألزموا بذلك المليون يفر الباقون ، ويبقى من لا يمكنه الفرار ، ولا قدرة للبعض بما يلزم الكلّ .

وفيه[1] ، أمر وكيل الديوان بتحرير قائمة تتضمّن أسماء الذين تقلدوا قضاء

١٢٩ب/ الديوان من طرف القاضى ، والذين لم يتقلدوا ، وأخبر أن / السر فى ذلك أن مناصب الأحكام الشرعية استقر النظر فيها لَهُ ، وأنه لابد من استئناف ولايات القضاء حتى قاضى مصر بالقرعة ، من ابتداء سنة الفرنساوية ، ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليدًا من صارى عسكر الكبير فكتبت له القائمة كما أشار .

وفى رابعه[2] ، قتلوا جماعة من المسلمين بالرميلة[3] وغيرها ، ونودى عليهم : «هذا جزاء من يذكر الفرنسيس والعثمنلى» .

وفى سادسه[4] ، عملت قرعة قاضى مصر على شرطها لقاضى مصر ، وكررت

---

(١) ١ رجب ١٢١٥ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(٢) ٤ رجب ١٢١٥ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(٣) الرميلة : أنظر ، ص ٢٤ ، حاشية رقم (٥) .
(٤) ٦ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٨٠٠ م .

ثلاث مرات ، فاستقرت للشيخ أحمد العريشى على ما هو عليه ، وكتب له التقليد بعد مدة طويلة .

وفى ثامنه[1] ، قتل غلام وجارية بباب الشعرية ونودى عليهما : «هذا جزاء من خان وغشّ وسعى بالإفساد» ، فيقال : «إنهما كانا يخدمان فرنساويًا فَدَسَّا له سمًا وقتلاه» .

وفى تاسعه[2] ، حضر جماعة الوجاقلية إلى الديوان ، وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباق الفردة المطلوبة من الملتزمين ، وقدر ذلك الباقى خمسة وعشرون ألفًا ريالاً فرانسة، وقد استدانوا لذلك قدرًا من البنّ بمبلغ خمسة وثلاثين ألف فرانسة ، لِيُوَفُّوا ما عليهم من الديون ، وأنهم أرسلوا إلى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج ، فامتنعوا من الدفع لهم ، وأخبروا أن الفرنسيس أمروهم بعدم دفع المال للملتزمين ، فكتب لهم عرض حال فى شأن ذلك ، وأرسل إلى كبير الفرنسيس ، ولم يرجع جوابه .

وفى رابع عشره[3] ، صنع الجنرال بليار المعروف بقائم مقام وشيخ البلد طعاماً وليمة ، ودعا مشايخ الديوان ، والوجاقلية ، وأعيان / التجار ، وأكابر نصارى القبط والشوام، ومد أسمطة حافلة وتعشوا عنده ثم ذهبوا إلى بيوتهم . / ١٣٠ أ

وفى خامس عشرينه[4] ، طيف بإمرأتين فى شوارع مصر بَيْنَ يدى الحاكم ينادى عليهما : «هذا جزاء من يبيع الأحرار» ، وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام بتسعة ريالات .

وفيه[5] ، طلب الخواجا الفرنسيسىّ المعروف « بموسى كافوا » من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها ، فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحين بأمر الفرنساوية ، وعدم تحصيل المال من بلادهم ، ثم أحيلوا بعد كلام طويل على أستوف[7] الخازندار ، لأن ذلك من وظائفه لا من وظائف الديوان .

وفى سابع عشرينه[8] ، حضر الوجاقلية وصحبتهم بعض الأعيان ، وبعض النساء الملتزمات ، يستغيثون بأرباب الديوان ، ويقولون : «إنه بلغنا أن جمهور الفرنساوية

(١) ٨ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٥ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(٢) ٩ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(٣) ١٤ رجب ١٢١٥ هـ / ١ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٤) ٢٥ رجب ١٢١٥ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٥) ٢٥ رجب ١٢١٥ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٦) أستوف "Estéve" :
(٧) ٢٧ رجب ١٢١٥ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨٠٠ م .

يريدون وضع أيديهم على جميع الإلتزام المفروج عنه ، الذى دفعوا حلوانه ومغارمه، ويرفعون أيدى الملتزمين عن التصرف فى الإلتزام جملة كافية» ، وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم يفرجوا لهم عن حصصهم إما لفرارهم وعودهم بالأمان ، وإما لقصر أيديهم عن الحلوان ، وإما لشراقى بلادهم ، وإما لانتظارهم الفرج ، وعود الدولة العثمانية ، فيتكرر عليهم الحلوان ومغارم لشراقى البلاد ، فلما طال المطال ، وضاق حال الناس ، عرضوا أمرهم وطلبوا من الفرنسيس الإفراج عن بعض ما كان بأيديهم ، ليتعيشوا به ، ووقع فى ذلك بحث / طويل ومناقشات يطول شرحها ، ثم ما كفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروج عنه أيضًا ، ورفع أيدى المسلمين بالكلية ، وأنهم يَسْتَشْفِعُونَ بأهل الديوان عند صارى عسكر، بأن يبقى عليهم إلتزامهم يتعيشون به ، ويقضون ديونهم التى استدانوها فى الحِلْوَانِ ومغارم الفردة ، فقال فوريه[1] الوكيل : «هل بلغكم ذلك من طريق صحيح ؟» ، فقالوا : «نعم بلغنا من بعض الفرنساوية» ، وقال الشيخ البكرى : «وأنا سمعته من الخازندار» ، وقال الشيخ المهدى مثل ذلك ، وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور ، فقال الملتزمون : «إن بيدنا التمكينات والتمسكات من سلفكم بونابرته ومن السلاطين السابقين ونوابهم ، وقائمون بدفع الخراج كما كان أسلافنا وأسيادنا ، ونحو ذلك من الكلام ، ثم ذكروا أنهم إذا رفعت أيديهم عن معايشهم أصبحوا فقراء وصعاليك ، ولا تأتمنهم الناس ، واضطروا إلى الخروج من البلد وارتحلوا عنها ، وخربت ديارهم» ، وطال البحث والكلام فى ذلك مرة ، ويناقش أخرى ، إلى أن انتهى الكلام بقوله : «إن الكلام فى هذا وأمثاله ليس من وظيفتى ، فإنى حاكم سياسة الشريعة ، ولست مدبر أمر البلاد ، نعم وظيفتى المعاونة والنصح فقط» .

١٣٠ ب/

وفى ثامن عشرينه[2] ، اتفق أن جماعة من أولاد البلد ، خرجوا إلى جهة الشيخ قمر بقصد النزهة ، ومعهم جماعة من أرباب الملاهى ، يغنون ويضحكون ، فنزل إليهم جماعة من العسكر الفرنساوية المقيمين بجامع الظاهر بيبرس ، الذى اتخذوه قلعة خارج الحسينية ، وقبضوا عليهم وحبسوهم ، وأرسلوا شخصًا منهم / إلى قائم مقام بليار[3] ، وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم فلقيه ، ثم رده إلى قلعة الظاهرية ثانيًا ، فبات عند أصحابه ، ثم طلبهم فى ثانى يوم[4] فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر يحملون البنادق ، فقابلوه وعرف شأنهم وخلَّى سبيلهم فذهبوا إلى منازلهم .

١٣١ أ/

(١) فورية : "Fourier" .
(٢) ٢٨ رجب ١٢١٥ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٣) بليار : "Belliard" .
(٢) ٢٩ رجب ١٢١٥ هـ / ١٦ ديسمبر ١٨٠٠ م .

شهر شعبان[1]

فيه[2] ، أجيب الملتزمون بإبقاء إلتزامهم عليهم، وأنكروا ما قيل فى رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة ، وإن كانت صدرت من الخازندار ، فإنما هى كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل .

وفيه[3] ، حضر التجار إلى الديوان وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم أن يجعلوه موزعًا على الرؤوس ولا يمكن غير ذلك ، وطال الكلام والبحث فى خصوص ذلك، ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى العقلاء من المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون رأيهم فى ذلك ، بشرط أن لا يتداخل معهم فى هذا الأمر نصرانى قبطى ، وهم المضامنون لتحصيله ، بشرط عدم وقوع الهرج فى الناس والجور ، وأن لا يجعلوا شيئاً على النساء ولا على الصبيان ولا الفقهاء ولا الخدم ولا فقراء الرعية ، ويراعى فى ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعتهم ومكاسبهم ، ثم ترجوا عندهم أن يضيفوا إلى المدينة، بولاق ، ومصر القديمة ، فلم يجابوا لذلك وجعلوهما مستقلين ، وقرروا عليهما قدرًا آخر غير ما قرروه على مصر .

وفيه[4] ، لخصوا عرضًا خطابًا لكبير الفرنسيس ، ولطفوا لَهُ فيه العبارة ، فأجيبوا / إلى طلبتهم ، ما عدا بولاق ومصر القديمة ، وأخرجوا من أرباب الحرف الصَيَارِفَ، والكيَّالين ، والقبانية ، وقدروا عليهم بمفردهم ستين ألف فرانسة ، خلاف ما يجبى عليهم من المليون أيضًا ، يقومون بدفعها فى كل سنة ، ووجه تخصيص الثلاث حرف دون غيرها أن صناعتهم من غير رأس مال . /١٣١ ب

وفيه[5] ، أفردوا ديوانًا لذلك ببيت داود كاشف خلف جامع الغورية[6] وَتَقَيَّدَ لذلك السيد أحمد الزرو ، وإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وأحمد بن محمود محرم ، وطائفة من الكتبة ، وشرعوا فى تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم ، وجعلوهم طبقات ، فيقلون : « فلان من : نمرة عشرة ، أو نمرة خمسة ، أو ثلاثة ، أو إثنين ، أو واحد » ، ومشوا على هذا الاصطلاح .

(١) شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ - ١٥ يناير ١٨٠١ م .

(٢) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م . (٣) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .

(٤) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م . (٥) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .

(٦) جامع الغورية : يوجد بهذا الإسم جامعان ، أحدهما تحت القلعة فى عرب يسار بجوار قره ميدان ، أنشأه السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى ، والثانى فى شارع الغورى ، بجوار الشرم والجمالون بين الأشرفية والفحامين أنشأه الملك الأشرف قانصوه الغورى . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ١٤٤-١٤٥ .

وفيه[1] ، أبطلوا عشور الحرير الذى يتوجه من دمياط إلى المحلة الكبرى .

وفيه[2] ، أرسل كبير الفرنسيس يسأل المشايخ عن الذين يدورون بالأسواق ويكشفون عوراتهم ويصيحون ، ويصرخون ، ويَدَّعُون بالولاية وتعتقد فيهم العامة، ولا يصلون صلاة المسلمين ، ولا يصومون ، هذا جائز فى الإسلام أو حرام فى الشريعة ؟ ، فأجابوه فإنَّ ذلك حرام ومخالف لدينا وشرعنا وسنتنا ، فشكرهم على ذلك ، وأمر الحكام بمنعهم والقبض على من يرونه بهذا الوصف ، فإن كان مجنونًا ربط فى المارستان ، أو غير مجنون ، فإما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد .

وفيه[3] ، أرسل رئيس الأطباء الفرنساوى نسخًا من رسالة أَلَّفَهَا فى علاج الجدرى، لأرباب الديوان ، لكل / واحد نسخة على سبيل المحبة بزعمه والهدية ، ليتناقلها الناس ويستعملون ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ، فقبلوا منه ذلك ، وأرسلوا له جوابًا يشكرون همته فى ذلك .

١٣٢ أ/

وفى حادى عشره[4] ، وجدت إمرأة مقتولة ببستان عمر كاشف ، بالقرب من قناطر السباع ، فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا الغيطانية وحبسوهم ، وكان بصحبتهم القبطان الحاكم بالخط ، ولم يعلم القاتل ، ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام .

وفيه[5] ، كمل المكان الذى أنشأوه بالأزبكية عند المكان المعروف ببا الهواء ، وذلك المكان الذى أنشأوه يسمى فى لغتهم بالكمدى[6] ، وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشرة ليالى ليلة ، يتفرجون به على ملاعيب يعملونها مقدار أربع ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ، ولا يدخل أحد إليه إلا بورقة معلومة وهيئة مخصوصة .

وفى سادس عشره[7] ، ذكروا فى الديوان أن صارى عسكر أمر وكيل الديوان أن يذكر لمشايخ الديوان أن قصده ضبط وإحصاء من يموت ، ومن يولد من المسلمين ، وأخبرهم أن بونابرته كان فى عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويدبّره ويرتّبه ، ويعمل له جامكية وافرة فلم يتم مراده ؛ والآن يريد تتميم ذلك ، ويطلب منهم تدبير ذلك كيف يكون ، وذكر لهم أن فى ذلك حكمًا وفوائد : منها ضبط

(١) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٢) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٣) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٤) ١١ شعبان ١٢١٥ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٥) ١١ شعبان ١٢١٥ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٦) Comedie تعنى الملهى أو المسرح .
(٧) ١٦ شعبان ١٢١٥ هـ / ٢ يناير ١٨٠١ م .

الأنساب ومعـرفة الأعمار . فقال بعض الحـاضرين : « ويعلم من ذلك إنـقضاء عدة الأزواج أيضًا » . ثم اتفق / الرأى على أن يعلموا بذلـك القلقات الحاضرين المقيدين بالحارات والأخطاط ، وهم يقيدون على مشـايخ الحارات بالاستقصاء عن ذلك من : خدمة الموتى ، والمغسلين ، والنساء القوابل ، وما فى معنى ذلك ، ثم ذكر الوكيل أن صارى عسكر ولد له مولـود ، فينبغى ويلزم أن تكتبوا له تهـئنة بذلك المولود ، الذى ولد له من المـرأة المسلمة الرشيدية ، وجوابًا عن هذا الرأى ، فكتبـوا ذلك فى ورقة كبيرة ، وأوصلها إليه الوكيل فوريه .

/ ١٣٢ب

وفى خامس عشرينه[1] ، أرسل كبير الفرنسيس إلـى مشايخ الديوان كتابًا ، وقرأه الترجمان الكبير رفاييل ، وصورته ونصه بالحرف الواحد :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مـن عبد الله جاك مـنو صارى عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مـصر حالاً ، إلى حضرة المـشايخ والعلمـاء أهالى الديوان المـنيف بمصر القـاهرة حالاً، أدام الله تـعالى فضـائلهم ، وزَيَّنَهـم بلميـع النور لإكمـال وظائفهـم ، ونجاز فرائضهم آمين يا معين ، والآن نخبركم أن الكتاب الذى حررتموه لنا ملأ أنفسنا سرورًا وقلبنا حـبورًا ، فثبت عندنا وتحقق وُفُورُ مـا عندكم من المحبة التى شـهدتم بها ، وما فيكم من البقية والنظام والعدل ، فحقًا إنكم لمستحقون لأن تكونوا فى مثل هذا المحل الذى اخترتم عليه ، فنحن نعلم أن القـرآن العظيم الشأن ، ذلك المصحف الأكمل ، والكتـاب المفضل ، يشـمل على مبـادىء الحكمة الـسنية والحقـوق اليقينـية ، وهذه المبادىء المذكورة لا يصح / بناؤها المتـين على الحكم والحق واليقين ، إلا إذا عرضت على أحســن الآداب ، وتعليم العلـوم بغير إرتياب ، وبـهذين تنتج أعظـم الفوائد ، وذلك بمساعى أناس متـحدين معًا برياضات الحظ والسعد ، وبمثـل ذلك عرفت أنه لمن المستحيـل أن القرآن الشريف يفصـح إلا على ما هو من باب النـظام ، لأنه من دون ذلك فكل ما هو فى هذا العالم الفـانى ليس إلا مَعَابِرَ وخراب ، ولا يسهى عنا أن كل ما هو من المـوجودات الكائنات ، كقـولك تلك المتحركـة بطريقة ونظام مـن قبل من جعلها للسير سـبحانه مبدع الأنام ، كالنجوم السايرة فى الأعالى ، وبـها نهتدى للسير الحالى ، ثم وعلى الخصوص تلك الفصول الأربع المتوالى انتقالها باستمرار جوالانها ، ثم واتصال الـليل بالنهـار ، والنهار بالليـل على حد واحد من المـقدار ، ثم ووجود المتبايـنات وتمييز النور من الـظلمات ، وإذ ذاك ، وما أدراك ، فماذا عسـى كان يحل بنا ، وبحال العالم بأسره أيضًا ، أو عدم هـذا النظام ولو برهة ؟ ، فالآن نرجو جناب

/ ١٣٣ أ

(١) ٢٥ شعبان ١٢١٥ هـ / ١١ يناير ١٨٠١ م .

حضرة المشايخ والعلماء يُفيدُونَنَا كيف ترى كان يـصير حال القطر المصرى لو يمتنع عن جريانه كعـادته، نهره هذا المبارك المشتهـر ، لا يسمح الله تعالى سبحانـه بذلك ، فبلا شك أن البـلاد قاطبة لا يمـكن أن تسكـن ، حين ذاك إلا ببحـر سنة واحدة فـقط ، وذلك من عـدم الماء ، وريّ أراضى هذه الممـلكة التى أنتـم قاطنون بهـا ، وفى ذلك الحين كانت تصعد الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان، والناس تهلك جوعًا وتعدم السكان ، فـتنشحن / الأرض من الأموات ، فنـعوذ بالله الحفيظ لسائـر المخلوقات ، ١٣٣ ب/ وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشياء بمـعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة ، وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب ، قد عرف أنهـا بدون ذلك تعـدم سريعًا وحالـها يغدو سـريعًا ، فالآن إنما نـكون نحن مـن أشر المذنبين إذا سـرنا سيرة كالضـالين ، وعلى أوامره عصـاة غير منخضـعين ، ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا وهذا القدر كفانا .

فيأيها المشايـخ المكرمون ، والعلماء المحققون ، ومن هم بـالعلم موصوفون ، لا يخفاكم أن ما فى النـظام فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسـن تام ، هو الاحتفال والميل إلى النظام الذى هو صادر ترتيبه عن حكـمة الله تعالى بوجه تام ، ثم إن البلاد وتلك النواحى التى يطلق على كونها فى حال النجاح والحظ والفلاح ، لا تعتد هكذا ، إلا إذا كان سكانهـا يهتدون إلى قواعد الشريـعة والفرائض الصادرة عن أصحـاب الفطنة والإدراك ، ويستعدون لـلسلوك بالعدل والإنصـاف ، خلافًا لغيرها من البـلاد التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على الدوام لما فيهم من العجرفة والإعتداد ، ولا ينعـطفون إلا إلى أهـواء أنفسهم المـنحرفة ، فجـناب حضرة بـونابرته الشـهير النـبيل الصنـديد الشجاع الجلـيل ، قد تقدم فأمـر بأن يحرر دفتر يـكتب ، فيه أسمـاء كامل الميتين، والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفـترًا آخر خلافه ، فيه يتحرر أسماء المولودين أيضًا، ومـن حيـث ذلك فلابـد أن أعتنـى منـذ الآن / مع جزيـل الاهتمـام لهـذين ١٣٤ أ/ الأمرين، وهـكذا أيضًا بتحـرير دفتر الـزواج ، إذا كان ذلك أشد المهـمات والحوادث الواجبات . ثم ويتبع ذلك بتجديد نظام غير قـابل التغيير فى ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل مَنْ ولد ، ومات مـن السكان ، وهذا يعرف من أهالى كل بـيت ، فعلى هذا الحال يتيسر للحـاكم الشرعى الحكم بالعدل والإنصاف ، وينقـطع الخلف والخصام ما بين الورثة ، وتقرر الـولادة ، ومعرفة السلالة التى هى الأجل والأوفر إسـتحقاقا فى الإرث ، وهكذا إن شاءأ الله لابد عـن الفحص والتفتيش بالحِرْصِ والـتدقيق ، وبذل الهمة للحصول بأقرب نوال إلى مـا يلزم لإكمال ما قصدناه ، ثم إن أراد الله لا بد أن أعتنى بالمـطالعة على وجه تام ، كـل وقت يقتضى لنا أن نـدبر أشياء تستفيـد بها هذه المملكـة التى قد تسلمـنا سياستها ، وبـهذا نوقف ونتحقـق كوننا امتثلـنا لأوامر دولة

جمهور الفرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونابرته ، فيا حضرة المشايخ والعلماء الكرام ، إننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا من تهئنة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك منو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين أن يجود به علىّ زمانًا مديدًا ، وأن يكون للعدل محبًا . وللإستقامة والحق مكرمًا ، وبوفاء وعده صادقًا ، وأن لا يكون من أهل الطمع ، فهذا هو أوفر الغنى الذى أَرْغَبَهُ لولدى ، لأن الرجل/ الذى لا يهتدى إلا بالخير لا يصرف اعتناءه إلا فى خير الأدب، لا فى قنية الفضة والذهب ، فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم ، والسلام». / ١٣٤ ب

وفى غايته[١] ، سقطت منارة جامع قوصون[٢] ، سقط نصفها الأعلى فهدم جانبًا من بوايك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات[٣] ، وبقى مسنودا كذلك قطعة واحدة ، وَأَظُنُّ أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود .

شهر رمضان[٤]

ثبت هلاله ليلة الجمعة[٥] ، وعملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك نظير عوائده التى يصرفها فى لوازم الركبة .

وفى خامسه[٦] ، وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا كتخدا الباشا ، وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل الأريب الأديب الشاعر الناثر السيد إسماعيل الشهير بالخشاب ، ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى ، وأهمل أمرها إلى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر ، فقال الوكيل : إن صارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس[٧] قبل الظهر بنصف ساعة إلى المسجد الحسينى ، ويكشف عنها، فإن وجد بها خللاً أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى إرسالها إلى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم / المشيخة الفرنساوية ، فقالوا له : «شأنكم وما تريدون» ، وقرأوا ورقة بمضمون ذلك . / ١٣٥ أ

وفى ذلك اليوم[٨] ، قرأوا ورقة مضمونها : « بأنه وردت مكاتبات من فرنسا

(١) غاية شعبان ١٢١٥ هـ / ١٥ يناير ١٨٠١ م .

(٢) جامع قوصون : يقع خارج باب زويلة ، أنشأه الأمير قوصون سنة ٧٣٠ هـ / ٢٩-١٣٣٠ م ، تولى عمارته شاد العمائر ، وأقيمت فيه أول خطبة فى رمضان ٧٣٠ هـ / ١٨ يونيه ١٣ يوليه ١٣٣٠ م .

(٣) درب الأغوات : فى نهاية الدرب النافذ الذى يمتد من جامع قوصون إلى هذا الدرب .

(٤) رمضان ١٢١٥ هـ / ١٦ يناير - ١٤ فبراير ١٨٠١ م . (٥) ١ رمضان ١٢١٥ هـ / ١٦ يناير ١٨٠١ م .

(٦) ٥ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٠ يناير ١٨٠١ م . (٧) ٧ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٢ يناير ١٨٠١ م .

(٨) ٥ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٠ يناير ١٨٠١ م .

بوقـوع الصـلح بينـهم وبين أهل الجزائر ، وتونس ، بشروط ممضاة مرضية ، وقد أطلقوا الإذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر لـلتجارة ، فمن سافر له الحماية والصيانة فى ذهابه وإيـابه وإقامته، باسـم دولة الجمهور الفـرنساوية إلى آخره » ، ولـم يظهر لذلك أثر .

وفيه[1] ، قرىء تقليـد الشيخ أحد العريشى بـقضاء مصر على ما هو عـليه حكم اتفاق الأجلة من المسلمين ، بموجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر .

فلما كان صـبح ذلك اليوم[2] ، أرسل شيـخ البلد بليـار إلى العريشى ومـشايخ الديوان والوجاقلية ، فـلما تكاملوا أخلع على القاضى العريـشى فروة سمور بولايته القضـاء ، وركب بصحبة الجـميع ، وجملة مـن العساكر الفـرنساوية ، وشيخ الـبلد بجانبه ، ومشوا من وسط المدينة إلى أن وصلوا إلى المحكمة بين القصرين ، فجلسوا ساعة من النهار، وقرىء تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان فوريه ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

وفى يوم الخميـس الموعود بذكره[3] ، توجه الوكيل ومشايـخ الديوان إلى المشهد الحسينى ، لإنتظار حـضور كبير الفرنسيس ، بسبب الكـشف على الكسوة ، وازدحم الناس زيادة على عادتهم فى الازدحام فى رمضان ، فلما حضر ونزل عن فرسه عند/ ١٣٥ ب/ الباب ، وأراد العبور للمسجد رأى ذلـك الإزدحام فهاب العبور وخاف من الدخول ، وسأل ممـن معه عن سـبب هذا الإزدحـام ، فقالـوا له : «هذه عادة الـناس فى نـهار رمضان يزدحـمون دائمًا على هذه الصـورة فى المسجد ، ولو حـصل منكم تنبـيه كنا أخرجناهم قبـل حضوركم » ، فركب فرسه ثانيًا وكر راجـعًا ، وقال : «نأتى فى يوم آخر» ، وانصرف حيث جاء ، وانصرفوا .

وفى ليلة السـبت تاسعه[4] ، حصلت كايـنة سيدى محمود وأخيه سـيدى محمد المعـروف بأبى دفـية ، وذلك أن سيـدى محمـود المذكور كـان بينه وبـين على بـاشا الطرابلسى صـداقة ومحبة أيام إقامته بالجـيزة ، وحج صحبته فى سنة ، فـلما وقعت حادثـة الفرنسـاوية ، وخرج عـلى باشـا المذكور مع مـن خرج إلى الـشام ، ووردت العساكر الإسلامية صحبة حضرة مولانا الـعزيز الأعظم ، وصحبته على باشا المذكور، وله به مزيد الوصلة والعناية، والمرجع لخبرته بالأقطار المصرية، ومعرفته أهالى البلاد، استشاره فى شخـص يعرفه يكون عينًا بمصر لـيراسله ويطالعه بالأخبـار ، فأشار عليه بمحمود جلبى المذكـور ، فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار ، فـلما قدموا إلى مصر فى السنة الماضية[5] ، وجرى ما جرى من نقض الصـلح ، ورجوع عرضى همايون ،

(١) ٥ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٠ يناير ١٨٠١ م .
(٢) ٥ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٠ يناير ١٨٠١ م .
(٣) ٧ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٢ يناير ١٨٠١ م .
(٤) ٩ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠١ م .
(٥) ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م .

ولأن على باشا ارتحل إلى الديار الرومية ليطالعهم كذلك بالأخبار مع شدة/ الحذر /١٣٦ أ خوفاً من سطوة الفرنساوية وتجسس عيونهم المقيدة لذلك .

فكان يذهب إلى قليوب[1] ، ويتلقى ورود القاصد ويرد له الجواب .

فلما كان فى التاريخ[2] ، ورد عليه رسول ومعه جواب ، وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية ، وفيه الأمر بتوزيعها ووضعها فى أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية ، فوزع اثنتين ، وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك إلا ليلاً ، فأعطاها خادمه ، وأمره أن يشكها بمسمار بحايط ذلك المكان ، وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب ففعل وتلكأ فى الذهاب ، فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلى الدَّارِ فنزلوا إليه ، وأخذوا الورقة ، وقبضوا على ذلك الخادم ، وصادف ذلك مرور حسن القلق ، وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجاهة عند الفرنسيس ، فاغتنم هذه الفرصة ، وقبض على الخادم مع الفرنساوية ، وسيده ينظر إليه من بعيد .

وعلم أنه وقع فى خطب لا ينجيه منه إلا الفرار ، فرجع إلى داره ، وتحدث مع أخيه واستشاره ، فيما وقع فيه، فأشار عليه بالإختفاء ، ويقيم أخوه بالمنزل مستهدفًا للقضاء، وليكون وِقَايَةً على منزله وعرضه، وليس هو مقصود بالذات، فكان كذلك، وتغيب سيدى محمود .

وأصبح الطلب قاصده ، فلما لم يجدوه قبصوا على أخيه محمد أفندى ومن كان معه بالبيت ، وهو الشيخ خليل المنير ، وقرابته إسماعيل جلبى ونسيبه / البرنوسى ، /١٣٦ب والسقا ، وشيخ حارتهم ، وحبسوهم ببيت قائم مقام ، وهم سبعة أنفار بالخادم المقبوض عليه أولاً ، وأوقفوا حرسًا بدارهم، واجتهدوا فى الفحص عن سيدى محمود، وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقائه أيامًا ، فلما لم يقفوا له على خبر أحاطوا بالدار ونهبوا ما فيها ، وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع والمخبآت .

ثم أصعدوهم إلى القلعة ، وضيقوا عليهم ، وأرسلوا خلف أبى الشوارب الشوَّارْبِي شيخ قلوب ومن كان ينتقل عندهم ، وألزموهم بإحضاره ، فأنكروه وجحدوه ، ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالاً فرانسة ، وجعلوا له ألفًا إن دلهم عليه ، وقيدوا به عينًا يتبعه أينما توجه ، فاسمر أيامًا يغدو ويروح فى مظنانه ، فلم يقع له على خبر ، فردوه إلى السجن ، ثانيًا ، عند أصحابه ، أما سيدى محمود فوقع له مزيد المشقة فى مدة اختفائه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان

(١) قليوب : أنظر ، ص ٩١ ، حاشية رقم (٢) . (٢) ٩ رمضان ١٢١٥ هـ/ ٢٤ يناير ١٨٠١ م .

وأهل مصر ، وكل من التجأ إليه ، وأحب أن يتوارى عند زيفه !! وتنكر منه ، حتى ذهب إلى أتريب[1] عند أولاد درب الشمسى فتلقاه حسن جلبى وأكرمه بخلاف ابن عمه محمد جوربجى ، فإنه تكدر من مجيئه عندهم ، وخاصم ابن عمه من أجله ، وأرسل إليه المرار العديدة يأمره بالذهاب لئلا يلحقهم الضرر بسبب حلوله عندهم ، وذهب إلى دجوة[2] عند أولاد ابن حبيب فزيفوه أيضًا ، ولم يقبلوه ثم إنه ذهب إلى مييه[3] عند أولاد حلاوة ، فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيما عندهم فى غاية الإكرام حتى ورد العرضى / المنصور إلى ناحية بنها[4] وفرج الله عنه . ١٣٧ أ/

ولما كان يوم الخميس رابع عشره[5] تقيد للحضور بسبب الكشف عن الكسوة استوفو[6] خازندار الجمهور ، وفوريه[7] وكيل الديوان ، فحضر مشايخ الديوان والقاضى والأغا والوالى والمحتسب ، بعد ما أخلى المسجد من الناس ، وأحضروا خدامى الكسوة الأقدمين وحلّوها ، وكشفوا عليها ، فوجدوا بها بعض خلل فأمروا بإصلاحها ، ورسموا لذلك ثلاثة آلاف نصف فضة ، ولخدمة الضريح بألف نصف فضة ، ولخدمتها الذين يخدمونها مثلها ، ثم طويت ووضعت فى مكانها بعد ترقيعها وإصلاحها .

وفى رابع عشرينه[8] ، ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين من فرانسة ، فيهما عساكر وآلات حرب ، وأخبار بأن بونابرته أغار على بلاد النمساوية ، وحاربهم وحاصرهم وضايقهم ، وأنهم نزلوا على حكمه ، وبقى الأمر بينه وبينهم على شروط الصلح ، وأنه استغنى عن هذه الآلات والعساكر ، وقصد إرسالها إلى مصر ، وسيأتى فى إثرهم مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح ، ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم غيرهم فيها ، هكذا قالوا هذا الكلام ، وقرأوه فى ورقة بالديوان .

(١) أتريب : مدينة قديمة ، إسمها المصرى المدنى "Hat hir ab" ، واسمها الدينى Ka kem ، والقبطى Atrebi ، ومنها إسمها العربى أتريب ، وهى إحدى مدن مركز بنها ، محافظة القليوبية . رمزى ، محمد: المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(٢) دجوة : قرية قديمة ، وهى الآن مدينة صغيرة ، وإحدى بلدان مركز طوخ ، محافظة القليوبية . نفس المرجع، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٤٥ .

(٤) بنها : كانت قرية قديمة ، إسمها المصرى Perneha ، والقبطى Banaho وعرفت بنها العسل ، وهى قاعدة محافظة القليوبية . نفس المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٠-٢١ .

(٥) ١٤ رمضان ١٢١٥ م / ٢٩ يناير ١٨٠١ م .

(٦) أستوف : Estéve مدير الشئون المالية .

(٧) فوريه : Fourier .

(٨) ٢٤ رمضان ١٢١٥ هـ / ٨ فبراير ١٨٠١ م .

شهر شوال[1]

فيه[2] ، بدأ أمر الطاعون ، فانزعج الفرنساوية من ذلك ، وَجَرَّدُوا مجالسهم من الفرش، وكنسوها وغلسوها، وشرعوا فى عمل كرنتينات ومحافظات .

وفى ثامنة[3] ، قال وكيل الديوان للمشايخ : « إن حضرة صارى عسكر بعث إلى كتابًا معناه إيضاح ما يتعلق / بأمر الكرنتيلة ، ويرى رأيكم فى ذلك ، وهل توافقون على رأى الفرنساوية أم تخالفون ؟ »، فقالوا : «حتى ننظر ما هو المقصود» ، فقال : « حضرة أرباب الديوان يجب عليهم أن يعلموا الطريق الذى يكون سبباً لانقطاع هذه العلة ، فإننا نبغى لهم ولغيرهم الخير ، فإن أجابوا فذاك ، وإلا فيلزمون ولو قهراً ، وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة ،ومن الذى يتغافل عما يكون سبباً لقطع هذا الداء ، فإنَّ رَأْيَنَا قد انعقد على ذلك، ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان، لأن حفظ الصحة واجب ، ولذا نرى كثيراً من الناس ، ولا سيما المتشرعون يستعمل الطبيب عند المرض ، رعاية لحفظ الصحة ، وما نحن فيه من ذلك ، ونذكر لكم أن بلاد الغرب قد اعتمدوا فعل الكرنتيلة الآن ، فعلماء القاهرة آولى بأَلا يتأخروا عن استعمال الوسائط ، إذ قد ربطت الأسباب بالمسببات » ، فقيل له : « وما الذى تأمرون به أن يفعل ؟ » ، فقال : « هو الحذر لا غير ، وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه إذا دخل الطاعون بيتاً لا يدخل فيه أحد ولا يخرج منه أحد ، مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة المريض وعلاجه ، وسيوضح لكم ذلك فيما بعد ، يعنى بعد أن تذعنوا للطاعة وعدم المخالفة » ، وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل ، وانفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض صارى عسكر فى ذلك ، ثم يدبرون أمراً وطريقة ، يكون فيها الراحة للمسلمين والفرنسيس ، فإن هذا فيه مشقة على المسلمين لعدم ألفتهم لهذه الأمور .

/ ١٣٧ ب

وفى ثالث عشره[4] ،/ ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها .

/ ١٣٨ أ

وفى رابع عشره[5] ، قرئت ورقة حضرت من صارى عسكر بالديوان ، ولصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق ، ونصها بعد البسملة والجلالة : « من عبد الله جاك منو سر عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ، إلىّ كامل الأهالى كبير وصغير ، غنى وفقير ، المقيمين

(١) شوال ١٢١٥هـ / ١٥ فبراير - ١٥ مارس ١٨٠١م .
(٢) ١ شوال ١٢١٥هـ / ١٥ فبراير ١٨٠١م .
(٣) ٨ شوال ١٢١٥هـ / ٢٢ فبراير ١٨٠١م .
(٤) ١٣ شوال ١٢١٥هـ / ٢٧ فبراير ١٨٠١م .
(٥) ١٤ شوال ١٢١٥ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠١م .

حالا بمحروسة مصر ، وبمملكة مصر ، الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ، ولا يفتشون إلا على الإضرار بالناس وإضراركم ، يشهرون فى وسط المدينة بينكم أخباراً ردية ، تزويداً لتخويفكم وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب وافتراء ، فإنما نحن نخبركم جميعاً أن كلاً من الأهالى المذكورة من أى طائفة وملة كان ، بالذى يثبت عليه الإشهاد أو النشر من نفسه بينكم ذلك الأخبار الردية المكذوبة ، تخويفاً لكم وإضلالا بالناس ، ففى الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبته دفعة بِوَسَطِ واحدة طرق مصر ، ويا أهالى مصر ، انتبهوا وتذكروا هذه الكلمات ، وكونوا مستريحين البال ومترفهين الحال ، وإنما دولة الجمهور الفرنساوى حاضر لحمايتكم وصيانتكم ، ولكن ناظر كذلك إلى تعذيب العصاة ، والسلام على من اتَّبعَ الهدى والصدق والإستقامة ، تحريراً فى ستة شهر وانتور[1] سنة تسع الموافق لحادى عشر شهر شوال[2] » ، فعلم الناس من فحوى ذلك ، ورود شىء أو حصول شىء على حد قول المثل المشهور : « كاد / المرتاب أن يقول خذونى » ، لأن الناس إذ ذاك ليس لهم فكر ولا ذكر إلا بواقى الفردة وما لزمهم فى المليون ، ولا شغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه ، والسبب فيما ذكر ، أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب من جهة أبو قير .

١٣٨ ب/

وفى ذلك المجلس ، سئل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شىء ؟ ، فقال : «لابد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهو أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات[3] والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ما عدا الإنكليز ، فإنه الآن مضيق عليه ، وربما كان ذلك سبباً لرضاه بالدخول فى الصلح ، وقد خرج من فرنسا عمارة ربما توجهت على الهند ، وربما أنهم يقدمون إلى مصر ، وقد وصل لصارى عسكر ، أمر من المشيخة ، بوصول مراكب الموسقو[4] التى تحمل الذخائر إلى الفرنساوية ، وأن يمكنهم من دخول الإسكندرية ، وقد خرج ستة غلايين من فرنسا إلى بحر الهند[5] ، فربما قدموا بعد ذلك إلى جهة السويس ، وبورود هذه الأخبار تعين خلو مصر إلى جمهور الفرنساوية ، وفى سالف الزمان كانت جميع القرانات التى بالجهة الشمالية ضد الفرنساوية ، وقد زالت الآن هذه الضدية ، ومتى انقضى أمر الحرب ، عمت الراحة والرأفة والنظر بالملاطفة للرعية ، والذى أوجب الاغتصاب والعسف إنما هو الحرب ، ولو دامت المسالمة لما وقع شىء من هذا ، » فقال

(١) صحة اسم الشهر الفرنسى : « فانتوز Ventose » ، وهو الشهر السادس من تقويم الثورة الفرنسية .

(٢) ١١ شوال ١٢١٥هـ / ٢٥ فبراير ١٨٠١م .

(٣) القرانات : الدول المعادية لفرنسا آنذاك .

(٤) الموسقو : روسيا .

(٥) بحر الهند : المحيط الهندى .

بعض أهل الـديون : «سنة الملوك الـعفو والصفح ، ومـا مضى لا يعاد ، فارحـمونا واعفوا عـما سلف » ، فـقال الوكيل : « قـد وقع الامتحـان / ولم يبق إلا الـسلم والمسامحة » . / ١٣٩ أ

يقول جامعه[١] : « وهذا كله تمويـه على العقول ، وكذب بحـت ، يرده المنقول والمعقول » .

وفيه[٢] ، قبضـوا على عمـر القلق أغـا المغاربة المـرتبة عنـدهم عسكـرا ، وعلى شخصين آخرين ، يدعى أحدهما : على جلبى ، والآخر : مصطفى جلبى ، وسجنا بالقلـعة ، وسبب ذلك أنه حـضر إلى مصطفـى جلبى مكتـوب نسيبه بجـهة الشام ، يطلب منه بعـض حوائج ، فقرىء ذلك المكتوب بحضرة عمر الـقلق ورفيقه الآخر ، فوشى بهم رجل قواس، فقبضوا على الجميع، وكان مصطفى جلبى المذكور ، يسكن ببيته محمد أفـندى ثانى قلفه[٣] ، فدخلـوا يفتشون علـيه فى الدار ، فلـم يجدوه ، فألزموا به محمد أفندى المذكور وأزعجـوه ، وأحاط به عدة من العسكر ، ولم يمكّنوه من القيام من مجلسه ، ولا من اجتـماعه بأحد ، وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان ، لـم يفرجوا عن مـحمد أفندى ، بل استمر معـهم فى الترسيم ، ووجدوا مكـاناً بالدار به أسلحة وأمتعة ، فنهبوه واتهمت الـدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكرب ، حتى أن بعض جـيران ذلك المحل كـبر عنده الخوف ، وغـلب عليـه الوهم ، فمـات فجأة رحمه الله ، ثم فرج الله عن محمد أفندى بعد ثـلاثة أيام ، وأطلق عمر القلق لظهور براءته ، ولـم يكن له جرم غـير العلم والسـكوت ، وانتقل مـحمد أفندى مـن تلك الدرا، وما صدّق بخلاصه منها ، وبقى مصطفى جلبى ، وعلى جلبى فى الحبس .

وفى سابع عشره[٤]، استفيضت الأخبار/ بوصول مراكب إلى أبو قير كما تقدم . / ١٣٩ ب

وفى ثامن عشره[٥] ، خرج جملة مـن العساكر الفرنساوية ، وسـافروا إلى الجهة البحرية براً وبحراً .

وفى عشرينه[٦] ، اجتمع أهل الديوان به على العادة فبدأ الوكيل ، يقول : « إنه

(١) المقصود بِجَامِعَهُ هنا ، هو نفس المؤلف : عبد الرحمن بن حسن الجبرتى .

(٢) ١٤ شوال ١٢١٥هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠١م .

(٣) ثانى قلـفه : أى الشخص الثـانى فى ترتيب مـساعدى الروزنامجى الأربـعة ويسمى ثانـى قلفة أو ثانى خـليفة ، والخلفاء الأربعـة هم الذين يشرفون على كـل الأعمال الحسابية التى يـنجزها الأفندية ، ويشرفـون كذلك على السجلات التى تحت أيديهم . أحمد ، ليلى عبد اللطيف ، المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٤) ١٧ شوال ١٢١٥ هـ / ٣ مارس ١٨٠١م .

(٥) ١٨ شوال ١٢١٥هـ / ٤ مارس ١٨٠١م .

(٦) ٢٠ شوال ١٢١٥هـ / ٦ مارس ١٨٠١م .

كان يظن أنه يكون حرب » ، ولكن وردت أخبار أن المراكب التى حضرت إلى إسكندرية ، وهم نحو مائة وعشرون مركباً قد رجعوا ، فقيل له : « وما هذه المراكب؟ » ، فقال: «مراكب فيها طائفة من الإنكليز وصحبتهم جماعة من الأورام ، ليس فيهم مراكب كبار إلا قليل جداً ، وباقيهم صغار تحمل الذخيرة » ، ثم قال : « إن حضرة صارى عسكر قد كان وجه إليكم فرماناً فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو وإن كان قد فات موضعه من حيث إنه كان يظن أن هناك حربًا[1] ، ولكن من حيث كونه قد برز إلى الوجود ، فينبغى أن يتلى على مسامعكم ، ثم أمر رفائيل الترجمان بقراءته ، وصورته :

« من عبد الله جاك منو ، سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ، إلى جميع الكبير والصغير . الأغنياء والفقراء ، والمشايخ والعلماء ، وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق ، والخاص لجميع أهالى بر مصر ، سلمهم الله بمقام السر عسكر الكبير بمصر فى أربعة عشر شهر « ونتوز » سنة تسعة من قيام الجمهور الفرنساوية ، واحد ولا ينقسم ، ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة ، وتحته إن الله هو هادى الجنود ، ومعطى النصرة لمن يشاء، والسيف الصقيل فى يد / ملاكه ، يسابق دائماً الفرنساوية ، ويضمحل ١٤٠ أ/ أعداؤهم ، إن الإنكليزية الذين يظلمون كل جنس هم للشر فى كل المواضع ، فهم ظهروا فى السواحل ، وإن كانوا يتجرءون بوضع أرجلهم فى البر ، فيرتدوا فى الحال إلى أعقابهم فى البحر ، والعثمنلى متحركون كهؤلاء الإنكليزية ؛ يعملون أيضاً بعض حركات ، فإن قدموا الحال يرتدون ، وينقلعون فى غبار وعفار البادية .

فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر ، إنى أنا أخبركم إن كنتم تسلكون طريق الخائفين الله ، وتبقون مستريحين فى بيوتكم ، ومقيمين كما كنتم فى أشغالكم وأغراضكم ، فحينئذ لا خوف عليكم ، ولكن إن كان واحد منكم يسلك للفساد ، واضلالا لكم بالعداوة ضد دولة الجمهور الفرنساوى ، فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم ، إن رأس ذى المفسد ترمى فى تلك الساعة ، فتذكروا فى كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة ، وجرى دماء آبائكم ونسائكم وأولادكم فى كل مملكة مصر ؛ خصوصاً بمحروسة مصر ، وخواصكم انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليهم فردة قوية غير المعتاد ، فأدخلوا فى عقولكم وأذهانكم ما قلت لكم الآن ، والسلام على كل من هو فى طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير ، ممضى

(١) بالأصل « حرب » ، صوبت .

خالص الفؤاد عبد الله جاك منو » . وفى ذلك اليوم[1] ، عملوا شكنا وضربوا عدة مدافع من القلاع ، فارتاع الناس لذلك واضطربوا اضطراباً شديداً ، فسئل من الفرنسيس ، فأخبروا أن ذلك سرور / بقدوم مركبين من فرانسة إلى إسكندرية وذلك كذب لا أصل له . / ١٤٠ ب

وفى ذلك اليوم أيضاً [2] ، وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة ، وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب إلى أبو قير ، قلت الغلال من الرقع ، وارتفعت أثمانها ، فتفاوضوا فى شأن ذلك ، وأنه لابد من اعتناء الحكام بزجر الباعة ، وطواف المحتسب ، وشيخ البلد ، على الرقع والسواحل .

ولما قرئ المكتوب المذكور ، قال بعض الحاضرين : « العقلاء لا يسعون فى الفساد ، وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم » ، فقال الوكيل : « ينبغى للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين ، فإن البلاء يعم المفسد وغيره » ، فقال بعضهم : « هذا ليس بجيّد بل العقاب لا يكون إلا على المذنب » ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[3] . وقال آخر من أهل المجلس : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[4] . فقال الوكيل : « المفسدون فيما تقدم أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فإنها لا تقرأ القرآن » . وقال آخر : «المصلح نيته تخلصه» ، فقال الوكيل : « إن المصلح من يشمل صلاحه الرعية ، فإن صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط ، والثانى أكثر نفعاً » ، وطال البحث والمناقشة فى نحو ذلك .

فلما كان عصر ذلك اليوم[5] ، بعثوا أوراقاً من كبير الفرنسيس إلى وكيل الديوان ، فأرسلها إلى المشايخ ، وهى عبارة عن جواب المناقشة المذكورة ، وصورته بعد البسملة والجلالة .

« من عبد الله جاك منو ، سر عسكر أمير عام جيوش / دولة الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ، إلى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضائهم وألهمهم الحكمة الواجبة ، لإجراء فرائضهم . / ١٤١ أ

(١) ٢٠ شوال ١٢١٥هـ / ٦ مارس ١٨٠١م .
(٢) ٢٠ شوال ١٢١٥هـ / ٦ مارس ١٨٠١م .
(٣) سورة : المدثر رقم (٧٤) ، آية رقم (٨) .
(٤) سورة : الأنعام رقم (٦) ، آية رقم (١٦٤) .
(٥) ٢٠ شوال ١٢١٥هـ / ٦ مارس ١٨٠١م .

نرسل لحضراتكم يا مشايخ ويا علماء الكرام نداء جديداً ، خطاباً إلى جميع أهالى مملكة مصر ، وخصوصاً أهل محروسة مصر ، ولا شبهة لى فى تقييدكم لتنبيههم بكل ما هو محرر فيها ، وغير ذلك ، تذكروا أن هذا التنبيه هو فرضكم ، إنما حضراتكم ها هنا رجال دولة الجمهور الفرنساوية ، فيبقى فى عقولكم وأذهانكم كل ما وقع حين قصاص مصر الأخيرة ، تفهمون بناء على ذلك ، كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق ، لأنَّهُ إن كان يصير أصغر الحركات فلابد أثقالها تقع على رؤوسكم ، وغير ذلك ، ورد لنا فى الحال أخبار من فرنسا أنه كلمت المصالحة مع إمبراطور النمسا ، وأن قيصر الروسية بَيَّنَ وأقام المحاربة ضد دولة العثمنلية والسلام » .

ولما أصبح ثانى يوم[1] ، اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الشرقاوى ، وحضر الأغا والوالى والمحتسب ، وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط ، وأمروهم بضبط من هو دونهم ، وأن لا يغفلوا أمر عامتهم ، وخوفوهم العاقبة ، وأن يشتغلوا بما يعنيهم ، على أنه لم يبق فى الناس إلا رسوم هافتة[2] ، وانفصلوا على ذلك .

/١٤١ ب/ هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد ، وبث المعينين من القواسة / والفرنساوية فى المطالبة بالثلث ، والمنكسر الباقى من الفردة[3] ، والتشديد فى أمر الكرنتيلة[4] ، وارعاج الناس فى ذلك وخوفهم من حصول الطاعون ، وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء فى مكان كشفوا عليه ، فإن كان مريضاً بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب إلى الكرنتيلة عندهم ، وانقطع خبره عن أهله ، إلا أن كان له أجل باق ، فيشفى من ذلك ويعود إليهم صحيحاً ، وإلا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلا ، ولا يدرى خبره ، لأنه إذا مات أخذه الموكلون بالكرنتيلة ودفنوه بثيابه فى حفرة ، وردموا عليه التراب ، وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها أحد ، مدة أربعة أيام ، ويحرقون ثيابه التى تختص به ، ويقف على باب حرس ، فإنه مر أحد ولمس الباب ، أو الحد المحدود قبضوا عليه ، وأدخلوه الدار وكرتنوه ، وإن مات الشخص فى بيته وظهر أنه مطعون ، جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوه ، وغسله وحمله الحمالون لا غير ، وخرجوا به من غير مشهد ، وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه ، فإن قرب منه أحد كرتنوه فى الحال ، وبعد دفنه يكرتنون كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن .

(١) ٢١ شوال ١٢١٥هـ / ٧ مارس ١٨٠٧م .
(٢) أى لم يبق من الناس إلا من كان كالأشباح .
(٣) الفردة : أنظر ، ص ٤٩ ، حاشية رقم (٤) .
(٤) الكرنتيلة : أنظر ، ص ١٠٢ ، حاشية رقم (٧) .

فهال الناس ذلك الفعل ، واستبشعوه ، وأخذوا فى الهرب والخروج من مصر إلى الأرياف لذلك ، ولتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب إلى أبو قير ، وتحذر الفرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم إلى القلعة .

وفى تاسع عشره[1] ، خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم ، وذهبوا إلى جهة/ الشرق ، وأشيع حضور عرضى همايون ، ووصوله إلى العريش . /١٤٢ أ

وفيه[2] ، أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة وحبسوه .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه[3] ، قبضوا أيضاً على حسن أغا المحتسب ، وأصعدوه إلى القلعة ، وحبسوه بالبرج الكبير .

ولما أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة سأل المؤكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه ، فقال له : « لم يكن إلا الحذر من إثارتك الفتن فى البلد ، وإهاجة العامة لبغضك الفرنسيس ، لما سبق لك منهم من الإيذاء » .

وأما المحتسب فإن الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبا إلى قائم مقام ، والى كبير الفرنسيس وتكلما فى شأنه ، فأجاباهما بأن هذا لم يكن من شغلكما ، وقيل للسيد أحمد : « إنك رجل تاجر ، وليس المحتسب من جنسك حتى تشفع فيه » ، فقال : « إنا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ، ولا نعرف له ذنباً يوجب حبسه ، لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيس » ، فقالا على لسان الترجمان : « الله يعلم ذنبه ، وصارى عسكر ، وهو أيضاً يعلم ذلك من نفسه » ، ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره ، فكان كتخداه يركب مع الأغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة .

وفيه[4] ، نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الإنزعاج من أمر الكرنتيلة ، وأن من مات لا تحرق إلا ثيابه التى على بدنه لا غير ، وكان أشيع فى الناس أن من مات بدار أحرقوا تلك الدار ، وقصدهم عمل كرنتيلة على البلد بتمامها ، فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم ،/ ووهم جسيم ، فنودى بذلك ليسكن روع الناس . /١٤٢ ب

وفى يوم الخميس سادس عشرينه[5] ، أرسل كبير الفرنسيس ، وطلب رؤساء الديوان والتجار إلى منزله ، فأعلمهم أنه مسافر إلى بحرى ، وتارك بمصر قائم مقام بليار[6] ، وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرهم على

(١) ١٩ شوال ١٢١٥ هـ / ٥ مارس ١٨٠١م .
(٢) ١٩ شوال ١٢١٥ هـ / ٥ مارس ١٨٠١م .
(٣) ٢٤ شوال ١٢١٥ هـ / ١٠ مارس ١٨٠١م .
(٤) ٢٤ شوال ١٢١٥ هـ / ١٠ مارس ١٨٠١م .
(٥) ٢٦ شوال ١٢١٥ هـ / ١٢ مارس ١٨٠١م .
(٦) بليار : "Belliard" .

البلد ، وكـــان القصد حبسهــم رهينة ، فاستشـــاروا فى ذلك ، فاقتضى رأيهــم تأخير ذلك ، وركب من فوره مسافراً من غير عود ولا رجعة .

وحضر الجماعة إلى الديوان واجتمعوا بالوكيل فورية[1] ، فأخبرهم أنه حضر إلى ناحية أبو قير طائفة من الإنكليز وصحبتهم طائفة من المالطية[2] ، وأخرى نابلطية[3] ، وطلعوا إلى قطعة أرض رخوة بين سلسولين[4] ، من الماء ، وأن الفرنســاوية محيطون بهم من كل جهة .

وفى سابع عشرينه[5] ، رجعت الـعساكر الـتى كانت توجــهت إلى جهــة الشرق بحمولهم وأثقالهم ، وصحبتــهم صارى عسكر الشرقية رينيه[6] ، فسافروا مــن يومهم ولحقوا بكبيرهم بـرًا وبحراً ، وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سائـرين حتى وصلوا إلى الصالحية[7] ، وأرسلوا هجانة إلى العريش[8] ، فلم يجدوا أحــداً ، فكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقاً .

شهر ذى ا " ة[9]

فى ثالثة[10] ، أمر وكيل الـديوان ، أرباب الديوان ، بأن يـكتبوا لصارى عـسكر مكتوباً بالسلام ففعلوا ما أمر به .

وفى سادسه[11] ، توفى مـحمد أغا مـستحفظــان مطعونــاً ، فمرض يوم الـسبت ومات ليــلة الأحد ، فوضعــوه فى نعش ، وخرج به الحـمالون لا غيره ، مــن / غير مشهــد ولا جماعة ، وأمامــه جماعة منهــم يطردون الناس عــن التقرب إلى نــعشه ، وكرتنوا داره ، وأغلـقوها على من فيهــا ، ولـم يقلدوا عوضه أحداً ، بـل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضاً عنه ، وذلك بمعونة نـصر الله النصرانى ، ترجمان قائم مقام ، فاستقـر عبد العال المــذكور أغاة مستحـفظان ، ومحتسبــاً ؛ فكان ذلك مـــن جملة النوادر والعبر .

١٤٣ أ/

فإن عبد العال هــذا كان من أسافل العامة وأراذلهم ، وكان أجيــراً لبعض نصارى

(١) فوريه : "Fourier" .

(٢) المالطية : أى مجموعة من فرسان مالطة الذين يعرفون بفرسان القديس يوحنا .

(٣) نابلطية : أى جماعة من الإيطاليين . ويرجح أنهم من منطقة نابلى .

(٤) سلسولين : أى بين مجريين صغيرين من الماء .

(٥) ٢٧ شوال ١٢١٥ هـ / ١٣ مارس ١٨٠١م .

(٦) رينيه : "Reynier" ، أحد ضباط الحملة .

(٧) الصالحية : أنظر ، ص ٨٣ ، حاشية رقم (٦) .

(٨) العريش : أنظر ، ص ١٠٥ ، حاشية رقم (٥) .

(٩) القعدة ١٢١٥هـ / ١٦ مارس - ١٤ أبريل ١٨٠١م .

(١٠) ٣ القعدة ١٢١٥هـ / ١٨ مارس ١٨٠١م .

(١١) ٦ القعدة ١٢١٥هـ / ٢١ مارس ١٨٠١م .

الشوام بخان الحمزاوى[1] يخدمه ، ثم توسط لمصطفى أغا السابق بسبب معرفته للنصارى التراجمين ، حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية ، فعمله كتخداه ومشيره ، فلما تولى محمد أغا ، ولكن دون الحالة التى كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا عن ذلك المقتول ، فلما توفى فى هذا الوقت ترك لعبد العال الأمر لاشتغال الوقت بما هو الأهم ، من انفتاح الحروب والطاعون ، وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثاء تاسعه[2] ، أشيع فى الناس أن حضرة الصدر الأعظم تحرك للقدوم إلى جهة الديار المصرية ، وأن بعض العساكر الإسلامية وصلوا إلى العريش ، ووصلت الأخبار إلى الفرنسيس ، فداخلهم الوهم والخوف ، ووقع بهم الإرهاب والانزعَاج .

ولما كان عشاء تلك الليلة[3] ، أرسلوا خلف مشايخ الديوان ، فلما تكامل حضورهم حضر فورية وكيل الديوان وصحبته آخر من الفرنسيس ، من طرف قائم مقام ، فتكلم فوريه كلاماً كثيراً ، ليزيل عنهم الوهم ويوانسهم بزخرف القول ، كقوله : « إنه يحب المسلمين ، ويميل / بطبعه إليهم ، وخصوصاً العلماء وأهل الفضائل ، ويفرح لفرحهم ، ويغتمّ لغمّهم ، ولا يحب لهم إلا الخير ، وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج ، وأن صارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوماً ، وأمرهم بإجرائها ، والمشى عليها فى أوقاتها ، وأنه عند سفره قصد أن يعوّق المشايخ وأعيان الناس ويتركهم فى الترسيم رهينة عن المسلمين ، فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا إلى أبو قير ليسوا من المسلمين ، وإنما هم إنكليزية ، ونابلطية وأعداء للفرنساوية وللمسلمين أيضاً ، وليسوا من ملتهم ، حتى يخشى من ميلهم إليهم ، أو يتعصبوا من أجلهم ، والآن بلغنا أن عرضى المسلمين تحرك إلى هذا الطرف ، فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان[4] ، وذلك من قوانين الحروب عندنا ، ولا يكون عندكم تكدر ولا وهم بسبب ذلك ، فليس إلا الإعزاز والإكرام أينما كنتم ، والوكيل يكون دائماً نظره معهم ، ولا يغفل عن تعليل مزاجهم ، فى كل وقت ويوم » ، ثم انتهى الكلام .

/ ١٤٣ ب

وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ ، وهم : الشرقاوى ، والشيخ المهدى ، والشيخ الصاوى ، والشيخ الفيومى ، فأصعدوهم إلى القلعة فى

(١) خان الحمزاوى : خان كان قائما بالحمزاوى أسفل الربع .

(٢) ٩ القعدة ١٢١٥هـ / ٢٤ مارس ١٨٠١م . (٣) ٩ القعدة ١٢١٥هـ / ٢٤ مارس ١٨٠١م .

(٤) تعويق بعض الأعيان : أى إعتقال بعض الأعيان والتحفظ عليهم .

الرابعة من الليل ، وأجسلوهم بمسجد سيدى ساريه[1] ، ونقلوا إلى مكانهم الشيخ السادات ، فاستمر معهم بالمسجد ؛ وأطلقوا لكل شيخ خادماً يطلع إليه وينزل ، ليقضى له أشغله وما يحتاج إليه من منزله ، والذى يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم أخذ له ورقة بالإذن من قائم مقام ، ويطلع بها فلا يمنع ، وكذلك أصعدوا إبراهيم أفندى كاتب البُهار ، وأحمد بن محمود محرم ، وحسين قرا إبراهيم ، ويوسف باش جاويش[2] / تَفكْشيَان[3] ، وعلى كتخدا يحيى أغا الجراكسة[4] ، ومصطفى أغا أبطال ، وعلى كتخدا النجّدلى ، ومحمد أفندى سليم ، ومصطفى أفندى جمليان[5] ، ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، وأمروا المشايخ والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم إلى البلد والعامة ، وأنهم يترددون على بليار قائم مقام ، ويعلمونه بالأمور التى ينشأ عنها الشرور والفتن .

١٤٤ أ/

وأهمل ديوان المليون ، والمطالبة بثلثه ، وكذلك كسرة الفردة ، ونَفَّسَ الله عن الناس ؛ وكذلك تسوهل فى أمر الكرنتيلة ، وإجازة الأموات ، وعدم الكشف عليهم ، وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت . وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ، ونقل متاعهم ، وصناديقهم وفرشهم وذخائرهم إلى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلا ونهاراً ، والطاعون متعلق فيهم ، ويموت منهم العدة فى كل يوم .

وفى حادى عشره[6] ، أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومى ، وأنزلُوه من القلعة ، ليكون مع من لم يحبس ، وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور إلى الديوان

---

(١) مسجد سيدى سارية : مسجد فى قلعة الجبل مشهور ، وبقربه زاوية الشيخ محمد الكعكى ، وبه منبر خشب ودكة ، وله منارة ومطهرة وينسب إلى سيدى سارية صاحب رسول الله ﷺ . مبارك ، على : المرجع السابق ، حـ٥ ، ص ٣٩ .

(٢) باش جاويش: هذه الرتبة كانت تمر بدرجتين، جاويش وباش جاويش ، والثانى له الرياسة والتقدم على الأول . الدمرداشى : أحمد : المصدر السابق ، ص١١ ، حاشية رقم (٨) .

(٣) تفكشيان : أوتفكجيان ، وتعنى حملة البنادق من الفرسان ، ويشكل أوجاق تفكجيان ، أحد أوجاقات الحامية العثمانية فى مصر . عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ، جامعة عين شمس ١٩٧٤م ، ص ٥٤ .

(٤) أغاة الجراكسة : أوجاق شُكِّلَ أَسَاسًا من المماليك ، ويشكل أحد أوجاقات السباهية الثلاثة ، التى كانت مهامها توطيد الأمن فى الريف . نفس المرجع : ص ٥٥ .

(٥) جمليان : أحد أوجاقات الحامية الذى كان أفراده يستخدمون الجمال فى تنقلاتهم . نفس المرجع ، ص ٥٤ .

(٦) ١١ القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٦ مارس ١٨٠١م .

على عـادتهـم ، ولا يـهملون ، فـكانوا يحضـرون ويجلسون حـصة يتحـدثون مع بعضهم ، ثـم ينصرفون إلى منازلهـم ، وكذلك أمروا القاضى بأن يحـضر ، ويجلس من غير سابقة له بذلك ، وذلك حفظاً للناموس لا غير .

وفـى ثالث عشره[1] ، نقل فوريـه الوكيل متاعه إلى الـقلعة وصعد إليـها ، فلم ينــزل ، وأرسل إلى الشيـخ سليمـان الفيومى تـذكرة ، يأمره فيـها بأن ينـقل فراش المجلس ، ويودعه فى مكان بداره ، / ففعـل ما أمر به ، ولـم يتركوا به إلا الحصر ، / ١٤٤ ب وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكـانوا يفرشون سجاجيدهم ، ويجلسون عليها حصة الجلوس ، ثم ينصرفون .

وفى رابع عشره[2] ، نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج إلى جامع سارية صحبته المشايـخ ، وكذلك فوريه الوكـيل ، جعل سكنـه الجامع المذكور ، وأظهـر أن قصده مؤانستهم ، وليس إلا لـضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيس بـها ، وكثرة ما نقلوه إليها مـن الأمتعة والذخائر والغـلال والأحطاب ، وما هَدَمُوه وعطلوه من أمـاكنها ، حتى إنهم سدوا أبواب المـيدان ، وجعلوه من جملة حقوقها ، فكـانوا ينزلون إليه ، ويصعدون منه من باب السبع حدرات .

وفى تاسع عشره[3] ، ورد مكتوب مـن كبير الفرنسـيس من ناحية إسـكندرية ، مؤرخ بثالث عشر القعدة[4] ، وهو جواب عـن المكتوب المرسـل إليه السـابق ذكره ، ونصه بعد الصدر المعتاد :

« مـن عـبد الله جاك منو ، سـر عسكر أميـر عام جيوش الـفرنساوية بـالشرق ، ومظاهـر حكومتها ببر مصر حالا ، إلى كامل المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله فضائلهم ، ورد لنـا مكتوبكم العزيز ، ورأينا بكامل السـرور كل مـا فصَّلْتم لنا به ، وثبـت مــن مفهومنا صـدق ودادكـم لـنا ولعسكر الدولة الـفرنسـاوية ، ودمتم حـضراتكم وكـافة أهالى مـصر بالحمـية والاسـتـقامة الموعــودة ، ومعلوم عـلـى فـضائلكـم أن الله يهدى كلا ، فـما النصـرة إلا منه ، ووضعـت عليه اعتمـــادى ، وما توفـيقى إلا بالله وبرسـوله الكريم عليـه السلام / ١٤٥ أ الدائـم ، وإن ابتـغيت النصرة فما هـو إلا لـسهولة خيراتـى إلى بـر مصر ، وسكان

(١) ١٣ القعدة ١٢١٥هـ / ٢٨ مارس ١٨٠١م .
(٢) ١٤ القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٩ مارس ١٨٠١م .
(٣) ١٩ القعدة ١٢١٥هـ / ٣ أبريل ١٨٠١م .
(٤) ١٣ القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠١م .

ولايتها ، وخير أمور أهلها ، والله تعالى يكون دائماً معكم ، ولكرم وجوهكم سلام » .

وفيه[1] سمع ونقل عن بعض الفرنسيس أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والإنكليزية ، وكانت الهزيمة على الفرنسيس ، وقتل منهم نحو الألفين وسبعمائة ، وانحازوا إلى داخل الإسكندرية، وتحصنوا بها، ووقع فيما بين الفرنسيس الاختلاف ، واتهم « منو »[2] صارى عسكر رينيه[3] ، وداماس[4] ، ورأى منهما مارَآبه ، وكان سبباً لخذلانه فيما يظن ويعتقد ، فقبض عليهما ، وعزلهما من إمارتهما ، وأنَّ الإنكليز أطلقوا حبوس المياه المالحة[5] ، حتى أغرقت طرق إسكندرية ، وصارت جميعها لجة ماء[6] ، ولم يبق لهم طريق مسلوك إلا من جهة العجمى إلى البرية ، وأن الإنكليز تترسوا قبالهم[7] من جهة الباب الغربى[8] ، وأن حسين باشا القبطان ورد بعساكره جهة أبو قير ، وطلع عسكره من المراكب إلى البر ، وقويت القرائن الدالّة على صحة هذه الأخبار ، وظهرت لوائح الخذلان فى وجوه الفرنسيس مع شدة تجلدّهم ، وكتمان أمرهم وتنميق أكاذيبهم .

وفيه[9] ، سدوا باب البرقية[10] ، المعروف بباب الغريّب ، وبنوه ، فضاق خناق الناس بسبب الخروج إلى القرافة بالأموات ، فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين يخرج بجنازته من باب النصر[11] ، ويمرون / بها من خلف السور حتى ينتهوا إلى مدفنهم ، فحصل للناس مشقة شديدة ، وخصوصاً مع كثرة الأموات ، فكلم بعض المشايخ قائم مقام فى شأن ذلك ، فأرسل إلى قبطان الخطة ، ففتح باباً صغيراً من حائط السور على قدر النعش والحمالين والمشاة .

١٤٥ب/

وفى يوم الأحد حادى عشرينه[12] ، توفى الشيخ الإمام محمد بن الشيخ الإمام

(١) ١٩ القعدة ١٢١٥ هـ / ٣ أبريل ١٨٠١م .
(٢) منو : "Menou" .
(٣) رينيه : "Reynier" .
(٤) دماس : "Damas" .
(٥) المياه المالحة : مياه البحر .
(٦) ماء لجة : أى صارت مثل البركة العميقة .
(٧) قبالهم : أى تجاههم أو أمامهم .
(٨) الباب الغربى : باب الإسكندرية الذى يقع فى الجهة الغربية منها .
(٩) ١٩ القعدة ١٢١٥هـ / ٣ أبريل ١٨٠١م .
(١٠) باب البرقية : أنظر ، ص ٦٩ ، حاشية رقم (٧) .
(١١) باب النصر : أنظر ، ص ٦٩ ، حاشية رقم (٦) .
(١٢) ٢١ القعدة ١٢١٥ هـ / ٥ أبريل ١٨٠١م .

العلامة أحمد الجوهرى الخالدى الشافعى ، ودفن عند والده بدرب شمس الدولة، وتوفى أخوه أيضاً بشبين الكوم[1] ، وهو السيد عبد الفتاح ، وذلك بعده بأربعة أيام .

وفى ثانى عشرينه[2] ، سافر جماعة من أعيان الفرنساوية إلى جهة بحرى ، وهم : « استوف »[3] ، الخازندار العام ، ومدبر الحدود ، و «فورية» وكيل الديوان ، و «شانيلوا » ، مدبر أملاك الجمهور ، و « برنار »[4] وكيل دار الضرب ، و « ريج »[5] خازندار دار الضرب ، و « لابرت »[6] رئيس مكتبهم ، وحافظ سجلاتهم وكتبهم ، وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط ، وفيهم : جرجس الجوهرى .

وفى ثالث عشرينه[7] ، توكل بحضور الديوان كلب منهم يقال له جرار[8] ، ولما حضر فى أول جلسة ، أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم جاك منو ، باللغة الفرنساوية ، مضمونه : أنه مقيم بسكندرية وهو مؤرخ بعشرين القعدة[9] ، وذلك كذب على حد قولهم : بوشّ وصاحبه .

وفيه[10] ، قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس ، وذهبوا بهم إلى بيت قائم مقام ، فاستفسر منهم ، فاختل كلامهم ، وتبين كذبهم ، فأمر بحبسهم .

وفيه[11] ، حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ، ومعهم دواب / كثيرة وآلات حرب ، ومروا فى شارع المدينة ، ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفاً على البارود من النار ، فتبين أنهم كانوا محافظين بالصالحية . / ١٤٦ أ

(١) شبين الكوم : كانت قرية قديمة ، إسمها الأصلى « شبين السِّرى » ، فى ١٨٢٩م . جعلت قاعدة لقسم شبين الكوم ، ثم قاعدة مركز شبين الكوم ١٨٧٠م ، ثم قاعدة لمحافظة المنوفية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، حـ٢ ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) ٢٢ القعدة ١٢١٥ هـ / ٦ أبريل ١٨٠١م .

(٣) أستوف : "Estéve" .

(٤) برنار : هو صامويل برنار "Samuel Bernard" ، كان عضوا فى شعبة الكيماء بالمجمع العلمى .

(٥) ريج : "Raige" ، كان عضوا بشبعة الترجمة بالمجمع العلمى .

(٦) لابرت : "De laporte" ، كان عضوا بشعبة الترجمة بالمجمع العلمى .

(٧) ٢٣ القعدة ١٢١٥ هـ / ٧ أبريل ١٨٠١م .

(٨) جيرار : "Jérard" كان عضوا بالمجمع العلمى ، وكبير مهندسى الرى والقناطر والطرق .

(٩) ٢٠ القعدة ١٢١٥ هـ / ٤ أبريل ١٨٠١م .

(١٠) ٢٣ القعدة ١٢١٥ هـ / ٧ أبريل ١٨٠١م .

(١١) ٢٣ القعدة ١٢١٥ هـ / ٧ أبريل ١٨٠١م .

وبعد أيام حضر أيضاً الذين كانوا بالقرين ، وكذلك الذين كانوا ببلبيس ، وناحية الشرق شيئاً بعد شئ .

وفى غايته[١] ، مات علـى كتخدا السّنجدلى بعـد أن مرض بالحبـس ، وأنزل من القلعة ، ومات بداره .

شهر ذى ا . " الحرام[٢]

فيه[٣] ، حصل الاجـتماع بالديوان ، وأخـبر الوكيل أن كـبيرهم قد بعـث أخبارا بالأمـس ، منهـا أنه قد مـات جماعـة من كبـراء الإنكلـيز ، وأن أكثـر عساكـره هم ممروضون بمرض الزحير[٤] ، والرمد ، وربما حصل الصلح عن قريب ، ويرجعون إلى بلادهـم ، وأن الـعطش مضاررهم ، وبعـثوا عدة مراكب لتأتيـهم بالماء فتعذَّر عـليهم ذلك ، ثم سأل عـن أحوال البلد ، وسكـون الرعية ، والغلال والأقـوات ، فأجيب بأن البلد مطمئنة ، والرعية ساكنـة ، والغلال موجودة ، فقال : « لابد من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة » .

وفيه[٥] ، أشيع أن الـعساكر الـعثمانـية والإنكليـز ملكوا ثـغر رشيد وأبـراجها ، وحاربوا من كـان بها من الفرنسـيس ، حتى قتل مَنْ قُتِل ، وأسـر من أسر ، وهزب الباقون ولله الحمد .

وفى ذلك اليوم[٦] ، قبضوا على نيف وستين مـن مغاربة الفحامين ، وطولون ، والغورية ، ونفوهم ، وذلك من فعل عبد العال الأغا .

١٤٦ب/ وفيه[٧] ، أمر « بلـيار » قائم مـقام بركوب أحـد / المشايخ صـحبة عبـد العال ، ويمرون بشـوارع المدينة ، فكـان يركبُ معه مـرة الشيخ محـمد الأمير ، مرة الـشيخ سليمان الفيومى ، وذلك لتطمئن الرعية .

وفى سادسه[٨] ، قرئ مكتوب ، زعـموا أنه من صارى عسكر « مـنو » من جهة إسكندرية ، ونصه بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد .

(١) غاية القعدة ١٢١٥ هـ / ١٤ أبريل ١٨٠١م . (٢) الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل - ١٣ مايو ١٨٠١م .
(٣) ١ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١م .
(٤) الزحير : هو مرض الدوسنطاريا ، ومعناه مرض الأمعاء أو عسرها .
(٥) ١ الحجمة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١م. (٦) ١ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١م .
(٧) ١ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١م . (٨) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

« إلى حضرات كـافة المشايخ والعلـماء الكرام المستشـيرين بمحفل الديـوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضائلهم ، وَمَا النصرة إلا من الله ، وشفاعة رسوله الكـريم عليه الـسلام الدائم ، الـعساكر الـفرنساويـة والإنكليـزية هما إلـى هذا الآن حضيران قبلهما ، فحصنا أطرافنـا بمتراس وخنادق لا تغلب ولا تهجن ، وغير ذلك ، يلزم نخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم ، ولأجل انتظامها ، أن سلطان الروسية المحمية أعلن بواسطة مرسلينه إلى حضرة الـسلطان سليم ، أذعن الأمر إلى عساكره ، لأجل ما يتجانبوا ويتراووا ، ويخلو من بر مصـر جميعاً ، وإلا لابد من السلطات الروسيات الجمعية الإقامة بالمحاربـة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمنليـة ، وضد قسطنطونية ، فبناء علـى ذلك أرسل الـسلطان سليم أوامره بفرمانه خطابه إلى عـساكره ، لتخلية بر مصر ، ولكامل من البر المذكور ، لكى وثـم ، ولكن ذهب الإنكليزية كَفَى للارتشاء بعض من مقدار الـعسكر العثمنلية ، وبتـقديم امتثالهم إلى أوامر سلطانـهم ، فأعلنوا وأخبروا كـل ذلك إلى أهالـى مصر ، فانـتظموا كمـا كنتم دَائمًا بـالخير ، فاعـتمدوا واعتنوا بحماية / وصـيانة دولة الجمهور الفرنساوية ، والله تعالـى يديم فضائلكم عن الإلهام بـالخير والسلامـات ، حرر فى ٢٥ جرميـنال سنة تـسعة ، الموافق لـثلاثة ذى الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر »[١] ، وكتب بألفاظه وحروفه من خط منشئه « لوماكا[٢] » الترجمان ، لـعنه الله ، وقطع لسانه الـذى نطق بهذه الألفاظ السـخيفة ، والتراكيب الكثيفة التى لا يفهم لها معـنى ، ولم يتبين لها مبنى ، ثم قال الترجمان : « إن الفرنساوى الـذى حمل هذا الكتاب ، نقـل لى عن سر عسكر ، أنه نـاشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظايفكم فدوموا على ذلك » . ‏/ ١٤٧ أ

ثم إن بـعض الحاضريـن من المشايـخ أخبر بـأن رجلا من المنـوفية ، يقـال له : موسى خالد ، كان الفـرنساوية أحسنوا إليه ، وقدّموه على أقرانـه ، فلما خرجوا من المنوفيـة أفسد فى البلاد ، وقـطع الطريق ، ولا يتـمكن أحد من أهل هـذه الجهة أن يخرج من بلده ، لتحـصيل معاشـه ، وأنه صـادر كثيراً من أغـنياء منوف ، وغيرها ، فقال الوكيل ، ستسكن الفتنة ، ويعاقب المفسدون ، ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديـوان ، خطاباً للتجار والمتسـببين ولمشايخ البلاد ، يأمروهـم بإرسال الغلال والأقوات إلى مصـر ، فكتبوا للمحـلّة الكبرى ، ومنوف ، والمنصـورة ، والفشن ، وبنى سويف .

(١) ٣ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٧ أبريل ١٨٠١م .

(٢) لوماكا : "L'Homaca" ، عضو شعبة الترجمة بالمجمع العلمى .

وفيه[1] ، كتبوا جواباً من مشايخ الديوان ، لكبير الفرنسيس ، جواباً عن مكتوبه المذكور آنفاً .

١٤٧ب/ وفيه[2] ، ذكر قائم مقام / بليار لبعض الرؤساء أنه إذا رجع صارى عسكر منصوراً ، ودامت أهل البلد على سكونهم ، رفع عنهم نصف المليون والظلم .

وفى عاشره[3] ، أفرجوا عن أحمد بن محرم التاجر بتوسل والدته بقائم مقام «بليار» ، على مصلحة ألفين ريال فرانسة .

وفيه[4] ، خرج عبد العال إلى ناحية أبو زعبل ، ورجع ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ضرب عنق أحدهم .

وفى ثانى عشره[5] ، ورد الخبر بموت مراد بيك بالوجه القبلى بالطاعون ، وكان موته رابع الشهر[6] ، ودفن بسوهاج ، عند الشيخ العارف ، وأقيم عزاؤه عند زوجته الست نفيسة ، وبنت له قبراً ، بمدفن على بيك ، وإسماعيل بيك ، بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعى[7] رضى الله عنه ، وأشيع نقله إليه ، ثم ترك ذلك .

وفيه[8] قبض عبد العال على أناس من : الغورية ، والصاغة ، ومرجوش ، وغيرهم وألزمهم بمال ، وسئل عن ذلك ، فقال : « لم أفعله من قبل نفسى ، وإنما هو عن أمر من الفرنسيس » . .

وفيه[9] ، حفروا خندقاً عند تلال السبرقية ، فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ، ثم ينزلون ، ويمرون على سقالة من الخشب على الخندق ، فحصل للناس غاية المشقة ، واتفق أن ميتاً سقط من على رقاب الحمالين ، وتدحرج إلى أسفل التل .

وفيه[10] ، أرسلوا جوابات إلى الأمراء المرادية ، وتقريراً إلى عثمان بيك الجوخدار[11] ، المعروف بالطنبرجى ، بأن يكون أميراً ورئيساً على خشداشينه[12] ، وعوضاً / عن مراد بيك ، ويستمرون على إمريتهم ، وتحت طاعة الفرنسيس . ١٤٨ أ/

(١) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .
(٢) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .
(٣) ١٠ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٤ أبريل ١٨٠١م .
(٤) ١٠ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٤ أبريل ١٨٠١م .
(٥) ١٢ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١م .
(٦) ٤ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٨ أبريل ١٨٠١م .
(٧) قبة الإمام الشافعى : أنشأ هذه القبة الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالى ناصر الدين محمد ظهير أمير المؤمنين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ، وبهذه القبة قبر السلطان عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . مبارك ، على : المرجع السابق ، حـ٥ ، ص ٥٩ - ٦٠ .
(٨) ١٢ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١م .
(٩) ١٢ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١م .
(١٠) ١٢ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١م .
(١١) الجوخدار : أنظر ، ص٢٨٥ ، حاشية رقم (٤).
(١٢) خشداشينه : أنظر ، ص ٣٠ ، حاشية رقم (١٠).

وفيه[1] ، حضرت جـوابات المراسلات التى أرسـلت إلى البلاد ، بسـبب إرسال الغلال والأقوات ، بأن المتسـببين والتجار أجابوا بالسمع والطاعـة ، غير أن المانع لهم قطاع الـطريق ، وتعدى الـعرب ، ومنعهـم السبيل ، وأن أبـواب البلدان مغـلوقة ، بحيث لا يمكن الخروج منها ، فإذا أمنت الـطرق حضر المطلوب ، وكلام هذا معناه . وأما الساعى المرسل إلـى المنصورة ، فإنه رجع من أثناء الطريـق ، ولم يمكنه الوصول إليها ، لأن العساكر القادمة قد دخلوها ، وصارت فى حكمهم .

وفيه : أى فى غرة الحجة[2] ، طعن مصطفى أغا أبطـال ، فلما ظهر فيه ذلك ، رفعوه بطريقة مهانة ، وأنزلوه إلـى الكرنتيلة بباب العزب[3] ، وألقوه بها ، ثـم تكلم فى شأنه أربـاب الديوان ، وتشفعوا ، فـأنزلوه إلى داره ، فمات بهـا ، وكذلك وقع لحسين قرا إبراهيم التاجر فى ثانى يوم[4] .

وفى كل يوم يموت من الفرنسيس الثلاثون والأربـعون ، وينزلون بهم من كرنتيلة القلعة على أخـشاب مثل الأبواب ، كل ثلاثة أو أربعة سواء ، يحـملهم الحمالون ، وأمامهم اثـنأن من الفرنسيـس يمنعون الناس ، ويبـاعدونهم عن القرب مـنهم إلى أن يخرجوا بها من باب القرافة، فيلقونهم فى حفر عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم ، ثم يلقون صفا آخر ، ويغطونهم بالتراب ، وهكذا حتى تمتلئ الحفـرة ، ويبقى بينها وبين الأرض نـحو الذراع فيكسونها بـالتراب والأحجار ، ويحفـرون أخرى غيرها كـذلك ، فيكون فـى الحفرة الواحدة اثـنى عشر وستـة عشر فوق/ بعضهم البعض ، وبينهم التراب ، ويرمـونهم بثيابهم وأغطيتهم ، وذلك المكان الذى يدفنون به فى العـلوة ، خارج مزار القادرية[5] بين الطريقين المـوصلين إلى جهة مقام الإمام الشافعى ، رضى الله عنه . /١٤٨ ب

وفيه[6] ، أنهى مـشايخ الديـوان تعرض عبـد العال الخبـيث ، لمصادرة الـناس ، وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم برفـع نصف المليون عنهم ، فأجيبوا بأن ذلك على

(١) ١٢ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١م . (٢) غرة الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١م .

(٣) باب العزب : أحد أبواب القلعة أو يتوصل منه إلى أسفل القلعة فى قرة ميدان .

(٤) ٢ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٦ أبريل ١٨٠١م .

(٥) مزار القادرية : يـقع داخل باب القرافة بالـقرب من مسجد السيدة عـائشة به ضريح سيدى عـلى القادرى الذى يُعْمَلُ له مولد كل عام . مبارك ، على : المرجع السابق ، حـ٥ ، ص ١٦٠ .

(٦) غرة الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١م .

سبيل القرض لتعطل المال الميرى ، واحتياج العسكر إلى النفقة . وقيل لهم أيضاً : «إن كان يمكنكم أن تكتبوا إلى البلاد بدفع الميرى ، رفعنا الطلب عن الناس ، فقالوا : « هذا غير ممكن لحصول البلاد فى حيازة القادمين ، وقطع الطرق من وقوف العرب بها ، وعدم الانتظام ، وإنما القصد الملاطفة والرفق ، فإن وظيفتنا النصح والوساطة فى الخير » .

وفى يوم الخميس سادس الحجة[1] ، حضر « استوف »[2] الخازندار ، وجرجس الجوهرى ومن معهم من القبطة وغيرهم ، ماعدا الفرنسيس الذين ذهبوا معهم ، فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد .

فلما كان فى صبحها حصلت الجمعية[3] ، وحضر الخازندار والوكيل ، وعبد العال ، والحاج عبد الله التاودى شيخ الغورية ، والحاج عمر الملطيلى ، وكليمان الترجمان ، فتكلم أستوف وترجم عنه الترجمان بقوله :

« إن صارى عسكر الكبير منو ، يقرئكم السلام ، ويثنى عليكم كثيراً ، وسينجلى هذا الحادث إن شاء الله تعالى ، ويقدم فى خير ، ويرى أهل مصر ما يسرهم ، وقد هلك من الإنكليز خلق كثير ، وباقيهم أكثرهم مرمودى الأعين ، وبمرض الزحير ، وجاءت طائفة / منهم إلى الفرنساوية ، وانضموا إليهم من جوعهم وعطشهم . ولتعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا فى رشيد قهراً عنهم ، وكذلك أخلينا دمياط ، بل لأجل أن يطمعوا ، ويدخلوا إلى البلاد وتتفرق عساكرهم ، فنتمكن عند ذلك من استئصالهم . ونخبركم أنه قد وردت إلى إسكندرية مركب من فرانسة ، وأخبرت أن الصلح قد تم مع كل القرانات ، ما عدا الإنكليز فإنهم لم يدخلوا فى الصلح ، وقصدهم عدم سكون الحروب والفتن ، ليتولوا على أموال الناس .

١٤٩ أ/

واعلموا أن المشايخ المحبوسين وغيرهم بالقلعة لا بأس عليهم ، وإنما القصد من تعويقهم وحبسهم ، دفع الفتن والخوف عليهم ، وشريعة الفرنساوية اقتضت ذلك ، ولا يمكن مخالفتها ؛ ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم .

وقد بلغنا أن السلطان العثمنلى أرسل إلى عسكره بالكف عن الفرنساوية والرجوع عن قتالهم ، فخالف عليه بعض السفهاء منهم ، وخرجوا عن طاعته وأقاموا الحرب بدون إذن ».

---

(١) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

(٢) استوف "Estéve"

(٣) الجمعية : أنظر ، ص ١٤٠ ، حاشية رقم (٢) .

فأجابـه بعض الحـاضـرين مـن المنافقـين بقوله : « إن الـقصد حصـول الراحة والصلح ، والفرنساوية عندنا أحسن حالا من الإنكليز ، لأننا قد عرفنا أخلاقهم » .

ثم قال الخازندار : « إن الفرنساوية لا يحبون الكذب ، ولم يعهد عليهم ، فلازم أن تصدقوا كل مّا أخبروكم به » .

فقال بعد الحاضرين: « إنما يكذب الحشاشون، والفرنساوية لا يأكلون الحشيش».

ثم قال الخازنـدار : « إن وقع من أهل مصر فشـل أو فساد عوقبوا أكـثر من عام أول » .

« واعلموا أن الـفرنساوية لا يتركون الـديار المصرية ، ولا يخرجون مـنها أبداً ، لأنها صـارت بلادهـم وداخـلـة فى حكمهم ، وعلـى الفرض والتقديـر / إذا غلبوا على مصر ، فإنهم يخرجون منها إلى الصعيد ، ثم يرجعون إليها ثانياً . ولا يخطر فى بالكم قلة عسـاكرهم ، فإنهم على قلب رجل واحد ، وإذا اجتمـعوا كانوا كثيراً » . وطال الكلام فـى مثـل هذه التمـويهات والأكاذيب والخرافات . وأجوبـة الحاضرين بحسب المقتضيات » .

/ ١٤٩ ب

ثم قال الخـازندار : « القصد مـنكم معاونـة الفرنسـاوية ومساعدتـهم ، وغلاق نصف المليون ، ونشفع بعد ذلك عند صـارى عسكر فى فوات النصف الثانى ، حكم ما عرفكم قائم مقام « بليار » ، فاجتـهدوا فى غلاقه من الأغنياء ، واتركوا الفقراء ، ولكن ينبغى التعجيل ، فإن الأمر لازم لأجل نفقة العسكر » ، ثم قال لهم : « ينبغى أن تكتبوا جـواباً لصارى عسكر تعرفـونه فيه عن راحة أهل البـلد ، وسكون الحال ، وقيامكم بوظائفكم ، وهو إن شاء الله يحضر إليكم عن قريب » .

وانفض المجلس ، وكتب الجواب المأمور به ، وأرسل .

وفيه[١] ، وصـل الخبـر بوصول حضـرة طـاهر باشا بجمـلة من العساكـر إلى أبو زعبل .

وفيه[٢] ، خرج عدة مـن عساكر الفـرنساوية وضربوا أربـع قرى من الريف بـعلة موالاة العرب وقطاع الطريق ، فنهبوهم ، وحضروا إلى مصر بمتاعهم ومواشيهم .

وفيه[٣] ، أرسل « بليار »[٤] قائم مقام يطلب من الوجاقلية بقية ما عليهم من المال

(١) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .
(٢) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .
(٣) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .
(٤) بليار : Belliard .

المتأخر من فردة الملتزمين ، وقدره اثنا عشر ألف ريال[1] ، وإن تأخروا عن الدفع أحاط العسكر ببيوتهم ، ونقلهم إلى أضيق الحبوس بل واستعملهم في شيل الأحجار ، فاعتذروا بضيق ذات يدهم ، وحبسهم ؛ فتصدر إليهم السيد أحمد الزرو ، وتشفع عند قائم مقام بأن يقوموا بدفع أربعة / آلاف ريال ، ويؤجلوا بالباقي ، وينزلون من القلعة لتحصيل ذلك ، فأجابه . وأنزل على أغا يحيى أغاة الجراكسة ، ويوسف باشا جاويش إلى بيت عبد العال ، وحبسهم بمكان بداره ، وحبس معهم مصطفى كتخدا الرزاز ، فكان يتهددهم ، ويرسل إليهم أعوانه ، يقولون لهم : « شهلوا ما عليكم ، وإلا ضربكم الأغا بالكرابيج ، وسبحان الفعال لما يريد ، فإن عبد العال هذا الذى يتهددهم ربما كان لا يقدر على الوصول إلى الوقوف بين أيدى أتباعهم فضلا عنهم » .

١٥٠ أ/

وفيه[2] ، أحاط الفرنسيس بمنزل حسن أغا الوكيل المتوفى قبل تاريخه ، وذلك بسبب أنه وجد ببيته غلام فرنساوى مختفى ، أسلم ، وحلق رأسه ، وقبضوا على أحد خشداشينه ، وحبسوه لكونه عَلِمَ ذلك ولم يخبر به .

وفيه[3] ، حضرت رسل من طرف حضرة عرضى همايون لقائم مقام «بليار» ، فاجتمعوا به ، وخلا بهم ، ووجههم من ليلتهم ، فلما حصلت الجمعية بالديوان ، سئل الوكيل عن ذلك ، فقال : « نعم إنهم أرسلوا يطلبون الصلح » .

وفى ثامن عشره[4] ، أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار ، ليساعد فى قبض نصف المليون .

وفى رابع عشرينه[5] ، قبضوا على أبو القاسم المغربى الذى كان تولى مشيخة رواق المغاربة بالأزهر ، بعد موت الشيخ الذى قبله بالشام ، وهو الشيخ سالم بن مسعود الطرابلسى ، خرج من مصر ليلة الهزيمة الأولى ، من الحرب الذى وقع بإنبابة ، فاستمر مقيمًا بالشام إلى أن مات ، ودفن هناك ، وكان رجلاً خيراً صالحاً ، سمح النفس ، دمث الطباع ، والأخلاق ، فيه تودد للناس وحسن عشرة ، ولما / تولى مشيخة الرواق ، امتدحه صاحبنا المشار إليه بقصيدة أشار فى مطلعها إشارة خفية

١٥٠ ب/

(١) إثنا عشر ألف ريال : الريال عملة فضية كبيرة . كانت سائدة منذ القرن السابع عشر ، وتختلف قيمته حسب نوعية الريال والنص لم يحدد نوع الريال ، هل : فرانسة ، أبو كلب ، أبو طاقة . فهمى ، عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٥٧٨ .

(٢) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

(٣) ٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

(٤) ١٨ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

(٥) ٢٤ الحجة ١٢١٥ هـ / ٨ أبريل ١٨٠١م .

لحالته مع الشيخ سالم المتولى مشيخة الرواق المذكور ، والسيد عبد الرحمن المعزول ، فإن بينه وبين المتولى صداقة ومحبة بخلاف المعزول . ولأن المتولى تحمد سيرته بخلاف الذى عزل ، وأول القصيدة :

انهضْ فقد ولّتْ جيوشُ الظّلامْ — وأقبلَ الصُّبحُ ستيرَ اللّثامْ

وغنّتِ الوُرْقُ على أيْكها — تُنبّه الشَّرْبَ لِشُرْبِ المُدامْ

والزّهْرُ أضْحَى فى الرُّبا باسِماً — لماً بكتْ بالطّلِّ عينُ الغَمام

والغصنُ قد ماسَ بأزْهَارِهِ — لماً غَدَتْ كالدُّر فى الانتظامْ

وعطَّر الرَّوْضَ مرورُ الصَّبا — علَّى الرياحين فأبْرا السَّقَامْ

كأنما الوردُ عَلَى غُصْنِهِ — تيجانُ إبريزٍ علَى حسْنِ هَامْ

كأنما الغُدْرَانُ خَلْخَالُ أغـ — ـصان النَّقا والنَّهرُ مثلُ الحسامْ

كان مَنظومَ الزَّراجين يا — قوتٌ غَدَا مِنْ نَظْمه فى انسجَامْ

كأنما الآسُ عِذارٌ على — وَجْنة خِشفٌ قد عَلاها ضِرَامْ

كأنما الوَرْقَاءُ لماَّ شَدَتْ — تتلو علينا فضلَ هذا الإمامْ

ثم استمر فى مدحه ، وهى طويلة مسطرة بديوان المذكور ، يقول فى آخرها :

بُشراك مولانا على منصب — كان له فيك مَزيدُ الهُيَامْ

وَافَاكَ إقبالٌ به دائما — وَعِشْتَ مسعوداً بطول الدَّوامْ

فقد رأينا فِيكَ ما نرتجى — لا زلت فينا سالمًا والسَّلاَمْ

ولما قبضوا على السيد أبو القاسم المذكور حبسوه بالقلعة ، وكذلك محمد أفندى يوسف ثانى قلفة ، وأخر يقال له عبيد السكرى .

وفى خامس عشرينه[1] ، أظهروا مكتوبًا ، وزعموا أنه حضر من صارى عسكرهم، وقرىء بالديوان ، وهو فى معنى التمويه والخرافات السابقة ، وفى ضمنه تقرير الفرنساوى المسمى / « بجيرار »[2] بالديون ، عوضاً عن « فورية »[3] وتاريخه ثامن عشر الحجة[4] . /١٥١ أ

(١) ٢٥ الحجة ١٢١٥ هـ / ٩ مايو ١٨٠١م . (٢) جيرار : Jérard . (٣) فوريه : Fourier .
(٤) ١٨ الحجة ١٢١٥ هـ / ٢ مايو ١٨٠١م .

وفى سادس عشرينه[1] ، أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل « جيرار » ، وذلك على حد قول القائل :

وتَجلُّدِى للشَّامِتينَ أُرِيهُمُ ... أنّى لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

وفيه[2] ، أفرجوا عن أحمد كاشف سليم الشعراوى بشفاعة حسين كاشف اليهودى ، وسافر إلى جهة الصعيد .

وفى ثامن عشرينه[3] ، وصلت البشائر بوصول حضرة الصدر الأعظم[4] ، والملاذ الأفخم ، وحاول ركابه ببلبيس[5] ، وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه[6] ، فأقبل السرور ، وانشرحت الصدور ، وانقضت هذه السنة بحوادثها التى لا يمكن ضبط كلياتها فضلا عن جزئياتها .

فمنها : توالى الهدم والخراب وتغيير المعالم . وتنويع المظالم ، وعم الخراب خطة الحسينية ، خارج باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الجهات والأخطاط ، والحارات ، والدروب ، وما فى ضمن ذلك من الخانات ، والوكايل ، والرباع ، والدور ، والحمامات ، والمساجد ، والمزارات ، والزوايا ، والتكايا ، وبركة جناق[7] ، وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع الجنبلاطية[8] العظيم ، بباب النصر ، وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت ، المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام ، والمنارة ذات الهلالين ، واتصل هدم خارج القصر بخارج باب الفتوح ، وباب القوس إلى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خراباً متصلا واحداً ، وبقى سور المدينة الأصلى ظاهراً مكشوفاً ، فعمروه ، ورمموا ما تشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ، ورفعوا بنيانه . / وعملوا عند كل باب كرانك ، وبدنات عظامًا ، ١٥١ ب/

(١) ٢٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٩ مايو ١٨٠١م .

(٢) ٢٦ الحجة ١٢١٥ هـ / ٩ مايو ١٨٠١م .

(٣) ٢٨ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٢ مايو ١٨٠١م .

(٤) الصدر الأعظم : أى الوزير الأول أو رئيس وزراء الدولة العثمانية .

(٥) بلبيس : أنظر ، ص ١٢ ، حاشية رقم (٢) .

(٦) ٢٤ الحجة ١٢١٥ هـ / ٨ مايو ١٨٠١م .

(٧) بركة جناق : بركة كانت تقع خارج باب الفتوح ، ثم عُمِّرَ ما حول هذه البركة وسكنها الناس . المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

(٨) جامع الجانبلاطية : جامع أنشأه الشيخ محمد بن قرقماس فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ويعرف بين العامة بالشيخ جنبلاط ، ويقع بشارع درب الحجر . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ١٥٤ .

وأبوابًا داخلة وخارجة ، وأخشاباً مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة ، وركّزُوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين ، وملازمين ليلا ونهاراً ، ثم سدّوا باب الفتوح بالبناء ، وكذلك باب البرقية ، وباب المحروق[1] ، وأنشأوا عدة قلاع فوق تلال البرقية ، ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء ، وذلك من حد باب النصر إلى باب الوزير طولا ، فمهدوا أعالى التلال ، ومهدوا طرقها أيضاً ، وجعلوا لها مزالق وانحدارات ، لسهولة الصعود والهبوط بقياسات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها ، وهدموا أبنية رأس الصوة، حيث الحطّابة[2]، وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة والقباب المرتفعة ، وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها ، وكانت فى غاية من الحسن ، وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور ، فوجدوا ما بها من الموتى فى توابيت من الخشب، فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها، فوجودوا بها عظام الموتى ، فألقوها إلى خارج ، فاجتمع أهل تلك الجهة ، وحملوها ، وعملوا لها مشهداً بجمع من الناس ، ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج[3] ، وهدموا مدرسة القانبية[4]، والجامع المعروف بالسبع سلاطين[5]، والجامع الجركسى[6]، وجامع خوند[7] ببركة الناصرية ، خارج باب البرقية ، وكذلك أبنية باب القرافة

---

(١) باب المحروق : أحد أبواب القاهرة فى سورها الشرقى على الصحراء ، أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبى ٥٦٩هـ / ١١٧٤م ، وكان يعرف بباب القراطين . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٢) الحطابة : شارع يتبدئ من آخر شارع الحمزاوى ، وأول شارع اللبودية ، وينتهى لآخر شارع الجودرية ، وأول شارع المنجلة ، وطوله مائة وستون مترا . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ١٨٩ .

(٣) باب المدرج : أقدم أبواب القلعة ، أنشأه صلاح الدين الأيوبى ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م . يقع على يسار الداخل إلى القلعة من الباب الجديد . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٤) مدرسة القانبية : مدرسة أنشأها قانم التاجر الجركسى المؤيدى فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى . مبارك على ؛ المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٥) جامع السبع سلاطين : جامع متخرب ، يقع بالقرب من باب الوداع الذى يتوصل منه إلى قرافة باب الوزير، جهة القلعة .

(٦) الجامع الجركسى : تحت قلعة الجبل بالقرب من مسجد السيدة عائشة ، به ضريحان يقال لأحدهما الجركسى ، والآخر الشيخ عطية ، ويعرف بشارع الجركسى ، مبارك ، على ؛ المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ١٥٩ .

(٧) جامع خوند : يعرف بزاوية خوند ، منقوش على بابها فى الحجر اسم فاطمة خوند . كان يتعبد بها سيدى عبد الوهاب الشعرانى . نفس المرجع ، جـ٢ ، ص ٣٣٩ .

١٥٢ أ/ ومدارسها ومساجدها ، وشيدوا الباب، وعملوا الجامع الناصرى[١] / الملاصق له قلعة ، بعد أن هدموا منارته وقبابه . وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر[٢] ، وجعلوا ذلك الجامعة قلعة ، وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة، وسدوا عيونها ، وجعلوها سوراً بذاتها ، ولم يبقوا منها إلا قوصرة[٣] واحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة ، جعلوها بابًا ومسلكًا ، وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الإقامة بها. وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد[٤] ، وحفروا خلف ذلك خندقاً .

ومنها : تخريب دور الأزبكية ، وردمها بالأتربة ، وتبديل أوضاعها ، وهدم خطة قنطرة الموسكى ، وما جاورها ، من أول القنطرة المقابلة للحمام إلى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقاء ، حيث جامع أزبك ، وما فى ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل، وكوم الشيخ سلامة[٥]، فيسلك المار من على القنطرة فى رحبة متسعة حتى ينتهى إلى رحبة الجامع الأزبكى ، وهدموا بيت الصابونجى ، ووصلوه بجسر عريض ممتد ممهد ينتهى إلى قنطرة الدكة ، وفى متوسط ذلك الجسر ينعطف جسر آخر إلى جهة اليسار عند بيت الطويل المهدوم أيضاً ، ممتد إلى قنطرة المغربى ، ومنها يمتد إلى بولاق على خط مستقيم إلى ساحل البحر ، حيث موردة التبن والشون ، وزرعوا بحافتيه السيسبان . وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما جاوره من الأبنية والغيطان ، وعملوا هناك كرنكًا وعسكرًا ملازمين / الإقامة والوقوف ليلا ونهاراً ، وذلك عند مسكن « بليار » قائم مقام ، وهى دار جرجس الجوهرى . ١٥٢ ب/

ومنها : توالى خراب بركة الفيل[٦] بأسرها ودورها وقصورها ، وبيوت الأمراء

---

(١) الجامع الناصرى . أنشأه الأمير فخر الدين محمد بن فضل الله ، ناظر الجيش باسم السلطان الملك الناصر حسن محمد بن قلاوون ، له أربعة أبواب ، وبه مائة وسبعة وثلاثون عمودا . نفس المرجع ، جـ٥ ، ص ٣٠١ .

(٢) جامع الزمر : جامع يقع بالقرافة الصغرى ، كان له مرتب بالروزنامة ، غير مقام الشعائر لتخربه . نفس المرجع ، جـ٥ ، ص ١٧ .

(٣) قوصرة : أى أبقوا فتحة واحدة .

(٤) قنطرة السد : قنطرة كانت على الخليج ، يتوصل منها إلى البر الغربى .

(٥) كوم الشيخ سلامة : شارع يقع بجهة اليمين بشارع العلوة ، وطوله مائة وعشرون مترا ، به أربع عطف ، ودرب يعرف بدرب الصاغة وكلها غير نافذة ، وبه جامع كوم الشيخ سلامة برأس شارع الموسكى ، مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣١٢ .

(٦) بركة الفيل : بركة كانت تقع فيما بين القاهرة ، وشمال الفسطاط وكانت مساحتها كبيرة ، عمرت البركة وكثرت مبانيها وأصبحت مساكنها من أجمل المساكن ، وكان ماء النيل يدخل إلى البركة من الموضع الذى كان يعرف باسم الجسر الأعظم (ميدان السيدة زينب) ، وقد فصل الجبرتى فى وصف جمال هذه المنطقة . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .

التى كانت بها ، حتى صارت كلها تلالا وخرائب ، بحيث لا يتصور الرأى إعادتها إلا أن يشاء الله ، وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ووقود النيران والبيع ، وكذلك ما كان بها من الرصاص والحديد والرخام ، وهذه البركة يقول فيها ابن سعيد الأندلسى ، وقد ذكر القاهرة : « وأعجبنى فى ظاهرها ، بركة الفيل لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم ، وعادة السلطان يركب فيها بالليل ، ويسرح أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم ، فيكون بذلك لها منظر عجيب ، وفيها أقول :

انظر إلى بركةِ الفيلِ التى اكْتَنَفَتْ ... بها المناظرُ كالأهدابِ للبصرِ
كَأَنَّمَا هِى والأَبْصَارُ تَرْمُقُهَا ... كَواكِبٌ قد أداروهَا على القمرِ

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انْظُرْ إلى بِرْكَةِ الفيلِ التى نُحِرَتْ ... لَهَا الغزَالَةُ نَحْرًا مِنْ مَطَالِعِهَا
وخلِّ طرفك مَجْنُونًا بِبهجتها ... يَهِيمُ وَجْدًا وَحُبًّا فِى بَدَائِعِهَا

وقال صاحبنا المشار إليه : « وأما بركة الفيل ، فقد رميت بكل خطب جليل ؛ وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويل ، والقلب بتذكر ما سلف من مباهجها حزنًا طويلاً ، تبدلت مغردات أطيارها بنواعب الغربان ، ومحاسن غزلانها بكل علج تقذى به العينان ، ومشيد قصورها بخرائب وتلال ، وأكابر أمرائها بصعاليك / وأرذال ، ولقد تذكرت ماضى عيش بها سلف ، ومعهد أنس كان للكآبة بعده خلف ، فقلت متذكرًا أولئك الأيام ، التى مرت كأضغاث أحلام :

/ ١٥٣ أ

عَلِّلانِى بِذِكْرِ خَشْفٍ رَخِيمِ ... واسقيانى مِنَ الروضِ بِنْتَ الكرومِ
وَصِفَا لى زَمَانَ أُنْسٍ صَفَا لى ... بِحَبِيبٍ غَضٍ وراحٍ قديمِ
حَيْثُمَا الدَّهْرُ طَوْعَنَا والأَمَانِى ... فِى تَدَانٍ والوَهْمُ فى تَهْوِيمِ
والرُّبَا فِى نَضَارَةٍ وزهوٍ ... حَلَّ فِيهِ مِنَ الغَمَامِ السَّجِيمِ
خَافِضَاتٌ بِه الغُصُونُ رؤوسًا ... مُثْقَلاتٌ مِنْ دُرِّ طَلٍ نَظِيمِ
ولصَفْوِ الغَدِيرِ فِيهَا وَلُوعٌ ... يَرْقُبُ الوَصْلَ مِنْ مُرُورِ النَّسِيمِ
وترى الوَرْدَ كَالمَلِيكِ لَدَيْهِ ... كُلُّ غُصْنٍ يَهْوَى بِقَدٍّ قَوِيمِ
بَسَطَ الرَّوْضُ نَحْوَهُ وَشْى بَسَطَ ... حَاكَهَا الطَّلُّ فِى ابْتِدَاعٍ وَسِيمِ
لِلُجَيْنِ النهورِ فيها طرازٌ ... وَلِدُرِّ الزُّهُورِ رُقْشِ الرُّسُومِ
وَبُكَاءُ الحَمَامِ هيَّجَ عِنْدِى ... فَرْطَ شوقٍ إلى الزَّمَانِ القديمِ

زَمَنٌ بِـــالسُّرُورِ لَمْ يَكُ إِلَّا ... حُلْمًا مَــرّ أَوْ تَرَاضَى حَلِيمِ
فِيـــهِ كَانَت تُجَلَّى بُدُور جَمَالٍ ... أَشْرَقَت مِن نُجَوم لَيْــلٍ بَهِيمِ
مَنْ بَنِى الــتُّرْكِ ذِى الجَـمَـال المُفَدَّى ... أَيـْــضًا هِىَ فِى الحُسْنِ رَوْمٌ لِرومِ
كُلُّ ظَبْى تَرَاهُ يَرنُو ويـــلــهـــو ... بِقَوَامِ الـــقَنَا وَطَرْفِ الــرِيم
نُزْهَةٌ بِــإِجْتلاء المُدَامِ يُحَيِّـــــ ... ـك وَيُحَيِّـــكَ بَعْدُ بِــالــتَّكْلِيمِ
أَسَرُونِى وأَطْلَقُوا دَمَـــعْ جُفْنِى ... وأَثَـارُوا فِى الــقَلْبِ نَـارُ الجَحِيمِ
يَـا زَمَانًا بِبِركَــةِ الــفِيــلِ وَلَّى ... فِيـــهِ قَدْ كُنْتُ ثَاوِيًا فِى نَعِيمِ
لا عـــدمــنـــاك مـــن زَمَانٍ تَقَضَّى ... بَيْنَ شَـــادٍ وَشَادِنٍ وَنَدِيمِ

ثم قال : «وهكذا الدنيا طبعت على هذا الشأن ، من سره زمن ساءته أزمان ، والعاقل له فى تقلبات الأيام عبر ، ما شوهد منها وما غبر» .

وأخربوا أيضًا جامع أزبك العظيم ، وجعلوه سوقًا لبيع أقلام المكوس[1] ، وأخربوا أيضًا جامع / الرويعى[2] ، وجعلوه خمَّارة ، وجامع عثمان كتخدا القزدغلى[3] الذى بالقرب من رصيف الخشاب ، وجامع خير بيك[4] حديد الذى بدَرْب الحمام بالقرب من بركة الفيل ، وجامع البنهاوى[5] والطرطوشى والعدوى[6] وجامع عبد الرحمن كتخدا[8] المقابل لباب الفتوح ، هدموه حتى لم يبق له أثر البتة .

١٥٣ ب/

ومنها : أنهم غيروا معالم المقياس ، وبدلوا أوضاعه ، وهدموا قبته العالية ،

---

(١) أقلام المكوس : أى جعلوا جامع أزبك مكانًا لبيع أقلام الضرائب والجمارك فى المزاد .

(٢) جامع الرويعى : بشارع الأزبكية بالقرب من جامع الشرايبى ، أنشأه أحمد الرويعى شاه بندر التجار فى القرن التاسع / الخامس عشر الميلادى ، به ضريح أحمد الرويعى . مبارك ، على ، المرجع السابق ، جـ ٤ . ص ٢٤٨ .

(٣) جامع عثمان كتخدا القزدغلى : كان يقع قريبًا من رصيف الخشاب فى منطقة الأزبكية .

(٤) جامع خير بيك : يقع بالخربكية جهة باب الوزير أنشأه الأمير خير بيك ملك الأمراء فى ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م، وبه ضريح خير بيك ، وشعائره مقامة . نفس المرجع ، جـ ٤ ، ص ٢٢٨ .

(٥) جامع البنهاوى : جامع يقع بشارع الحسينية على يمين السالك من باب الفتوح إلى البغالة والخليج الكبير ، به ضريح الشيخ على البنهاوى ، مقام الشعائر . نفس المرجع ، جـ ٤ ، ص ١٤٢ .

(٦) جامع العدوى : جامع يقع خارج باب الشعرية الكبير ، المعروف بباب العدوى بجوار قنطرة العدوى ، به ضريح الشيخ عيسى العدوى الذى يعمل له بالجامع مولد كل سنة ، وشعائره مقامة . مبارك ، على : المرجع السابق، جـ ٥ ، ص ١١٥ .

(٧) جامع عبد الرحمن كتخدا : أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا ، مقابل لباب الفتوح .

والقصر البديع الشاهق ، وهدموا القاعة التى بها عمود المقياس ، وبنوها على شكل آخر ، ورفعوا قاعدة العامود العليا ذراعًا من قطعة رخام مربعة ، رسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع .

ومنها : أنهم هدموا مصاطب الحوانيت التى بالشوارع ورفعوا أحجارها ، مظهرين أن القصد من ذلك توسيع الأزقة ، لمرور العربات الكثيرة التى ينقلون عليها المتاع والجبس والجير وغيره ، والمعنى الخفى الثانى خوفًا من إقامة المتاريس بها عند حدوث الحروب كما تقدم . وكانوا وصلوا فى الهدم إلى باب زويلة ، ومن الجهة الأخرى إلى سوق مرجوش . فهدموا مصاطب خط قناطر السباع ، والصليبة ، ودرب الجماميز ، وباب سعادة ، وباب الخرق ، إلى آخر باب الشعرية ، ولو طال الحال لهدموا مصاطب خط العقادين ، والغورية ، والصاغة ، والنحاسين إلى آخر باب النصر ، وباب الفتوح[1] .

فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك ، وصاروا فى داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران فى الشقوق ، وبعض الزوايا ، والجوامع ، والرباع ، التى درجها خارج عن سمت حائط البناء ، / لما هدموا درجه وبسطه بقي باب مدخله مغلقًا، فكانوا يتوصلون إليه بدرج من الخشب ، مصنوع ، يضعونه وقت الحاجة ، ويرفعونه بعدها ، وذلك عمل كثير . / ١٥٤ أ

ومنها : تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء ، وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر ومع البعض منهم نساؤهم ، كانوا يمشون فى الشوارع مع نسائهم، وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات المصنوعة ، ويركبن الخيول والحمير ، ويسوقونها سوقاً عنيفًا مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم ، وحرافيش العامة ، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش، فتداخلن مع الفرنسيس لخضوعهم للنساء ، وبذل الأموال لهن ، وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار ، ومبالغة فى إخفائه ؛ فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر ، وحاربت الفرنسيس بولاق ، وفتكوا فى أهلها ، وغنموا أموالها ، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات ، صرن مأسورات عندهن ، فزيوهن بزى نسائهم ،

---

(١) هكذا نرى مدى إمتداد عمليات الهدم والتخريب التى قامت بها قوات الحملة الفرنسية فى القاهرة .

وأجروهن على طريقتهم فى كامل الأحوال ، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية . وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر ، حتى كثرت الفواحش من النساء ؛ لما حل بالمسلمين من الذل والهوان ، وسلب الأموال ، واجتماع خيرات الدنيا فى حوز الفرنسيس ، وشدة رغبتهم فى النساء / وخضوعهم لهن ، وموافقة ١٥٤ ب/ مرادهن ، وعدم مخالفة هواهن ، وَلَوْ شَتَمَتْهُ أَوْ ضَرَبَتْهُ بِتَاسُومَتِهَا عَلَى قَفَاه ، ولو كانت هى فى غاية القبح ، فطرحن الحشمة والوقار ، والمبالاة والاعتبار ؛ واستملن نظرائهن ، واختلسن عقولهن ، لميل النفوس إلى الشهوات ، وخصوصًا عقول القاصرات ، وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن ، رغبة فى سلطانهم ونوالهم ، فيظهر حالة العقد الإسلام ، وينطق بالشهادتين ، لأنه ليس له عقيدة يخشى فَسَادَهَا ، وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات مُتَزَيِّيَات بزيهم ، ومشين معهم فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية والأحكام العادية ، والأمر والنهى والمناداة . وتمشى المرأة بنفسها ، أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها ، وأمامه القواسة والخدم ، وبأيديهم العصى يفرجون لهن الناس ، ويوسعون من أجل مرورهن الطرقات ، مثل ما يمر الحاكم ، ويأمرن وينهين فى الأحكام .

ولما وفى النيل ، ودخل الماء إلى الخليج ، وجرت فيه السفن ، وقع عند ذلك من تبرج النساء ، واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن فى المراكب والرقص والغناء ، والشرب فى النهار والليل فى الفوانيس والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة ، والحلى والجواهر المرصعة ، وصحبتهم آلات الطرب ، وخدمة السفن ، يكثرون من الهزل والمجون ، ويتجاوبون فِى رَفْعِ الصوت فى تحريك المقاديف بسخائف موضوعاتهم ، وكثائف / مطبوعاتهم ، وخصوصًا إذا دبت الحشيشة فى ١٥٥ أ/ رأسهم ، وتحكمت فى عقولهم ، فيصرخون ويطبِّلون ، ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم ، وتقليد كلامهم بشىء كثير .

وأما الجوارى السود ، فإنهم لما علموا رغبة القوم فى مطلق الأنثى ، ذهبن إليهم أفواجًا ، فرادى وأزواجًا ، فنططن الحيطان ، وتسلَّقن إليهم من الطيقان ؛ ودلوهم على مخبآت أسيادهم ، وخبايا أموالهم ومتاعهم ، وغير ذلك .

ومنها : أن يعقوب القبطى اللعين لما تظاهر مع الفرنساوية ، وقلدوه صارى عسكر القبطة ، جمع شبان القبط ، وحلق لحاهم وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية ، مميز عنهم بقبّع يلبسونه على رؤوسهم مشابه لشكل البرنيطة ، وعليها

قطعة فروة سوداء من جلد الغنم فى غاية البشاعة ، مع ما يضاف إليها من قبح صورهم وسواد أجسامهم وزفارة أبدانهم ، وجعلهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد ، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى ، التى هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر ، وبنى له قلعة ، وسورها بسور عظيم وأبراج ، وباب كبير ، يحيط به بدنات عظام ، وكذلك بنى أبراجًا فى ظاهر الحارة ، جهة بركة الأزبكية ، وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقان للمدافع ، وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر ، الذى رمّه الفرنساوية ، ورتب على باب القلعة الخارج والداخل / عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلاً ونهارًا ، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية . /١٥٥ ب

ومنها : قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنائن الكائنة بمصر ، وبولاق ، ومصر القديمة ، والروضة ، وجهة قصر العينى ، وخارج الحسينية ، مثل: غيط فرخزان ، وغيط الملة ، وغيط أبو خودة ، وبساتين بركة الرطلى ، وأرض الطبالة ، وبساتين الخليج ، بل وجميع القطر المصرى ، كالشرقية ، والغربية ، والمنوفية ، وبساتين رشيد ، ودمياط ، كل ذلك لعمل القلاع ، وتحصين الأسوار فى جميع الجهات ، وعمل العجل والعربات والمتاريس ووقود النار .

ومنها : تكسير المراكب والسفن ، وأخذ أخشابها أيضًا ، مع شدة الاحتياج إليها، وعدم إنشاء سفن جديدة لافتقار الناس ورؤساء المراكب ، وعدم الخشب والقار والحديد ، وبقية الآلات ، وعدم الأمن عليها ، لو فرض إنشاؤها ، حتى إنهم حال حلولهم الديار المصرية ، وسكنهم بالأزبكية كسروا جميع القنج[1] والأغربة[2] التى كانت مركوزة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه ، وكذلك ما كان ببركة الفيل ، وقس على ذلك ، حتى أنَّ القطر المصرى الآن فى شدة الاحتياج لذلك ، وشحت البضائع، وغلت الأسعار ، وتعطلت الأسباب ، وضاقت المعايش ، وتضاعفت أجور حمل التجارات فى السفن لقلتها ، وبطلت المتاجر .

ومنها : هدم القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة ، / خوفًا من تترس المحاربين بها ، فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم ، فيسقط المكان بجميع أجزائه من شدة البارود وانحباسه فى الأرض ، فيسمع له صوت عظيم ، فهدموا شيئًا كثيرًا على هذه الصورة . /١٥٦ أ

وكذلك أزالوا جانبًا كبيرًا من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحازية للقلعة ، خوفًا من تمكن الخصم منها ، والرمى على القلعة .

---

(١) القنج : مفردها «قنجة» ، نوع من السفن الصغيرة .

(٢) الأغربة : جمع «غراب» ، نوع من السفن كان يستعمل فى النقل فى النيل .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعهد مثلها فى هذه السنين ، حتى غرقت الأرض كلها ، فصارت الأرض كلها لجة ماء ، وغرق غالب القرى التى على السواحل ، فتهدم من دورها شىء كثير . وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية إلى الطريق المسلوكة ، وطفح من بركة الفيل إلى درب الشمسى ، وطريق قنطرة عمر شاه[1] .

ومنها : استمرار انقطاع الطرق ، وأسباب المتاجر ، وغلوّ البضائع المجلوبة من : البلاد الرومية ، والشامية ، والهندية ، والحجازية ، والمغرب ، حتى غلت أسعار جميع الأصناف ، وانتهى سعر كل شىء إلى عشرة أمثاله وزيادة على ذلك ، فبلغ الرطل الصابون إلى ثمانين نصفًا واللوزة الواحدة بنصفين ، وقس على ذلك .

ومنها : وقوع الطاعون بمصر والشام ، وكان معظم عمله ببلاد الصعيد .

أخبرنى صاحبنا المشار إليه العمدة الفاضل الشيخ حسن العطار المصرى نزيل أسيوط مكاتبة ، ونصه :

١٥٦ أ/ «ونعرفكم أنه / قد وقع فى قطر الصعيد طاعون لم يعهد ، ولم نسمع بمثله ، وخصوصًا ما وقع منه بأسيوط ، وقد انتشر هذا البلاء فى جميع البلاد ، وشاهدنا منه العجائب ، وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد ، وكان أكثره فى الرجال سيما الشبان والعظماء ، وكل ذى منقبة وفضيلة ، وأغلقت الأسواق ، وعزت الأكفان ، وصار المعظم من الناس بين ميت وَمُشَيِّعٍ وَمَرِيضٍ وَعَائِدٍ ، حتى إن الإنسان لا يدرى بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ، ويتعطل الميت فى بيته من أجل تجهيزه ، فلا يوجد النعش ولا المغسل ، ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة ، وأن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشى معه ما زاد على عشرة أنفار ، تكترى ، وماتت العلماء والقراء والملتزمون والرؤساء وأرباب الحرف ، ولقد مكثت شهرًا بدون حلق شعر رأسى لعدم الحلاق .

وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان[2] ، وأخذ فى الزيادة فى شهر ذى العقدة والحجة[3] ، حتى بلغ النهاية ، فكان يموت كل يوم من أسيوط خاصة زيادة على الستمائة .

---

(١) قنطرة عمرشاه : قنطرة على الخليج المصرى يتوصل منها إلى البر الغربى . .

(٢) شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ - ١٥ يناير ١٨٠١ م .

(٣) العقدة والحجة ١٢١٥ هـ / ١٦ مارس - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

وصار الإنسان إذا خرج من بيته ، لا يرى إلا جنازة أو مريضًا أو مشتغلاً بتجهيز ميت ، ولا يسمع إلا نائحة أو باكية ، وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة ، لموت أرباب الوظائف ، واشتغال من بقى منهم بالمشى أمام الجنائز والمسبح والسهر ، وتعطل الزرع من الحصاد ، ونشف على وجه الأرض ، وأبادته الرياح ، لعدم وجدان من يحصده ، وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس . / هذا مع سعى العرب فى البلاد بالفساد والتخويف ، بسبب خلو البلاد من الناس ، والحكام ، إلى أن قال : «ولو شئت أن أشرح لك يا سيدى ما حصل من أمر الطاعون لملأت الصحف مع عدم الإيفاء» ، وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة ١٢١٥[١] . (/ ١٥٧ أ)

وأما من مات فى ه السنة من الأعيان

فالأمير مراد بيك محمد ، مات بسوهاج[٢] ، قادمًا إلى مصر باستدعاء الفرنسيس ودفن بها ، وكان موته رابع شهر الحجة[٣] ، كما تقدم ، وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب ، ومحمد بيك ملوك على بيك ، وعلى بيك مملوك إبراهيم كتخدا القاردغلى، اشترى محمد بيك مراد بيك المذكور فى سنة اثنين وثمانين ومائة وألف[٤]، وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالح بيك الكبير ، فأقام فى الرق أيامًا قليلة ، ثم أعتقه وأمَّره ، وأنعم عليه بالإقطاعات الجليلة ، وقدّمه على أقرانه ، وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بيك ، وسكن داره العظيمة بخطة قلعة الكبش[٥] ، ولما مات علي بيك تزوج بسريته أيضًا ، وهى الست نفيسة الشهيرة الذكر بالخير ، ولما انفرد محمد بيك بإمارة مصر ، كان هو وإبراهيم بيك أكبر أمرائه المشار إليهما دون غيرها ، فلما سافر محمد بيك إلى الديار الشامية محاربًا للظاهر عُمَر ، أقام عوضه فى إمارة مصر إبراهيم بيك ، وأخذ صحبته مراد بيك ، وباقى أمرائه ، فلما مات محمد بيك بعكا[٦] ، اجتمع رأى مماليكه / وأمرائه على رآسة مراد بيك وتقدمه (/ ١٥٧ ب)

---

(١) ٢٨ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٢ مايو ١٨٠١ م .

(٢) سوهاج : من البلاد القديمة ، إسمها المصرى "Paho" ، والقبطى Bonpaha ووردت فى المصادر العربية باسم «سوهاى» ثم حُرِّفَ الإسم إلى سوهاج ، وهى قاعدة محافظة سوهاج . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

(٣) ٤ الحجة ١٢١٥ هـ / ١٨ أبريل ١٨٠١ م .

(٤) ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩ م .

(٥) قلعة الكبش : هى المنطقة الواقعة غربى جامع أحمد بن طولون . أو الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر ، حيث كان عليها المناظر التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهذه المنقطة مع عمرانها ، لا تزال تعرف إلى يومنا هذا باسم قلعة الكبش . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٦) عكا : أنظر ، ص ٤٨ ، حاشية رقم (٤) .

عليهم ، وحملوا جثة سيدهم ، وحضروا بأجمعهم إلى مصر ، فاتفق رأى الجميع على إمارة من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره، وهو إبراهيم بيك ؛ ورضى الجميع بتقدمه ورياسته ، لوفور عقله وسكون جأشه ، فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ، ونائب نوابها ووزرائها .

وعكف مراد بيك على لذاته وشهواته ، وقضى أكثر زمانه خارج المدينة ، مدة بقصره الذى أنشأه بالروضة ، وأخرى بجزيرة الذهب ، وأخرى بقصر قايماز جهة العادلية ، كل ذلك مع مشاركته لإبراهيم بيك فى الأحكام والنقض والإبرام والإيراد والإصدار ، ومقاسمة الأموال والدواوين ، وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب، وأخذ فى بذل الأموال وإنفاقها على أمرائه وأتباعه ، فانضم إليه بعض أمراء على بيك وغيرهم ، ممن مات أسيادهم ، كَعَلِى بيك المعروف بالملط ، وسليمان بيك الشابورى، وعبد الرحمن بيك عثمان ، فأكرمهم وواساهم، ورخص لمماليكه فى هفواتهم، وسامحهم فى زلاتهم، وحظى عنده كُلُّ جرىء غشوم عسوف ذميم ظلوم، فانقلبت أوضاعهم، وتبدلت طباعهم، وشرهت نفوسهم ، وعلت رؤوسهم، فتناظروا وتفاخروا، وطمعوا فى أستاذهم ، وشمخت أنافهم عليه ، وأغاروا حتى على ما فى يديه ، واشتهر بالكرم والعطاء ، فقصده الراغبون ، وامتدحه الشعراء والغاوون ، وأخذ الشىء من غير حقه ،/ وأعطاه لغير مستحقه ، كما قال القائل : شعر : ١٥٨ أ/

وإنَّهَا خَطَرَاتٌ مِـــــــنْ وَسَاوِسَهُ يُعْطِي وَيَمْـــنَعُ لا بُخْـــلاً ولا كـــرمًا

ثم لما ضاق عليه المسلك ، ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك ، أخذ ينحجب عن الناس ، فعظم فيه الهاجس والوسواس ، وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن، مع التهور والطيش ، والتورط فى الإقدام على عدم الشجاعة ، ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبدًا ، على ما فيه من الادعاء والغرور ، والكبر والخيلاء ، والصلف والظلم والجور ، كما قال القائل ، شعر :

أَسَدٌ عَلَيَّ وفِـــــــى الحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتْخَاءُ تَنْفرُ مِنْ صَفِيـــرِ الــــصَّافِرِ

ولما قدم حسن باشا إلى مصر ، وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته ، هاربين إلى الصعيد ، حتى انقضت أيام حسن باشا ، وإسماعيل بيك ، ومن كان معه ، ورجعوا ثانيًا بعد أربع سنين ، وشىء من الشهور من غير عقد ولا عهد ولا حرب ، تعاظم ، فى نفسه جدًا ، واختص بمساكن إسماعيل بيك ، وجعل إقامته بقصر الجيزة ، وزاد فى بنائه وتنميقه ، وبنى تحته رصيفًا محكمًا ، وأنشأ بداخله بستانًا عظيمًا ، نقل إليه أصناف النخل والأشجار والكروم ، واستخلص إقليم الجيزة لنفسه

شراء ومعاوضة وغصبًا ، وعمر أيضًا قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستانًا عظيمًا، وكذلك قصر برتسا ، وبستان المجنون ، وصار يتنقل فى تلك القصور والبساتين ، ويركب للصيد فى غالب أوقاته ، واقتنى المواشى من الأبقار والجواميس الحَلاَّبة ، والأغنام / المختلفة الأجناس ، فكان عنده بالجيزة من ذلك شيء كثير جدًا ، وعمل له ترسخانة عظيمة، وطلب صناع الات الحرب من المدافع والمهاريز[1] ، والبنب والجلل والمكاحل ، واتخذ بها أيضًا معامل البارود ، وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين ، فجمع الحديد المجلوب والرصاص والفحم والحطب ، حتى شحنت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها ، وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة لحرق قمن الجير والجبس للعمارة ، وأوقف الأعوان فى كل جهة ، يحجزون المراكب التى تأتى من البلاد بالأحطاب ، يأخذونها ، ويجمعونها للطلب ، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ، ويأخذون الجعالات[2] ، على ما يسمحون به أو يطلقونه لأربابه بالوسائط والشفاعات. وأحضر أناسًا من الغليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب ، فأنشأوا له عدة مراكب حربية وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم ، أصرف عليها أموالاً عظيمة ، ورتب بها عساكر وبحرية وأدرّ عليهم الجماكى[3] والأرزاق الكثيرة ، وجعل عليهم رئيسًا كبيرًا ، رجلاً نصرانيًا وهو الذى يقال له «نقولا» ، بنى له دارًا عظيمة بالجيزة ، ومصر ، وله عزوة من نصارى الأروام المرتبين عسكرًا .

١٥٨/ ب

وكان نقولا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس الفاخرة ، ويمشى فى شوارع مصر راكبًا ، وأمامه وخلفه قوَّاسة يُوَسِّعُونَ له الطريق على هيئة ركوب الأمراء . كل ذلك خطرات من وساوسه ، / لا يدرى لأى شيء هذا الإهتمام ، ولأى حاجة إنفاق هذا المال فى الخشب والحديد ، وإعطاه لنصارى الأروام .

١٥٩/ أ

وترددت الناس ، فقائل يقول : «إن ذلك خوف من خشداشينه» ، وقائل يقول: «مخافة من السلطنة ، كما تقدم فى قضية حسن باشا» ، والبعض يظن خلاف ذلك ، وليس غير الوهم والتخيل الفاسد ، والخوف من كل شيء . وبقيت آلات الحرب جميعها أو البارود بحواصله ، والجلل والبنبات ، حتى أخذ جميعه الفرنسيس ، فيقال: إنه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة ، كذا نقل عن معلم الترسخانة ، وأخذ جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلائهم على الجيزة .

(١) المهاريز : جمع «مهراز» ، والمهراز آلة حربية شبيهة بالقنبلة .

(٢) الجعالات : جمع «جعل» ، وتعنى الأجر المقطوع . (٣) الجماكى : المرتبات .

ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة فى بعض الأيام ، بين بعض نصارى الأروام الغليونجية ، وبعض السوقة بمصر القديمة ، فتعصب النصارى على أهل البلد وحاربوهم ، وقتلوا منهم نيفًا وعشرين رجلاً ، وانتهت الشكوى إلى الأمير ، فطلب كبيرهم ، فعصى عليه ، وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع المراكب ووجهها جهة قصره ، فلم يسعه إلا التغافل ، وراحت على من راح ، واستوزر له رجلاً بربريًا ، وهو المسمى بإبراهيم كتخدا السنارى ، وجعله كتخداه ومشيره ، وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة بإقليم مصر ما لم يبلغه أعظم أمير بها ، وبنى له دارًا بالناصرية ، واقتنى المماليك الحسان والسرارى البيض ، والحبوش ، والخدم ، وتعلم اللغة التركية، والأوضاع الشيطانية .

١٥٩ ب/ واختص / ذلك البربرى برجل فراش من رعاع الناس ، وجعله كتخداه يأتمر بأمره، ويتوسلون به أعاظم الناس فى قضاء أشغالهم .

ولما حسن لمراد بيك الإقامة بالجيزة ، واختار السكن بها ، وزين له شيطانه العزلة من خشداشينه وأقرانه ، وترك لإبراهيم بيك أمر الأحكام والدواوين ، ومقتضيات نواب السلطنة ، مع كونه لا ينفذ أمرًا دون رأيه ومشورته ، واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية ، حتى عن الأمراء الكبار من أقرانه ، كان السفير بينه وبينهم إبراهيم كتخدا المذكور ، فكان هو عبارة عنه ، وربما نقض القضايا التى أبرم أمرها عند إبراهيم بيك أو غيره بنفسه ، أو عن لسان مخدومه ؛ وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربى نحو الست سنوات متوالية ، لا يعدّى إلى البر الشرقى أبدًا ، فلا يحضر الديوان ولا يتردد إلى الأقران ، وإذا حضر الباشا المولى على مصر ، ووصل إلى بر إنبابة ، ركب وسلم عليه مع الأمراء ، ورجع إلى قصره ، فلا يراه بعد ذلك أبدًا ، وتعاظم فى نفسه ، وتكبر على أقرانه ، وأبناء جنسه ، فتزاحمت على سدته الطلاب، وتكالبت على جيفته الكلاب ، فاتروى من نبشهم ، وتوارى من نهشهم فإذا بلغه قدوم من يختشيه، أو وصول من يرتجيه، وكان يستحى من رده ، أو يخشى عاقبة صده ؛ ركب فى الحال ، وصعد إلى الجبال ؛ وربما وصله الغريم على غفلة ، فيجده قد شمع الفتلة، فإن صادفه واجتمع عليه ، أعطاه ما فى يديه أو وعده بالخير،

١٦٠ أ/ أو وهبه ملك / الغير ؛ فما يشعر الميسور ، إلا ولقمته قد اختطفتها النسور؛ ثم أخذ يعبث بدواوين الأعشار ، والمكوسات والبهار ، فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لمماليكه ختم الوصولات ، فتجاذب هو وإبراهيم بيك ذلك الإيراد ، وتَعَارَضَتْ أوراقهَما ، وَحَافَا فى المعتاد ، ثم اصطلحًا على أن تكون له الدواوين البحرية ، ولقسيمه ، ما يرد من الأصناف الحجازية ، وما انضاف إلى قلم البهار ، وحسبا فى

دفاتر التجار ؛ فانفرد كل منهما بوظيفته ، وفعل بها من الإجحاف ما سطر فى صحيفته ، فأحدث المترجم ديوانًا خاصًا بثغر رشيد على الغلال التى تحمل إلى بلاد الإفرنج ، وسموه «ديوان البدعة» ، وأذن ببيع الغلال لمن يحملها إلى بلاد الإفرنج وغيرها . وجعل على كل إردب دينارًا ، خلاف البرانى ، و والتزم بذلك رجل سراج من أعوانه الموصوفين بالجور ، وسكن برشيد ، وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالاً وإيرادًا عظيمًا .

وكانت هذه البدعة السيئة ، من أعظم أسباب قوة الفرنسيس وطمعهم فى الإقليم المصرى ، مع ما أضيف لذلك من أخذ أموالهم ، ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن ، واقتدى به أمراؤه ، وتناظروا فى ذلك ، وفعل كل ما وصلت إليه همته ، واستخرجته فطنته ، واختص بالسيد محمد كريم السكندرى ورفع شأنه بين أقرانه ، فمهد له الأمور بالثغر ، وأجرى أحكامه به ، وفتح له باب المصادرات والغرامات ، ودلَّه على مخبآت الأمور ، وأخذ أموال التجار / من المسلمين وأجناس الإفرنج ، حت تجسّمت العداوة بين المصريين والفرنسيس ، وكان هو من أعظم الأسباب فى تملك الفرنسيس للثغر كما ذكر ذلك فى قتلته . / ١٦٠ ب

ومما سولت له به نفس المترجم بإرشاد بعض الفقهاء ، عمارة جامع عمرو[1] بن العاص ، وهو الجامع العتيق ، وذلك أن هذا الجامع لما خرب بخراب مدينة الفسطاط[2] ، وبقيت البلد تلالاً وكيمانًا ، وخصوصًا ما قرب من ذلك الجامع ، لم يزل الجَامعُ فى اضمحلال حتى مال شقه وسقفه وأعمدته ، فعزم على تجديده وعمارته ليرفع به دينه الخلق[3] ، كما قال شاعرهم من قصيدته :

وَمَسْجِدٌ فى فَضَاءِ مَا عمارتُه	فَوْقَ الصِّيَانَةِ إلا هَوٌ مُخْتَلَقٌ
كَأَنَّ عَمْرًا دَعَا يَا عَاصِ هَمّ بِهِ	وَرُمَّه رُقْعَةٌ فِى دِينِكَ الخَلَقِ

فاهتم لذلك ، وقيد به نديمه قاسم المعروف بالمصلى ، وأصرف عليه أموالاً عظيمة أخذها من غير حلّها ، ووضعها فى غير محلها ، فأقام أركانه ، وشيَّد بنيانه، ونصب أعمدته ، وكل زخرفته ، وبنى بِهِ منارتين ، وجدد جميع سقفه بالخشب

(١) جامع عمرو بن العاص : أول جامع أسس بديار مصر ، وضع أساسه عمرو بن العاص ، بحضور جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، ويقال له الجامع العتيق وتاج الجوامع ، ومسجد أهل الراية ، ويقع بمدينة فسطاط مصر ، جدد وعُمِّر بعد وضع أساسه عدة مرات ، ولا يزال مقام الشعائر . مبارك ، على : المرجع السابق، جـ ٤ ص ١٣-٢٣ ، جـ ٥ ، ص ١٤١ .

(٢) الفسطاط : أنظر ، ص ١٢، حاشية رقم (٣) .

(٣) الخلق : غير السليم .

النقى ، وبيّضه جميعه ، فتم على أحسن ما يكون ، وفرشه بالحصر الفيومى ، وعلق به القناديل ، وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان سنة اثنى عشر[1] ، فحضر الأمراء والأعيان ، وكان يومًا مشهودًا .

فما حضرت الفرنسيس فى العام القابل بعد تاريخه[2] ، جرى عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب ، حتى أصبح بلقعًا أشْوَهُ مما كان .

١٦١ أ/ بَنَى جَامعًا لله مِنْ غَيـــرِ حِلِّه — فَجَاءَ بِحَمْدِ الله غَيـــر مُوَفَّق /
كَمُطْعِمَةِ الأيْتَامِ مِنْ كَدِّ فَرْجِـــهَا — فَيَالَيْتَ لا تَزْنِـــى ولا تَتَصـــدَّقِ

وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى ، وأوصافه لا تستقصى ، وهو كان من أعظم أسباب خراب الإقليم المصرى ، فلعل الهم يزول بزواله . وكان صفته أشقر ، كث اللحية ، قصير القامة ، غليظ الجسم والصوت ، بوجهه أثر ضربة سيف ، ظالمًا غشومًا متهورًا، مختالاً معجبًا متكبرًا ، ولم يخلف ولدًا ولا بنتًا .

وصناجقه الذين هلك عنهم ، محمد بيك المعروف بالألفى[3] ، ومحمد بيك المنفوخ ، وسليم بيك أبو دياب مملوك مصطفى بيك الإسكندرانى .

ومات ، الأمير حسن بيك الجداوى ، مملوك على بيك ، وهو من خشداشين محمد بيك أبو الذهب ، مات بغزة بالطاعون ، وكان من الشجعان الموصوفين ، والأبطال المعروفين .

ولما انفرد على بيك بمملكة مصر ، ولاه إمارة جدة ، فذلك لقب الجداوى ، وذلك سنة أربع وثمانين ومائة وألف[4] ، وابتلى فيها بأمور ظهرت بها شجاعته ، وعرفت فروسيته ؛ ولما حصلت الوحشة بين إسماعيل بيك والمحمديين ، كان ممن نافق معه وعضده هو وحشداشينه ، رضوان بيك ، وعبد الرحمن بيك ، وكانت لهم الغلبة ، ونما أمره عند ذلك ، وظهر شأنه بعد أن كان خمل ذكره ، وهو الذى تجاسر على قتل يوسف بيك فى بيته بين مماليكه وعزوته ، ثم خامر على إسماعيل بيك ، وانقلب إليهم بمن معه ، ورجعوا إلى مصر ، وفرَّ / إسماعيل بيك بمن معه إلى الشام ، واستقر هو وخشداشينه فى مملكة مصر ، مشاركين لهم مظهرين عليهم الشمم ، طامعين فى خلوص الأمر لهم ، متوقعين بهم الفرصة مع التهور الموجب

١٦١ ب/

(١) ١٢١٢ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٧ - ١٤ يونيه ١٧٩٨ م .
(٢) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .
(٣) بالأصل « بالبرديسى » صوبت ، من عجائب الآثار ، ومن طبعة وزارة التربية والتعليم ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ .
(٤) ١١٨٤ هـ / ٢٧ أبريل ١٧٧٠ - ١٥ أبريل ١٧٧١ م .

لتحذر الآخرين منهم ، إلى أن استعجلوا إشعال نار الحرب ، فجرى ما جرى بينهم، من الحروب والمحاصرة بالمدينة ، وانجلت عن خذلانهم وهزيمتهم ، وظهور المحمديين عليهم ، وقتل بها عدة من أعيانهم ومواليهم ، ومن انضم إليهم ، وربما عوقب من لا جنى ، كما سطر ذلك في محله .

وَفَرَّ المترجم مع بعض من بقى من عشيرته إلى القليوبية ، فقبض عليه وأتى به إلى مصر ، ففر إلى بولاق بمفرده ، والتجأ إلى بيت الشيخ الدمنهورى ، فأحاطوا به، فنط من سطح الدار ، وخلص إلى الزقاق وسيفه مشهور فى يده ، فصادف جنديًا ، فقتله ، وأخذ فرسه ، فركبه ، وفر والعساكر خلفه تريد أخذه ، وتتلاحق به من كل جهة ، وهو يراوغهم ويقاتلهم ، حتى خلص إلى بيت إبراهيم بيك فأمنه ، واتفقوا على إرساله إلى جدة ، فلما أقلع به فى القلزم أمر رئيس المركب أن يذهب به إلى القصير ، وخَوَّفَه القتل إن لَمْ يفعل ، فذهب إلى القصير ، فتوجه منها إلى إسنا[1] ، وعلمت به عشيرته وخشداشينه ومماليكه ، فتلاحقوا به ، واستقر أمرهم بها بعد وقائع يطول شرحها ، فأقام نيفًا وعشر سنين ، حتى رجع إليهم إسماعيل بيك بعد غيبته الطويلة ، وانضم إليهم ، واصطلح معهم إلى أن كان ما كان من وصول حسن باشا إلى الديار المصرية ، وإخراجه للمحديين ، وإدخاله / للمذكور مع إسماعيل بيك ورضوان بيك وأتباعهم ، وتأميرهم بمصر واستقرارهم بها بعد رجوع حسن باشا إلى بلاده ، ووقوع الطاعون الذى مات به إسماعيل بيك ، ورضوان بيك، وغيرهم من الأمراء ، فاستقل بمن بقى من الأمراء ، وفعل معهم من التهور والحمق والشره ، ما أوجب لهم بغض النعيم والحياة معه ، وخامر عليه من كان يأمن إليه ، فلم يسعه ومن معه إلا الفرار ، ورضى ذاك لنفسه بالذل والعار ، ودخلت المحمديون إلى مصر المحمية ، واستقر هو كما كان بالجهة القبلية ، فأقام على ذلك سبع سنين وبعض أشهر ، إلى أن وقعت حادثة الفرنسيس ، واستولوا على الإقليم المصرى ، وحضرت العساكر بصحبة عضده الصدر الأعظم ، ووقع ما وقع من الصلح ونقضه ، وانحصر المشار إليه مع من انحصر بالمدينة من المصرلية والعثمنلية ، فقاتل ، وجاهد ، وأبلى بلاءً حسنًا ، شهد له بالشجاعة والإقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية ، فلما انفصل الأمر ، وخرجوا إلى الجهة الشامية ، فلم يزل محرصًا ومرابطًا ومجتهدًا حتى مات بالطاعون فى هذه السنة[2] ، وفاز بالشهادتين ، وقدم على كريم يغفر الذنوب جميعًا ، إنه هو الغفور الرحيم .

/ ١٦٢ أ

---

(١) إسنا : أنظر ، ص١٠٢ ، حاشية رقم (٦) .
(٢) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

ومات الأمير عثمان بيك المعروف بطبل ، وهو من مماليك إسماعيل بيك ، أمّره فى سنة إثنين وتسعين[1] ، ثم خرج مع سيده ، وتغرب معه فى غيبته الطويلة ، فلما رجع إلى مصر فى أيام حسن باشا ، وتولى إمارة الحاج / فى سنة خَمْسٍ ومائتين وألف [2] ، وكان سيده يقدمه على أقرانه ، ويظن به النجاح ، ولما طعن وعلم أنه مفارق الدنيا ، أحضره وأوصاه ، وحذره من أعدائه ، وقال له : « إنى حصنت لك مصر وسورتها وصيرتها بحيث تملكها بنت عمياء » .

١٦٢ ب/

فلما مات سيده تشوف للإمارة حسن بيك الجداوى ، وعلى بيك كتخدا الجاويشية ، فلم يرض كل منهما بالآخر ، وتخوفا من بعضهما ، فاتفق رأيهما على تأمير عثمان بيك المذكور كبيرًا عوضًا عن سيده ، وسكن داره ، وعقدوا الدواوين عنده ، فنزل عن إمارة الحاج لحسن بيك ، تابع حسن بيك قصبة رضوان . واشتغل هو بأمور الدولة ، ومشيخة مصر ، فلم يفلح . وخامر مع أخصامه وأخصام سيده ، والتف عليهم سرًا ، وصدق تمويهاتهم ، وخذل نفسه ودولته ، وذلك غيظًا من حسن بيك الجداوى ، لما رأى من تحقيره إياه ، والنظر له بعين العداوة والغدر .

وكل من حسن بيك الجداوى ، وعلى بيك كتخدا الجاويشية ، يتخوف نفاق صاحبه ، لتكرر ذلك منهما فى الوقائع السابقة ، وانحراف طبع كل عن صداقة الآخر ، ولم يخطر ببالهما ولا ببال أحد من المجانين ، فضلا عن العقلاء ، ركون المشار إليه إلى أعدائه وأعداء سيده العداوة الموروثة ، فكانا كلما شرعا فى شىء من مكائد الحرب ثبطهما وأقعدهما ، وهما يظنان نصحه ، ويعتقدان خلوصه ومعرفته ، ولكونه تعلم سياسة الحروب من سيده لكثرة تجاربه وسياحته . ولم يعلما أنه يمهد لنفسه / طريقًا مع الأعداء . إلى أن كان ما كان من مساعدته لهم بالتغافل والتقاعد، حتى تحولوا إلى الجهة الشرقية ، وخلص إليهم بمن انضم إليه من عشيرته ، فلم يسع الباقون إلا الهرب ، وأسلم هو نفسه لأعدائه فأظهروا له المحبة وولوه إمارة الحاج ، حكم عهدهم له بذلك ، وأن تكون له ما دام حيًا ، فخرج فى تلك السنة أعنى سنة ست ومائتين[3] ، وكذلك سنة سبع [4] ، ونهب الحج فى تلك السنة[5] ، وفر هو إلى

١٦٣ أ/

(١) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٨ يناير ١٧٧٩ م .

(٢) بالأصل : سنة خمسين ومائتين وألف » ، والصواب « سنة خمس ومائتين وألف » : ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ أغسطس ١٧٩١ م .

(٣) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩١ - ١٨ أغسطس ١٧٩٢ م .

(٤) ١٢٠٧ هـ / ١٩ أغسطس ١١٩٢ - ٨ أغسطس ١٧٩٣ م .

(٥) ١٢٠٧ هـ / ١٩ أغسطس ١١٩٢ - ٨ اغسطس ١٧٩٣ م .

غزة ، فصودرت زوجاته ، واقتسمت إقطاعه ، ورجع بعد حين إلى مصر ، وأهمل أمره ، واستمر كآحاد الطائفة من الأجناد ، ويغدو ويروح إليهم ويرجو رفدهم ، إلى أن حدثت حادثة الفرنسيس فخرج مع من خرج إلى الشام ، ولم يزل هناك حتى مات في السنة المذكورة [1] ، وكان دائمًا يقول عند تذكره الدولة والنعيم « ذلك تقدير العزيز العليم » .

ومات الأمير عثمان بيك المعروف بالشرقاوى ، وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب أيضًا الكبار ، وتأمَّر فى أيامه ، وعرف بالشرقاوى ، لكونه تولى الشرقية ، ووقع منه ظلم وجبروت بعد أستاذه ، وصادر كثيرًا من الناس فى أموالهم ، ثم انكف عن ذلك ، وزعم أن ذلك كان بإغراء مقدمه ، فشهره وقتله ، ولم يزل فى إمارته حتى مات فى الشام بالطاعون .

ومات الأمير أيوب بيك الكبير ، وهو أيضًا من مماليك محمد بيك ، وكان من خيارهم ، يغلب عليه حب الخير والسكون ، ويدفع الحق لأربابه . وتأمَّر على الحج ، وشكرت سيرته .

ومات الأمير مصطفى / بيك الكبير ، وهو أيضًا من مماليك محمد بيك ، تولى الصعيد ، وإمارة الحج عدة مرار ، وكان فظًا غليظًا متمولا بخيلا شحيحًا ، وفى إمارته على الحاج ، ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب ، وشحه بعوائدهم ، وقلة اعتنائه بشعار الدين ، فانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها ، وكان ذلك من أعظم ما اجترموه من القبائح . / ١٦٣ ب

ومات الأمير سليمان بيك المعروف بالوالى ، صهر إبراهيم بيك الكبير ، الذى مات فى واقعة الفرنسيس الأولى بإنبابة ، مدبرًا فارًا ، وسقط فى البحر ، وغرق ، وكان هو وأخوه قبل تقلدهما الصنجقية ، أحدهما : والى الشرطة ، والآخر : أغاة مستحفظان ، فلم يزالا يلقبان بذلك حتى ماتا ، وكان المترجم محبًا لجمع المال ، وله إقطاع واسعة ، وخصوصًا بجهة قبلى ، وفى آخر أمره استوطن أسيوط ، لأنها كانت فى إقطاعه ، وبنى بها قصرا عظيما ، وأنشأ بعض بساتين وسواقى ، واقتنى أبقارًا وأغنامًا كثيرة . ومما اتفق أنه جزَّ [2] صوف الأغنام ، وكانت أكثر من عشرة آلاف ،

---

(١) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

(٢) جزّ صوف الأغنام : أى قَصَّ صوف الأغنام .

ثم ورعه على القزازين فنسجوه ، ثم جمع التجار وباعه عليهم بزيادة عن السعر الحاضر ، فبلغ ذلك مبلغًا عظيمًا .

ومات الأمير قائد أغا ، وهو من مماليك محمد بيك أيضًا ، وكان يلقب أيام كشوفيته بقائد نار ، لظلمه وتجبره . وولى أغاة مستحفظان فى سنة ثمان وتسعين ومائة وألف[1] ، فأخاف العامة ، وكان يتنكر وَيَتَزَيَّى بأشكال مختلفة ، ويتجسس على الناس ، وذلك أيام خروج إبراهيم بيك إلى قبلى ، ووحشته من مراد بيك ، وانفراد مراد بيك / بإمارة مصر، فلما تصالحا ورجع إبراهيم بيك ، رد الأغاوية لعلى أغا ، فحنق المترجم لذلك ، وقلق قلقًا عظيما ، وترامى على الأمراء وصار ، يقول : « إِنْ لَمْ يَرُدُّوا إلىَّ مَنْصِبِى قَتَلْتُ عَلِى أَغَا أَوْ قَتَلْتُ نَفْسِى » ، فلما حصل منه ذلك عزلوا على أغا ، وقلدوا سليم أغا أمين البحرين أغاوية مستحفظان ، ولم يبلغ غرضه ، ولم ترض نفسه بالخمول . وأكثر من الأعوان والأتباع فيحضرون بين يديه الشكاوى والدعاوى ، ويضرب الناس ، ويحبسهم ويصادرهم فى أموالهم ، ويركب وبين يديه العدة الوافرة من القواسة والخدم ، يحملون الحراب والقرابين والبنادق ، وخلفه الكثير من الأجناد والمماليك ، واتخذ له جلساء وندامى يباسطونه ويضاحكونه . ولم يزل كذلك حتى خرج مع عشيرته إلى الصعيد عند حضور حسن باشا ، فاستولى على كثير من حصص الإقطاع .

١٦٤ أ/

فلما رجعوا فى أواخر سنة خمس[2] ، سكن دار جوهر أغا « دار السعادة سابقًا » بالخرنفش ، وتزوج سريته قهرا ، واستكثر من المماليك والجند ، وتاقت نفسه للإمارة ، وتَشَوَّفَ إلى الصنجقية ، وسخط على زمانة والأمراء الذين لم يلبوا دعوته ، ولم يبلغوه أمنيته ، وصار لايخاطبه جلساؤه إلا بقولهم : « يا بيك » ، ويكره من يخاطبه بدون ذلك ، وكان له من الأولاد الذكور إثنا عشر ولدًا لصلبه ، يركبون الخيول ، ماتوا فى حياته .

وكان له أخ من أقبح خلق الله فى الظلم ، اتخذ له أعوانًا وأتباعًا ، وليس عنده ما يكفيهم . وكان يخطف كل ما مر بخطته بباب الشعرية من قمح / وتبن وشعير

١٦٤ ب/

(١) ١١٩٨ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٧٨٣ - ١٣ نوفمبر ١٧٨٤ م .

(٢) آخر ١٢٠٥ هـ / ٣٠ أغسطس ١٧٩١ م .

وغير ذلك ، ولا يدفع له ثمنًا ، هلك قبله بنحو ست سنين بناحية قبلى ، وأتوا بجيفته إلى مصر مقرفصًا ، ودفن بمدفن أخيه بتربة المجاورين . ومن جملة أفاعيله القبيحة أنه كان يجرد سيفه ، ويضرب رقاب الحمير ويزعم أنه يقطعها فى ضربة واحدة . ولم يزل أخوه المترجم على حالته حتى خرج من مصر عند مجئ الفرنسيس ، وعاد بصحبة العرضى [1] ، ومات من مات من الأمراء بالشام ، فقلده حضرة الصدر الأعظم الصنجقية فيمن تقلد ، وأدرك أمنيته ، فأقام قليلا ، وهلك فيمن هلك ، فكان كما قال القائل :

فَكَانَ كالمُتمنِّى أَنْ يَرَى فَلَقًا   مِنَ الصَّبَاحِ فَلَمَّا رآه عَمِىَ

ومات أيضًا : حسن كاشف المعروف بجركس . وهو أيضًا من مماليك محمد بيك ، واشراق[2] عثمان بيك الشرقاوى ، وكان من الفراعنة . وهو الذى عمر الدار العظيمة بالناصرية [3] ، وصرف عليها أموالا عظيمة ، فما هو إلا أن تمم بناءها ، ولم يكمل بياضها حتى وصلت الفرنسيس ، فسكنها الفلكيون والمدبرون ، وأهل الحكمة والمهندسون ، فلذلك صِينَتْ من الخراب ، كما وقع بغيرها من الدور ، لكون عسكرهم لم يسكنوا بها ، وتقلد الصنجقية بالشام ، ثم هلك بالطاعون .

ومات : الأمير حسن كتخدا المعروف بالجربان بالشام أيضًا .

ومات : الأمير قاسم بيك المعروف بالموسقو ، وهو من مماليك إبراهيم بيك ، وكان لين الجانب ، قليل الأذى ، إلا أنه كان شحيحًا لايدفع حقًا توجه عليه . ولما مات خشداشه حسن بك الطحطاوى تزوج بزوجته ، وشرع فى بناء السبيل المجاور/ /١٦٥ أ لبيته بحارة قيسون[4] ، فما هو إلا أن قرب إتمامه إلا وقد قدمت الفرنسيس لمصر ، فخربوه وشعثوا بنيانه ، وهدموا حيطانه ، وبقى على حالته كمثل ما فعلوه بدور تلك الخطة وغيرها .

(١) العرضى : أنظر ، ص ٢٣ ، حاشية رقم (١) .
(٢) إشراق : الصبى أو الغلام الذى يؤخذ إلى صانع حاذق ليتعلم منه الصنعة ، والمعنى المقصود هنا الذى علمه وأشرف عليه . دهمان : محمد أحمد : المرجع السابق ، ص ١٦ .
(٣) الناصرية : أنظر ، ص ٣٨ ، حاشية رقم (١٠) .
(٤) حارة قيسون : حارة تقع من جهة اليمين من شارع درب الإبراهيمى . مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ .

ومات : علـى أغا كتخـدا جاوجان ، وهو مـن مماليك الـدمياطى ، ونـسب إلى محمد بيـك ، وأحبه إبراهيم بيك ورقـاه ، واختص به ، وولاّه أغاة مستحـفظان فى سنة اثنين وتسعين ومائة وألف [١] ، فلم يزل إلى سنـة ثمان وتسعين [٢] ، فخرج مع إبراهيم بيك إلى المنية[٣] عندما تغاضب مع مراد بيك .

فلما تـصالحا قلدوه كمـا كان ، فحنق قايـد أغا ، وكان ما كان من عـزله وولاية سليم أغا كما سبق الإلماع بذلك عند ذكر قـايد أغا . ثم قُلِّد كتخدا الجاويشية فى سنة ست ومائتين وألف[٤] ، ولم يزل مـتقلداً ذلـك حتى خرج مـع من خرج فى حـادثة الفرنـسيس . وكان ذا مال وثـروة مع مزيد شح وبخـل ..واشترى دار عبد الـرحمن كتخدا القازدغلى العظـيمة التى بحارة عابدين [٥] ، وسكنها ، وليـس له من المآثر إلا السـبيل والكُتّاب الـذى أنشأه بجـوار داره الأخرى بدرب الحـجر ، وهى من أحـسن المبانى ، وقـــد حماه الله مـــن تخريب الفـرنسيس وهو باق إلـى يومنا هذا ببـهجته ورونقه .

ومات : الأمير يحيى كـاشف الكبير ، وهو من مماليك إبراهـيم بيك الأقدمين ، وكان لـطيف الـطباع حـسن الأوضاع ، وفـيه ذوق وتودّد « عـطاردى »[٦] / يحـبّ الرسومات والنقــوش والتصاوير والأشكال ودقائق الصناعات، والكتب المشتملة على ذلك ، مثل : كليلة ودمنة[٧] ، والنوادر والأمثال[٨] ، واهتم فى بناء السبيل المجاور لداره بخـطـة عابديـن ، فرسم شكله قـبل الشروع فيـه فى قرطاس بمعونـة الأسطى حسن الخياط ، ثم سافـر إلى الإسكندرية ، وأحضر ما يحتاجـه من الرخام والأعمدة المرمـر الكبـيرة والصـغيرة ، وأنـواع الأخشاب ، وحـفر أساسـه وأحكم وضـعه . واستدعى الـصناع والمرخمين ، فـتأنَّقُوا فى صناعتـه ونقش رخامه علـى الرسم الذى

١٦٥ب/

---

(١) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٨ يناير ١٧٧٩ م .

(٢) ١١٩٨ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٧٨٣ - ١٣ نوفمبر ١٧٨٤ م .

(٣) المنيا : من المـدن المصرية القديمة ، إسمـها المصرى «Per mema» ، والقبطى «Temomi» أو «Tmoune» ، والعربى منية أبـى الخصيب ، نسبة إلى الخصيب بن عـبد الحميد ، صاحب خراج مصر من قبـل أمير المؤمنين هارون الرشيد ، وعرفت كذلك بإسم منية الفولى ، حيث بها مقام الشيخ الفولى ، وهى قاعدة محافظة المنيا . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٩٦ - ١٩٨ .

(٤) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩١ - ١٨ أغسطس ١٧٩٢ م .

(٥) حارة عابدين ، أنظر ، ص ٤٠ ، حاشية رقم (٦) .

(٦) عطاردى : نسبة إلى كوكب عطارد الذى يؤثر فى مزاج بعض الناس بخفة الحركة .

رسمه لهم . كل ذلك بالحفر بالآلات فى الرخام وموهوه بالذهب ، فما هو إلا أن ارتفع بنيانه ، وتشيدت أركانه ، وظهر للعيان حسن قالبه . وكاد يتم ما قصده عن حسن مأربه حتى وقعت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج قبل إتمامه وبقى على حالته إلى الآن ، ولما خرج سكن داره « برطلمين » واستخرج مُخَبَّأةً بين داره والسبيل ، فيها ذخائره ومتاعه ، فأوصلها للفرنسيس .

ومات : الأمير رشوان كاشف ، وهو من مماليك مراد بيك ، وكان له إقطاع بالفيوم ، فكان معظم إقامته بها ، فاحتكر الورد ، وما يستخرج من مائه ، والخل المتخذ من العنب ، والخيش ، واتجر فى هذه البضائع بمراده واختياره . وتحكم فى الإقليم تحكم الملاك فى أملاكهم وعبيدهم ، وذلك قوة واقتدارًا .

ومات : الأمير سليم كاشف بأسيوط مطعونًا ، وهو من مماليك / عثمان بيك المعروف بالجرجاوى من البيوت القديمة ، وخشداش عبد الرحمن بيك عثمان المتوفى سنة خمس ومائتين وألف[1] بالطاعون ، الذى مات به إسماعيل بيك وخلافه ، وتزوج ابنته بعد موته . وكان ملتزمًا بحصة من أسيوط ، وشرق الناصرى[2] . واستوطن بأسيوط ، وبنى بها دارًا عظيمةً ، وعدة دور صغار ، وأنشأ عدة بساتين ، وغرس بها وبشرق الناصرى أشجارًا كثيرة ، وعمر عدة قناطر ، وحفر ترعًا ، وصنع جسورًا ، وأسبلة فى مفاوز الطرق . وأنشأ دارًا بمصر بالمناخلية[3] بسوق الماطيين[4] ، واشترى دارًا جليلة كانت لسليمان بيك المعروف بأبو نبوت بحارة عابدين ، وعمرها وزخرفها . وأنشأ بأسيوط جامعًا عظيمًا ومكتبًا ، فما هو إلا أن أكمل بنيانه حتى قدمت الفرنسيس ، فاتخذوه سجنًا يسجنون به ، ثم لما قابل المذكور الفرنسيس وأمنوه أخذ فى إصلاح ما تشعث من البناء وتتميم العمارة ؛ ولم يساعده الوقت إذ ذاك ، لقلة الأخشاب وآلات البناء ، فاشتغل بذلك على قدر طاقته . فلما فرغ البناء وقارب التمام ، ولم يبق إلا اليسير ، وقع الطاعون بأسيوط ، فمات ، والمسجد باق على ما هو عليه الآن ، وهو من المبانى العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر ، وكان

/ ١٦٦ أ

---

(١) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ اغسطس ١٧٩١ م .

(٢) شرق الناصرى : إسمها « شرق بنى نصر » ، وهى من البلاد المندرسة وموضعها فى مركز أبنوب - محافظة أسيوط . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ١٢ ، ص ٢٩٦ .

(٣) المناخلية : خط يقع بين البرقية والعطوفية ، كان موضعا لطواحين القصر ، المقريزى ، المصدر السابق ، جـ ٢، ص ٣٥ .

(٤) سوق الماطيين : سوق كان قائمًا فى القاهرة ثم اندسر .

١٦٦ب/ المذكور ذا بأس وشدة وإقدام وشجاعة وتهور ، مشابه لحسن / بيك الجداوى فى هذه الخصال ، ويده مبسوطة وطعامه مبذول ، وداره بأسيوط مقصد للوارد والصادر من الأمراء وغيرهم . وله إغداقات ، وصدقات وأنواع من البر ، ومحبة فى العمارة ، وغراس الأشجار ، واقتناء الأنعام ، وله صولة وظلم . وتجارؤ على سفك الدماء ، فبذلك خافته عرب الناحية وأهل القرى . وقاتل العرب مرارًا وقتل منهم الكثير . وبسكناه بأسيوط كثرت عمارتها ، وأمنت طرقها برًا وبحرًا ، واستوطنها الكثير من الناس ، لحمايتها وعدم صولة أحد على أهلها . وله مهاداة مع الأمراء المصرية ، وأرباب الحل والعقد بها ، والمتكلمين عندهم ، فيرسل إليهم الغلال والعبيد والجوار السود والطواشية[1] ، وغير ذلك . وله عدة مماليك بيض وسود ، أعتق كثيرًا ، من جملتهم عزيزنا الأمير أحمد كاشف المعروف بالشعراوى ، رقيق حواشى الطبع ، مهذب الأخلاق ، ذو فروسية فى ركوب الخيل ، ومحبة فى العلماء واللطفاء ، وهو من جملة محاسن سيده .

ومات : الأمير باكير بيك أيضًا ، والأمير محمد بيك كشكش، كلاهما بالشام .

ومات غير هؤلاء كلهم بالشام ولايحضرنى أسماؤهم .

واستهلت سنة ... عشر ومايتين وألف بيوم الخميس[2]

وباستهلالها خف الطاعون .

وفى ليلة الجمعة [3] ، تلك أرسل عبد العال ، وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلا إلى منزله فبيته عنده .

١٦٧ أ/ ولما أصبح النهار[4] ، طلع به إلى القلعة وحبسه عند المشايخ بجامع سيدى/ سارية[5] . والسبب فى ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيس فى الواقعة السابقة بمصر . فلما انقضت هرب إلى جهة بحرى ، ثم حضر بعد مدة إلى مصر ، فأقام بها أيامًا ، ثم رجع إلى فوة[6] ، بإذن من الفرنسيس ، فلما حصلت هذه الحركة وتحذروا شدة التحذر ، وأخذوا الناس بأدنى

(١) طواشية : جمع « طواش » ، والطواش هو : الرقيق الخصى الذى يسمح له بالدخول على الحريم .

(٢) ١٢١٦ هـ / ١٤ مايو ١٨٠١ - ٣ مايو ١٨٠٢ م . (٣) ٢ محرم ١٢١٦ هـ / ١٥ مايو ١٨٠١ م .

(٤) ٢ محرم ١٢١٦ هـ / ١٥ مايو ١٨٠١ م .

(٥) جامع سيدى سارية : أنظر ، ص ٢٣٠ ، حاشية رقم (١) .

(٦) فوة : أنظر ، ص ٢٢ ، حاشية رقم (٦) .

شبهة ، وتقرب إليهم المنافقون بالتجسس والإغراء ، وذكر بعضهم ذلك لقائم مقام ، وأدخل فى مسامعه أن إبن الشيخ المذكور ذهب إلى عرضى همايون ، فأرسل قائم مقام إلى الشيخ محمد الأمير قبل تاريخه . فلما حضر سأله عن ولده المذكور فأخبره أنه مقيم بفوة ، فقال له : « لم يكن هناك وإنما هو عند القادمين » .

قال له : « لم يكن ذلك ، وإن شئتم أرسلت إليه بالحضور » .

فقال له : « أرسل إليه وأحضره » .

فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مسافة الذهاب والمجئ ، ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضًا ، فوعده بحضوره ، أو حضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق .

فلما انقضت اليومان أمروا عبد العال بطلبه وإصعاده إلى القلعة ففعل .

وفيه [1] ، حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى ، وتواترت الأخبار بتملك القادمين قلعة الرحمانية[2] ، وما بالقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره ، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة [3] / .

/ ١٦٧ ب

وفيه [4] : حضرت زوجة كبير الفرنسيس بصحبة أخيها السيد على الرشيدى ، وكان خرج بها من رشيد ، وعندما ملكها القادمون ، ونزل بها فى مركب ، وأرسى بها قبالة الرحمانية . فَلَمَّا وقعت واقعة الرحمانية ، وأخذت قلعتها حضر بها إلى مصر بعد تعب شديد ، وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك ، فأقامت هى وأخوها ببيت الألفى بالأزبكية ثلاثة أيام ، ثم صعدا إلى القلعة .

وفيه [5] : قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية ، وحضرت طوالعهم إلى القليوبية ، والمنير [6] ، والخانكة ، لأخذ الكلف ، فتأهب قائم مقام « بليار » للقائهم ، وأمر العساكر بالخروج من أول الليل ، ثم خرج هو فى آخر الليل .

فلما كان يوم الأحد رابعه[7] ، رجع قائم مقام « بليار »، ومن معه منهزمين ، وكتموا أمرهم ، ولم يذكروا شيئًا .

---

(١) ٢ محرم ١٢١٦ هـ / ١٥ مايو ١٨٠١ م .

(٢) قلعة الرحمانية : قلعة كانت قائمة ببلدة الرحمانية - مركز شبراخيت .

(٣) ٢٥ الحجة ١٢١٥ هـ / ٩ مايو ١٨٠١ م .

(٤) ٢ محرم ١٢١٦ هـ / ١٥ مايو ١٨٠١ م .

(٥) ٢ محرم ١٢١٦ هـ / ١٥ مايو ١٨٠١ م .

(٦) المنير : أنظر ، ص٩٠ ، حاشية رقم (٧) .

(٧) ٤ محرم ١٢١٦ هـ / ١٧ مايو ١٨٠١ م .

وفى خامسه [1] ، رفعوا الطلب عن الناس بباقى نصف المليون ، وأظهروا الرفق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب ، وكانوا يظنون منهم ذلك .

وفيه [2] ، أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت إلى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إليها ، وكذلك البارود والكبريت والجلل والبُنب ، ونقلوا ما فى الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة ، وحملوه إليها ، ولم يبقوا بالقلاع الصغار إلاّ مهمّات الحرب .

وفيه [3] : طلبوا الزياتين ، وألزموهم بمائتى قنطار سيرج ، وسمَّروا جملة من حوانيتهم ، / وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة ، فقبض عليهم العساكر القادمة ، ومنعوهم من العود بالغنم والبقر . وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات إلى المدينة ، فانقطع الوارد من الجهة البحرية والقليوبية ، وعزت الأقوات ، وشحّ اللحم والسمن جدًا ، وأغلقت حوانيت الجزارين . واجتهد الفرنسيس فى وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية ، وحفروا خنادق، وطلبوا الناس للعمل ، فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ، ويسوقونه للعمل ، وكذلك فعلوا بجهة القرافة . وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر إنبابة لتمنع المراكب من العبور ، وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ، ممدودة إلى قنطرة الليمون [4] إلى السبتية [5] ، إلى مجرى البحر .

١٦٨ أ/

وفى ثامنه [6] : بعث قائم مقام « بليار »[7] فأحضر التجار وعظماء الناس ، وسألهم عن سبب غلق الناس الحوانيت ، فقالوا له : « مِنْ وَقْفِ الحالِ والكسادِ والغلاءِ والموتِ » ، فقال لهم : « من كان موجودًا حاضرًا فألزموه بفتح حانوته ، وإلا فأخبرونى عنه » ، ونزلت الحكام ؛ فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشراء .

وفى عاشره [8] ، شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية ، وقربت العساكر القادمة من البر الغربى إلى البلد المسماة بنادر [9] .

---

(١) ٥ محرم ١٢١٦ هـ / ١٨ مايو ١٨٠١ م . (٢) ٥ محرم ١٢١٦ هـ / ١٨ مايو ١٨٠١ م .
(٣) ٥ محرم ١٢١٦ هـ / ١٨ مايو ١٨٠١ م .
(٤) قنطرة الليمون : قنطرة على الخليج المصرى ، يتوصل فيها إلى البر الغربى.
(٥) السبتية : موضعها فيما بين شبرا وبولاق القاهرة. (٦) ٨ محرم ١٢١٦ هـ / ٢١ مايو ١٨٠١ م .
(٧) بليار Belliard : (٨) ١٠ محرم ١٢١٦ هـ / ٣٠ مايو ١٨٠١ م .
(٩) بنادر : لم نعثر على تعريف لها .

وفيه [١] ، تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية ، وصلت أوائلها إلى بنها [٢] ، وطحلا[٣] ، بساحل النيل .

وفى / ثانى عشره[٤] ، نزلت إمرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر ، فأحضر الفرنسيس حكام الشرطة ، وألزموهم بإحضارها ، وهذه المرأة اسمها « هوى » ، كانت زوجة لبعض الأمراء الكشاف ، ثم إنها خرجت عن طورها وتزوجت نقولا ، وأقامت معه مدة، فلما حدثت هذه الحوادث جمعت ثيابها ، واحتالت حتى نزلت من القلعة ، وهى على حمار ، ومتاعها محمول على حمار آخر ، فنزلت عند بعض العطف ، وأعطت المكارية الأجرة ، وصرفتهم من خارج واختفت . /١٦٨ ب

فلما وقع عليها التفتيش ، وأحضروا المكارية ، قالوا : « لا نعلم غير المكان الذى أنزلناها به ، وأعطتنا الأجرة عنده » ، فشددوا على المكارية ، ومنعوهم من السراح ، وقبضوا على أهل الحارة وحبسوهم ، ثم أحضروا مشايخ الحارات ، وشددوا عليهم ، وعلى سكان الدور ، وأعلموهم أنه إن وجدت المرأة فى حارة من الحارات ، ولم يخبروا عنها نهبوا جميع دور الحارة ، وعاقبوا سكانها ، فحصل للناس غاية الضجر والقلق ، بسبب اختفائها ، وتفتيش أصحاب الشرطة ، وخصوصًا عبد العال ، فإنه كان يتنكر ويلبس زى النساء ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها ، فيزعج أرباب البيوت والنساء ، ويأخذ منهن مصالح ومصاغًا ، ويفعل ما لاخير فيه ، ولايخشى خالقًا ولا مخلوقًا .

وفى خامس عشره [٥] ، قبضوا على « ألطون أبو طاقية » النصرانى القبطى ، وحبسوه بالقلعة ، وألزموه بمبلغ دراهم تبقت عليه من حساب البلاد .

وفى سادس / عشره[٦] ، أفرجوا عن محمد أفندى يوسف ، ونزل إلى بيته ، وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه . /١٦٩ أ

وفيه[٧] ، انقضت دعوة تهمة الشيخ البكرى ، ومحصلها أن خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك إلى « بليار » قائم مقام ، وأخبره أن الشيخ وصل إليه فرمان من

(١) ١٠ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٣ مايو ١٨٠١ م .

(٢) بَنْهَا : قرية قديمة ، أصبحت مدينة ، وهى قاعدة محافظة القليوبية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٠ . .

(٣) طحلا : قرية قديمة ، وهى إحدى قرى مركز بنها ، محافظة القليوبية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

(٤) ١٢ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠١ م .

(٥) ١٥ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٨ مايو ١٨٠١ م .

(٦) ١٦ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠١ م .

(٧) ١٦ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠١ م .

العرضى بالأمان ، وكان هذا بإغراء عبد العال لـيوقعه فى الوبال ، ويحرك عليه حقد الفرنسيس ، فيوقعونه فى العذاب البئـيس ، لحزازة بينه وبين الشيخ البكرى ، [وميل للمملوك ، وكان وسليما عزيزا على سيده جدًا ، مبتلى بحبه][1]، فلما حضر الشيخ على عادته عند قائم مقام سأله عن ذلك ، فجحده ، فأحضر الخادم الذى بلغ ذلك ، فصـدق عـلـى ذلك ، وأسند إلى المـملوك سيده ، فأحضروا المـملوك ، وسألوه ، فقال : « نعم » ، فقالوا له : « وأين الفرمان ؟ » ، فقال : « قرأه وقطعه » ، فقال الفرنسيس : « وكيف يقطعه هذا دليل الـكذب ، لأنه لايصح أن يتلقاه بالقبول ، ثم يقطعه » ، فقـيل له : « ومن أتى به ؟ » قال : « فلان » ، فألزموا الـشيخ بإحضار ذلك الرجل ، وحبس المملوك عند عبد العال يومين ، وحضر الرجل ، فسألوه فجحد ذلك ، ولـم يثبت عـليه ، وظهـر كذب الغلام والخـادم ، فعند ذلـك طلب الشـيخ غلامه، فقـال قائم مقام : « إن قصاصـه فى شريعتنا أن يـقطع لسانه » ، فشـفع فيه سيده وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده .

١٦٩ ب/ وفيه [2] ، حضر حسين كاشف اليهودى إلى قائم مقام / وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية ، وردوا مـكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بيك ، فإنـهم مروا وتوجهوا إلى بحرى مـن البر الغربى ، وعثمـان بيك الأشقر ذهب من خلف الجبل إلى جهة الشرق فـلما حصل ذلك ، ركب قائم مقام ، وذهب للست نفيـسة وأَمَّنَهَا وَطَيَّبَ خَاطِرَهَا ، وأخبرها أنها فى أمان هى وجـميع نساء الأمراء والكشاف والأجناد ، ولا مؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن .

وفى عشرينه [3] ، توكَّل رجـل قبطى ، يـقال له عبـد الله ، من طرف يعـقوب بجمع طائفة من الـناس لعمل المتاريس ، فتعدى حتى علـى بعض الأعيان ، وأنزلهم من على دوابهم ، وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه . فتشكى الناس من ذلـك القبطى ، وأنهوا شـكواهم إلى « بليـار » قائم مقام ، فأمر بـالقبض على ذلك القـبطى ، وحبسه بالقلعـة ، ثم فردوا على كل حارة رجلين ، يـأتى بهما شيخ الحارة ، وتدفع لهما أجرة من سكان الحارة .

وفيه [4] ، وردت الأخبار بأن حضرة الصدر الأعظم وصل ركابه إلى دجوة .

وفى يوم الإثنين [5] ، سمعت عدة مدافع على بعد وقت الضحوة .

---

(١) ما بين القوسـين إضافة من نـسخة وزارة التربـية والتعلـيم ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ ، غـير موجـودة بـالأصـل أو بعجـائب الآثار .

(٢) ١٦ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠١ م .

(٣) ٢٠ محرم ١٢١٦ هـ / ٢ يونيه ١٨٠١ م .

(٤) ٢٠ محرم ١٢١٦ هـ / ٢ يونيه ١٨٠١ م .

(٥) ٢٥ محرم ١٢١٦ هـ / ٧ يونيه ١٨٠١ م .

وفى ذلك اليوم[1] قبل العصر ، طلبوا مشايخ الديوان فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيل والترجمان ، وطلبهم للحضور إلى قائم مقام ، فلما حصلوا عنده ، قال لهم / علـى لسان الترجمان : « نخبركم أن العدو قد قرب منا ، ونرجوكم أن تكونوا علـى عهدكم مع الفرنساوية ، وأن تنصحوا أهل البلد والرعية ، بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوئهم ، ولايتداخلوا في الشغب ، فإن الرعية بمنزلة الولد ، وأنتم بمنزلة الوالد ، والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه ، وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصلاح ، فإنهم إن داموا على الهدوء حصل لهم الخير ونجوا من كل شر ، وإن حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار ، وأحرقت دورهم ، ونهبت أموالهم ومتاعهم ، وتيتمت أولادهم وسبيت نساؤهم ، وألزموا بالأموال والفرد التى لا طاقة لهم بها ، فقد رأيتم ما حصل فى الوقائع السابقة . فاحذروا من ذلك ، فإنكم لاتدرون العاقبة . ولا نكلفكم المساعدة لنا . ولا المعاونة لحرب عدونا ، وإنما نطلب منكم السكون والهدوء لا غير ؛ فأجابوه بالسمع ، وقولهم : « كذلك » ، وقرأ عليهم ورقة بمعنى ذلك ، وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك ، وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة ، فلا ينزعجوا من ذلك ، فإنه شنك ، وعيد لبعض أكابرهم ، وأن يجتمع من الغد بالديوان : الأعيان ، والتجار ، وكبار الأخطاط ، ومشايخ الحارات ، ويتلى عليهم ذلك .

/ ١٧٠ أ

فلما كان ضحوة يوم الثلاثاء [2] ، اجتمعوا كما ذكر ، وحصلت الوصية والتحذير/ وانتهى المجلس ، وذهبوا إلى محلاتهم .

/ ١٧٠ ب

وفى ذلك اليوم [3] ، أشيع حضور حضرة الصدر الأعظم إلى شلقان [4] ، وكذلك العساكر الغربية حضرت إلى أول الوراريق[5] .

وفى يوم الجمعة غايته[6] ، اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ، وحضر

---

(١) ٢٦ محرم ١٢١٦ هـ / ٨ يونيه ١٨٠١ م . (١) ٢٧ محرم ١٢١٦ هـ / ٩ يونيه ١٨٠١ م .

(١) ٢٧ محرم ١٢١٦ هـ / ٩ يونيه ١٨٠١ م .

(٤) شلقان : قرية قديمة ، إحدى قرى مركز قليوب ، محافظة القليوبية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢، جـ ١ ، ص ٥٦ .

(٥) الوراريق : وراق الحضر ووراق العرب ، قريتان من قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة . نفس المرجع ، ق ٢، جـ ٣ ، ص ٦٥ .

(٦) غاية محرم ١٢١٦ هـ / ١٢ يونيه ١٨٠١ م .

« استـوف »[1] الخازندار ، وصحبته « أبو ديف »[2] ، فتكلم الخازندار، وترجم عنه « رفاييل » ، بقوله : « إنه يثنى على كل من القاضى ، والشيخ إسماعيل الزرقانى ، باعتنائهـما فيما يتعلق بأمـر المواريث ، وبيت المال ، والمصالح علـى التِّرَكِ المختومة ، لأن الفرنسـاوية لم يبق لهـم من الإيراد إلا ما يتحـصل من ذلك ، والقصـد الاعتناء أيضًا بأمـر البلاد ، والحصص التـى انحلت بموت أربـابها ، فلازم أيضًا من المـصالحة والحلوان [3] ، والمهلة فى ذلك ثمانية أيام ، فمن لم يصالح على الإلتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة ، ضبطت حصته ، ولايقبل له عذر بعد ذلك .

« واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للـفرنسيس ، فلازم من اعتقادكم لذلك ، وركوزه فـى أذهانكم ، كـما تعتـقدون[4] وحدانـية الله تعـالى ، ولايـغرنكـم هؤلاء القادمون وقـربهم ، فإنهم لايـخرج من أيديهم شـىء أبدًا . وهؤلاء الإنكليـزية ناس خوارج حـرامية وصـناعتـهم إلقـاء العداوة والـفتن ، والعـثمنـلى مغـتر بهـم ، فإن الفرنسـاوية كانت مـــن الأحباب الخلـص للـعثمنلى ، فلـم يزالوا حتى أوقعـوا بينه وبينهم العداوة والـشرور ، وإن بلادهم ضيقة ، وجزيرتهم صغيـرة ، ولو كان بينهم وبين الفـرنساوية/ طريق سـالك من البر لانمحـى أثرهم ، ونسى ذكرهـم ، من زمان مديد ، وتأملوا فـى شأنهم ، وأى شىء خرج من أيديهم ، فإن لهـم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم إلى البر ، وإلى الآن لم يصلوا إلينا ، والفرنسيس عند قدومهم وصلوا فى ثمانية عشر يومًا، فلو كان فيهم همة أو شجاعة أو إقدام لوصلوا مثل وصولنا » . وكلام كثير من الهوس والغفلة .

١٧١ /أ

شهر صفر الخير [5]

استهل بيوم السبت [6] .

وفى ذلك اليوم [7] ، قبل المغرب ، مـشى عبد العال الأغا فى شـوارع المدينة ، وقدَّامه منادى ، يقول : « الأمن والأمان على جمـيع الرعايا ، وفى غد يعمل شنك

(١) أستوف "Estéve" .　　(٢) أبو ديف "Baudeuf" .

(٣) الحلوان : مبلغ من المال يدفعه من يرغب فى أن يرسو عليه الإلتزام للروزنامة ، ويقدر بثلاثة أمثال فائض الحصة نفسها . عبد الرحيم ، عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٤) بالأصل « تَعتَقدُوا » صوبت .

(٥) صفر ١٢١٦ هـ / ١٣ يونيه – ١١ يوليه ١٨٠١ م .　　(٦) ١ صفر ١٢١٦ هـ / ١٣ يونيه ١٨٠١ م .

(٧) ١ صفر ١٢١٦ هـ / ١٣ يونيه ١٨٠١ م .

بمدافع من القلاع فى الساعة الرابعة ، فلا تخافوا ولا تنزعجوا ، فإنه حضرت بشارة بوصول بونابرته بعمارة عظيمة إلى الإسكندرية ، وأن الإنكليز رجعوا القهقرى » .

فلما أصبح يوم الأحد [1] ، فى الساعة الرابعة من الشروق ضربت المدافع ، وتابعوا ضربها من جميع القلاع ، وطلع أناس قبل ذلك إلى المنارات ، ونظروا بالنضارات ، فشاهدوا العساكر الغربية ، انجرت ، ووصلت إلى آخر الوراريق ، وأَوَّل إنبابة ، فنصبوا خيامهم أسفل إنبابة ، وعند وصولهم إلى مضاربهم ضربوا عدة مدافع ، فلما سمع الفرنساوية ، ضرب الآخرون تلك المدافع ، التى ذكروا أنها شنك.

وأما العساكر الشرقية ، فوصلت أوائلهم إلى منية الأمراء المعروفة بمنية السيرج[2] / ، والمراكب فيما بينهما من البرين كثيرة ، فعند ذلك عزت الأقوات ‏/ ١٧١ ب وشحت ، وخصوصًا السمن والجبن والأشياء المجلوبة من الريف ، ولم يبق طريق مسلوكة إلى المدينة إلا من جهة القرافة ، وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن ، فيأتى ذلك إلى عرصة الغلة بالرميلة[3] ، وتزدحم عليه النساء والرجال ، والمقاطف ، فيسمع لهم ضجة عظيمة ، وشحَّ اللحم أيضًا ، وغلا سعره لقلة المواشى والأغنام.

وفى يوم الاثنين ثالثه[4] ، حصلت الجمعية بالديوان ، وحضر التجار ، ومشايخ الحارات ، والأغا ، وحضر مكتوب من « بليار » قائم مقام ، خطابًا للحاضرين ، يذكر فيه : « أنه حضر إليه مكتوب من كبيرهم « منو » بالإسكندرية ، صحبة هجانة الفرنسيس ، وصلوا إليهم من طريق البرية ؛ مضمونه : « أنه طيب بخير ، والأقوات كثيرة عندهم ، يأتى بها العربان إليهم ، وبلغهم خبر وصول عمارة إلى بحر الخزر ، وأنها عن قريب تصل الإسكندرية ، وأن العمارة حاربت بلاد الإنكليز ، واستولت على شقة كبيرة منها ، فكونوا مطمئنى[5] الخاطر من طرفنا ، ودوموا على هدوكم وسكونكم » ، إلى آخر ما فيه من الكذب والخرافات .

وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يومًا من انقطاع أخبار فى إسكندرية ، ولا أصل لذلك .

---

(١) ٢ صفر ١٢١٦ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠١ م .

(٢) منية السيرج : قرية قديمة ، تعرف كذلك بمنية الأمراء ، تقع على طريق القاهرة الإسكندرية . زكى ، عبدالرحمن : المرجع السابق ، ص ٣٧١ – ٣٧٢ .

(٣) عرصة الغلة : أى السوق الذى كانت تعرض فيه الغلال وكان بالقاهرة أكثر من عرصة للغلال .

(٤) ٣ صفر ١٢١٦ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠١ م .

(٥) بالأصل « مطمئنين » ، صوبت .

وفى ذلك اليوم [1] ، قتل عبد العال رجلاً ، ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل إلى بعض أزواجهن بالعرضى ، قتل / ذلك الرجل بباب زويلة ، ونودى عليه هذا جزاء من ينقل الأخبار إلى العثمنلى والإنكليز .

١٧٢ أ/

وفيه [2] ، وصلت العساكر الشرقية إلى العادلية ، وامتد عرضى همايون منها إلى قبلى منية السيرج ، وكذلك الغربية إلى إنبابة ، ونصبوا خيامهم بالبرين ، والمراكب بينهم فى النيل ، وضربوا عدة مدافع ، وخرج عدة من الفرنساوية خيالة ، فترامحوا معهم ، وأطلقوا البنادق ، ثم انفصلوا بعد حصة من النهار ، ورجع كل إلى مكانه ، واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم فى كل يوم .

وفى سادسه [3] ، زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر ، وسكن إبراهيم بيك زاوية الشيخ دمرداش[4] ، وحصن جماعة من العسكر ، وأشرفوا على الجزارين من حائط المذبح ، وطلبوا شيخ الجزارين ، ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس ، فضربوا عليهم بنادق ، فأصيب أحدهم فى رجله ، فأخذوه وهرب اثنان، وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد ، وقتل بعض قتلى ، وأسر بعض أسرى ، ولم يزل الضرب بينهم إلى قرب العصر ، والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية [5] ، وقلعة نجم الدين [6] ، والتل ، ولايتباعدون عن حصونهم .

١٧٢ ب/

وفى سابعه [7] ، وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع ، من / الصباح إلى العصر أيضًا ، وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه [8] ، قبضوا على رجل ، شبه خدام ، ظنوه جاسوسًا ، فأحضروه إلى عند قائم مقام ، فسألوه فلم يقرّ بشىء ، فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله ، وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب ، وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه ، حتى قيل إنهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج ، وهو على حاله ، ثم أودعوه الحبس .

---

(١) ٣ صفر ١٢١٦ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠١ م . (٢) ٣ صفر ١٢١٦ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠١ م .
(٣) ٦ صفر ١٢١٦ هـ / ١٨ يونيه ١٨٠١ م .
(٤) زاوية الشيخ دمرداش : أنظر ، ص ١٧٦ ، حاشية رقم (٢) .
(٥) القلعة الظاهرية : قلعة كانت بجامع الظاهر .
(٦) قلعة نجم الدين : قلعة كانت خارج القاهرة ، وقريبة من منطقة جامع الظاهر .
(٧) ٧ صفر ١٢١٦ هـ / ١٩ يونيه ١٨٠١ م . (٨) ٧ صفر ١٢١٦ هـ / ١٩ يونيه ١٨٠١ م .

وفيه [١] ، أطلقوا محبوسًا ، يقال له : الشيخ سليمان حمزة الكاتب ، وكان محبوسًا بالقلعة من مدة ستة أشهر ، فأطلق على مصلحة ألفين ريال .

وفى ثامنه [٢] ، وقعت مضاربة أيضًا بطول النهار ، ودخل نحو خمسة وعشرين نفرًا من العثمانية إلى الحسينية ، وجلسوا على مصاطب القهوة . وأكلوا كعكًا وخبزًا وفولا مسلوقًا وشربوا قهوة ، ثم انصرفوا إلى مضربهم ، وأخذ الفرنساوية عسكريًا من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس ومصر ، فحبسوه ببيت قائم مقام ، وأغلقوا فى ذلك اليوم باب النصر ، وباب العدوى .

وفيه [٣] ، زحفت عساكر البر الغربى إلى تحت الجيزة ، فحضر فى صبحها «ينى» ، وأخبر قائم مقام ، فركب فى ساعته ، وعدى إلى برّ الجيزة ، فسمع الضرب أيضًا من ناحية الجيزة ، وسمعت طبول الأمراء ونقاقيرهم ، واستمر الأمر إلى يوم الثلاثاء حادى عشره [٤] ، فبطل الضرب من وقت الزوال . ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا إلى قبلى / منها ، ومنعوا المعادِى من تعدية البر الشرقى ، فانقطع الجالب / ١٧٣ أ من الناحية القبلية أيضًا ، وامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضروات والخيار والسمن والجبن والغنم ، فعزت الأقوات ، وغلا سعر الموجود منها جدًا ، واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة ، يريدون شراء الغلة فلم يجدوها ، فكثر ضجيجهم ، وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم إلى جهة البساتين ، ورجع الباقون من غير شىء ، وأحضر عبد العال القبانية وألزمهم بإحضار السمن ، وضرب البعض منهم ، فأحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلا بعد الجهد فى تحصيلهم ، وأبيعت الدجاجة بأربعين نصفًا ، وامتنع وجود اللحم من الأسواق ، واستمر الأمر على ذلك الأربعاء[٥] ، والخميس[٦] ، والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما ، فانسرّ الناس ، وسكن جأشهم لسكون الحرب .

وفى ذلك اليوم [٧] ، أغلقوا باب القرافة ، وباب المجراة ، ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوهما عند الصباح من يوم الجمعة [٨] ، ورفعوا عشور الغلة .

وفى يوم الإثنين سابع عشره[٩] ، أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية ،

---

(١) ٧ صفر ١٢١٦ هـ / ١٩ يونيه ١٨٠١ م .
(٢) ٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٣) ٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٤) ١١ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٣ يونيه ١٨٠١ م .
(٥) ١٢ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٤ يونيه ١٨٠١ م .
(٦) ١٣ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٥ يونيه ١٨٠١ م .
(٧) ٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٨) ١٤ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٦ يونيه ١٨٠١ م .
(٩) ١٧ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٩ يونيه ١٨٠١ م .

وأعطـوا كل شخص مـقطع قمـاش وخمسـة عشر قرشًا ، وأرسـلوهم إلى عـرضى همايـون ، وكانوا بلـغ بهم الجهد مـن الخدمة وشيـل التراب ، والأحجـار ، وضيق الحبـس ، والجوع ، ومات الكـثير منـهم ، وكذلك أفـرجوا عن جمـلة من العـربان والفلاحين .

١٧٣ ب/ وفى ليلة الإثنين المذكور[١] / ، سمع صوت مدفـع بعد الغروب عند قلـعة جامع الظاهر خارج الحسينية ، ثم سمع منها أذان الـعشاء والفجر . فلما أضاء النهار ، نظر الناس فـإذا البيـرق العثمـانى بأعلاهـا ، والمسلمـون على أسوارهـا ، فعلم الـناس بتسليمهـا، وكان ذلك المدفع إشارة إلى ذلك ، ففرح الناس ، وتحـققوا أمر المسالمة ، وأشيع الإفراج عن الرهائن ، من المشايخ وغـيرهم ، وباقى المحبوسين فى الصباح . وأكثر الـفرنساوية مـن النقل والبـيع فى أمتعتـهم ، وخيولهـم ونحاسهم وجـواريهم وعبيدهم ، وقضاء أشغالهم .

وفى ذلك الـيوم [٢] ، أنزلـوا عدة مدافع مـن القلـعة، وكذلـك من قلعـة باب البرقية، وأمتعة وفرشًا وبارودًا .

وفى يوم الثلاثاء[٣] ، عمل الـديوان ، وحضر الوكيـل ، وأعلن بوقوع الـصلح والمسالمة ، وأوعد أن فى الجلسـة الآتية يأتى إليهم بفرمان الصلح ، ومـا اشتمل عليه من الشروط ، ويسمعونه جهارًا .

وفى ذلك اليوم [٤] ، كثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقى القلاع بقوة السفن .

وفيه [٥] ، أفرجوا عن محمد أفندى أبو دفية ، وإسماعيل القلق ، ومحمد شيخ الحارة بباب الـلوق ، والبرنوسى نـسيب أبو دفية ، والشـيخ خليل المنـير ، وأخرين تكملة ثمانية أنفار ، ونزلوا إلى بيوتهم .

وفيه [٦] ، سافر عـثمان بيك الـبرديسى إلى الـصعيد وعلـى يده فرمانات لـلبلاد بالأمن والأمان ، وسوق المراكب بالغلال والأقوات إلى مصر ، ويلاقى ستة آلاف من عسكر الإنكليز حضروا / من القلزم إلى القصير . ١٧٤ أ /

وفيه [٧] ، شنقوا شخصًا فرنساويًا على شجرة بالأزبكية قيل إنه سرق.

---

(١) ١٧ صفر ١٢١٦ هـ/ ٢٩ يونيه ١٨٠١ م .
(٢) ١٧ صفر ١٢١٦ هـ/ ٢٩ يونيه ١٨٠١ م .
(٣) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ/ ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٤) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ/ ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٥) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ/ ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٦) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ/ ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٧) ٨ صفر ١٢١٦ هـ/ ٢٠ يونيه ١٨٠١ م .

وفيه[1] ، أرسل الفرنساوية إلى حضرة الصدر الأعظم ، وطلبوا جمالاً ينقلون عليها متاعهم ، فأمر لهم بمئتى جمل ، وقيل أربعمائة إليهم معدة .

وفى يوم الخميس عشرينه [2] ، أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ ، وهم : الشيخ السادات ، والشرقاوى ، والشيخ الأمير ، والشيخ محمد المهدى ، وحسن أغا المحتسب ، ورضوان كاشف الشعراوى ، وغيرهم ، فنزلوا إلى بيت قائم مقام وقابلوه ، فقال للمشايخ : « إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير ، فإنى كلمته ووصيته عليكم » .

وفيه [3] ، حضر الوزير الأعظم والعساكر إلى ناحية شبرا [4] ، وكذلك قبطان باشا والإنكليز والعساكر الغربية ، ونصبوا الجسر فيما بينهم على البحر ، وهو من مراكب مرصوصة ، مثل جسر الجيزة بل يزيد عنه فى الإتقان ، بكونه من ألواح فى غاية الثخن ، وله درابزين من الجهتين أيضًا .

وفيه [5] ، لصقوا أوراقًا بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى ، وفيها شرطان من شروط الصلح التى تتعلق بالعامة ، ونصّه : « ثم إنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الإنكليز وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح ، أنفسكم وأديانكم ومتاعكم لم أحدًا يقارشكم ورؤوس / عساكر الثلاثة جيوش قد أشرطوا بهذا كما ترونه » . / ١٧٤ ب

الشرط الثانى عشر : « كل واحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت ، الذى يريد يسافر مع الفرنساوية يكون مطلوق الإرادة ، وبعد سفره ، كامل ما يبقى عياله ومصالحه لم أحد يعارضهم » .

الشرط الثالث عشر : « لا أحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت لايكون قلقًا من قبل نفسه ، ولا من قبل متاعه ، جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوية بمدة إقامة الجمهور بمصر ، ولكن الواجب يطيعون الشريعة » .

ثم يا أهالى مصر وأقاليمها جميع الملل أنتم ناظرين لحد آخر درجة ، الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم ، فيلزم أنتم أيضًا تسلكون فى الطريق المستقيمة ،

(١) ٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٢) ٢٠ صفر ١٢١٦ هـ / ٢ يوليه ١٨٠١ م .
(٣) ٢٠ صفر ١٢١٦ هـ / ٢ يوليه ١٨٠١ م .
(٤) شبرا : أنظر ، ص ٣٠ ، حاشية رقم (٥) .
(٥) ٢٠ صفر ١٢١٦ هـ / ٢ يوليه ١٨٠١ م .

وتفتكروا أن الله تعالى ، جل جلاله هو الذى يفعل كل شىء » ، وعليه إمضاء «بليار» قائم مقام .

وفى يوم الجمعة [1] ، عملوا الديوان ، وحضر المشايخ والوكيل ، فقال الوكيل: « هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر ؟ » ، فقالوا : « لا » ، فأبرز ورقة من كمه بالقلم الفرنساوى ، فشرع يقرؤها ، والترجمان يفسرها ، وهى تتضمن الإحدى عشر شرطًا الباقية .

فقال : « إن الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ، ويتوجهون على البر بمتاعهم إلى رشيد ، وينزلون فى مراكب ، ويتوجهون إلى بلادهم ، وهذا الرجل ينبغى أن يسرع به ، وأقل ما يكون فى خمسين يومًا ، وأن يساق الجيش / من طريق مختصر .

١٧٥ أ/

وسر عسكر الإنكليز والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع ما يحتاجون من نفقة ومونة وجمال ومراكب ، والمحل الذى يبدأ منه السعى يكون بالتراضى بين الجمهور والإنكليز والمساعد ، وكامل الأمتعة والأثقال تتوجه من البحر ، ومعهم جيش من الفرنساوى لأجل الحراسة ، ولابد من كون المئونة التى ترتب لهم كالمئونة التى كان يعطونها هم لجيش الإنكليز ورؤسائهم . وعلى رؤساء عساكر الإنكليز ، وحضرة العثمنلى القيام بنفقة الجميع ، والحكام المتقيدون بذلك يحضرون لهم المراكب ، ليستاقوهم إلى فرانسا من جهة البحر المحيط . وأن يقدم كلا من حضرة العثمنلى والإنكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيل الذين يأخذونهم فى المراكب . وأن يُسَيِّرُوا معهم مراكب للمحافظة عليهم إلى أن يصلوا إلى فرانسة . وأن الفرنساوية لايدخلون مينة إلا مينة فرانسة ، والأمناء والوكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون إليه ، نظرًا لكفاية عساكرهم . والمدبرون والأمناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ، ولو التى شَرَوها من مصر . وكل من أهل الإقليم المصرى إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح ، مع الأمن على متاعه وعياله ، وكذلك من داخل / الفرنساوية من أى ملة كان ، فلا معارضة له إلا أن يجرى على خواليه السابقة . وجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثمنلى ، وإذا عُوفُوا توجهوا إلى فرانسة بالشروط المتقدم ذكرها ، وحكام العثمنلى يتعهدون من بمصر منهم ، ولابد من حاكمين من

١٧٥ ب/

---

(١) ٢١ صفر ١٢١٦ هـ / ٣ يوليه ١٨٠١ م .

طرف الجيشين يتوجهون بمركبين إلى طولون ، فيرسلوا خبرًا إلى فرانسة ، ليطلعوا حكامها على الصلح ، وساير الرسوم ، وكل جدال أو خصام صدر بين شخصين من الفرنساوى وغيره ، فلابُدَّ أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلموا فى الصلح ، ولايقع فى ذلك نقض عهد الصلح ، وعلى كل طائفة معين من العثمنلى والفرنساوى أن تسلم ما عندها من الأسرى ، ولابد من رهائن من كل طائفة ، واحد كبير يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلوا إلى فرانسة » ، ثم قال الوكيل : « وقد عملنا بالشروط ، وما ندرى ماذا يكون ؟ » ، فقيل له : « هذه شروط عليها علامة القبول ، وهذا الصلح رحمة للجميع ، وسيكون الصلح العام » .

فقال الوكيل : « إنى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ للصلح العمومى » .

وفيه [1] : كثر خروج الناس ، ودخولهم من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية ، المعروفة بالغريب ، فصار الحرس من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ، ولايمنعونهم ، فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم ، فلما أصبحوا/ منعوهم ، فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيس ، بل كانوا يفتشون البعض ، ويمنعون البعض ، وقد دخل بعض أكابر الإنكليز وصحبتهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق ، وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية ، فزاروا قبر الإمام الشافعى ، وسيدنا الحسين ، والشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، والفرنساوية ينتظرونهم بالباب .

/ ١٧٦ أ

وفى ليلة الإثنين رابع عشرينه [2] ، نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه ، وذلك لنقل رمة كليبر ، فلا يرتاع الناس من ذلك ، فلما كان فى صبح ذلك اليوم ، أطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش قبر اللعين بالقرب من قصر العينى ، وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته لينقلوهم إلى بلادهم .

وفيه [3] ، أرسلوا أوراقًا ورسلاً للاجتماع بالديوان وهو آخر دواوينهم ، فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية ، « واستوف » الخازندار ، والوكيل والتراجمون . فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتابًا مختومًا ، وأخبر أن ذلك الكتاب من

(١) ٢١ صفر ١٢١٦ هـ / ٣ يوليه ١٨٠١ م .
(٢) ٢٤ صفر ١٢١٦ هـ / ٦ يوليه ١٨٠١ م .
(٣) ٢٤ صفر ١٢١٦ هـ / ٦ يوليه ١٨٠١ م .

صارى عسـكر « منو » ، بعث بـه إلى مشايخ الديـوان ، ثم ناوله لرئيـس الديوان ، ففضـه ، وناوله للـترجمان ، فقـرأه والحاضرون يسـمعون ، وصورته بـعد البسـملة والجلالة والصدر .

١٧٦ ب/ « نخبركم أن عـلمنا بكثرة / الانبسـاط ، أنكم تهتدون بكثرة الحـكمة والإنصاف فى الموضـع الذى أنـتم مستمـرين فيه ، وإن لـم تقدروا لتنظيم أهالى الـبلد بالهدى والطاعة ، الموجبة منه لحكومة الفرنسـاوى ، فالله تعالى بسعادة رسوله الكريم ، عليه السلام الدائم ، ينعـم عليكم فى الدارين عواض خيراتكم ، وأخـبرنا المقدام الجسور بونابرته المشهور ، عن كل ما فعلـتم حَاكِمًا ونافعًا ، بوصايا لأجلكم سارة ، رضىً ، واستراح لتلك الفـعال الجيدة ، وعرفنى أيضًا أنه عن قريب يـرسل لكم بذاته جواب مكاتيـبكم إليه ، فدمـتم إلى الآن بخير الـهدى ، وبقوته تعـالى نرى فضائلـكم عن قريب، ونـواجه سكان مـحروسة مصـر كما هو مأمـولنا ، لكـن يسركم أن جـمهور المنصور غلب فى أقـاليم الروم جميع أعدائه وبعون الله ، هادى كـل شىء ، سيغلب كذلك العدا فى مصـر ، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على « السـتويان جيرار » هذا الذى وضعناه قربـكم ، لأنه هو رجل مشهور بالـعدل والاستقامة ، ونواصى إلـى هممكم النعيمة ، زوجتنا الـكريمة السيدة زبيدة وولدها العزيز سليمـان مراد . أنَّ كليهما حالا كائنان فى حصننا مصر ، وتأسفنا جدًا برحلة المرحوم مراد بيك فى انتقاله إلى البقاء، ومعلوم فضـلكم أننا رضينا بـإنعام علوفة ، يوجه عـلى عمدة العفايف حـضرة الست نفيسة خاتون ، لما جـرى الحكومة الفرنساوية إلى أصدقائه ، وقولوا لـلقوم إنما منيتى

١٧٧ أ/ ومرامـى / وإبرامـى ألا تعتدى بيمينه وخيره ، واعتمدوا أيـضًا إلى كل ما سيقول لكم « الستويان استيوا » [١] المأمور بتدبير الأمور ، وكمال العوائد ، والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام بالبشرى والإقبال .

وحرر فى أحد عشر مسيدور سنة تسعة من قيام دولة جمهور الفرنساوية، الموافق لثامن عشر صفر [٢] ، ممضى « عبدالله جـاك منو » ، ونقل بألفاظـه وحروفه ، وهو من تراكيب « لوماكا » لترجمان .

ثم أخذ الوكيـل يقول : « إن الجنرال منو » انسـر بِسلُوكِكم حتى الآن ، وراحة البلد حظ الفقراء، وأن الحكام القادمين لابد وأن يسلكوا معكم هذا الموضوع ، ولابد من وصول مكـاتيب بونابرته بـعد أربعة أيام أو خمـسة ، وأنه لاينسى أحبـابه ، كما

(١) الستويان استوف ، وصحة الإسم « الستويان أستوف Citoyen Esteve » .
(٢) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .

لاينسى أعداءه ، ولـو لم يكن له من الحسن إلا جـعلكم وسائط لإغاثة الـناس لكان كافيًا . وإنكم تعلمون[1] أنه كان نظر إلى أحوال المارستان ، ومصالح المرضى ، وكان قصده أنـه يبنى جامـعًا ، ولكن عاقه توجـهه إلى الشام . وذكـر كثيرًا من مـثل هذه الخرافات والتمويهات .

ثم أخرج ورقـة بالفرنسـاوى وقرأها بنـفسه حتى فـرغ منها ، ثم قـرأ ترجمـتها بالعربى الترجـمان « رفاييل » ، ومضمونها : حصول الـصلح ، وتمويهات وَخُرَافات ليس فى ذكرها فائدة ، ولما انتهى مـن قراءتها أبرز أيضًا « استوف » الخازندار ، ورقة وقرأها بالفـرنساوى ، / ثم قرأ ترجمتها بـالعربى الترجمان وهى فـى معنى الأولى ، وصورتها : /١٧٧ ب

« خطاب محبة مـن حضرة « استوف » مدبر الحدود العام فـى مجلس الديوان . يا مشايخ ويا علمـاء وغيرهم ، أعلمكم أنْ لَمْ علىَّ أنى أكلمكـم فى أسباب خروجنا من الديار المـصرية ، بل وظيفتـى تدبير أمور السياسـة فقط . ومجيئى عـندكم لأجل أعرفكم قدر ما هـو حاصل من الصعوبة . كل واحد منكـم رأى المحبة والأخوة التى كانت مـوجودة ما بين الـفرنساوية ، ومـا بين أهل الديار المـصرية ؛ قد كـان الجيش والأهل المذكـورين مثل الرعيـة الواحدة ، واسم حضرة بـونابرته القنـصل الأول من جمهور الفرنساويـة فى عز الكفالة عندكم وعندنا ، كم مرة يـا مشايخ ، ويا علماء ، فقدتم صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجـاع الأعظم ، المعان بقوة الله ، الذى عقله لم له مثيل ، كـان يستحق أنه يكون حـاكم عليكم ، دائمًا عـرفتمونى عن المحبة والـشفقة الذى مضت منه لكـم ، ومن وقت ما التزم بسبب التعب الـذى حصل له فى بلده ، أنه يتوجه إلـيه ما ضاع منكم ، العشم ، أن يـترتب فى الديار المصرية التـدبير العدل والمنافقة الذى كان أوعدكم بها وقت ما كان عندكم . وصحيح يا مشايخ ويا علماء أن حكم الفرنساوى كان يتم ما عاهدكم بـه الذى هو كبيرهم . وبونابرته دائمًا رأى لكم فى الخير والمحبة إلى رعاية الديار المصرية . لـم لها نظير ، كم مرة كرر إلى حضر سر / عسكر « منو » أنه يـنظر إليكم فى كامل الأمور بالخير . وكـام نوبة حضرة « منو » المذكور أثبت أن الحكام والجيوش لما أمنوه أعطوه الأمانة فى أحسن محل . وفى حكم سر عسكر «منو» صار أن كـثرة الظلم والجور الذى كان مستثقلينـه الرعية قد أبطله . والعدل الذى كان ممنوعًا عنكم فى الأحكام السابقة قد وصل إليكم بواسطته . /١٧٨ أ

(١) بالأصل « تعلموا » صوبت .

وأيضًا فى مدة حكمه رأيتم أن نقص تحصيل الأموال { والشفعة إلى الرعايا ، ولما كان التزام بسبب الحرب أنه يستبعد عنكم السفر ، كان نادى أنه يترتب فى تحصيل الأموال }[1] . وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية . ونحن كنا صحبته فى تدبير هذا الشغل العمومى . وأنتم تعرفوا[2] أن خير ، أو خراب الرعايا من تدبير مثل هذا . وكذلك حضرة سر عسكر « منو » قبل ما يتوجه إلى السفر بمدة ، كان أمر بمسح الديار المصرية ، وكان توكل لذلك مدبرين ، ونحن من جملتهم ، والمدبرون المذكورون كانوا بدأوا فى تمام هذا الأمر الذى هو كنز لكامل الناس ، لكن كل ذلك لم كان يكفى له . وكان صَعْبَانٌ عليه من أمور الفلت الذى كان يقع من العربان الذى حواليكم ، وأيضًا من الخوف الذى عندكم بسببهم ، وكان فى عقله أن يزيلهم من على وجه الأرض ، لأجل راحة الفلاحين ، ولأجل تمام الخير والصلاح . وكذلك مراده يا مشايخ ويا علماء ، أن مراده يسفر فى هذه السنة إلى الحج الشريف ، ويفتح زيارة طنطة ، لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى ، ويظهر جميع ما تشهرونه وكامل ما تمشون فيه .

/١٧٨ب/ من اللازم أنكم تعرفون[3] / جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية ، هذا ورعاية الديار المصرية جربُّه بعض منهم ، وفى عشمى أنهم لم ينسوه أبدًا . صحيح أن حكم الفرنساوى حقق الكل . والذى يعجب الأكثر إلى الرعاية بسبب ذلك ، ذات الفرنساوية قبلوا فيه لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه . والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعاياهم يقبلون الحكم المذكور ، وبسبب ذلك ارتبطوا مع بعضهم لأجل ما يمنعوه منا ، لكن كل جهاتهم صارت بطالة . وقد حاربونا حربًا شديدًا مدة عشر سنين متوالية ، وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة ، وحكمنا قد بقى محله ، وكذلك هو الباقى أبدًا دائمًا . فَلاَ يحتاج أننا نعرفكم فى الذى تعرفونه ، ويكفينا الآن أنكم تحقق لكم من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنساوى « بونابرته » ، ومن عند حضرة سر عسكر « منو » ، المحبة والشفقة الصادقة ، التى واقعة من الفرنساوية إلى الرعايا المصرية ، وهذه المحبة والعشم لم ينقطع أبدًا ، بسبب سفر جانب من الجيش ، وهَلْبَتٌ أن يصادف يوم أننا نرجع إلى عندكم ، لأجل تمام الخير الذى يصدر من حكم الفرنساوى والذى أمكنا تتميمه ، فلا تتوهموا يا مشايخ ويا علماء لأن فراقنا لم يقع إلا عن مدة ، وذلك محقق عندى . ولابد أن دولتنا يربطون ثانيًا فى مدة قريبة المحبة القديمة ، التى كانت بينهم ، وَهَلْبَتٌ أن / دولة العثمنلية لما تسير على الجرف الخالى الذى عمل لهم /١٧٩أ/

---

(١) ما بين القوسين إضافة من طبعة وزارة التربية والتعليم ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .

(٢) ، (٣) بالأصل « تعْرِفوا » صوبت .

الإنكليـز ، يرون أن الفرنساويـة فى طلبه الديار المـصرية ليس له إلا أنْ يـربط بزيادة المحبة صـحبتهـم ، لأجـل كسـر نفس وطيـش الإنكليز ، الـذى مراده نهب جـميع البحور ، ومتاجر الدنيا » انتهى .

وهو من تعريب أبو ديف وإنشاء « أستوف » بالفرنساوى .

ولما فرغ من قراءتـه قيل له : « إنَّ الأمر لله ، والملك له ، وهو الـذى يمكن منه من شاء » .

وانفـض الديوان ، وركـب المشـايخ للـسلام عـلى حضـرة الصدر الأعـظم ، والقادمين ، فخرجوا من طريق بولاق فسلموا ، وباتوا تلك الليلة بعرضى همايون .

وفى ثانى يوم [(١)] ، عدوا إلى البر الـغربى ، وسلموا على حضرة قـبطان باشا ، ورجعوا إلى منازلهم .

وفيه [(٢)] ، أرسل إبراهـيم بيك أمانًا لأكـابر القبـط ، فخرجوا أيضًا وسـلموا ، ورجعوا إلى دورهم .

وأما يعقوب اللـعين فإنه خرج بمتاعه وعازقه وعدى إلى الـروضة ، وكذلك جمع إليه عـسكر القبط ، وهـرب الكثير منـهم واختفى ، واجتـمعت نساؤهم وأهـلهم ، وذهبـوا إلى قـائم مقـام ، وبَكُوا وَوَلْوَلُوا ، وتـرجوه فـى إبقائـهم عنـد عيالـهم وأولادهم ، فإنهم فقراء ، وأصحاب صنائع ، ما بين صناع ونجار وبناء، وغير ذلك ، فوعدهم أنه يرسل إلى يعقوب ، أنه لايقهر منهم من لايريد الذهاب والسفر معه .

وفيه [(٣)] ، ذهـب « بلـيـار » [(٤)] قائم مـقام ، وصحبتـه ثلاثة أنـفار من عظـماء الفرنسيـس إلى عرضى همايون ، / وقابلـوا حضرة الصدر الأعظم ، فأخلـع عليهم وكساهم ورجعوا . /١٧٩ ب

وفى يوم الأربعاء تـاسع عشره[(٥)] ، خرج المسافـرون مع الفرنساويـة إلى الروضة والجيـزة ، بمتاعـهم وحريمـهم ، وهـم جمـاعة كثـيرة من الـقبط ، وتجـار الإفرنج ، والتراجمين ، وبـعض مسلمين ، ممن تداخل مـعهم فى المظالم وخشى عـلى نفسه ،

(١) ٢٢ صفر ١٢١٦ هـ / ٤ يوليه ١٨٠١ م .
(٢) ٢٢ صفر ١٢١٦ هـ / ٤ يوليه ١٨٠١ م .
(٣) ٢٢ صفر ١٢١٦ هـ / ٤ يوليه ١٨٠١ م .
(٤) بليار : "Belliard" .
(٥) ١٩ صـفـر ١٢١٦ هـ / ١ يولـيه ١٨٠١ م . طبقا للـتسلسل المفـروض أن يكون يوم الإثنـين يوافق ٢٦ صفر ١٢١٦ هـ / ٨ يوليه ١٨٠١ م .

ومن ترأس فـى أيامهم من نصـارى الشوام ، والأروام ، مثل : يوسـف الحموى ، وينى ، وبـرطلمين ، وعـبد العال الأغا أيـضًا ، طلَّق زوجته ، وصـنع له برنـيطة ، وطرزها بـالمخيش ، وخـرج إلـى الروضة بعدمـا باع متاعه وفـراشه ، وما ثقل عـليه حملـه ، من طقم وسلاح وغيـره ، فكان يرسل خـلف الذى باعه شيـئًا من ذلك ، ويلزمه بإحضار ثمنه قهراً ، ولم يصحب معه إلا ما خف حمله وغلا ثمنه .

وفيه [1] ، حضر وكيل الديوان إلى الديوان ، وأحـضر جماعة من التجار ، وباع لهم فرش المجلس بستة وثلاثين ألف نصف فضة على ذمة السيد أحمد الزرو .

وفى ذلك الـيوم [2] ، أيضًا ، فـتحوا باب الجـامع الأزهر ، وشـرعوا فى كنسه وتنظيفه ، وأشيع فى ذلك اليوم ، ارتحال الفرنساوية ونزولهم من القلاع ، وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال .

فلمـا أصبح يوم الخـميس [3] ، ومـضى وقـت الزوال ، لـم يحـصل ذلـك ، فاختلفت الروايات ، فمن النـاس من يقول ينزلون يوم الجمعة [4] ، ومنهم من يقول إنهم أخذوا مهلة ليوم الإثنين [5] ، وبات الناس على ذلك . فلـما كان آخر الليل ،/ ١٨٠ أ/ وإذا الناس يسـمعون لغط العسـاكر العثمانية وكـلامهم ووطء نعالاتهم ، فـنظروا فإذا الفـرنساوية قـد خرجوا ليـلا بأجمـعهم ، وأخلـوا القلـعة الكبـيرة ، وباقى الـقلاع والحصون والمـتاريس ، وذهبوا إلـى الروضة ، والجيزة ، وقصـر العينى ، ولـم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة ، وبولاق ، ومصر العتيقة، والأزبكية ، ففرح الناس ، وهنأ بعضـهم بعضًا ، وأظـهروا الفرح والسـرور بدخول المسلـمين ، وخروج الكـافرين ، وصاروا يتلقونهم ، ويسلمون عليهم ، ويباركون لقدومهم ، والنساء يلقلقن بألسنتهن عند رؤيـتهن فى الأسـواق ومن الطيقـان . وقام فى الناس جـلبة وصيـاح ، وتجمع الصغار والأطـفال كعادتهم ، ورفـعوا أصواتهم بقـولهم : « نصر الله السـلطان » ، ونحو ذلك ، وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغريب المنقوب فى السور ، وتسلقوا أيضًا من ناحيـة العطوف والقرافة . وأما بـاب النصر ، والعدوى ، فهى عـلى حالها مغلوقـة لم يأذنوا بفتحـها ، خوفًا من تزاحـم دخـول العساكر المدينـة دفعة واحدة ، فيقع فيهم ومنهم الفشل ، والضرر بالناس ، وباب الفتوح مسدود بالبناء .

(١) ١٩ صفر ١٢١٦ هـ/ ١ يوليه ١٨٠١ م .
(٢) ١٩ صفر ١٢١٦ هـ/ ١ يوليه ١٨٠١ م .
(٣) ٢٠ صفر ١٢١٦ هـ/ ٢ يوليه ١٨٠١ م .
(٤) ٢١ صفر ١٢١٦ هـ/ ٣ يوليه ١٨٠١ م .
(٥) ٢٤ صفر ١٢١٦ هـ/ ٦ يوليه ١٨٠١ م .

فلما تضحى النهار[1] ، حضر قبى قول[2] ، وفتح باب النصر ، والعدوى ، وأجلس بهما جماعة من الانكشارية ، ودخل الكثير من العساكر مشاة وركبانا أجناسًا مختلفة ، ودخلت بلوكات الانكشارية ، وطافوا بالأسواق ، ووضعوا نشاناتهم ورنكهم على القهاوى / والحوانيت ، وعند ذلك كثر الخبز ، واللحم ، والسمن ، والسيرج بالأسواق ، وكذلك الغلال ، وانحلت الأسعار ، وكثرت الفاكهة مثل : العنب ، والخوخ ، والبرقوق ، والبطيخ ، وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرناءوط ، وكذلك وجود اليميش من : البندق ، واللوز ، والجوز ، والزبيب ، والتين ، والزيتون الرومى .

/ ١٨٠ ب

فلما كان قبيل صلاة الجمعة[3] ، وإذا بجاويشية وعساكر وأغوات ، وتلا ذلك حضرة الصدر الأعظم ، فشق من وسط المدينة ، وتوجه إلى المسجد الحسينى ، فصلى به الجمعة ، وزار المشهد ، ودعاه حضرة الشيخ السادات إلى داره المجاورة للمشهد ، فأجابه ، ودخل معه ، وجلس ساعة ، ثم توجه إلى الجامع الأزهر ، فطاف بمقصورته وأروقته وجلس ساعة لطيفة ، وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم، وكذلك خدمة المسجد الحسينى ، ثم ركب إلى وطاقه بناحية الحلى[4] ، بشاطئ النيل ، وعملوا فى ذلك الوقت شنك ، وضربوا مدافع كثيرة من العرضى والقلعة .

ودخل قلقات [5] الأنكشارية وجلسوا برؤوس العطف والحارات ، وكل طائفة عندها بيرق ، ونادوا بالأمان والبيع والشراء ، وكان ذلك اليوم ، يوم تهنئة وسرور وزوال هَمّ وَشُرُور ، وانحاز الفرنساوية إلى جهة قصر العينى والروضة والجيزة ، إلى حد قلعة الناصرية ، وفم الخليج ، وعليها بنديراتهم .

---

(١) ٢٠ صفر ١٢١٦ هـ / ٢ يوليه ١٨٠١ م .

(٢) قبى قول : تركيبة تتكون من مقطعين « قبى » ، وتعنى الباب ، و « قول » وتعنى العبد ، والمعنى العام « عبيد الباب السلطانى » ، ثم أصبح يطلق على الحرس السلطانى ، فهم أهم أصناف الحرس ، والمصريون أطلقوه على كتخدا الإنكشارية . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

(٣) ٢٨ صفر ١٢١٦ هـ / ١٠ يوليه ١٨٠١ م .

(٤) الحلى : منطقة الحلى ببولاق القاهرة فى رملة بولاق كان بها قصر الحلى الذى كان ينزل به باشوات مصر الذين يصلون عن طريق البحر ، قبل دخولهم القاهرة .

(٥) قلقات : القُلُق ، بمعنى العبد ، ثم صارت القللق فى التركية تعنى دار الحراسة ، ومكان إقامة الحرس ، وتعنى مقار الشرطة أو أقسام الشرطة الحالية ، والجبرتى يستعملها بمعنى الحارس نفسه . سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

وفى يوم السبت [1] ، دخل قبى قول ، وهو المسمى عند المصريين كتخدا

١٨١ أ/ الانكشارية ، / وشق المدينة .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأ [2]

فيه [3] ، ركب أغاة الانكشارية الكبير العثمانى ، وشق المدينة ، وخلفه سليم أغا المصرى ، ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم وطلبوا البيوت ، وسكنوها ، ودخل محمد باشا المرشح لولاية مصر ، وسكن ببيت الهياتم بالقرب من مشهد الحنفى . وأرسل إلى المشايخ وكبار الحارات ، وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط .

وفى يوم الثلاثاء ثالثه[4] ، حضر جناب حسين باشا القبطان من الجيزة ، ودخل المدينة ، وتوجه إلى المشهد الحسينى فزاره ، وذبح به خمس جواميس ، وسبع كباش، واقتسمها خدمة الضريح ، وخَلَّقَ تاج المقام[5] بأربع شالات كشميرى ، وفرق عليهم وعلى الفقراء ، نحو ألفين محبوب ذهب إسلامبولى ، وامتدحه صاحبنا العلامة أحد أدباء مصر وفضلائها فى العلوم الأدبية الشيخ على الشرنقاشى بقصيدة مطلعها :

بَدْرُ المَسَرَّةِ بالمَعَالِى أُمِّنَا   والوَقْتُ مِنْ بَعْدِ المخَاوِفِ أَمْنَا

وهى طويلة ، يقول فى بيت التاريخ منها :

والصَّحْبُ ما نَادَى السُّرُورُ مُؤَرِّخًا   صَدْرُ الكَمَال حُسَيْنُه شَرَفُ الهَنَا

وقدمها إليه وهو جالس للزيارة ، فأخذ نصيبًا من الذهب الذى أعطى للخدم وقاسمهم ، ثم عاد المذكور إلى مخيمه بالجيزة .

١٨١ ب/ وفى / يوم الأربعاء رابعه[6] ، ارتحل الفرنساوية ، وأخلوا ، قصر العينى ، والروضة ، والجيزة ، وانحدروا إلى بحرى الورايق ، وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الانكليز ، ونحو الخمسة آلاف من عسكر الأرناءوط ، ومن الأمراء المصرلية

(١) ٢٩ صفر ١٢١٦ هـ / ١١ يوليه ١٨٠١ م .
(٢) ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٢ يوليه - ١٠ أغسطس ١٨٠١ م .
(٣) ١ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٢ يوليه ١٨٠١ م . (٤) ٣ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٤ يوليه ١٨٠١ م .
(٥) تاج المقام : أى كَسَا تاج المقام وَحَوَّطَهُ بالكساء .
(٦) ٤ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٥ يوليه ١٨٠١ م .

عثمان بيك الأشقر ، ومراد بيك الصغير ، وأحمد بك الكرارجى ، وأحمد بيك حسن . فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ، ثلاث سنوات وإحدى وعشرين يومًا .

فإنهم ملكوا بر إنبابة والجيزة ، وكسروا الأمراء المصرية ، يوم السبت سابع شهر صفر من سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف[1] ، وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع وخلو المدينة منهم ، وانخلاعهم عن التصرف والتحكم ليلة الجمعة الحادى والعشرون من شهر صفر سنة ستة عشر ومائتين وألف [2] ، فسبحان من لايزول ملكه ولايتحول سلطانه .

وفى ذلك اليوم [3] ، حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، وصحبته الخواجا السيد أحمد المحروقى ، شاه بندر التجار بمصر ، وعليهما خلعتان سمور ، وتوجها إلى دورهما .

وفيه [4] ، نبهوا على موكب حضرة الصدر الأعظم من الغد .

فلما أصبح يوم الخميس خامسه [5] ، اجتمع الناس من جميع الطوائف وسائر الأجناس ، وهرع الناس لـلفرجة ، وخرجت البنت من خدرها واكتروا الدور المطلة على الشارع بأغلى الأثمان ، وجلس الناس على السقايف والحوانيت صفوفًا ، وانجر الموكب من أول / النهار إلى قريب الظهر ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة ، وأمامه العساكر المختلفة من الأرناءوط ، وأرط الانكشارية ، والعساكر الشامية ، والأمراء المصرية ، والمغاربة ، والغليونجية ، والباشاوات الأوج طوخلية[6] والكتبة ، ورؤساء الكتاب ، وأرباب الديوان ، والأغوات الكبار بالطبول والنقرزانات ، وكذلك قاضى العساكر المنصورة ، والعلماء المصرية ، ومشايخ التكايا والدروايش ، وأقبل حضرة الصدر الأعظم ، وأمامه الملازمون بالبراقع ، والجاويشية والسعاة والجوخدارية[7] ، ويبدرون الدراهم عن اليمين والشمال على المتفرجين من

/ ١٨٢ أ

(١) ٧ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢١ يوليه ١٨٠١ م .
(٢) ٢١ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٣ يوليه ١٨٠١ م .
(٣) ٢١ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٣ يوليه ١٨٠١ م .
(٤) ٣ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٤ يوليه ١٨٠١ م .
(٥) ٥ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٦ يوليه ١٨٠١ م .
(٦) الباشاوات الأوج طوخلية : أى الباشاوات الذى يحملون الثلاثة أطواخ .
(٧) الجوخدارية : تعنى صاحب الجوخ ، والقيم عليه أو لابسه ، وهو موظف غير عسكرى ، يناط به النظر فى شئون ملابس السلطان فى العصر العثمانى . ويطلق كذلك على الحاجب الذى يفتح الستارة ، ويغلقها على باب الوزير أو الأمير ، وأطلق على السعاة الذين يؤدون أعمالا رسمية ، خارج مبانى الدواوين الرسمية . سليمان، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

الرجال والنساء ، وخلفه أيضًا العدة الوافرة من أكابر أتباعه ، وبعدهم الكثير من عساكر الأرناءوط ، وموكب الخازندار ، وخلفه النوبة التركية المختصة ، ثم المدافع وعربات الجبخانة[1] ، وعملوا وقت الموكب شنك ، ضربوا فيه مدافع كثيرة .

وكان ذلك اليوم [2] ، يومًا عظيمًا مشهودًا ، وموسمًا وبهجة وعيدًا ، وعمت المسلمين فيه المسرات ، ونزلت فى قلوبهم الكافرين الحسرات ، ودقت البشائر ، وقرت النواظر ، وأوقدت المنارات سبع ليال متواليات ، فلله الحمد والمنة على هذه النعمة ، ونرجو من فضله أن يصلح منا فساد القلوب ، ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المرغوب والمطلوب ، ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ، ويهديهم / الصراط المستقيم .

١٨٢ ب/

قال صاحبنا المشار إليه : « وقدم بصحبة عرضى همايون ، شموس الدولة العثمانية الطالعة أنوارها فى سماء الآفاق ، ورئيس رجالها الذين هم خلاصة العالم فى العقل والتدبير والسياسة باتفاق :

كُلُّ صَدْرٍ إذا تَصَدَّرَ يومًا ... شَهِدَت كُلُّ أُمَّـةٍ بُعلاهُ

فأولهم واسطة عقدهم ، وسماء مجدهم ، ومرجع نواهيهم وأوامرهم ، وقطب مواردهم ومصادرهم ، غرة الزمان ، بهجة الأوان ، المتزينة بوجوده حلل الأيام ، المفترقة من بحر جوده جميع الأنام ، مولانا الصدر الأعظم . والملاذ الأفخم ، الوزير الكبير ، والبدر المنير ، والروض النضير ، والعلم الشهير المحلاة باسمه ديباجة الكتاب ، جعله الله حيثما توجه مظفرًا غلابًا ، ثم لسدته أهدى هذه القصيدة شكرًا لمواهبه ، وفضائله العتيدة :

إنَّمَا العزُّ فـى مُتُونِ الجِيادِ ... مـع بِيضِ الظُّبَا وسُمْرِ الصِّعَادِ

واصطدام النَّوَى بِصَارِمِ عَزْمٍ ... واقتحام الهَيْجَاء وَقْتَ اشْتِدَادِ

وَعَلَى قَدْرِ همَّة المـرءِ يَرْقَـى ... فـى المعالـى ويَنْثَنـى بالمُرادِ

خَلَقَ الله لِلْرِجَـال حُرُوبًا ... وَرِجَالا لَمكْتَبٍ ومِدَادِ

(١) الجبخانة : تركية « جبه » أى الدرع المكون من أكثر من جزء ، « جى » صانع الدرع ، وسع الإنكشارية معنى « الجبه جى » ، فأطلقوها على صناع الأسلحة والذخائر والقائمين على حفظها وإصلاحها ، والجباخانة فى التركية ، المكان الذى تودع فيه الأسلحة والذخائر ، ويستعملها الجبرتى بمعنى الذخيرة نفسها . سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) ٦ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٧ يوليه ١٨٠١ م .

وإذا مـا هُما أُضـيفـا لـشخـصٍ ... فَهوَ ذَاكَ الـفَرِيـدُ فـى الأَمْجَادِ
وَصِعَابُ الأمورِ إنْ حَلَّهَا المعضـ ... ـلُ وَجَاشَت منْهَا نُفُوسِ العـبادِ
فَلَهَا منْ سَمَا الـعـزائـمِ بَدْرٌ ... يمـحُ عَنِ وَجْهِهَا شَنِيعَ الـسـوادِ
وصيَاصِي الحصُونِ يَشْتَاقُهَا السيـ ... ـف لـهـذايْنٌ فـى الأَغْمَادِ
والـليـالي عَلَى الحـوادث تُطْوَى ... ثُمَّ تَبْدُو منهَا عَلَى الـاستعْدادِ
وإذَا أَدْرَكَ الـلَّبيـبُ قُصَارَى ... كلّ خطْبٍ يَهُونُ بـاستعْدَادِ / ‏/ ١٨٣ أ
أيـن لِلْمَرءِ لَوْ أَرَادَ مَفَرٌّ ... وَسِهَامُ الخطـوبِ بـالمرصَادِ
وَقُصَارَى أمـرِ الأنَامِ مَمَاتٌ ... بَعْدَ عَيْشٍ يُشـابُ بـالأنـكـادِ
لاَ رَعَى اللهُ مَا مَضَى منْ زَمـانٍ ... فيـه سَادَتْ أَسَافلُ الأوْغَادِ
واستـبدَّت بمُلْك مصرَ الـفرَنْسيـ ... ـسُ وَعَاثُوا فيـهَا بكُلّ فَسَادِ
حَلَّ فيـهَا منهـم شيَـاطِينُ أنـسٍ ... هُمْ بَقَايَا الـهَلاكِ منْ قومِ عَادِ
شَوَّهُوا حُسْنَهـا بـأسـودِ كـفـرٍ ... حـينَ جَاءُوا بجَيْشِهم كـالجـرادِ
واستباحُوا الأمـوالَ والدمَ والعر ... ضَ وَجَاءُوا بـالخُسْرِ والإلْحَادِ
ثُمَّ زَالُوا عنـهَا سَرِيـعًا وبَادُوا ... وَعَلَيْهِم خزْيُ المخـاوفِ بَادِي
بِقُدُومِ الـوزيـرِ دَامَ عُلاهُ ... مُقَدَّمِ الـغيْث حَلَّ مَحَلَّ الـبـلادِ
فـاكـتَسَتْ مصرُ بَهْجَةً وسَنَاءً ... وَأَمَاطَت عَنْهَا ثِيَابَ الحـدادِ
وأُعيـدَتْ لَهَا مَعَالِمُ أُنسٍ ... هُوَ فِي الـدَّهْرِ مَطْلَبُ المرتـادِ
أَيَّدَ اللهُ نَصْرَهُ وَحَـبَاهُ ... كـلَّ مَا يَبْتغـيـه بـالإسْعَادِ
فـهـو غَيْثٌ فيـه نـعيـمٌ وبُؤْسٌ ... يَنْتَحِي فـيـهـمـا سَبِيـلَ الـرَّشَادِ
ومـلاذٌ فِي كُلّ خَطْبٍ مُرِيـعٍ ... وَعِمَادٌ لـلـديـنِ أيَّ عِمَادِ
أرْهَبَ الـكُفْرَ جَيْشَه فَلهَذَا ... جَنَحُوا لـلـوفاقِ خَوْفَ الـعـنادِ
وَتَراضَـوْا بمَا قَضَاهُ عَلَيْهم ... منْ شَنِيـعِ الإصـدارِ والإيـرادِ
وتجـلَّى عَنْ مصرَ منْهُمُ سَحَابٌ ... مُمْطِرٌ للْعَذَابِ فـى كُـلِّ وادِ
أَصْبَحُوا بَيْنَ هَالـكٍ وَجَرِيـحٍ ... وَأَسِيـرٍ وَشَـاردٍ ومـفـادِ
نـعـمـةٌ لـلإلـه حـلَّتْ عَلَيْنَا ... بِفُتُوحٍ تُعْزَى لِهَذَا الجـوَادِ
قَادَ جَيْشًا هُمُ الأسودُ ولـكـن ... فَضَلُوا بـالـعـقـولِ عـن آسَادِ
وَسَرَى والـنَّصْرُ المبينُ إمَامٌ ... يسبق الـرعب فِى قُلُوبِ الأعادى
مُخْلصٌ لـلإلـه فِى بَيْعِ نَفْسٍ ... يَبْتَغِى الأجرَ فى نـفيسِ الجهَادِ
فَوَقَاهُ الإلـهُ كُلَّ مـخـوفٍ ... وَحَبَاهُ بُلُوغَ كُلِّ مُـرَادِ

ومنهم المولى المخدوم بعزائم الدهر ، المقترنة طلعته الغراء بسواطع الظفر والنصر ؛ المحفوف بالعنايات الربانية ، الملاحظ بالرعايات الصمدانية ، الوزير المعظم ، والكبير المفخم ،./ إبراهيم باشا والى حلب ، حباه الله من الأمانى ما طلب وأحب .

١٨٢ ب/

ومنهم البدر الراقى فى سماء الرياسة ، والنجم الذى يهتدى به لمعالم السياسة ، نتيجة قياس المعالى ، دوحة المجد التى تفخر به الأيام والليالى ، حضرة إبراهيم باشا شيخ أوغلى ، لا زال ثغر الزمان باسما بوجوده ، وسواجع الشكر مطوقة بإحسانه ووجوده .

ومنهم الليث المقدام ، والشجاع الصمصام ؛ الطالعة سيوفه فى ديجور الحروب ، ومطالع النجوم ، هازم جيوش شياطين الكفر ، حين جعلت لها شهب نجوم بنادقه رجوم ، حضرة طاهر باشا أعلى الله مقامه سرمدا ، وأكمد به نفوس العدا .

ومنهم قطب راحات الحروب إذا دارت ، ومفرج كروب الهيجا إذا أبطالها دهشت وحارت ، صاحب السيف والقلم ، معدن الفضل والحكم ، حضرة السيد محمد باشا والى القدس الشريف ، وغزة ، بل ومصر المحروسة ، لا زالت مراتب السيادة بطلعته مأنوسة ، وبلغه الله أمانيه، وشكر فى الدارين مساعيه .

ومنهم الجليل المهاب ، النبيل الذى هو فى جميع أفعاله مثاب ، جامع محاسن الكتاب ، قطب رؤساء الحساب ، وهو الملاذ المفخم ، والسابق فى حلبة الفضل المقدم ، حضرة خليل أفندى الرجائى ، دفتردار الدولة ، أدام الله له الوجاهة والصولة ؛ وحقق رجاه ، وبلغه مناه .

١٨٤ أ/

ومنهم تاج أرباب الفضائل ، عماد مجد الأكابر والأماثل ؛ فريد / العلا ، مؤمل الملا ؛ الصدر الرئيس واسطة عقد الفخار النفيس ، محمود أفندى رئيس الكتاب ، أفاض الله عليه الحكمة وفصل الخطاب ، وما زال مصدرًا لكل فضيلة ، حاويًا من الشرف قليله وجليله .

ومنهم رب السيادة والسعادة ، صاحب الآراء والأفهام المستجادة ، حضرة شريف أغا نزله أمين ، أحسن الله أفعاله ، وسدد بالصواب أقواله .

ومنـهم بهـجة الصـدور ، الآخذ من الـعلـوم والمعارف بِحَظٍ مـوفور ؛ المنـفرد بالأخلاق الجـميلة ، والسعـى المشكور ، حضرة مـحمد أغا جبجـى باشا [1] الشهير بتوسون ، وقاه الله ريب المنون .

وغير هؤلاء الكثير من الأكابر والأعيان ، ورؤساء الديوان ، وحكام الوجاقات ، وأمـراء ألوف الـبلـوكات ، مـثل أغـاة الإنـكشـارية ، وقـرة قول [2] ، وأكابـر الأرناءوطية[3] ، وأمراء التفـكجية [4] ، والدلاتـية[5] والجوربجية[6] ، وباقـى أرباب المناصب والعساكر الإسلامية .

ووقع الاخـتيار بـأن يكون الـباب الأكرم ، وسـكن الصـدر الأعظم ، بـحارة عابدين ، وكذلك أفردت أماكن بسكن الوزراء والأعيان تليق بهم ، ومساكن لأمرائهم وأتباعهم بالقرب منهم فى جهات مختلفة .

وفى يوم الأحد[7] ، سافر هجان إلى جهة الحجاز ، وصحـبته فرمان بخبر الفتح والنـصر ، وارتحال الـفرنسيـس وجلائهـم من أرض مصـر ، ومكاتبـات من التـجار لشركائهم بإرسال البن والبضايع والمتاجر إلى مصر / .

/ ١٨٤ ب

وفيه [8] ، نودى بعدم التعرض بالإيذاء ، لنـصرانى أو يهودى سواء كان قبطيًا أو روميًا أو شامـيًا ، فإنهم من رعايـا السلطان ، والمـاضى لايعاد ؛ والعجـب أن بعض نصـارى الأروام الذين كـانوا بعـسكر الـفرنسيـس تَزَيَّوا بِزىٍّ العثـمانيـة ، وتسلـحوا بالأسلحة واليَطَقَانَات[9] ، ودخلـوا فيـهم وشمـخوا بـأنافـهم ، وتعـرضوا بـالإيذاء للمسلـمين فى الطرقات بالضـرب والسب باللغة التـركية ، ويقولون فى ضمـن سبهم

(١) جبجى باشا : أى رئيس الجبه جية .

(٢) قرة قول : أنظر ، ص ٢٨٣ ، حاشية رقم (٣) .

(٣) الأرناءوطية : الجند الذين ينتمون إلى البانيا .

(٤) التفكجية : أنظر ، ص ٢٣٠ ، حاشية رقم (٣) .

(٥) الدلاتية : طائفة من الجنود الفرسان ، كانوا يمهدون الطريق للجيش ، وكانت ملابسهم من جلد الأسود ، وعلى رؤوسهم قلابق من جلد الـضباع الرقط ، ثم صار من الصوف الأسود . سليمان ، أحـمد السعيد : المرجع السابق، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٦) الجوربجية : مفردها « جربجى » وهى تركية من أصل فارسى ، والجورباجى أو الجربه جى ، ضابط إنكشارى ، يعادل اليوزبـاشى ، وهو رئيس المشاة ويقال له « سـورباشى » ، وكان له حصان وجبه من الجـوخ الأحمر ، لها كمان ، وسروال أحمر ، وخف أصفر .

(٧) ٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٩ يوليه ١٨٠١ م .

(٨) ٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٩ يوليه ١٨٠١ م .

(٩) اليطاقانات : السيوف المقوسة ، وهى تركية الأصل .

للمسلم : « فرنسيس كافر » ، ولايميزهم إلا الفطن الحاذق ، أو يكون له بهم معرفة سابقة .

وفى يوم الإثنين [1] ، قتل شخصان بالرميلة ، وهما : حجاج وأخوه ، كانا متولين الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس ، ووقع منهما جور وظلم وعسف وكثر التشكى منهما فقتلا .

وفيه [2] ، ركب حضرة الصدر بثياب التخفيف ، وشق المدينة ، وتأمل فى الأسواق ، وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة ، وأرباب الصنائع ومشاركتهم فى أرزاقهم ، ثم توجه إلى المشهد الحسينى فزاره ، ثم عبر إلى دار السيد أحمد المحروقى التاجر فزاره وشرفه ، ثم كر راجعًا لبيته .

وفى يوم الثلاثاء[3] ، حضر قاصد من الباب الأعلى ، وعلى يده مثالات شريفة[4] ، لحضرة الصدر الأعظم ، وهدية وجواب عن حلول ركابه بلبيس .

وفيه [5] ، نودى بتزيين الأسواق من الغد ، تعظيمًا ليوم المولد النبوى الشريف ، فلما أصبح يوم الأربعاء[6] ، كررت المناداة والأمر بالكنس والرش ، فحصل الاعتناء ، وبذل الناس جهدهم ، وزينوا / حوانيتهم ، بالشقق الحرير والزردخانات والتفاصيل الهندية ، وركب حضرة المشار إليه عصر ذلك اليوم ، وشق المدينة ، وشاهد الشوارع ، وعند المساء ، أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد ، وحصل الجمع بتكية الكلشنى[7] ، على العادة ، وتردد الناس ليلا للفرجة ، وعملوا مغانى ومزامير ، وقراءة قرآن ، وضجت الصغار فى الأسواق ، وعم ذلك سائر أخطاط المدينة العامرة ، ومصر ، وبولاق ، وكان من المعتاد القديم أن لايعتنى بذلك إلا بجهة الأزبكية ، حيث سكن الشيخ البكرى ، لأن عمل المولد من وظائفه ، وبولاق فقط .

١٨٥ أ/

(١) ٩ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٠ يوليه ١٨٠١ م . (٢) ٩ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٠ يوليه ١٨٠١ م .
(٣) ١٠ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢١ يوليه ١٨٠١ م .
(٤) مثالات شريفة : أى اوامر شريفة . سليمان : أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٨٣ .
(٥) ١٠ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢١ يوليه ١٨٠١ م . (٦) ١١ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٢ يوليه ١٨٠١ م .
(٧) تكية الجلشنى : تقع تحت الربع : أنشأها الشيخ إبراهيم الجلشنى سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م ، وجعل بها بيوتا للصوفية ، ومحلا لإقامة الصلاة والأذكار ، وأنشأ له قبة مرتفعة دوائرها مصنوعة بالقاشانى ، ولما توفى دفن تحتها . زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

وفى يوم الخميس ثانى عشره[1] ، سافر سليمان أغا تابع صالح بيك ، وصحبته عدة هجانة إلى ناحية الشام ، لإحضار المحمل الشريف ، وحريمات الأمراء إلى مصر .

وفى ثانى يوم الجمعة[2] ، ركب المشار إليه وحضر إلى الجامع الأزهر ، فصلى به الجمعة ، وأخلع على الخطيب فرجية .

وفى سادس عشرينه[3] ، حضر عثمان بيك البرديسى ، وصحبته عدة من عسكر الإنكليز الذين حضروا من ناحية القلزم ، على القصير ، فانحازوا مع أصحابهم بالجيزة ، وهم على أشكال مختلفة ، وفيهم كثير من الجيوش والهنود ، المختلفة الأديان ، والملابس ، والصور ، والأوضاع ، حتى أن فيهم فرقة تركب الثيران .

وفيه [4] ، أخلع على محمد أغا تابع قاسم بيك موسقو ، وتقلد وَالِى / مصر عوضًا عن على أغا الشعراوى . / ١٨٥ ب

وفى يوم السبت ثامن عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطى[5] ، كان وفاء النيل المبارك ، وركب محمد باشا والى القدس وغزة ، فى صبح يوم الأحد[6] ، إلى قنطرة السد ، وفتح الخليج بحضرته ، وفرّق العوائد ، وأخلع الخلع ، ونثر الذهب والفضة ، وذلك من قرائن ولايته مصر .

واستهل شهر ربيع الثانى [7]

فى يوم الجمعة حادى عشره[8] ، لبس الوجاقلية المصرلية ، زِيَّهُمُ من القَوَاوِيقِ[9] ، المختلفة الأشكال على عادتهم القديمة حسب الأمر لهم بذلك ، وحضروا الديوان العالى .

---

(١) ١٢ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٣ يوليه ١٨٠١ م . (٢) ١٣ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٤ يوليه ١٨٠١ م .

(٣) ١٦ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٧ يوليه ١٨٠١ م . (٤) ١٦ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٧ يوليه ١٨٠١ م .

(٥) ٢٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٨ أغسطس ١٨٠١ م . (٦) ٢٩ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٩ أغسطس ١٨٠١ م .

(٧) ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١١ أغسطس - ٨ سبتمبر ١٨٠١ م .

(٨) ١١ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٢١ أغسطس ١٨٠١ م .

(٩) القواويق : مفردها « قاووق » ، وهو عبارة عن قلنسوة عالية يلف حولها شاش ، تغطى به الرأس ، قبل استعمال الطربوش ، ولكل طائفة من رجال الدولة طراز خاص من القواويق . سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

وفى يوم الإثنين[1] ، وصل سليمان أغا إلى بركة الحاج[2] ، وصحبته المَحْمَلُ ونساء الأمراء القادمين من الشام ، فنودى فى عصر ذلك اليوم بعمل موكب المحمل من الغد ، وطاف الاى جاويش[3] بزيه المعتاد ، وخلفه القابجية[4] ، وهم ينادون بقولهم : « يارن الاى » وانجر الموكب فى صبح ثانى يوم [5] ، ودخل المحمل من باب النصر ، وشقوا به شوارع المدينة حكم عادته ، وصادف ذلك اليوم مولد الحسين ، والأسواق مزينة ، فصعدوا به إلى القلعة ، وتسلمه محمد باشا ، وعملت الوقدة والشنك تلك الليلة .

وفى سادس عشرينه [6] ، قدم نادرة الدهر ، وغرَّة وجه العصر ؛ شمس الدولة وبدرها ، ومن يدور عليه نهيها وأمرها ؛ دفتر كمال الأوائل والأواخر ، ناظم ما انتثر من الفضائل والمآثر ، صاحب / الطلعة البهية ، والهمة العلية ، رحيب النادى عند وفود الحاجات ، مجيب المنادى فى المهمات ، خلاصة السلالة الهاشمية ، وطراز حلة الفخار النبوية ، فرع دوحة الشرف الذكية النماء ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، عظيم قدر لايضاهى ، وسباق غاية مجد لايباهى .

١٨٦ أ/

وَكَيْفَ تُضَاهِي أَهْلَ بَيْتٍ قَدْ انْتَمُوا ... لِسِبْطِ رَسُـول اللهِ أَشْـرف مُرْسَلِ

ذو الحسب السنى ، والنسب العلى ؛ المحتف برعاية المولى ، المعيد المبدى ، مولانا محمد شريف أفندى ، شرف الله قدره ، وأشاع بطيب الثناء ذكره ، ولازالت أيَّامَهُ أعياداً ومواسم ، وثغور الأقطار بتدبير أقلامه بواسم ، وهو من حسنات الدولة العلية ، التى خصت بها مصر المحمية ؛ فكان كالطبيب الذى تم به العلاج ، وقام به سوق الفضائل فيها وراج ، ومن التفاؤل بيمن قدومه ، وانطوت الخيرات فى

(١) ١٤ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨٠١ م .

(٢) بركة الحاج : من النواحى القديمة ، إسمها القديم « حسب عميرة » ، وهى بركة الحاج ، وعرفت بالبركة لانخفاض أراضيها عن منسوب الأراضى الزراعية المجاورة لها ، وهى إحدى قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية . رمزى ، محمد ، المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣١.

(٣) الاى جاويش : أى ضابط الفرقة

(٤) القابجية : هم البوابون فى القصر السلطانى باستانبول ، وكانوا يرسلون فى مهمات إلى الولايات ، لأنهم أمناء على عملهم وما يكلفون به . الدمرداشى : أحمد : المصدر السابق ، ص ٨ ، حاشية رقم (٨) .

(٥) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٢٥ أغسطس ١٨٠١ م .

(٦) ٢٦ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٥ سبتمبر ١٨٠١ م .

منشور مرسومه ؛ أنْ قدم فى شهر ربيع فكان الزمان كله ربيعًا ، وكأنه الغيث صار به القطر خصبًا مريعًا ، كما قيل :

الجَوْهَرُ الـــــفَرْدُ منْ مَعْنَاه مُنْتَثِرٌ والمَـنْدَلُ الـرَّطـبُ مِنْ رَيَّاهُ مُنْتَشرُ
كُلَ الـشُّهـورِ رَبِيـعٌ عِنْدَ مَقْدِمـهِ وَكُلُّ شَهْرٍ سِـــــوَى أَيَّامِه صَفَرُ

ولما أن أجرى الله على يديه الخير الجم ، وفـاض معروفه على كل قاصد وعمّ ؛ أجمعت القلوب على محبته ، واتفقت الألسن على حسن سيرته ؛ شعر :/ /١٨٦ ب

وإذَا أحَبَّ اللهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحـــبَّةً فِى الـــنَّاسِ

وقدم بصحبته أيـضًا رب البلاغة والبراعة ، ومعدن العلوم التـى هى لثاقب فكره منقادة مطواعة ؛ المضيئة آراؤه عنـد كل مُعْضِلَة إضاءة البدور ، الصدر الذى تتزين به المحافل والـصدور ؛ حضرة عـثمان كتخـدا حرس الله مجده ، وأدام عـزه وسعده ، وسـكـن حـضرة الـدفتردار بدرب الجمـاميز[١] ، وسكن حـضرة الكتـخدا بسويـقة اللالا[٢] ، بمنزل حسن أغا محرم متولى الحسبة فى مدة الفرنسيس .

وفى غايته[٣] ، عمل شنك بمـدافع كثيرة ، وذلك لوصول خبـر انقضاء الحرب ، وتسليم الإسكندرية صلحًا .

واستهل شهر جمادى الأولى[٤] بيوم الخميس

فيه[٥] ، قرئت فرمانات حضرت بصحبة المشار إليهما .

وفيه[٦] ، انفصل مولانا السيد محمد الشهير بقدسى أفندى عن القضاء ، وسافر ذلك اليوم ، وتقلد القضاء عوضًا عنه حضرة عبدالله أفندى كاتب الميرى ، وحضر فى ذلك اليوم إلى المحكمة.

وفى يوم الإثنين[٧] ، نودى بالزينة ثلاثة أيام ، أولها الأربعاء[٨] ، وآخرها الجمعة

(١) درب الجماميز : أنظر ، ص٢٠٢ ، حاشية رقم (١) . (٢) سويقة اللالا : أنظر ، ص١٦٦، حاشية رقم (١) .
(٣) غاية ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٨ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٤) جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٩ سبتمبر - ٨ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٥) ١ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٩ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٦) ١ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٩ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٧) ٥ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٨) ٧ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١٥ سبتمبر ١٨٠١ م .

تاسعه[1] ، فزينت المدينة ، وعملت الـوقدات بالأسواق ، والمغانى والآلات ، والسهر بالليـل فـى الحـوانيت ، وتردد الـناس للفرجة ليـلا ونهارًا ، وكل ليلة يعـمل شنك نفوط ، وَسَوَارِيخَ وبَارُود بِبِرْكَةِ الـغَرَّابين ، المطل عليهـا بيت المشار إليـه / جهة باب اللوق .

١٨٧ أ/

وفى ثانى عشره[2] ، وقع من الـعساكر عربـدة بالأسواق ، وانزعجـت الناس ، ورفعـوا متاعـهـم من الحـوانيت ، وأغلـق بعض الجهـات ، فحضر أكـابر العسـكر فكفوهم ، وراق الحال من غير حصول ضرر كثير .

وفيه [3] ، ورد الخبر بتولية محمد باشا خسـرو باشوية مصر ، وهو كتخدا قبطان باشا ، فألـبس حضرة المشار إليـه وكيله خلعة عـوضًا عنه ، وأشيع عزل محـمد باشا الغزى وسفره .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه[4] ، وردت مكاتبة من حضرة قبطان باشا ، بطلب عثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك البـرديسى ، وإبراهيم السنارى وآخرون ، فسافروا فى يوم السبت رابع عشرينه [5] .

وفى ذلك الـيوم [6] ، قتل شـخص يسمى مـصطفى الصـيرفى بخط الـصاغة ، وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى النصـارى ، وتولى أمر فردة الصاغة والجواهرجية ، وسوق السلاح ، وجاهر بأمور نقمت عليـه ، فكثرت فيه الشكاوى ، فحبس أيامًا ، ثم قتل صبرًا ، بأمر حضرة المشار إليه عند حانوته ، وبقى مرميًا ثلاث ليال ثم دفن ، وكان أصله إسرائيليًا وأسلم .

وفى غايته[7] ، قتل شخـص بسوق السلاح من نـاحية المنصورة ، وانـقضى هذا الشهر ؛ وحوادثه .

١٨٧ ب/

منها : زيادة النيل زيادة مفرطة عن المعتاد ، وعن عام أول ، حتى غطى الذراع/ الذى زاده الفـرنسيس علـى عامـود المقياس ، ودخـل الماء بيوت الجيـزة ، ومصر

(١) ٩ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١٧ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٢) ١٢ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٣) ١٢ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٤) ٢٢ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٥) ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٦) ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٧) غاية جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٨ أكتوبر ١٨٠١ م .

القـديمة ، وغرقت الـروضة ، ولم يقـع فى هذا الـنيل للـناس حظوظ ، ولا نـزاهة كعـادتهم فى الـبرك والخلجـان ، والمراكب ، وذلك لاشـتغال النـاس وخوفهم مـن العسكر ، وعدم المراكب ، وتخريب الفرنـسيس محلات النزهة ، مثل : الأزبكية ، وبركة الرطلـى ، وخلافها ، وتقطيع أشجـار المقاصف التى كانت تجلـس عندها أهل الخلاعـة والمجون، والـقهـاوى، مثـل: دهلـيز المـلك ، والجـسر ، والـرصيـف ، والكازرونى ، والمغربى ، وناحية قنطرة السد ، وقصر العينى ، وغير ذلك .

ومنها : أن الجسر الكبير المنصوب مـن الروضة إلى الجيزة ، تفكك من شدة الماء وقوته ، فـتحللت رباطـاته وانتزعت مراسـيه ، وانتشرت أخـشابه . وتفرقت سـفنه وانحدرت إلى بحرى .

واستهل شهر جمادى ا نى بيوم السبت [1]

وفى ليلة الأحد ثانيه [2] ، حصلت زلزلة فى ثالث ساعة من الليل .

وفيه [3] ، قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بـالطاراتى بباب الشعرية ، وذلك بعد حبسه أيامًا عديدة وضربه وعقابه . وكـان أولا مقدمًا عند قايد أغا ، فلما تملكت الفرنسيس خدم عند بونابرته ، ثم من بعـده عند كليبر ، ثم خدم يعقوب ، حين تولى أمر الفردة ، ووقع منه ما وقع فى ذلك الوقت كما تقدم شرحه .

/ ١٨٨ أ

وفى يوم الثـلاثاء رابعه [4] ، وصل / شمـس الدين بيـك أمير أخور كـبير[5] ، وحضرة مـرجان أغا ، فأرسلـت التنابيـة ، وعملَ الديوان بـالباب العالـى ، وحضر الوزراء والأمراء والعـلماء والوجاقلية والأعـيان ، وحضر المذكوران ولاقاهـما حضرة المشار إليه من المجلـس الخارج ، وسلماه الخطوط الشريفة والخلع المخـتصة بجنابه ، والسيف والشلنج[6] الجوهـر ، وعملَ فى ذلـك اليوم شـنك ومدافـع من القلـعة ، وأخلع على الوزراء والأمراء خلعًا وشلنجات .

---

(١) جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٩ أكتوبر - ٦ نوفمبر ١٨٠١ م .

(٢) ٢ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٣) ٢ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٤) ٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٥) أمير أخور كبير : هو الناظر فى أمور الإسطبلات ورئيس العاملين بها وأمير أخور كبير هو أعلاهم درجة ، وكان للبريد أمير أخور يعـنى بدواب حمل البريد ، وأصبح أمير أخور كبير يُـرْسَلُ فى مهمات رسمية . سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٦) الشلنج : فى التركية « جلنك » ، بالجيـم المشربَّة ، حِلْيَةٌ لِلرَّأْسِ مُرَصَّعَةٌ بالأحجار الكريمة ، ونوع من الشراريب أو الريش ، كـان يكافأ به المحـاربون ، فيعلـق فى أغطية ، رؤوسهـم . سليمان ، أحـمد السعيـد ، المرجع السابق، ص ١٣٧ .

وفيه [1] ، حضرت أَطْوَاخ[2] وولاية جده لمحمد باشا توسون ، الذى كان جبجى باشا .

وفيه [3] ، حضر القاضى الجديد ، وهو مولى مصطفى أفندى ، دباغ زادة ، من فضلاء المحققين ، ونبلاء المدققين ، وحضر إلى المحكمة فى يوم السبت ثامنه[4] ، بأهله وعياله سدّد الله أحكامه ، ورفع على منار الشريعة أعلامه .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره[5] ، عمل حضرة المشار إليه ديوانًا ، وحضر الأمراء المصرلية ، فقبض عليهم ، وعوقهم عنده . وكان سليم بيك أبو دياب بالبلدة المسماة بالمنيل[6] ، فسمع الخبر ففر إلى الإنكليز بالجيزة ، وأدركه الطلب فلم يجدوه ، فأحضروا متاعه وجماله ، ونودى فى ذلك اليوم [7] بالأمن والأمان على الوجاقلية والرعية . واختفى بقية الأجناد المصرية والمماليك ، وباتوا بليلة سوداء ، وخاب أملهم ، / وضاع تعبهم وطمعهم ، وكان فى ظنهم أن العثمنلى يرجع إلى بلاده ويترك لهم مصر وإقليمها ، ويعودون إلى حالتهم الأولى ، يستصرفون كيف شاءوا . وألبس حضرة المشار إليه ، سليمان أغا صالح زى العثمانيين ، وجعله سلخورا[8] ، وأن يكون فى خدمة الدولة .

١٨٨ ب/

وفى يوم الإثنين سابع عشره[9] ، سافر إسماعيل أفندى شعبون ، كاتب حواله إلى رشيد ، باستدعاء محمد باشا والى مصر .

وفيه [10] ، ورد الخبر بوصول كسوة الكعبة من الباب الأعلى .

(١) ٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٢) أطواخ : مفردها « طوخ » ، تركية « توغ وطوغ » من أصل « صينى » ، وهو عبارة عن مزراق رأسه كرة مذهبة ، قد يعلوها هلال ، وتعلق بالمزراق تحت رأس الكرة خصلة من ذيل حصان مصبوغة باللون الأحمر ، وكان لرجال الدولة العثمانية أطواخ بحسب منازلهم ، فكان للوالى طوخان . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ - ١٤٨ . .
(٣) ٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٤) ٨ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٦ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٥) ١١ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٩ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٦) المنيل : إسمها منيل سلطان ، وهى من قرى مركز الصف ، محافظة الجيزة . رمزى ، محمد : المرجع السابق، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٤ .
(٧) ١١ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٩ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٨) سلخور : فارسية ، وهو المتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها . سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٣١ . .
(٩) ١٧ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨٠١ م .
(١٠) ١٧ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨٠١ م .

فلما كان يوم الخميس عشرينه [١] ، ركب الأعيان والمشايخ وأرباب الأشاير ، ونقيب السادة الأشراف ، وعثمان كتخدا ، المرشح لإمارة الحج ، واجتمع الناس للفرجة ، وحضروا بالكسوة من بولاق ، وشقوا بها من وسط المدينة ، حتى وصلوا بها إلى المشهد الحسينى ، فوضعت هناك على العادة ، وكان يومًا مشهودًا .

وفيه [٢] ، وردت الأخبار بأن حضرة حسين باشا القبطان ، أراد أن يقبض على الأمراء المصرلية ، فحصل منهم عناد ومخالفة ، فقتل منهم عثمان بيك المرادى الكبير ، وعثمان بيك الأشقر الإبراهيمى ، ومراد بيك الصغير ، ومحمد بيك المنفوخ ، وإبراهيم السنارى ، وآخرين ، وفر الباقون إلى الإنكليز بجهة الإسكندرية ، فلما ورد الخبر بذلك ، حصل بعض قلقة وأرجاف ، وأخذ الإنكليز المقيمون بالجيزة حذرهم / .

/ ١٨٩ أ

وفى ذلك اليوم [٣] ، طلع محمد باشا توسون والى جدة إلى القلعة ، وصعد معه جملة من العسكر ، ونقلوا إليها ذخيرة وقومانية[٤] ومدافع وبارود .

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه[٥] ، حضر كبير الإنكليز الذى بالجيزة ، فقابل حضرة المشار إليه ، فألبسه خلعة .

وفى ذلك اليوم [٦] ، أخلع أيضًا على عثمان كتخدا ، وتقلد إمارة الحاج .

واستهل شهر ر . . بيوم الا' [٧]

فى ثانيه [٨] ، سافر سليمان أغا صالح إلى اسلامبول بإرسالية من جهة دمياط .

وفى تاسعه[٩] ، أرسل الإنكليز إلى حضرة المشار إليه ، يستدعون منه الأمراء يتفسحون عندهم يومين أو ثلاثة ثم يعودون ، فأمرهم بالذهاب والتعدية إلى بر

(١) ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٢) ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٣) ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٤) قومانية : أنظر ، ص ٨٧ ، حاشية رقم (٤) .
(٥) ٢٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١ نوفمبر ١٨٠١ م .
(٦) ٢٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١ نوفمبر ١٨٠١ م .
(٧) رجب ١٢١٦ هـ / ٧ نوفمبر - ٦ ديسمبر ١٨٠١ م .
(٨) ٢ رجب ١٢١٦ هـ / ٨ نوفمبر ١٨٠١ م .
(٩) ٩ رجب ١٢١٦ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨٠١ م .

الجيزة ، فأظهروا التمنع عن الذهاب إلى مخالفى الدين ، ثم ذهبوا وما صدقوا بالخلاص ، فلما تسامعت جماعتهم وأجنادهم ومماليكهم وأطرافهم المختفون ، ظهروا بعد اختفائهم ، وتلاحقوا بهم ، ونقلت إليهم خيولهم وجمالهم ، وخيامهم وأقاموا بالجيزة ولم يعودوا .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه [1] ، وصل حضرة عابدى بيك صهر حضرة الصدر الأعظم ، فخرج غالب أعيان الدولة لملاقاته ، ودخل بحموله فى موكب جليل .

وفيه [2] ، ورد الخبر بسفر حضرة قبطان باشا من ساحل أبو قير إلى الديار الرومية باستدعاء فى منتصف / الشهر [3] . ١٨٩ ب/

واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء[4]

فيه [5] ، قدم يوسف أفندى وبيده فرمان بولايته على نقابة السادة الأشراف . ويوسف أفندى هذا كان من المستوطنين بمصر ، فترقى لمشيخة رواق الأتراك بالجامع الأزهر ، ثم عزل وسافر إلى إسلامبول قبل حادثة الفرنسيس ، وأقام بها نحو الأربع سنوات ؛ ثم قدم بذلك ، فأهمل أمره ، ولم يلبه أحد ، وذلك لإجماع الخاص والعام على حسن سيرة السيد عمر أفندى ، وقيامه بواجب هذا المنصب ، وخلوص نيته فى كل مذهب ؛ وقد جاهد فى الله حق جهاده ، وبذل نفسه وماله للغزاة والمجاهدين من عباده ، وسافر إلى الشام مرتين ، وباشر الحادثتين ، وله بأرباب الحاجات عناية ومنزله للمجتدى نعمى ، وللخائف وقاية ؛ فلا أخلى الله الوقت من وجود أمثاله ، وأفاض عليه سوابغ انعامه وأفضاله .

وفيه [6] ، من الحوادث أنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط، ومعهم بعض من العسكر . فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئًا ، سواء كان داخلاً أو خارجًا، بحسب اجتهادهم ، وعلى ما يجلب لمصر من الأرياف . وزاد تعدّيهم ، فعم الضرر ، وعظم الخطب ، وغلت الأسعار . وكل من ورد بشىء ليبيعه

(١) ٢٧ رجب ١٢١٦ هـ / ٣ ديسمبر ١٨٠١ م . (٢) ٢٧ رجب ١٢١٦ هـ / ٣ ديسمبر ١٨٠١ م .
(٣) ١٥ رجب ١٢١٦ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨٠١ م .
(٤) شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٠١ - ٤ يناير ١٨٠٢ م .
(٥) ١ شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٠١ م . (٦) ١ شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٠١ م .

يشتط فى ثمنه ، ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس ، فلا يسع المشترى إلا التسليم لقوله والتصديق له .

والسبب فى ذلك أن / الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق ، دَسَّ عليهم بعض المقيدين معهم من أقباط النصارى ، بأن كثيرًا من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها فى أوقات الغفلة ، تحاشيًا عن دفع ما عليها ، وبذلك لايجتمع المال المقدر بالديوان ، فيلزم أن نقيد بكل باب من يترقب لذلك ، ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك ، فأذن كبراء الديوان بذلك ، فانفتح لهم بذلك الباب ، فولجوه ، ولم يحسبوا للعاقبة حسابا . وزادوا فى الجور والفضائح ، وأظهروا ما فى نفوسهم من القبائح ؛ فساءت الظنون ، واستغاث المستغيثون ، وأكثر سخاف الأحلام ، مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل فى المعنى : / ١٩٠ أ

وَكُنَّا نَسْتَطِبُّ إِذَا مَرِضْنَا فَصَارَ الداءُ مِنْ قِبَلِ الطَّبِيبِ

فلما أنهى هذا الأمر لحضرة الصدر ؛ بادر فى إنكاره . وسرعة إزالته ومحو آثاره ؛ وأرسل لمن تولى كِبْرَ ذلك من أرباب الدواوين فحرمه وسجنه ، وأحرمه بترقب المكروه أن يذوق وسنه ؛ وانجلت ولله الحمد بمولانا هذه الغمة ، وابتهلت بالدعاء له بالبقاء والنصر سائر الأمة ، شعر :

لِلْخَيْرِ أَهْــلٌ لا تَزَا لُ وُجُوهُهُم تَدْعُو إِلَيهِ

طُوبَى لِمَنْ جَرَتِ الأُمُو رُ الصَّالَحَاتِ عَلَى يَدَيْهِ

وأبطل أيضًا ما كان وضع على طائفة القبانية من الجمرك السنوى ، واكتسب بهذه الهمة / رضا الله ، وثناء العالم الأبدى . / ١٩٠ ب

وفى خامسه [1] ، نزل محمد باشا توسون والى جدة من القلعة فى موكب ، وتوجه إلى العادلية قاصدًا السفر من بحر القلزم .

وفى يوم الأربعاء تاسعه [2] ، قَبَضُوا عَلَى ثلاثة أشخاص من نصارى الأروام ، تَزَيُّوا بِزِيِّ العساكر الإنكشارية ، وحصل منهم القبائح فى الرعية ، فرموا رقابهم فى جهات مختلفة ، ليعتبر بذلك غيرهم . وكذلك الرجل المفسد الذى يقال له « راضى النجار » : كان من أعظم المفسدين بإقليم المنوفية ، قبض عليه العسكر وأحضره إلى

(١) ٥ شعبان ١٢١٦ هـ / ١١ ديسمبر ١٨٠١ م . (٢) ٩ شعبان ١٢١٦ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨٠١ م .

مصر ، وقتل بالرميلة ، فانسرَّ النـاس بترادف مثل هذه الأمور ، وما يترتب على ذلك من استئصال أصحاب الشرور .

وفيه [1] ، كتب فرمان إلى ناحية البحيرة ، وصورته :

« صدر الفرمان الـعالى السلطانى ، وأمـرنا الجليل الخاقانى ، إلـى قدوة النواب المتشرعين نـائب البحيرة ، زيد علمـه ، وإلى كامل المشايخ من عـربان الهنادى [2] ، والأفراد والجمعيات ، والبهجة[3] ، وبنى عونة[4] ، عموما زيد فى عشيرتهم .

بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايونى الحكمى . تحيطون علمًا ، أنهيتم إلى ديواننا الهمايونى أنكم من قديم الزمان ، منازلكم أبا عن جد ، فيافى البحيرة وفدافدها[5] ، وأنكم تحت قدم الطاعة والمحافظة للرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة ، والتمستم من عواطف مراحم سلطتـنا السنية ودولتنا الخاقانية ، استقراركـم فى منازلكم القديمة كما كنـتم ، حكم/ السنـين الخوالى ، فحيث أنه جـرت العادة أن قبائل الـعربان فى الديار المصرية ، كـل قبيلة لها منزلة مخصـوصة بهم لاينازعهم فيها غـيرهم ، ومنزلة البحيرة من قديم الزمان تنزلوها . فبحسب التـماسكم مراحم دولتنا العلية قد أقررناكم فى منازلكم المزبورة ، كـما كنتم قديمًا نازلين بها من غير منـازع لكم ، بالشروط التى تعهدتم بها ، وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها سندًا عليكم وهى :

١٩١ أ/

أن توفوا بعدم التـعدى ، وإيصال الرزية والمضرة ، ولو مقـدار ذرة إلى الرعايا ، وديعة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات ، وعدم إتلاف شىء من مزروعات أهل البلاد وإضاعة مواشيهم ؛ وأنه لاتسكنوا عـندكم شقيًا من اللصوص وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتـل النفوس بغير حق شرعى . وقد نذرتم عـلى أنفسكم أنه متى اخـتل شرط من هـذه الشروط المذكورة ، تـقومون بدفـع مائتى ألـف قرش إلى خزينة مصر .

(١) ٩ شعبان ١٢١٦ هـ/ ١٥ ديسمبر ١٨٠١ م .

(٢) عربان الهـنادى : جدهم هند بـن سلاَّم بن الذئب من أبى الـليل ، ونزل بطن الـهنادى من ضمن الـسلالة ، قدموا من برقة بليبيا إلى البحيرة . الطيب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ .

(٣) عربان البـهجة : سكنوا بـغرب الإسكندرية ، وسـميت بلدة بهـيج ، ثم تفرقت عـشائرها وعائلاتـها فى قرى البحيرة، والغربية ، والدقهلية ، والمنوفية ، وأسيوط ، وسوهاج . نفس المرجع ، ص ٤٠٤ .

(٤) عربان بنى عـونة : أول فرقة فى السعادى تنزل إلـى مصر فى الصحراء الغربـية ، والمناطق الساحلية الـشمالية ، والبحيرة ، ومنهم فـرقة فـى البـدارى بأسيوط ، وأغلب عائلاتهم فى قرى البحيرة ، والغربية . نفس المرجع ص ٤٠٤ .

(٥) فدافدها : أى الفلوات أو الصحراوات التى تقع فى ولاية البحيرة آنذاك .

فبناء على ذلك أصدرنا فرماننا الشريف ، وأمرنا العالى المنيف ليكون معلومكم ، أنه من قاعدة الديار المصرية ، كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها مخصوصة بها ، وقد أقررناكم فى منازلكم القديمة فى فيافى البحيرة وفدافدها ، بالشروط السالفة الذكر التى التزمتموها ، والنذور التى قبلتموها ، وتعهدتم وكتبتم على أنفسكم سندًا ، أنه متى اختل شرط من الشروط / المذكورة ، بعد دفعكم المائتى ألف قرش ، يكون إخراجكم من البحيرة وبلادها وفيافيها ، والطلوع من حقكم ، فتعملون بموجب مضمون أمرنا الشريف ، كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ما هو مسطور وَمُوَضَّحٌ ؛ اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد ، والحذر ثم الحذر من الخلاف . /١٩١ ب

تحريرًا فى أواخر شهر شعبان المعظم سنة ستة عشر ومائتين وألف » (١) .

وكتب بمضمونه حجة ، وامضى عليها حضرة قاضى العسكر ، وقيدت بالسجل المحفوظ . وهى من إنشاء صاحبنا الحسيب النسيب اللبيب الأديب أوحد أذكياء مصر ، ونبلائها ، وتاج أدبائها الناظم الناثر ، جامع فضائل المآثر ، السيد إسماعيل الشهير بالخشاب ، أبقى الله حياته محروس الخباب ونصه :

« لما ورد الفرمان الشريف ، الواجب القبول والإجلال والإعظام والتشريف ، اليانعة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بعقود البلاغة أجياد معانى عبارته ، المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب ، التى يعجز كل بليغ عن سلوك أسلوبها العجيب من حضرة مولانا الصدر الأعظم ، والمشير المفخم ، عضد الدولة العلية ولسانها ، وحسامها الماضى وسنانها ، من أشرقت سماء الوزارة بشمس طلعته البهية ، وانجلى عنا ظلام الشرك بصياح غرته السنية ، وإشراق ضياء حسن سيرته المرضية ، مولانا الوزير يوسف باشا ، بلغه الله من المرادات ما شاء ؛ خطابًا إلى سائر الحكام والمتشرعين والنواب ، وسكان إقليم البحيرة من قبائل الأعراب ؛ ومن التحق بهم من الأبناء والذرارى ، والعشائر المخيمين منهم فى تلك / الفدافد والبرارى ، وما تضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم ، وعشيرتهم وجيرانهم ؛ والنظر إليهم بعين الإحسان والرعاية ، وإدخالهم سرادق الحفظ والوقاية ، بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة . وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة ؛ وأن يتجنبوا الخلاف ، ويعاملوا من يمر بهم بالإكرام والإعزاز والإنصاف . واردين مشرب الوفاق بالاتفاق ، غير مثيرين للفتن والنزاع والشقاق ، وألا يتجمعوا على الضلال ويتحزبوا ، ولا يقطعوا الطريق /١٩٢ أ

(١) أخر شعبان ١٢١٦ هـ / ٤ يناير ١٨٠٢ م .

على من يمر بهـم ويتعصبوا : ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِيـنَ يُحَارِبُونَ الـلَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا** ﴾[1] . واقطع حضرة مولانا الـصدر الأعظم المشار إليه ، خلـد الله جزيل نعمه وفـضله عليه ، كل قـبيلة منهـم منازلها المخصـوصة بها المعهودة ، وأظلهـم بظلال أمانه الظـليلة الممدودة ؛ حـين التمسوا ذلك مـن مراحم دولته ، وعـوارف عواطف رأفته ، بعـد التزامهم بما سـلف من الشروط علـى الوجه المشروح المحرر المضبوط ؛ وعلى أنهم إن عصوا أمره وخالفوه ، ونسوا ما تلى عليهم أو نسخوه ، أو قطعوا الطريق ونهبـوا الأموال ، أو آووا أشقياء ممن يفعل ذلك بحال من الأحوال ؛ أخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وحـل بهم من البلاء ما لايطيقون ؛ ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم فى العذاب الشديد : ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾[2] ؛ بعد أن تسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم ؛ حتى يـصيرون لا عين ولا أثـر ، ولا مخبر ولا خبـر ؛ ولا معالم ولا مـعاهد ، ولا مشارع [3] ولا موارد ؛ جزاء / بما أسلـفوا ، وعقابًا على ما اقتـرفوا ، إذا خالفوا . ١٩ ب/ وعاهد رؤساؤهم حـضرة مولانا الصدر الأعظم المـشار إليه عز نصره ، علـى ما تقدم ذكـره ؛ وكتب لـهم بذلك التوقيع السلـطانى ، والأمر الخاقانى المتضمـن لما تقدم من المعانى ، المتوّج بالعلامة الشريفة والطره السـلطانية المنيفة ، المبدأ بذكره المؤرخ بأواخر شعبان المعظم سنة سـتة عشر ومائتين وألف [4] . وحضر به إلى حضـرة مولانا شيخ الإسلام المومى إليه أعلاه ، كل من فلان وفـلان وفلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون .

ولما تأمل فيه وأحاط علمه الكريم ببديـع معانيه ؛ ونزه طرفه فى رياض فصوله ، ورآه جاريًا على قواعد الشـرع وأصوله ؛ والتمس منه الجماعة المذكـورون كتابة حجة متضـمنة لفحواه ، مـؤكدة له مقوية لمـعناه ؛ أمر بكتـابة هذا المرسوم ، علـى الوجه المشرح المرقوم ؛ وقيد ذلك بالسجل المحفوظ لـيراجع عند الاحتياج إليه ، والاحتجاج به .

جرى ذلك وحرر ، ورقم وسطر ؛ فى اليوم المبارك المـوافق لثانى عشرين شعبان سنة تاريخه[5] ، والله أعلم .

(١) سورة : المائدة ، رقم (٥) ، آية رقم (٣٣) . (٢) سورة : آل عمران ، رقم (٣) ، آية رقم (١٨٢) .
(٣) مشارع : جمع مشرعة ، وتعنى الماء الذى ترده الشاردة .
(٤) أخر شعبان ١٢١٦ هـ / ٤ يناير ١٨٠٢ م . (٥) ٢٢ شعبان ١٢١٦ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨٠١ م .

خاتمة

لما كانت حوادث الأيام لاتقف على حد ، واستقصاؤها لايدخل تحت قدرة أحد ؛ ناسب أن يجعل ختام هذا التاريخ شهر رمضان المعظم[1] ، وأن يكون عقد شهوره بواسطته مُتَمَّمٌ ؛ تفاؤلا بحصول الغفران ، وترادف سوابغ الإحسان ، فإنه شهر عظيم البركات ، كثير المبرات ، وافر الخيرات ؛ فيه تُضَاعَف الحسنات ، وتحط السيئات ، وتتوالى من الرحمن على عبيده رحماته ، وتتعاقب عليهم نعمه وهباته . ثم فى الختم به إيماءة إلى أن من ألَّفَ الكتاب باسمه ، وحُلِّيت ديباجته برسمه ، / وهو مولانا الوزير أدام علاه ، وتحلت الأيام بوجودها فيه وبقاه ، وجوده فى سائر الأنام ، كوجود شهر الصيام فى الأعوام ؛ به يزول الفساد ، وتكثر العباد ؛ وتنجبر القلوب ، وتخلص النيات فى كل مرغوب ؛ وأيضًا ففيه ليلة القدر ، التى هى خير من ألف شهر ؛ يترقب حصولها فى جميع لياليه ، ويبوء مترقبها بنجح مقاصده ، وشكر مساعيه ؛ فكذلك المشار إليه أبقاه الله ، ترقبت الأمة المحمدية من مدد متطاولة حلول ركابه السعيد بمصر ، ليزول عنهم بيمن قدومه وإشراق طلعته ما لحقهم من عظائم النوائب والإصر ، ويؤول الفساد للصلاح ، واليأس للنجاح ، ويحمد سعى كل وافد لسدته ، ورافع لدى مراحمه أسباب بغيته ؛ وأيضًا إن شهر الصيام مقدمة شهر العيد ، الذى هو موسم السرور المديد . وقد كان قدوم المشار إليه ، نظر الله بعين الرعاية إليه ؛ مفتاح أبواب المسرات التى طال انغلاقها ، ومعيد بهجة مصر التى كسف بظلام الكفرة إشراقها ، ثم لسدته التى هى ملثم شفاه الإقبال ، ومحط رجال أفاضل الرجال ؛ أهدى كاسد هذا التصنيف ، وخامل هذا الترصيف[2] ؛ فإن لاحظه بعين القبول ، وذلك هو المبتغى والمأمول ؛ راج فى معالم الأدب سوقه ، وبطالع السعود لاح شروقه ؛ شعر :

فَأَضْحت الآمَالُ مَجْلُوبَةً	لَدَىَّ والأيَّام مُنْقَادَهْ
حَمَّلَنى مِنْ جَمٍّ أفْضَاله	مَا لَوْ حَوَاهُ جَبَلٌ آدَهْ
لَمْ يَبْتَدِعْ شَيْئًا	جَرَى عَلَى الفَضْلِ الَّذى اعْتَادَهْ
وَلَيْس مَنْ يأْتِى العُلاَ كُلْفَةً	كمِثْل مَنْ يَأْتِى العُلاَ عَادَهْ
لاَزَالَ فِى عِزٍّ وفِى دَوْلَة	ونَال مِنْ دنْيَاه مَا ارْتَادَهْ/

/ ١٩٣ أ

/ ١٩٣ ب

(١) رمضان ١٢١٦ هـ / ٥ يناير - ٣ فبراير ١٨٠٢ م .

(٢) الترصيف : الجهد المتواضع .

١٩٤ أ/

مهنئًا بـنعم الله العظام ، المترادفـة عليه بشهر الصـيام ؛ وتقبل أعماله الـرفيعة ، ومبراته الباهرة البديعة ؛ واقتبال شهر العيد ، بتسامى رفيع طالعه السعيد :

جَزَى اللهُ عَنْ صَوْمِك الـرَّاحِلِ ... وَبَارَك فـى عِيـدكَ النـازِلِ
وَأَوْلاَكَ فـيـها الـسُّعُودَ الـتـى ... كَفَتْكَ الـسُّعُودَ إلـى قـابِلِ
ولـقَّاكَ آخـرَ اعْيَاده ... وَأَنْتَ عَلَى عِزِّكَ الـدابِلِ
وَلَوْ لَمْ تكـن طَوْقَ جِيدِ الـزَّمَانِ ... لأَصْبَحَ ذا عُنُـقٍ عَاطِـلِ

اللـهم يا سامـع الدعاء ، ويا مـجيب النـداء ، أحِل حلَّة الأيام بوجـوده ، أدمه محتفًا ببهجة عزه وإشراق سعوده ؛ مطـالع النواهى والأوامر ، مجدد ما بقى من آثار المآثر ؛ ناظم شمل المسلمين ولجمع الأعداء ناثر ؛ يَأْتِى من المعالى ما لايسبقه إليه أول ولا يلحقه فيه آخر ؛ ما طلع النيِّران ؛ متوالى الملوان :

سَعْدُ تـارِيـخـنَا بـإِقْبَال صَدْر ... بِمـعَالِى ثَنَائـه مَسْطُورُ
لـهـذا يـقُولُ بُشْرَاىَ أرِّخْ ... بـاجـتـنـاءِ الـسُّرُورِ جَاءَ الـوزيـرُ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ،
والحمد لله رب العالمين . وافق الفراغ
من هذه النسخة يوم الأربع ١٧
رجب سنة ١٢٩٣ [١] ،
على يد كاتبه الفقير :
أحمد رزق ،
غفر له
ولوالديه
أمين .

(١) ١٧ رجب ١٢٩٣ هـ / ٨ اغسطس ١٨٧٦ م .

الفهارس لكتاب*

مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس

للعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتى

★ رُتب هذا الكشاف ترتيبًا هجائيًا ، مع إغفال الـ ، ابن ، ابو .... ووجودها رسمًا واغفالها حكما . فمثلاً عند البحث عن كلمة ابن الباشا ؛ يكون المدخل « باشا » ... إلخ .

كشاف الاعلام

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(لا)

كشاف الأمم والجماعات والقبائل

(ب)

(ت)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

كشاف الأماكن والبلاد والمدن والجبال والبحار والأنهار والسفن والآثار والتحف والعملة

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(ن)

( )

(و)

(ى)

كشاف المصطلحات والوظائف

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ل)

(م)

(ن)

( )

(و)

(ى)

المحتوى

الموضـوع	الصفحة

EGYPTIAN NATIONAL L RARY

Center of Documents & Contemporary
History of Egypt

MAẒHAR AL-TAQDĪS

BI ZAWĀL DAWLAT AL-FARANSĪS

BY AL-DJABARTI

Edited by

Prof. ʿAbd al-Rahīm ʿAr. ʿAbd al-Rahīm



NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1998

MAẒHAR AL-TAQDIS

BI ZAWĀL DAWLAT AL-FARANSIS

BY AL-DJABARTI

دار الكتب والوثائق القومية
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس

تأليف
عبد الرحمن بن حسن الجبرتي

تحقيق
الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم



مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٩٨

مَظْهَرُ التَّقْدِيسِ
بِزَوَالِ دَوْلَةِ الفَرَنْسِيسِ

الجبرتى ، عبد الرحمن بن حسن ، ١٧٥٤ ـ ١٨٢٢ .
مظهـر التقـديس بزوال دولة الفـرنسـيس / تأليف عـبـد الرحمـن بن حسن الجـبرتى ؛ تحـقيق عـبـد الرحيـم عبد الرحـمن عبد الرحيم .ـ ط .ـ القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٩٨ .
٣٦٨ ص ؛ ٢٨ سم
تدمك 4 - 0141 - 18 - 977

٩٦٢،٠٢

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب.

تصدير

لا زالت كنوز دار الكتب المصرية من المخطوطات العربية تحظى بالقيمة الرفيعة بين مجموعات المخطوطات العربية فى العالم أجمع .

ولا يرجع ذلك إلى عددها فقط الذى يبلغ حوال ٥٧ ألف مخطوط ولكنه يرجع أيضًا إلى تنوعها بين مختلف فنون المعرفة من مخطوطات المصاحف الشريفة إلى علوم الفقه والفلك والطب والرياضيات إلى التاريخ إلى المؤلفات الموسوعية .

ومنذ إنشاء دار الكتب فى سنة ١٨٧٠ تم نقل أغلب هذه المخطوطات إليها من المساجد والجوامع الكبرى ومن بيوت الأمراء والأثرياء الذين كانوا حتى ذلك الوقت يتسابقون إما فى إقتناء أصول هذه المخطوطات أو فى نسخها من أصولها للاحتفاظ بها فى مكتباتهم الخاصة .

ومع مَرّ الزمن تزايد عدد المخطوطات العربية المقتناة فى دار الكتب حتى وصل إلى عدد كبير ذو قيمة عالية .

وقد بدأت دار الكتب منذ نشأتها فى التخطيط لتحقيق كتب التراث من مخطوطاتها ، وإن كانت المسميات التى أطلقت على هذا المشروع قد أختلفت من مشروع إحياء الآداب العربية إلى القسم الأدبى الذى إنشئ سنة ١٩٢٢ والذى أصبح الآن مركز تحقيق التراث ، ولكن اختلاف المسميات لم يؤثر على خطة التحقيق ولعل أقدم الكتب المحققة كان «الإنتصار لواسطة عقد الإمصار» لابن دُقْماق فى سنة ١٨٩٣ ثم «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» لابن إياس فى سنة ١٨٩٤ ثم توالت المخطوطات المحققة التى أصدرتها دار الكتب المصرية وحازت شهرة ومعرفة وانتشارًا لمؤلفين عظام مثل القلقشندى والجاحظ والشاطبى وأبى الفرج الأصبهانى والزمخشرى والنويرى والعُمَرى وابن تَغْرى بِرْدى وسيبويه والسيرافى والقرطبى وابن قتيبة والمقريزى وابن ظَهيَرة وغيرهم الكثير .

ونظرًا للصعوبة التى تكتنف عملية التحقيق والدقة الشديدة التى تتطلبها فإنها تستغرق من المحقق وقتًا وجهدًا كبيرًا ، فإذا إستعرضنا أحد المخطوطات القيمة التى تقتنيها دار الكتب المصرية وهو الكتاب الموسوعى للنويرى «نهاية الأرب فى فنون الأدب» نجد أن أجزاءه محققه بدأت فى الظهور سنة ١٩٢٣ بينما ظهر الجزء الأخير منها وهو يحمل رقم ٣٣ سنة ١٩٩٧ ؛ وتعاقب على تحقيق أجزائه هذه عدد كبير من الأساتذة المحققين .

ورغم أن المخطوطات المحققة التى أصدرتها دار الكتب المصرية قد بلغت حوالى المائة كتاب فإن ذلك لا يشكل قطرة فى بحر المخطوطات التى تحوزها الدار فى مختلف الفنون والمعارف ، لذلك فهى ترحب بأى اجتهاد شخصى فى مجال التحقيق للمخطوطات ولو كان خارج إطار خطتها بل إن الهيئة تشجع المحققين وتحاول تأهيل أجيال جديدة من المحققين من أبنائها تحت الإشراف العلمى لكبار المحققين القدامى والمحدثين .

ومن هذا القبيل ترحيب الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية بإصدار تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم لكتاب عبد الرحمن الجبرتى «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» .

ورغم أن تحقيق هذا المخطوط يخرج عن إطار عمل مركز تحقيق التراث طبقًا للتقسيم التاريخى ويدخل فى نطاق مركز تاريخ مصر المعاصر التابع للهيئة أيضًا ؛ إلا أن تلك ليست إلا أهمية ثانوية ، فالعمل فى حد ذاته عمل كبير حيث أنه يؤرخ لفترة هامة من فترات التاريخ المصرى ، وهى رغم كل ما قيل فيها إلا أنها مرحلة انتقالية هامة فى تاريخ مصر الطويل . كما أن الجبرتى ذاته كمؤرخ يعد علامة هامة من علامات التأريخ فى ذلك الوقت حتى أن

كتابه «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» لازال يحظى باهتمام عالمى ومحلى ولازالت طبعاته العربية والفرنسية والإنجليزية تصدر ويعاد إصدارها إلى اليوم ، ولعل من أقدم الطبعات المصرية باللغة الفرنسية هى الترجمة التى أصدرتها وزارة المعارف العمومية لكتاب الجبرتى عجائب الآثار فى تسعة أجزاء والتى توفر على ترجمتها إلى لغة فرنسية رفيعة المستوى مجموعة من المصريين هم الشيخ منصور بك وعبد العزيز خليل بك وغبريال نيقولا خليل بك وإسكندر آمون أفندى ، وهى الأسماء التى تتصدر الجزء الأول الصادر سنة ١٨٨٨ عن المطابع الأميرية بالقاهرة .

والعمل الذى نقدمه فى هذا الإصدار ليس إلا خطوة جديدة فى المشوار الطويل للهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية لتحقيق مخطوطاتها من كتب التراث النادرة وتقديمها للقارئ العزيز .

أغسطس ١٩٩٨

دكتور ناصر الأنصارى

رئيس الهيئة العامة

لدار الكتب والوثائق القومية

بسم الله الرحمن الرحيم

نقدم لأبناء مصر من الباحثين والمهتمين بتاريخ بلادهم ، وغيرهم من الباحثين كتاب « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » ، للمؤرخ الكبير عبد الرحمن بن حسن الجبرتى ، والذى يُعَدُّ مَصْدَرًا من المصادر الوثائقية الهامة ، التى رصدت تاريخ فترة تزيد على السنوات الثلاث قليلا ، من تاريخ مصر ، كانت منحنى تحول من القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر (١٧٩٨ - ١٨٠١ م) ، وبقدر ما كانت فترة الإحتلال الفرنسى تلك ، قاسية وشديدة على أجدادنا الذين عاشوها ، وقاوموا ظلمها وقسوتها ، فقد كانت لهم فى نفس الوقت صدمة حضارية قوية ، أثرت فيهم ، وتركت أثارها على مصر ومجتمعها فى الفترات اللاحقة .

والمؤرخ الذى نقدم له هذا المصدر اليوم ، هو : عبد الرحمن الجبرتى ، أحد أبناء مصر الذين عاشوا أيام مصر قبل الحملة الفرنسية ، وبعدها ، ورأى ووعى وسجل لنا، الواقع الذى عاشه أبناء المجتمع المصرى حضره وريفه ، وأدرك انعكاس الأحداث على مختلف فئات هذا المجتمع ، فرسم لنا صورة متكاملة عن كل مناحى الحياة المصرية إداريًا وَسِيَاسيًّا ، واقتصاديًّا واجتماعيًّا ، فجاء لتسجيله لذلك الواقع دقيقا ومتكاملاً .

أما الفترة التى سجل لنا الكتاب تاريخها فهى فترة « الحملة الفرنسية فى مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ م ، هى فترة احتلت فيها قوات الحملة مصر لمدة تزيد قليلاً على الثلاث سنوات ، وكانت أول غزو خارجى لمصر فى العصر الحديث ، كانت فترة احتلال قاسى منها الشعب المصرى الكثير من المتاعب ، ومع ذلك فإنها كانت نقطة تحول فى حياة المجتمع المصرى وتاريخه ، وَفَجَّرَتْ طاقات كانت كامنة لدى أبناء الشعب ، حضره وريفه ، وأشعلت فيهم روح الزود عن الوطن ، وأزكت فيهم روح المواطنة ، بعد غياب طال أمده ، ولم يتراجعوا عما اكتسبوه بعد ذلك .

والكتاب الذى نقدمه اليوم ، يرصد كل ذلك بدقة تامة ، نقدمه ليكون مصدر أساسيًا لأحفاد الأجداد الذين عاشوا تلك الفترة ، ليقفوا منه على الأسلوب الذى اتبعه قادة الحملة ورجالها والمتعاونين معهم مع الشعب المصرى وأسلوب إدارتهم . والله ولِىُّ التوفيق .

أ.د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

الشويخ - الكويت فى ٢٨/ ٥/ ١٩٩٨ م

مدخـــل

تطور فكرة احتلال مصر لدى السلطات الفرنسية

أ.د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

هناك أسئلة تطرح نفسها عند أي حديث عن الحملة الفرنسية على الشرق، أولها: هل فكرة الحملة هي بنت عصر الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م، وعصر القائد بونابرت؟، أم إنَّها فكرة سابقة على ذلك ؟ ، وما هي الدوافع التي كانت وراء هذه الفكرة ؟

عند الإجابة على هذه التساؤلات ، لأبُدَّ منَ التَأْكيد عَلَى أنَّ الفكرة ارتبطت بالتنافس الإستعماري بين بريطانيا وفرنسا ، وتَغَلُّب بريطانيا على فرنسا في حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣ م) ، وفقدان فرنسا لمستعمراتها في الشرق ، طِبْقًا لمعاهدة باريس ١٧٦٣ م ، ثُمَّ صُمُود بريطانيا أمام فرنسا وعدم هزيمتها في حروب الثورة الفرنسية بعد ١٧٨٩ م ، كان هذا دَافِعٌ مُحركٌ لفكرة الحملة وقت إرسالها .

وقد كانت فكرة الحملة أقدم من تلك الفترة ، فَإنَّ استقراء التاريخ ، يُنْبِئ ، بأَنَّ فكرة الحملة بدأت تظهر مع ظهور ضعف الدولة العثمانية ، وَشَغَلَت الكَثيرينَ منَ المفكرين ورجال السياسة والدبلوماسية ، من الوزراء والسفراء والمبعوثين والرحالة ، منذ أنْ عَرَضَهُ الفيلسوف ليبنتز Loibintz على لويس الرابع عشر في ١٦٧٢ م ، ثم راودت الفكرة ، أي فكرة إحتلال مصر ، الدوق دي شوازل De choiseul ، كبير وزراء لويس الخامس عشر ، عَلَى أنْ يتمَّ احتلال مصر ، عن طريق الإتفاق مع الدولة العثمانية ، والحصول منها عَلَى تَنَازُلِ عَنْ مِصْرَ ، لأنَّ الدولة العثمانية ، في رأي دي شوازل De choiseul ، لم يبق لها في مصر سلطة فعلية ، ولكن تنفيذ هذه الفكرة لم يخرج إلى حَيِّز التَنْفيذ ، وَظَلَّت الفكرة أَمَلاً يراود دي شوازل ، حتى سقطت وزارته ١٧٧٠ م ، ثم تجددت الفكرة في عهد الملك لويس السادس عشر ، حيث كتب بشأنها سفير فرنسا في استانبول « سانت بريست Sainte Praist » ، عدة مذكرات إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، وبعد البعثة التَفَقُّدِيَّة التي قام بها البارون دي توت De Tott ، لدراسة إمكانية احتلال مصر ، كتب تقريرًا إلى الحكومة الفرنسية ، بَسَطَ فِيهِ رَأْيَه ، في حالة الدولة العثمانية ، ونصح حكومة بلاده باحتلال مصر ، والتخلي عن سياسة الصداقة التقليدية مع الدولة العثمانية .

وكان كل من : بريست ودي توت ، يرى أنَّ إحتلال فرنسا لمصر ، سَيُؤَدِّي إلى توطيد مركزها التجاري في مصر ، وبلاد الشرق ، ويكسبها مركزًا ممتازًا في العالم .

وفى عـام ١٧٨٣ م ، قـدم المسـيو مـور Mure ، الذى كـان يعـمل قُنْصُلاً فـى الإسكندرية ، تـقريرًا للحكومة الـفرنسية ، تَنَبَّأ فيه بقـرب تفكك الدولة العثـمانية ، ونصح حكومة بلاده بضرورة إحتـلال مصر ، غَيْرَ أَنَّ الكونت فيرجان Vergennes ، وزير خارجية فرنسا فى ذلك العهد ، والذى عمل سـفيرًا لفرنسا لدى الدولة العثمانية لوقت طويل[1] ، لم يوافق على الفكرة ، لإعتقاده أن الدولـة العثمانية ليست وشيكة الإنحلال ، بالـصورة التى تَنَبَّأ بها بـريست Sainte Praist ، فى تـقاريره ، وأنه يـؤيد سياسـة فرنسا التقـليدية مع الدولـة العثمانيـة ، وهى السياسة الـقائمة على الـصداقة والود، ولذا فإنه وقف يعارض فكرة الإشتراك فى إقتسام أملاك الدولة العثمانية ، بل وَمَدَّ يَدَ العون للدولة العثـمانية ، حيث أرسلت الحكومة الفرنسيـة ، بعثة من الضباط والمهندسين ، لتقوية جيشهَا وأسطولهَا وثغورهَا .

وفى تلك الفـترة ، كانت وزارة الخارجية الفرنـسية ، قد ازداد اهتمامها بـتنشيط تجارة فرنسا فى مصر والشرق ، وأخذت تسعى لدى الدولة العثمانية من جهة ، ولدى البكوات المماليـك من جهة أخرى ، لحماية المتـاجر الفرنسية فى مصر ، ووقـايتها من العبث الذى يَحلُّ بها ، وسعت جادة لضمان مـرور تجارتها من أوربا والهند عن طريق مصر ، ولكن تصرفـات البكوات المماليك إزاء التجار الفرنـسيين ، وفرضهم الإتاوات المختـلفة علـى متاجـرهـم ، جعـل التجار الـفرنسـيين يشـكون إلى حكـومتهـم سوء معامـلتهم، لكن اضـطراب أحوال فرنسـا فى أواخر العهـد الملكى ، جعل الحـكومة الفرنسية ، تقف موقف التردد حيال ما يحدث مع تجارها فى مصر [2] .

قامت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م ، وأَطَاحَتْ بالملـكيِّة ، وَظَلَّ التجار الفرنسيون فى مصر ، يرفعون شكاواهم إلى حكومة الثورة من سوء معاملة البكوات المماليك لهم ، فاستجابت لهم حكومة الـثورة ، وَعَيَّنَتْ المسيو شارل مجاللون Charles Magallon ، قُنْصُلاً عامًا لـفرنسـا فى مـصر ١٧٩٣ م ، وكان مـجالـلون وَاسِعَ الخبـرة بالـشؤون المصرية، حيث عمـل بالتجارة فى مصر هو وزوجته أكثـر من ثلاثين عامًا ، وكان من أنصار فكرة احتلال فـرنسا لمصر ، ولذا فإنَّهُ أخذ يرسل إلى وزارة الخارجـية الفرنسية التـقارير والمذكـرات ، التى أَبَانَ فـيها ، عَبَثَ البـكوات الممـاليك ، بمـصالح التـجار

(١) لورنس ، هنرى ، شارل جيليسبى ، جان - كلود جولفان ، كلود ترونيكو : الحملة الفرنسية فى مصر بونابرت والإسلام ، ترجمة : بشير السباعى : سينا للنشر ، القاهرة ١٩٩٥ م ، ص ١٦ .

(٢) عبد الرحـيم ، عبد الرحيم عبـد الرحمن : تاريخ العـرب الحديث والمعاصر ، ط ٥ ، دار الكتـاب الجامعى ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ٢٠٨ .

الفرنسيين فى مصر ، وأوضح أن هذا العبث لَنْ يزول إلاَّ إذَا استعملت الجمهورية الفرنسية القوة مع هؤلاء البكوات ، وَرَغَّبَ حكومة بلاده فى احتلال مصر ، وأنَّ فرنسا إذَا أقْدمت على هذه الخطة ، فإنها ستنال من المَزَايَا السياسية والإقتصادية الشىء الكثير ، مِنْ وراء استثمار مواردها ، وامتداد نفوذهَا إلى البحر الأحمر ، وتهديد النفوذ البريطانى فى الهند [١] .

وقد استولت فكرة احتلال مصر على ذهن مجاللون، فسافر إلى فرنسا ١٧٩٧ م، وأخذ يَحُضُّ رجال الدولة على تحقيق هذا المشروع ، موضحًا لهم سهولة تنفيذه ، وتقدم بتقرير جديد فى هَذَا الصدد إلى وزارة الخارجية الفرنسية فاقْتَنَعَت بآرائه ، والتقت أراؤه مع ما كان يراه بونابرت Bonaparte ، من أنَّ غزو مصر ، لا يَقِلُّ أَهَمِيَّةً وأثرًا عن مشروع غزو بريطانيا الذى كانت تفكر فيه الحكومة الفرنسية ، والرأى العام الفرنسى .

والتقى معهمًا فى نفس الرأى تاليران Talleyrand ، الذى تقدم إلى حكومة الإدارة بتقرير ، يَحُضُّ فيه الحكومة بتنفيذ مشروع غزو مصر ، فاستجابت حكومة الإدارة له ، وتقرر تنفيذ المشروع [٢] .

وفى ١٢ أبريل ١٧٩٨ م ، أصدرت حكومة الإدارة قرارًا ، بوضع « جيش الشرق » ، أى جيش الحملة تحت قيادة بونابرت ، وفى نفس اليوم صدر قرار أخر ، يكلف فيه بونابرت باحتلال جزيرة مالطة ، وبدأ بونابرت بإعداد العُدَّة للحملة ، فأخذ فى اختيار الضباط والجنود مِنْ أكفأ القادة والمقاتلين الذين خَبَرَهُم فى حروب إيطاليا وحروب الراين ، فاختار (٣٦,٠٠٠) ألف مقاتل ، كما اختار (١٤٨) عضوًا ما بين عالم وأديب ومهندس ومَثَّال ، تتألف منهم « **لجنة العلوم والفنون** » ، وهى اللجنة التى كان لها شأن يذكر فى تاريخ الحملة .

وفى ١٩ مايو ١٧٩٨ م ، تحركت السفن من ميناء طولون الفرنسى ، ثم انضم إليها باقى السفن القادمة من الثغور الأخرى ، ووصلت الحملة إلى مالطة يوم ٩ يونيه ١٧٩٨ م ، فاحتلتها بعد مقاومة ضعيفة ، ونظم بونابرت حكومتها ، وترك بها قوة مكونة من (٣,٠٠٠) آلاف جندى ، تحت قيادة الجنرال فوبوا ، وكَوَّنَ فرقة من

---

(١) نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٢) شكرى ، محمد فؤاد ، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، دار الفكر ، ص ٢١ – ٨٣ .

فرسان القديس يوحنا تتكون من حوالى ألفين فرد ، أطلق عليها إسم « **الكتيبة المالطية** » ، وفى ١٩ يونيه ١٧٩٨ م ، تحركت الحملة من مالطة صوب الإسكندرية، وأنزل بونابرت جنود الحملة فى غرب الإسكندرية فى منطقة العجمى فى ٢ يوليه ١٧٩٨ م ، بعد وصوله يوم ١ يوليه ١٧٩٨ م ، إلى ميناء الاسكندرية ، وتمكن من احتلال المدينة فى نفس يوم إنزال جنوده غربى المدينة رغم مقاومة أهلها الباسلة ، وفى مساء يوم ٣ يوليه ، بدأت طلائع قواته تتحرك صوب القاهرة ، ثم تبعتها بقية القوات ، وقد تمكنت قوات الحملة بإنزال هزائم بقوات مراد بك فى الرحمانية وفى إمبابة . وبعد مطاردة قوات مراد بك وهروبها من الجيزة ، دَخَلَ بونابرت القاهرة فى يوم ٢٤ يوليه ١٧٩٨ م . ومنذ وصول بونابرت إلى الإسكندرية ، ومؤرخنا الجبرتى ، يرقب عَنْ كَثَبٍ الأَحْدَاثَ ، وَيُدَوِّنُ يومياته عنها ، والتى ضمن كتابه الرسمى الذى قدمه ، للصدر الأعظم العثمانى ، يوسف باشا ضيا ، الكثير من تسجيلاته ، ثم أضاف بقية التسجيلات فى النسخة المعدلة التى ضمنها كتابه عجائب الآثار فى التراجم. الجزء الثالث .

تسجيلات عبد الرحمن الجبرتى عن الحملة الفر ـ

« مظهر ا ... يس بزوال دولة الفرنسيس »

خَصَّ عبد الرحمن الجبرتى ، الحملة الفرنسية بثلاثة مؤلفات هى :

١ - « **تاريخ مدة الفرنسيس بمصر (محرم ١٢١٣ - رجب ١٢١٣ هـ)** » / ١٥ يونيه - ديسمبر ١٧٩٨ م)

وقد اقتصر فى هذا المؤلف على تدوين أحداث السبعة أشهر الأولى من تواجد الحملة الفرنسية فى مصر .

٢ - « **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** » .

وهو تسجيل كامل عن أحداث الحملة بمصر ، طوال مدة تواجدها ، وقد ضَمَّنَ هذه النسخة بَعْضًا من رسائل الشيخ حسن العطار وشعره ، وقد قُدِّمَ هذا الكتاب، إلى الصدر الأعظم العثمانى ، يوسف باشا ضيا ، لأنه طلب من العلماء فى بلبيس كتابة تاريخ وقائع الحملة فى مصر .

٣ - « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، **الجزء الثالث** ، حيث ضَمَّنَ

القسم الأول من هذا الجزء ، نسخة معدلة لمظهر التقديس ، أَدْخَلَ عليها تعديلات كثيرة وتفصيلات غير موجودة فى النسخة المفردة ، وهو فى هذه النسخة أكثر موضوعية وواقعية ، مما كان عليه تسجيله فى النسخة الأولى .

والكتاب الثانى « **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** » ، والذى نقدمه اليوم للباحثين والمتخصصين ، عبارة عن تسجيل يومى ، لأحداث التواجد الفرنسى على أرض مصر ، منذ وصول الحملة إلى الإسكندرية فى ١ يوليه ١٧٩٨ م ، بقيادة بونابرت ، وحتى أخر يوم من أيام هذا التواجد الفرنسى ، وقد أضاف الجبرتى ، لتسجيلاته ، ما كتبه صديقه الشيخ حسن العطار نثرا ونظما ، وبعض المادة التى كان قد جمعها فى تراجمه من قبل ، وأخرج من كل ذلك مؤلفه « **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** » ، الذى قدمه إلى الصدر الأعظم العثمانى ، يوسف باشا ضيا ، الذى طلب من العلماء عند استقبالهم له فى مدينة بلبيس ، كتابة تاريخ تلك الفترة ، وأَنْ يُدَوِّنُوا حوادثها لتكون عبرة لمن يعتبر ، وتسابق بعض العلماء ، وبخاصة : الشيخ عبدالله الشرقاوى ، والشيخ المهدى الكبير ، وكذلك نقولا ترك فى تحقيق تلك الرغبة ، ولكن كتاباتهم ، جاءت أَقَلُّ قيمةً مما كتبه الجبرتى ، الذى كان أوفرهم حظًا فى بلوغ الغاية ، وقدم كتابه إلى يوسف باشا ضيا ، فأحسن استقبال الكتاب ، وكافأه على عمله هذا مكافأة سخية ، وعند عودته إلى عاصمة الدولة العثمانية ، قَدَّمَهُ للسلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧ م) ، الذى أمر كبير أطبائه مصطفى بهجت بنقله إلى اللغة التركية سنة ١٢٢٢ هـ / ١١ مارس ١٨٠٧ - ٢٧ فبراير ١٨٠٨ م .

وقد أُعْجِبَ يوسف باشا ضيا بالجبرتى كعالم فَلَكٍ ، فعهد إليه تحرير التقاويم والتوقيت ، ورتب له جُعْلاً سخيًا نظير ذلك [1] .

والجبرتى فى هذا الكتاب ، يتخلى عن موضوعيته ، ويحمله حملة شديدة على الحكم الفرنسى ، فلا ينظر إلى الأحداث نظرة مجردة ، بل يرى فى كل عمل فرنسى، أمر بغيض ، خاصة وأن الحكم الفرنسى ، حكم غير إسلامى ، يتبع أسلوب القسوة والعنف ، ولما كان الكتاب مقدم للصدر الأعظم العثمانى ، وهو شخصية

(١) الجبرتى : عبد الرحمن : « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » ، تحقيق : أحمد زكى عطية ، طبع وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٩٦١ م ، جـ ١ ، ص ٩ - ١٠ .
- شيبوب ، خليل : عبد الرحمن الجبرتى ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٨٩ .

رسمية ، فإنَّ الجبرتى بَدَا فيه مؤيدًا للحكم العثمانى والدولة العثمانية ، فجاء كتاريخ رسمى للحملة ، بعكس ما فعله فى النسخة المُعَدَّلَة من « **مظهر التقديس** » ، والتى أدْرجَهَا فى الجزء الثالث من كتابه « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، حيث نجده فى هذه النسخة ، يحمل على : المماليك ، وعلى الحكم الفرنسى ، بصورة أقَلُّ مما كان عليه فى النسخة الأولى ، ثم يَحْمِلُ على الحكم العثمانى الذى أعقب خروج الفرنسيين ، واعتبره أشَدُّ وطأة من حكم الفرنسيين ، رغم إسلاميته ، ورأى أنَّ الأحوالَ تسير من سيء إلى أسوأ [1] .

والجبرتى فى « **مظهر التقديس** » ، يبدأ تسجيله للأحداث ، عندما تصله الأخبار عن وصول الفرنسيين إلى الإسكندرية يوم ١٨ محرم ١٢١٣ هـ / ٢ يوليه ١٧٩٨ م ، ودخولهم المدينة من بابها الغربى ، فيصاب مثل بقية أهل مصر بالانزعاج، وَوَصَفَ رُؤْيَتَهُ ، لحدوث هذا الحدث فى هذه السنة التى رأى فيها « أولى سنِّى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النَّازِلَةِ ، والنَّوَازِلِ الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالى المحن ، واختلاف الزمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتتابع الأَهْوَالِ ، واختلاف الأَحْوَالِ ، وفساد التَّدْبِيرِ، وحصول التَّدْمِيرِ ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ﴿ وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾[2] .

كذلك يرصد الجبرتى من واقع المكاتبات التى وصلت إلى سلطات القاهرة من أهالى الإسكندرية ، موقف أهل الإسكندرية بزعامة السيد محمد كريم ، من الأسطول الإنجليزى الذى وصل إلى الإسكندرية للبحث عن الأسطول الفرنسى ، وَطَلَبَ رَسُولُ الأسطول الانجليزى من أهل الإسكندرية ، أنْ يَسْمَحُوا لهم بالوقوف « فى البحر محافظين على الثغر ، وتمدونا ، بماء وزاد بثمنه ، فلم يجيبوهم لذلك » ، وقالوا : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا غيرهم عليها سبيل ، فاذهبوا عنَّا ، فعندها ، عادت رُسُولُ الإنجليز ، وأقلعوا فى البحر ليمتاروا من غير الإسكندرية، وليقضى الله أمْرًا كان مفعولاً » [3] .

(١) أنيس ، محمد أحمد ، مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٤٠ .

(٢) الجبرتى ، عبد الرحمن : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جـ ٣ ، ص ١ . الآية القرآنية فيها تحريف وصحتها ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ سورة: هود، رقم (١١ ، آية رقم (١١٦) .

(٣) الجبرتى ، عبد الرحمن ، « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » ، تحقيق : عبد الرحيم ، عبد الرحمن عبد الرحيم ، النص المنشور فى هذه الطبعة ، ص ١٨ .

وما كاد الأسطول الانجليزى يغيب عن مياه الإسكندرية ، حتى وصل الأسطول الفرنسى بقيادة بونابرت ، ورغم ضراوة أهل الإسكندرية فى الدفاع عنها ، فإنَّ مقاومتهم فَتَرَت ، وضعفت همتهم « وعلموا أنهم مأخذون بكل حال » ، فَطَلَبُوا الأَمَانَ « فأَمَّنُوهُم ، ورفعوا عنهم القتال ، وَمِنَ الحصون أنزلوهم ، ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد ، ورفع بنديراته عليها » [١] .

ومنذ وصول هذه الأخبار ، والجبرتى يُقَيِّدُ مذكرات شبه يَوْمِيَّة ، عن التواجد الفرنسى فى مصر ، وهى التى كانت القاعدة الأساسية لكل ما كتبه عن الحملة الفرنسية ، وعلى رأسها كتابه الأول « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » ، والذى من قراءته نخرج بالملاحظات التالية :

أولاً : حرص الجبرتى فى تسجيله للأحداث اليومية للحملة الفرنسية فى مصر ، أن يحفظ لنا نصوص جميع القرارات والمنشورات التى تصدر عن بونابرت ، القائد العام ، وقادة الحملة بعده ، وما يصدر عن رجالها ، وكان ينقد لغة هذه البيانات والأوامر والقرارات ، وفحواها ، وما تحويه من تمويه ، ومهما كان موقف الجبرتى من نقده للغتها وفحواها ، فهو مما لا ريب فيه ، حفظ لنا هذا الكم الهائل من هذه الوثائق الأصلية التى ترسم أسلوب قادة الحملة فى تعاملهم مع الشعب المصرى ، كما أنها وثائق رسمية وأصلية لنظام الإدارة الذى وضعه قادة الحملة لحكم مصر ، فى فترة التواجد الفرنسى [٢] .

ثانيًا : الجبرتى فى رصده الأحداث اليومية ، لا ينسى آثارها وانعكاساتها على المجتمع المصرى ، حَضَرَهُ وَرِيفَهُ ، وحالة الفزع والرعب التى استولت على قلوب مختلف فئات الشعب المصرى ، من جراء حالة الفوضى والاضطراب التى أصبح يعيشها ، رجال الإدارة والبكوات المماليك ، ساعة دخول الفرنسيين ، وهروبهم من مواجهة قوة الحملة ، وترك فئات المجتمع الأخرى ، تواجه مصيرها مع الحملة [٣] .

ثالثًا : رصد المؤلف فى يومياته الأحداث كما وقعت ، وانتقد ما لا يتوافق ومنهجه فى كتابة التاريخ ، ذلك المنهج القائم على فكرة « العدل » ، وهو يعنى العدل الإلهى ، وإِنْ حَادَ عن الموضوعية فى أحكامه القاسية على الحكم الفرنسى [٤] .

---

(١) النص نفسه ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر : ص ٢٣ - ٢٩ ، ص ٦٣ - ٦٤ وإلى آخر الكتاب .

(٣) نفسه ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٤) نفسه ، ص ٣٧ ، ٣٩ - ٤٠ .

رابعًا : سجل ما تعرض له الشعب المصرى فى الريف والحضر ، من المصادرات المختلفة ، لِمَا بأيدى الناس « من مال وعقار وميراث وغير ذلك » ، وتحميلهم لرسوم مكررة ، فى كل خطوة من خطوات إثبات ملكيتهم ، إذا كانت لديهم حجج ومستندات أو مسجلات ، وكذلك كان فى حالة المواريث [1] .

خامسًا : رصد أحداث ثورة القاهرة الأولى ، وضراوة معاركها ، وضرب الفرنسيين لخط الجامع الأزهر ، بالقنابل بعنف ، ودخولهم الجامع الأزهر ، مركز الثورة « وهم راكبون خيولهم ، وَوَلَجُوهُ مِنَ الباب الكبير ، وخرجوا من الباب الثانى، حيث موقف الحمير ، وداس فيه المشاة بالنعالات ، وهم يحملون السلاح والبندقيات ، وتفرقوا فى صحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والبحرات ، وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع ، والأوانى والقصاع ، والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالاتهم داسوها » ، ويواصل تسجيله للفظائع التى ارتكبها الفرنسيون فى الجامع الأزهر ، إلى أن ينهى حديثه بقوله « وأعطى تلك الليلة جيش الرحمن فسحة لجيش الشيطان ، لرهن لزمه فَأَدَّاهُ ، وَقَطْعٍ كَانَ عَلَيْهِ فَتَعَدَّاه » . ويرصد أنه نتيجة لثورة القاهرة « بَطُلَ الاجتماع بالديوان المعتاد ، وأخذوا فى الاهتمام بعمل متاريس فى عدة جهات ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا عدة أماكن بالجيزة وحصنوها تَحْصِينًا زَائدًا ، وكذلك مصر العتيقة ، ونواحى شبرا ، وانبابة » ، كما رصد الأماكن التى هَدَمُوهَا إلى أن انتهى بقوله « بحيث عَمَّ جميع الأماكن الخراب ، وَزَعَقَ فيها البوم والغراب » [2] .

سادسًا : سجل الجبرتى فى كتابه هذا ، وإِنْ لَمْ يكن باستفاضة كما فعل فى النسخة المعدلة ، الكساد الاقتصادى الذى حَلَّ بمصر والمجتمع المصرى ، أثناء التواجد الفرنسى فى مصر فذكر « وتعطل الأسباب ، ووقف الحال ، وكساد الصنائع ، وغلو البضائع ، وانقطاع الأخبار ، وَمَنْعِ الجالب بَرًّا وَبَحْرًا ، ووقوف الانجليز واستمرارهم بالبحر ، وشدة حجرهم على الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ ، حتى غلت جميع الأصناف المجلوبة ، وانقطع أثر كبير منها ، بحيث لم يبق له وجود بِبَرِّ مِصْرَ ، وبطل جملة من الصنائع ،

(١) نفسه ، ص ٥٧ ، ٦٥ .

(٢) نفسه ، ص ٧٢ ، ٧٦ .

وافتقر أهلها واحتاجوا إلى التكسب بالحرف الدينية » ، وعمل أهل الحرف ببيع الأطعمة والأشربة للجنود الفرنسيين ، « وكان أكثر أهل الحرف التى بطلت عمل : حَمَّارًا مكَّاريًا » ، لرغبة الفرنسيين الشديدة فى ركوب الحمير ، حتى أنَّ الشيخ حسنُ العَطَّار قال عند توجههم إلى بلاد الشام .

إنَّ الفَرَنْسِيسَ قَدْ ضَاعَتْ دَرَاهِمَهُمْ فِـى مِصْرَ مَـا بَيْنَ حَمَّارٍ وَخَمَّارِ

وَعَنْ قَرِيبٍ لَهُمُ فِى الشَّامِ مَهْلَكَةٌ يَضِيعُ فِيهَا لَهُمُ أجالُ أعْمَارِ[1]

سابعًا : سجل الجبرتى أحداث الحملة على بلاد الشام ، وحفظ لنا جميع المكاتبات التى أرسلها بونابرت من الشام ، والمكاتبات التى أرسلت إليه ، فحفظ هذه الوثائق الهامة ، ورسم لنا صورة بالغة الدقة عن حالة الجنود الفرنسيين ساعة عودتهم إلى مصر ، وحمد الله أنهم لم ينتصروا على أحمد باشا الجزار ، قائلاً : « وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة ، وقد تغيرت ألْوانِ العسكر القادمين ، واصفَرَّت أبْدَانهُم ، وَقَاسُوا مَشَقَّةً عظيمة مِنَ الحَرِّ وَالتَّعَبِ ، ولم يَظْفَرُوا بمقصودهم من أحمد بَاشَا والحمد لله ، ورجعوا من غَيْرِ طَائِلٍ ، وأقَامُوا على حِصَارِ عكّا أربعة وستين يومًا مُسْتَدِيمَةً لَيْلاً وَنَهَارًا ، وأَبْلَى أحمد بَاشَا وعسكره بَلاَءً حَسَنًا »[2] .

ثامنًا : سجل أحداث ثورة القاهرة الثانية ، ضد الفرنسيين ، وترك وصفًا دَقِيقًا للحال التى أصبح يعيشها المجتمع القاهرى ، « مِنْ اشتعال نيران الحرب ، وشدة البلاء والكرب ، وَوُقُوعِ البُنْبِ على الدور والمساكن من القلاع وَالهَدْمِ والحرق ، وصراخ الناس من البيوت ، والصغار من الخوف ، والجزع والهلع مع القحط ، وَفَقْدِ المآكل والمشارب ، وغلق الحوانيت والطوابين والمَخَابِزِ ، ووقوف حال الناس من البيع والشراء ، وَتَفْلِيسِ الناس ، وَعَدَمِ ما يُنْفِقُونه إِنْ وجدوا شيئًا »[3] .

تاسعًا : رصد لنا الجبرتى فيما سجله بيومياته ، التخريب والهدم الذى أحدثه الفرنسيون ، فى أحياء القاهرة ، بعد أنْ تَجَدَّدَ القتال بينهم وبين العثمانيين ، فذكر لنا المبانى التى هدمت بالأزبكية ، وبولاق القاهرة ، ومدينة القاهرة ذاتها ، وبركة الفيل التى ذكر عنها أنَّ « مَا حَوْلها مِنَ الدُّورِ والمُتَنَزَّهات والبساتين ، فإنَّها صارت كلها تِلاَلاً

(١) نفسه ، ص ١٠١ .

(٢) نفسه ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٣) نفسه ، ص ١٧٩ .

وَخَرَائِبَ وَكِيمَان أتـربة ، وقــد كانـت هذه الـبركـة مِنْ أجمل مُتَنَزّهـات مصـر قديمًا وحديثًا » [١] .

عاشرًا : بعد انتـصار الفرنسيـين على العثمانـيين ، ودخولهم القـاهرة ، فرضوا عقـابا مَادِّيًا عن كل فـئات المجتـمع القـاهرى ، حيث « شـرعوا فى تَفْرِيـدِ الغَرَامَاتِ وَتَوْزِيعهَا ، وتقسيمها عـلى عموم الناس وخاصتهم من الملتزمين والـتجار والمتسببين ، وجماعة الغورية ، وخان الخليلى ، والصاغة ، والنحاسين ، والدلالين ، والقبانية ، حتى قضاة المحاكـم ، وأهل الجمالية ، وسائر الأخطاط ، بمـا تحوى من : الوكائل ، والعـطارين ، والزيـاتين ، والجزاريـن ، والمزينين ، والحـدادين ، وجمـيع الصنـائع والحرف حتى : الحواة ، والمفزلكين ، والمساخـرين ، والقرداتية ، والأمور السافلة ، كل طائفة من هذه الطوائف ، أُلْزِمَتْ بِمَالٍ له صورة ، مثل : ثلاثين ألف ريال فرانسة إلى ثلاثمائة فَمَا فوق » . فضاق الحال بالناس ، واضطربت أحوالهم [٢] .

حادى عشر : ازدادت عمليات المصادرة ، فى شهر ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسـطس - ١٩ سبتمـبر ١٨٠٠ م ، ضد كـافة فئـات المجتمع المـصرى ، فاستـولى الفرنسيون ، على ما فى الوكائل والخانات من بضائع مختلفة، وأخذوا الودائع وَصُرَرَ الدراهم والدنانير «وكان صاحب المحل لايقدر على الدُّنُوِّ منه ولا يتكلم» كما « حرروا دفاتر العشـور ، وأحصوا جميع الأشياء الجلـيلة والحقيرة وَرَتَّبُوهَا بدفاتـر ، وجعلوها أقلامًا مفردةً » [٣] .

ثانى عشر : كان الجبـرتى ، يدرك أنه يكـتب كِتَابًا ، لِيُقَدَّمَ لشخـصية عثمـانية رسميـة، وهو : يوسف بـاشا ضيا الصـدر الأعظم ، هذا من نـاحية ، ومن نـاحية أخرى، فإِنَّهُ كان يرى فى الحكم الفرنسى ، حُكْمًا غير إسلامى ، ويعلم أَنَّ الفرنسيين على غـير عقيـدة الإسلام ، لذا فإِنَّهُ حـرص ، أَنْ يَنْعَتَ كل شخص فـرنسى مُتَنَفِّذٌ ، بنعت « الـلَّعِين » أو « الكافِرُ اللَّعِينُ » ، وكذلك نعـت كل من تعاون معهـم من غير المسلمين[٤] .

(١) نفسه ، ص ١٨١ ، ١٨٥ .
(٢) نفسه ، ص ١٩٠ .
(٣) نفسه ، ص ٢٠٦ .
(٤) انظر على سبيل المثال الصفحات : ٥٥ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٩٧ ، ١٤٢ ، ١٧٧ ، ١٩١ .

بين النسخة الأولى والنسخة المعدلة من
« مظهر ا [illegible] يس بزوال دولة الفرنسيس »

جاء كتاب « **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** » ، كوثيقة رسمية ، مقدمة إلى شخصية عثمانية رسمية ، وكان الجبرتى حتى تقديمه كتابه للصدر الأعظم العثمانى ، من أنصار « الدولة العثمانية » ، ولذا فإنَّهُ حرص ألاَّ يذكر فيه أيَّ عملٍ مَحْمُودٍ للفرنسيين ، ثم إنه لما رأى بعد خروج الفرنسيين الأسلوب الذى سار عليه العثمانيون فى حكم مصر ، استنكر ذلك منهم ، ولما كتب الجزء الثالث من كتابه « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ضَمَّنَ القسم الأول والأكبر منه ، نسخة مُعَدَّلَةً من كتاب « **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** » ، أدخل عليها كثيرا من التعديلات والتفصيلات ، وأضاف تسجيلاته اليومية كاملة عن التواجد الفرنسى فى مصر ، وَعَدَّلَ كثيراً من آرائه ، وسنورد فيما يلى بعض التسجيلات من النسخة الأولى وصورتها المُعَدَّلَةُ فى الجزء الثالث من « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، كأمثلة على هذا التعديل :

١ - « **مظهر التقديس** » : **٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م** ، « وفيه سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ، ولماذا لم يعملوه كعادتهم ؟ ، فاعتذر الشيخ البكرى بتوقف الأحوال ، وتعطل الأمور ، وعدم المصروف ، فلم يقبل ، وقال : « لأَبُدَّ مِنْ ذلك » ، وأعطى للشيخ البكرى ثلاثمائة ريال فرانسة يستعين بها ، فعلقوا حبالا وقناديل ، واجتمع الفرنسيس يوم المولد ، ولعبوا ودقوا طبولهم ، وأَحْرَقُوا حُرَّاقَةً فى الليل ، وسواريخ تصعد فى الهواء نفوطًا » [١] .

٢ - « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، **الجزء الثالث : ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م** ، « وفيه : سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ، ولماذا لم يعملوه كعادتهم ؟ ، فاعتذر الشيخ البكرى بتعطل الأمور ، وتوقف الأحوال ، فلم يقبل ، وقال : « لأَبُدَّ من ذلك » ، وأعطى له ثلاثمائة ريال فرانسة معاونة ، وأمر **بتعليق تعاليق** ، وأحبال وقناديل ، واجتمع الفرنساوية يوم المولد ، ولعبوا **ميادينهم** ، وضربوا دبادبهم { **وأرسل الطبلخانة الكبيرة إلى بيت الشيخ البكرى ، واستمروا يضربونها**

(١) نفسه ، ص ٤٧ .

بطول النهار والليل بالبركة تحت داره ، وهى عبارة طبلات كبار مثل طبلات النوبة التركية ، وعدة آلات ومزامير مختلفة الأصوات مطربة ، وعملوا فى الليل حراقة نفوط مختلفة وسواريخ تصعد فى الهواء } » [1] .

١ - « **مظهر التقديس** » ، **حوادث ٢١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ /** ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ م ، « وفى تلك الليلة ، كثر مرورهم بالأسواق ، فكانت الكلاب تعضهم ، فأطعموها خبزًا مسمومًا ، فأكلوه ، فمات جملة كبيرة من الكلاب ، فلما طلع النهار ، وجدوا الناس الكلاب مرمية بالأسواق ، وهى ميتة ، فاستأجروا لها مَنْ جَرَّها إلى الكيمان » [2] .

٢ - « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، **الجزء الثالث ، حوادث ٢١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ /** ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ م ، « وفى تلك الليلة: طاف منهم أنفار بالأسواق ، **ومعهم مقاطف بها لحوم مَسْمُومَةٌ** ، فأطعموها للكلاب ، فمات منها جملة كثيرة ، فلما طلع النهار ، وجد الناس الكلاب مرمية، **وطرحى بالأسواق** ، وهى موتى ، فاستأجروا لها من أخرجوها إلى الكيمان { **وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون بالأسواق فى الليل ، وهم سكوت ، كانت الكلاب تنبحهم ، وتعدو خلفهم ، ففعلوا بها ذلك، وارتاحوا هُمْ والناس منها** } » [3] .

١ - « **مظهر التقديس** » ، **حوادث ١٦ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ /** ١٧ سبتمبر ١٧٩٩ م ، « وفى سادس عشره ، نودى بنشر الحوائج ، وكتبوا بذلك أوراقا ، وألصقوها بالأسواق ، وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر ، وأخذوا دراهم على ذلك ، وزاد عليهم فى هذا العام عسكرى فرنساوى ، يطوف مع المقيدين بذلك، وهم جماعة من طرف مشايخ الحارات نساءً ورجالاً » [4] .

٢ - « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، **الجزء الثالث ، حوادث ١٦ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ /** ١٧ سبتمبر ١٧٩٩ م ، « وفى سادس عشره ،

(١) الجبرتى ، عبد الرحمن : « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » ، جـ ٣ ، تحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٨ م ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) « مظهر التقديس » ، ص ٨٣ .

(٣) « عجائب الآثار » ، جـ ٣ ، ص ٥٤ .

(٤) « مظهر التقديس » ، ص ١٥٤ .

نودى بنشر الحوائج ، وكتبوا بذلك أوراقا ، وألصقوها بالأسواق ، وشددوا بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات { **ومع كل منهم عسكرى من طرف الفرنساوية ، وامرأة أيضًا ، للكشف على أماكن النساء ، فكان الناس يأنفون من ذلك ، ويستثقلونه ويستعظمونه ، وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها، كقولهم : إنما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم ، مع أنه لم يكن شىء سوى التخوف من العفونة والوباء** } » [1] .

١ - « **مظهر التقديس** » ، **حوادث ٢٨ رجب ١٢١٥ هـ** / ١٥ ديسمبر ١٨٠٠م ، « ثم طلبهم فى ثانى يوم ، فذهبوا ، وصحبتهم جماعة من العسكر ، يحملون البنادق ، فقابلوه وعرف شأنهم ، وخلى سبيلهم ، فذهبوا إلى منازلهم » [2] .

٢ - « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، **حوادث ٢٨ رجب ١٢١٥ هـ** / ١٥ ديسمبر ١٨٠٠ م ، « ثم طلبهم فى ثانى يوم ، فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر **بالبندق تحرسهم** ، فقابلوه ، وَمَنَّ عليهم بالاطلاق، وذهبوا إلى منازلهم » { **وفيه : منعوا الأغا ، والوالى ، والمحتسب ، من عوائدهم على الحرف والمتسببين ، فإنها اندرجت فى أقلام العشور ، ورتبوا لهم جامكية من صندوق الجمهور ، يقبضونها فى كل شهر** } » [3] .

هذه أمثلة بسيطة على التعديلات التى أدخلها الجبرتى على نسخة « **مظهر التقديس** » ، التى سجلها فى الجزء الثالث من كتابه « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، فهو لم يترك فقرة ، إلاَّ وَعَدَّلَ فيها ، كما أنه أضاف إلى النسخة المُعَدَّلَة، تفصيلات محاكمة سليمان الحلبى ، قاتل كليبر ، والتحقيق الذى أجرى معه ، ومع مَنْ اتصل بهم ، بعد أن اختصر ذلك فى النسخة الأولى ، إختصارًا شديدًا ، كما أنَّ نسخة « **عجائب الآثار** » ، هى من عمل الجبرتى الخالص، بعد أن حذف معظم نصوص الشيخ حسن العطار ، عَدَا بعض الشعر الذى

---

(١) « عجائب الآثار » ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ .

(٢) « مظهر التقديس » ، ص ٢١٢ .

(٣) « عجائب الآثار » ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ .

استشهد به فى بعض الحوادث ، سواء أكان للشيخ حسن العطار ، أم لغيره ، وهناك تعديل أخر أضافه ، أنه تَرْجَمَ فى نسخة « عجائب الآثار » للعلماء وبعض الأعيان ، بينما لم يُتَرْجِمْ فى النسخة الأولى ، إلاَّ لبعض الأمراء ، فهو قد أدخل تعديلات كثيرة على النسخة التى قدمها للصدر الأعظم ، كما أَنَّهُ غَيَّرَ أرائه فى بعض أعمال الفرنسيين، وأبدى إعجابه فى أسلوب التحقيق الذى أجرى مع سليمان الحلبى .

إن الشىء الوحيد الذى لم يعدله الجبرتى ، **بل لازمه فى النسختين** ، وفى كتابه « **عجائب الآثار** » ، بأكمله ، هى نظرته لعامة الشعب المصرى ، فهو ينظر إلى هؤلاء العامة ، نظرة فيها تَدَنِّى ، وكأنه يكتب التاريخ مِنْ عِلٍّ ، فينعتهم دائمًا بـ « الرعاع » و « الأوباش » ، « الجعيدية » و « الحرافيش » ، وغير ذلك من النعوت المُتَدَنِّيَة ، رغم تمسكه فى كتاباته بفكرة « العدل » ، والعدل الذى يقصده هو « العدل الالهى » ، ولكنه يتخلى عن عدله فى نظرته لعامة الشعب المصرى .

نسخ مخطوط « مظهر التقديس »

أولاً : يوجد لـ « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » ، بدار الكتب المصرية، نسختان :

١ - **النسخة الأولى** : تحمل رقم (١٠١ تاريخ) ، وعدد أوراقها (١٤٦ ورقة)، منسوخة بخط النسخ الواضح ، حجم الورقة (٢٤ سم × ١٦,٥ سم) ، عدد أسطر الصفحة ما بين ٢٢ ، ٢٤ سطراً) ، وتتراوح كلمات السطر ما بين (١٠ ، ١٢ كلمة) ، انتهى الفراغ من نسخها في غرة محرم ١٢٢٤ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٩ م ، وَمُدَوَّنٌ على صفحة الغلافة أسماء من تملكوها وهم : « الفقير عبد الحق رئيس الأطباء السلطانية ١٢٥٠ هـ/ ١٠ مايو ١٨٣٤- ٢٨ أبريل ١٨٣٥ م، محمد عارف حلمى ، المتشرف برتبة القاضى بدار الخلافة العلية ، بتاريخ ٢٨ شوال ١٢٧٢ هـ / ٢ يوليه ١٨٥٦ م ، وشراء بمبلغ ٨٥ قرشًا مِنْ تركة خليل رفعت باشًا ، معتق خسرو باشا ، صهر السلطان محمود .

وهى النسخة التى اعتمد عليها محققو طبعة وزارة التربية والتعليم ، ونشرت ١٩٦١ م ، وقام بتحقيقها الأساتذة : أحمد زكى عطية ، عبد المنعم عامر ، محمد فهمى عبد اللطيف ، وراجع وحقق الجانب التاريخى والأعلام ، حنفى عامر ، وقد أضاف المحققون ، نصوصًا من كتاب : عبد الرحمن الرافعى : « تاريخ الحركة الوطنية » ، الجزء الأول ، والجزء الثانى ، كما اتضح من مقارنة

النسخ أنهم قامـوا بتعديل بعض الألفاظ ، لتناسب مـستوى الطلاب ، ومع ذلك فهم قدموا عملاً يشكروا عليه .

٢ - **النسخة الثانية** : من كتاب « مظهر التقديـس بزوال دولة الفرنسيس » ، بدار الكتب المصريـة ، تحمل رقم (٣٣٠ تاريـخ) ، وعدد أوراقها (١٩٢ ورقة) ، حجـم الورقـة (٢٣,٥ سم × ١٥,٥ سـم) ، وعـدد الأسطر فى كل صفحة (٢٧ سطـرًا) ، وفى كـل سطر مـا بين (٧ أو ٩ كـلمات) ، حـسب حـجم الكلـمة ، وهى مكتوبـة بخط معتاد ، وهـى نسخ الناسخ : أحـمد رزق ، وكان الفراغ مـن نسخـها يوم الأربـعاء ١٧ رجب ١٢٩٧ هـ / ٢٥ يونـيه ١٨٨٠ م ، ويوجد ببـعض صفحاتها رطـوبة ، وعلى صفحـة الغلافة أسماء من تمـلكوها : يحيى بن حكيم ، رضوان بن حسن بن على بن محمد الحفناوى . وهى النسخة التى اعـتمدناهـا ، رغم تأخرهـا فى النسخ ، لأنَّهُ بمـطابقتـها بالنـسخ الأخرى . وبالنسخة المعـدلة فى « عجائب الآثار » ، اتضح أنَّها أقرب فى كـثير من الألفاظ إلى نسخة « عـجائب الآثار » ، فلعل الجبـرتى أعاد تبيض النسـخة الأولى ، فى نسـخة أخرى ، وعـدل بعض ألـفاظهـا ، وكانت هـذه الثانـية ، هى الأم لـهذه النسخة ، وإنْ حافـظ فى هذه النسخة على المتن دون زيـادة أو نقصان ، ولذا فإنّ النسخ جميعها ، تكاد تكون متطابقة فى المتن .

٣ - **النسخة الثالثة** : نسخة مكتبة رفاعـة رافع الطهطاوى، سوهاج ، رقم (٢٠١ تاريـخ)، وهى نـاقصـة فى أخـرها مـقدار (١٢ ورقـة) ، ولهـا صورة عـلى ميكروفيلم ، معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ، رقم (٤٨٣) .

٤ - وتوجد نسخ أخرى لـ « **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** » ، فى : مكتبة المتحف البريطانى ، تحت رقم (Suppl. 571) ، ومكتبة جامعة كمبردج ، تحت رقم (Cambridg 1058) ، ومكتبة جامعة برنستون تحت رقم (Garr 613)، وهذه النسخة تنـتهى : « تمت هذه النسخة المباركة ، بـحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه على يد كـاتبها الفقير إلى مولاه القوى ، عبد الـكريم أحمد الملوى ، إمام زاوية القطب الكبير سيدى أحمد الدرديـر ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تـسليمًا أمين ، تم » . كما توجد نسخة بمـكتبة جودت باشا ، رقم (٧٦) ، باستانبول ، لها صورة على ميكروفلم ، معهد المخطوطات ، جامعة الـدول العربية رقم (٨٠٧) ، ونسخة بمكتبة رضا رامبـور بالهند رقم (٣٦٣٤) ، لها صورة عـلى ميكروفلـم ، معهد المخطوطـات ، جامعة الدول العـربية ، رقم (١٢٣٢) .

٥ - قام الأستاذ محمد عطا ، بنشر « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » ، تحت عنوان « يوميات الجبرتى » وذلك فى العددين (٥٩ ، ٦٠) ، من سلسلة « إخترنا لك » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ م . وبمقارنة النسخ المخطوطة والمطبوعة ، اتضح أنَّ هذه الطبعة بها كثير من الأخطاء ، والعبارات والفقرات والكلمات الساقطة من الطبعة ، كما أن الناشر ، لم يحدد النسخة التى اعتمدها، ولذا فإنَّ نسخة وزارة التربية والتعليم ، جاءت أكثر دقة وتحقيقا من طبعة محمد عطا .

وقد تم إعتمادنا لنسخة دار الكتب رقم (٣٣٠ تاريخ) ، وكلما وجدنا نقصًا أو إختلافًا ، أشرنا إليه فى الحواشى .

خطة التحقيق

أولاً : مطابقة النسخ المخطوطة والمطبوعة على النسخة رقم (٣٣٠ تاريخ) ، وكلما وجدنا نقصا أو إختلافا ، أشرنا إليه فى الحواشى .

ثانيًا : شرح وتحقيق المصطلحات التى كانت سائدة ، وإرجاعها إلى أصولها من القواميس والمصادر المتخصصة .

ثالثًا : التعريف بالقرى والبلدان التى وردت بالنص من القواميس الجغرافية ومعاجم البلدان .

رابعًا : التعريف بالشوارع والحارات والعطف ، والخطط والمساجد التى وردت بالنص.

خامسًا : الترجمة المختصرة للشخصيات والقادة ، التى كان لابُدَّ من التعريف بهم .

سادسًا : مطابقة التواريخ الهجرية ، بمُعَادِلِهَا من التواريخ الميلادية ، لتكون الفترة التاريخية واضحة فى ذهن القارئ .

سابعًا : تصويب بعض الأخطاء النحوية الضرورية لإستقامة الأسلوب .

هذا أهم ما قمنا به ، ولعلنا نكون قد وفقنا ، فى أداء خدمة للباحثين فى إخراج هذ النص بصورة صحيحة ، ولا ندعى أننا بلغنا الكمال ، فالكمال لله وحده ، والله ولى التوفيق .

أ.د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

الشويخ - الكويت فى ٢٧/٥/١٩٩٨ م